

طبعة جديدة مختارة مني

رفع  
عبد الرحمن العجمي  
أسكنها الفردوس  
www.moswarat.com

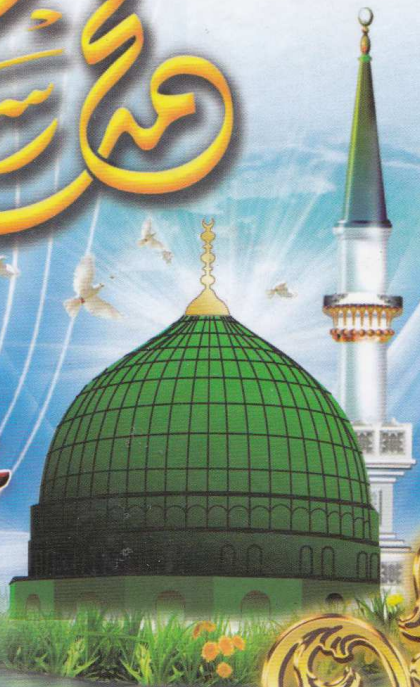
# العلماء

عليه السلام

## عاشق رسول الله

فضيلة الشيخ الدكتور

محمود المصري أبو عمار



للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

للعمامة

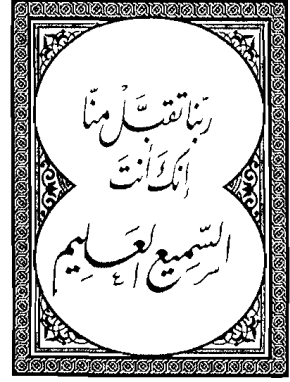
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

رقم الإيداع: ٢٠١٥/٨٩٩٢

الترقيم الدولي: 3-044-763-977-978



أولاد الحاج عون خير الدين صالح

١٣٧ ميدان الأزهر، أمانة الجامع الأزهر، القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠  
أرض الأزهر، خلف الجامع الأزهر، ت ١٠١٤٣١١١٤، لميكس ٢٥١٤٧٩٧٤

مكتبة الصف

للنشر والتوزيع

رقع

عبد الرحمن المحمدي  
أسكنه الفردوس  
www.moswarat.com

# مجموع للعاملين

فضيلة الشيخ الدكتور  
محمد المصيري أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع  
تليفون ٢٠١٤٧٣٢٠ - تليفاكس ٢٠١٤٧٩٧٤





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، فما زال فضل الله العظيم الكريم يتوالى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب النافعة، المبينة لشرع ربنا ﷺ، فقد مَنّْ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان في جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز، سواء كان كاملاً، أو مفرقاً على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو موضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوي الشريف والتي عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتي قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله ﷻ لتوصيل الدين وتبليغه كتاباً وسنةً، قولاً وفعلاً، نصّاً وفهماً وعملاً.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب كموطأ الإمام مالك، وصحيحى الإمامين البخارى ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم وغيرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية، وشرحاً وبياناً.

وأيضاً وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة بشتى الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله ﷻ فى كتابه

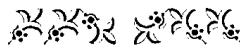
وسنة رسوله ﷺ، في صورتى ما بين المطول والمختصر - رحمننا الله وإياهم  
وغفر لنا ولهم، وأحسن إلينا وإيهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أختى القارئ وهو كتاب:  
«رحمة للعالمين»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتي نرجو من الله عز وجل أن  
يتقبلها منا قبولاً حسناً، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.  
إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله  
وصحبه أجمعين.

مَكْتَبَةُ الصَّفَا

جعلها الله مناراً لخدمة العلم والدين







## إهداء واعتراف لأصحاب الفضل

❁ وكما تعودت دائماً أن أقدم هذا الإهداء والاعتراف لأصحاب الفضل فوالله أنا لا أستطيع أن أنساهم أبداً... وذلك من باب قول الحبيب ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»<sup>(١)</sup>.

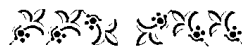
وفي مقدمة هؤلاء الناس جميعاً أقدم هذا الإهداء.

❁ إلى أمي الحبيبة (رحمة الله عليها):

وكيف أنساكِ يا أمي الحبيبة... يا من ضحيت من أجلّي بكل شيء كيف أنسى أيامك العامرة بالعطاء والتضحية والرحمة والحنان... والله أنا لا أستطيع أن أوفيك حقك ولو كتبت ألف كتاب ولذلك أقول لك: جزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء... فهو سبحانه القادر على أن يجزل لك العطاء في الدارين... فأسأله سبحانه أن يرحمك رحمة واسعة وأن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة وأن يجعل أعمالى كلها في ميزان حسناتك وأن يجمع بينى وبينك في الجنة.

❁ إلى أبي الحبيب (رحمة الله عليه):

رحمة الله عليك يا أبي الحبيب... يا من بذلت من أجلّي الغالى والنفيس وغمرتنى بحبك وعطفك وإحسانك.. كيف أنسى أيامك العامرة بالبذل والعطاء والتضحية والرحمة والحنان.. أسأل الله ﷻ أن يرحمك رحمة واسعة وأن يجعل أعمالى كلها في ميزان حسناتك أنت وأمي وأن يجمعنى بكما في الفردوس الأعلى.



(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤١).

## بين يدي الكتاب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِالَآرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل مُحدثه بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

✽ فلقد كان وما زال حلم عمرى أن أكون فى صحبة النبى ﷺ فى الدنيا والآخرة... فلما فاتتنى صحبته ﷺ عزمتم على أن أكون فى صحبته فى الدنيا من خلال التعايش مع سيرته وإلقاء الضوء على حياته العطرة التى جعلها الله نوراً ورحمة للعالمين.

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

ففضيت أسعد لحظات العمر وأنا أكتب كتاب (سيرة الرسول ﷺ) وكتاب (أخلاق الرسول ﷺ) وكتاب (ليلة في بيت النبي ﷺ) وغيرها من الكتب التي تشرّفت بسيرته وحياته العطرة.

ولكني رأيت أنه لا بد أن أكتب كتاباً يُلقى الضوء على حياة النبي ﷺ كلها بكل تفاصيلها المشرقة فكان هذا الكتاب المختصر والذي هو بعنوان:

(رحمة للعالمين) .. فلم أجد له عنواناً أعظم من صفة النبي ﷺ .. فهو النور الذي أرسله الله ليضيء للناس طريقهم إلى الجنة.... وهو نبي الرحمة الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

❁ وما أنا أقول لك يا رسول الله :

أحبك يا رسول الله وأتمنى أن أفديك بنفسى وروحي وكل ما أملك... فلقد تعلمت منك الكثير والكثير وأدين لك بالفضل في كل شيء - بعد الله ﷻ - .  
بأبى أنت وأمى ونفسى وروحي يا رسول الله :

❁ ها أنا أجدد البيعة معك يا رسول الله وأعدك بأن أظل طوال حياتي أدعو الناس إلى دينك وأعلمهم سنتك، وأحكي لهم سيرتك العطرة التي هي منهج حياة لكل من يريد أن يحيا حياة كريمة في الدنيا والآخرة.

❁ ومهما بذلت ومهما قدمت فلن أوفيك حقك يا رسول الله ولكن عزائي أنى أحبك وأشتاق إليك وأرجو أن أكون ممن قلت فيهم: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»<sup>(١)</sup>.

وممن قلت لهم: «المرء مع من أحب»<sup>(٢)</sup> فوالله إنى لأتمنى أن أقدم أهلى ومالى وكل ما أملك من أجل رؤيتك يا رسول الله ولو للحظة واحدة.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٦٨) كتاب الأدب - ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب.

❁ وإلى أن تحين هذه اللحظة عند الحوض فما أنا أقدم رسالتى هذه لك يا رسول الله عسى الله أن يجمعنى بك وبكل من قرأها على الحوض لنشرب من يدك شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً.

❁ وأختتم كلامى بالصلاة عليك يا رسول الله فلقد قلت: «إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة»<sup>(١)</sup>.

وصلّى الله على خبيبنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

عقود  
أبو  
عمار

(١) حسن: رواه الترمذى، وابن حبان، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٦٦٨).



## وقفة لطيفة

✽ كنت قبل الطبعة الأولى حائرًا بين أن يكون اسم الكتاب «رحمة للعالمين» أو «محمد رسول الله ﷺ» .. وطُبع الكتاب الطبعة الأولى باسم «محمد رسول الله ﷺ» .. ولكنى استخرت ربي ﷻ فشرح صدرى إلى أن يكون اسمه النهائى «رحمة للعالمين» وقد ذكرت ذلك حتى لا يظن أحد أننا ننشر الكتاب بأكثر من اسم .. فحينما يتم تغيير عنوان أى كتاب فمن الأمانة أن نذكر ذلك حتى إذا اشتراه أحد لا يشتريه مرة أخرى ويسىء بنا الظنون .. جعلنى الله وإياكم من الصادقين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





# قدر ومكانة النبي ﷺ

عند ربه ( عز وجل )





## قدر ومكانة النبي ﷺ

### عند ربه (عَزَّوَجَلَّ) (١)

- ✽ إن شأن رسول الله ﷺ عند الله لعظيم.. وإن قدره لكريم.. فلقد اختاره الله تعالى واصطفاه على جميع البشر وفضَّله على جميع الأنبياء والمرسلين، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وأعلى له قدره، وزكَّاه في كل شيء.
- زكَّاه في عقله فقال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (٢).
- وزكَّاه في صدقه فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٣).
- وزكَّاه في بصره فقال سبحانه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (٤).
- وزكَّاه في فؤاده فقال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (٥).
- وزكَّاه في صدره فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (٦).
- وزكَّاه في ذكره فقال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٧).
- وزكَّاه في طهره فقال سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (٨).
- وزكَّاه في حلمه فقال سبحانه: ﴿يَا الْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٩).

(١) بتصرف من كتاب (موسوعة الحقوق الإسلامية) للمصنف، كتاب (رسالة محمد ﷺ) للشيخ جمال عبد الرحمن، كتاب (شمائل الرسول ﷺ) للشيخ أحمد عبد الفتاح الزواوي.

(٢) سورة النجم: الآية: (٢).

(٣) سورة النجم: الآية: (٣).

(٤) سورة النجم: الآية: (١٧).

(٥) سورة النجم: الآية: (١١).

(٦) سورة الشرح: الآية: (١).

(٧) سورة الشرح: الآية: (٤).

(٨) سورة الشرح: الآية: (٢).

(٩) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

وزكّاه في علمه فقال سبحانه: ﴿عَلَّمَهُ وَشَدِيدُ الْقُوَى﴾ (١).

وزكّاه في خلقه فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢).

ثم أخبر عن منزلته في الملا الأعلى عند رب العالمين وعند الملائكة

المقربين فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (٣).

ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ليجمع له الثناء

من أهل السماء وأهل الأرض فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٤).

وتالله إننى أقول: إنه لا يعرف قدر النبى ﷺ إلا الرب العلى سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ

مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُيْتَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَائِيَاهُ،

فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا

اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» (٥).

(١) عموم اعتناء الله (عز وجل) به ﷺ :

قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ

تَقُومُ﴾ (٦).

هذه الآية من أعظم الآيات التى تدل على كمال اعتناء الله - سبحانه

وتعالى - بنبيه ﷺ حيث أثبت الآية أنه ﷺ بمراى ومسمع من الله تعالى، فى كل

(١) سورة النجم: الآية: (٥).

(٢) سورة القلم: الآية: (٤).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٣٥) كتاب المناقب - ومسلم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل.

(٦) سورة الطور: الآية: (٤٨).

أحواله وتقلباته ﷺ، في أولاه وأخراه، في حياته ومماته، قبل البعثة وبعدها، في حِلِّه وترحاله، في عاداته وعباداته، بل نجزم أن هذه العناية والرعاية الإلهية قد شملته ﷺ قبل ميلاده بقرونٍ طويلة... ألم تر كيف اختار الله له نسبه الشريف، من لَدُن إبراهيم ﷺ وحتى عبد المطلب.

ودليله: ما رواه مسلم، عن وائِلة بن الأسقع قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»<sup>(١)</sup>.

ويؤخَذ من الآية كمال عصمة النبي ﷺ من الناس، وتمام عصمته من الزلات والهفوات، ورفعة منزلته وعلو شأنه في الدنيا والآخرة؛ لأن هذا مقام مَنْ رعاه الله وحفظه في كل أحواله.

## (٢) رعاية الله تعالى له ﷺ من الصغر:

قال محمد بن إسحاق: فشبَّ رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية، لما يريد من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلُقاً وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفُحش والأخلاق التي تُدنِّس الرجال تنزُّهاً وتكرُّماً. حتى أصبح اسمه في قومه الصادق الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

وكان رسول الله ﷺ يُحدث عما كان الله يحفظه به في صغره.

✽ لقد حفظ الله ﷻ نبيه ﷺ من أقدار الجاهلية وأدرانها لتكون حياته كلها صفحة بيضاء ناصعة البياض ليس فيها شائبة.. فهو القدوة والأسوة للكون كله في كل زمانٍ ومكان.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٦) كتاب الفضائل.

❁ فمن ذلك: أن النبي ﷺ لم يهّم بقبیح مما كان أهل الجاهلية يهّمون به.

❁ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا هَمَمْتُ

بِقَبِيحٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهْمُونَ بِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ، كَتَيْتُهُمَا يَعِصُمُنِي اللَّهُ مِنْهُمَا، قُلْتُ لَيْلَةَ لِفْتَى مَعِيَ مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي أَغْنَامٍ لَأَهْلِنَا يَرَعَاهَا: أَبْصَرْتُ إِلَى غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ، قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ، سَمِعْتُ غِنَاءً وَضَرَبَ دُفُوفٍ وَمَزَامِيرَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةً - لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ - فَالْهُوتُ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ وَبِذَلِكَ الصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَمَا أَيْقَظُنِي إِلَّا حَرُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، قَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَ، فَخَرَجْتُ فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي مِثْلَ مَا قِيلَ لِي، فَالْهُوتُ بِمَا سَمِعْتُ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَمَا أَيْقَظُنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَوَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِبُيُوتِهِ»<sup>(١)</sup>.

❁ ومن ذلك أن الله عز وجل صانه عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام... ومن أولى بهذه المنقبة من صاحب الرسالة العصماء التي هي أسمح الشرائع في العمل، وأشدّها في إخلاص التوحيد والبعث عن الشرك.

روى أحمد في مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: حَدَّثَنِي جَارٌ لِخَدِيجَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لِخَدِيجَةَ «أَيُّ خَدِيجَةَ وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى».. قَالَ: كَانَتْ صَنَمَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ ثُمَّ يَضْطَجِعُونَ<sup>(٢)</sup>.

(١) ضعيف: أخرجه أبو نعيم في الدلائل، والحاكم في المستدرک، وضعفه الألباني رحمه الله في تخريج فقه السيرة (٧٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢٢/٤)، (٣٦٢/٥) وفضائل الصحابة (٨٥١/٢) رقم (١٥٧٨).

وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٥/٨): رجاله رجال الصحيح.

❁ ومن ذلك أنه كان لا يأكل مما ذُبح على النَّصْب، ووافقه في ذلك زيد بن عمرو بن نفيل... عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدِحٍ <sup>(١)</sup> قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ، فَقَدَّمَتْ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ سَفْرَةً، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ أَكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَيَّ أَنْصَابِكُمْ، وَلَا أَكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ.. وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَيَّ قُرَيْشَ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَيَّ غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ... إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ <sup>(٢)</sup>.

❁ ومن ذلك توفيقه للوقوف بعرفة قبل البعثة، مخالفة لما ابتدعه قومه من رأى الحُمس. (وكانت قريش تُسمى الحُمس)، وكان الشيطان قد استهواهم فقال لهم: إنكم إن عظمتم غير حرمكم استخف الناس بحرمكم، فكانوا لا يقفون بعرفة يوم عرفة، وكان سائر الناس يقف بعرفة، وكانت شريعة محمد ﷺ بعد ذلك الوقوف بعرفة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ <sup>(٣)</sup>.

❁ عن محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال: أضللت بغيري إلى، فذهبت أطلبه يوم عرفة، فرأيت النبي ﷺ واقفاً بعرفة، فقلت: « هَذَا وَاللَّهِ مِنْ الْحُمْسِ فَمَا شَأْنُهُ هَاهُنَا » <sup>(٤)</sup>.

(١) ذكرها ياقوت في معجم البلدان (١/ ٤٨٠) وقال: وإد قبل مكة من جهة المغرب - وقال الحافظ في الفتح: مكان في طريق التنعيم، ويقال هو واد.

(٢) رواه البخارى (٣٨٢٦) كتاب مناقب الأنصار، (٥٤٩٩) كتاب الذبائح والصيد بعضه، ورواه أحمد (٦٩/٢)، وابن سعد (٣/ ١/ ٢٧٦ - ٢٧٧)، والنسائي: المناقب من السنن الكبرى، الجزء المطبوع باسم فضائل (ص ٨٦). قال الألباني: توهم زيد أن اللحم المُقَدَّم إليه من جنس ما حرم الله، ومن المقطوع به أن بيت محمد ﷺ لا يأكل ذبائح الأصنام، ولكن أراد الاستيثاق لنفسه، والإعلان عن مذهبه... وقد حفظ محمد ﷺ له ذلك وشر به - هامش فقه السيرة للغزالي (ص ٨٧).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٦٦٤) كتاب الحج - ومسلم (١٢٢٠) كتاب الحج.

❁ ومن ذلك حفظ الله ﷺ له من أن تبدو عورته أو يظهر عرياناً... عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ، ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَبْقَى مِنَ الحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «إِزَارِي إِزَارِي» فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ.

وفي لفظٍ لهما من طريق زكريا بن إسحق عن عمرو بن دينار قال: «فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَمَا رَأَى بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا ﷺ»<sup>(١)</sup>. وهكذا شبَّ رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه من أقدار الجاهلية ومعائبها، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ... كما قال ابن إسحاق:

إن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلُقًا وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم خلقًا وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تُدنس الرجال، تنزُّهاً وتكرُّماً حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله ﷺ فيه من الأمور الصالحة<sup>(٢)</sup>.

### (٣) تطهير قلب النبي ﷺ من حظ الشيطان:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظَنُّرَهُ وَمَرْضَعَتَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللُّونِ. قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ المِخِيطِ فِي صَدْرِهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٤) كتاب الصلاة - ومسلم (٣٤٠) كتاب الحيض.

(٢) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (١/٢٠٧) بتصرف. نقلًا من وقفات تربوية (ص: ٥٣: ٥٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.



الشاهد في الحديث: قول جبريل ﷺ: «هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ».

### ✽ بعض فوائد الحديث:

✽ الفائدة الأولى: كانت للنبي ﷺ طفولة يلعب فيها مع الغلمان، ويُعجبه ما يعجب الغلمان، إلا أن الله ﷻ عصمه منذ طفولته مما يخدش الحياء، أو يطعن في المروءة، حتى من الأشياء التي يتساهل فيها الغلمان، مثل التعرّي، أو سماع المعازف والأغاني المحرمة، فهذه الأمور ما كان النبي ﷺ يشارك فيها أقرانه حتى وهو غلام لم يجزِ عليه القلم بعد.

✽ الفائدة الثانية: اعتناء المولى ﷻ بنبيه ﷺ غاية الاعتناء منذ صغره، ويتبين ذلك من:

(١) إرسال جبريل -أعظم الملائكة- للقيام بهذه المهمة المباركة، وكان يكفي أن يقوم بها أى ملك آخر خاصة أن النبي ﷺ ما زال صغيراً.

(٢) عصمة الله ﷻ لنبيه منذ الصغر، باستخراج حظ الشيطان من قلبه، وهذا يدل على عصمته قبل وبعد النبوة، وأن الشيطان ليس له أى دخل في أعماله وأقواله، التي صدرت منه في كل أحواله.

(٣) دلنا شرف الغاسل، وشرف المادة المستخدمة في الغسل، ونفيس الوعاء، على شرف المغسول، وهو قلب النبي ﷺ... ويدلنا أيضاً على اعتناء الأمر بالغسل، وهو الله ﷻ.

✽ الفائدة الثالثة: التكاليف الشرعية للملائكة، غير تكاليف عباد الله المؤمنين، كما أن هياتهم ليست كهياتنا... والدليل على ذلك استخدام الملائكة طستاً من ذهب لغسل قلب النبي ﷺ.

✽ الفائدة الرابعة: غسل القلب كان يمكن أن يكون بغير شق الصدر، وبغير إرسال جبريل ﷺ وبغير أن يُصرع النبي ﷺ، ولكن تحققت فوائد كثيرة من

هذه العملية وهى:

(١) إظهار عجائب قدرة الله عز وجل، وما منحه الله لملائكته من عظيم خوارق العادات... فجبريل عليه السلام يفتح صدر النبي ﷺ، وهو ما زال غلامًا، ويستخرج القلب ويغسله بالماء، ثم يعيده مكانه، ثم يلام الجرح مرة أخرى، وتظهر علامة هذا الالتئام، كأنه المخيط فى صدره.

كل ذلك دون أن يشعر النبي ﷺ بأذى ألم.

(٢) إجراء هذه العملية للنبي ﷺ ووجود أثر مخيط فى صدره، يراه هو ويراه غيره، كلما كشف عن صدره، فيه:

أ - تذكير النبي ﷺ بعظيم قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يُعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماوات، فىكون ذلك أدعى له بتصديق كل ما وعده الله به، حتى وإن كانت أمورًا خارقة للعادة.

ب - تذكيره ﷺ بعناية الله به منذ صغره.. فالذى اعتنى به وأرسل له جبريل يغسل صدره، لن يخذله ولن يتخلى عنه بعد البعثة من باب أولى.

ج - رؤية الصحابة رضوان الله عليهم أثر المخيط فى صدره، فيه تثبيت لهم، وإعلام بعلو قدر الرسول ﷺ عنده.

✽ الفائدة الخامسة: بركة وشرف ماء زمزم؛ لأن جبريل عليه السلام قد غسل قلبه بهذا الماء فى هذه الواقعة العظيمة، ولو كان هناك ماء أشرف منه لاستخدمه جبريل عليه السلام.

✽ الفائدة السادسة: نجزم قطعًا أن هذه الحادثة كانت يقظة وليست منامًا، وأن النبي ﷺ وعاهها ورآها عيانًا، وكذلك رآها البعض.

✽ الفائدة السابعة: وجود علقة فى قلب الرسول ﷺ، وإرسال جبريل لاستخراجها، وغسل القلب من أثرها، يدل دلالة قاطعة أن كل أحد دون النبي



ﷺ - من باب أولى - يوجد في قلبه هذه العلة... وعلى المسلم أن يعتقد ذلك، حتى يبقى في جهاد مع نفسه التي يوجد بها حظ الشيطان، كما عليه أن يسأل الله عز وجل الثبات في الأمر، وألا يركن إلى نفسه أبداً.

✽ الفائدة الثامنة: القلب هو سيد الأعضاء وهو الذي يأمرها وينهاها، فبصلاحه يصلح الجسد كله، وبفساده يفسد الجسد كله.

#### (٤) ملء قلب النبي ﷺ إيماناً وحكمة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعَصَعَةَ - رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ -: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ.. فَأَتَيْتُ فَاَنْطَلَقْتُ بِي فَأَتَيْتُ بَطْسَتْ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا» - قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: مَا يَعْنِي؟ - قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ قَلْبِي بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُسِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً<sup>(١)</sup>.  
الشاهد في الحديث: قوله ﷺ: «ثُمَّ حُسِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً».

#### (٥) اختياره واصطفاه للرسالة والنبوة:

إذ لا يختار الله سبحانه لهذا الأمر إلا من أحبه وارتضاه.  
قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.  
وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم: (١٦٤) كتاب الإيمان.

(٢) سورة الحج: الآية: (٧٥).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٢٤).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٢٩).

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرَى أَخِي عَيْسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ الشَّامِ»<sup>(١)</sup>.

ومعنى هذا أنه أراد بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره، فذكر دعوة إبراهيم الذي تُنسب إليه العرب، ثم بُشْرَى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بني إسرائيل. يدل هذا على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضًا.

(٦) رفع الله تعالى قدره وتثقيل وزنه بأتمته:

قال رضي الله عنه: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبُشْرَى عَيْسَى عليه السلام، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشَّامِ، وَاسْتَرْضَعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ، فَبَيْنَا أَنَا فِي بَهُمْ<sup>(٢)</sup> لَنَا، إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ مَعَهُمَا طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٌ ثَلْجًا، فَأَضْجَعَانِي فَشَقَّا بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَالْقِيَاهَا، ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى إِذَا أَنْقِيَاهُ رَدَّاهُ كَمَا كَانَ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنَهُ بِعَشْرَةِ مِنْ أُمَّتِهِ. فَوَزَنَنِي بِعَشْرَةِ فَوَزَنْتَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنَهُ بِمِائَةِ مِنْ أُمَّتِهِ. فَوَزَنَنِي بِمِائَةِ فَوَزَنْتَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنَهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِأَلْفٍ فَوَزَنْتَهُمْ، فَقَالَ: دَعُهُ عَنكَ، فَلَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنْتَهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

(٧) تشریفه رضي الله عنه بإنزال القرآن عليه:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا

(١) صحيح: رواه أحمد وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥ - ١٥٤٦).

(٢) غنم صغار.

(٣) صحيح: أخرجه الحافظ ابن كثير في «البداية» (٢ / ٢٧٥)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٥٤٥).

وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ (١).

وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ (٢).

(٨) أخذ الميثاق على الأنبياء بأن يؤمنوا بالنبي ﷺ وينصروه:

✽ بل لقد أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بُعث فيهم

الحيب محمد ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتُنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ (٣).

(٩) أن الله ﷻ أقسم بحياة النبي ﷺ:

✽ ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أقسم بحياته ﷺ فقال: ﴿لَعَمْرِكَ

إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (٤). وإن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم الله ﷻ بها، لما فيها من البركة العامة والخاصة.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس، قال: ما خلق الله وما برأ وما ذرأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحدٍ غيره.

قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرِكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

✽ بعض فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: بلغ النبي ﷺ المتتهى في تكريم الله - سبحانه وتعالى -، فقد

بلغ التشريف ذروته بأن أقسم الله بحياته.

(١) سورة الشورى: الآية: (٥٢).

(٢) سورة الحجر: الآية: (٨٧).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٨١).

(٤) سورة الحجر: الآية: (٧٢).

الفائدة الثانية: في قَسَمِ الله - سبحانه - بحياة نبيه ﷺ، دون غيره من الأنبياء، دليل على فضله ﷺ وعلو منزلته وزيادة شرفه على بقية الأنبياء (عليهم جميعاً الصلاة والسلام).

الفائدة الثالثة: حياة النبي ﷺ كانت كلها حياة مباركة طيبة، استغرقها ﷺ كلها في طاعة الله ﷻ... فَإِنَّ قَسَمَ اللهُ ﷻ بِهَا دَلِيلٌ عَلَى رِضَاهُ وَمُبَارَكَتِهِ لِهَذِهِ الْحَيَاةِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْدِثْ فِيهَا أَى قُصُورٍ أَوْ تَقْصِيرٍ، وَلَمْ يَشُبْهَا أَى خُلُلٍ أَوْ عَيْبٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا أَقْسَمَ اللهُ بِهَا.

وعليه، فَإِنَّ مَنْ تَعَرَّضَ لِحَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِغَمْزٍ أَوْ لَمْزٍ، أَوْ ذَكَرَهَا بِأَدْنَى تَنْقُصٍ، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِدَ شَيْئًا مِنْ عِبَادَتِهِ أَوْ عَادَاتِهِ ﷺ الَّتِي فَعَلَهَا فِي حَيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ، فَقَدْ ذَمَّ مَا مَدَحَهُ اللهُ، وَعَابَ مَا حَكَمَ اللهُ لَهُ بِالْكَمَالِ وَالْجَمَالِ، وَطَعَنَ فِيمَا زَكَاهُ اللهُ وَرَضَى بِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ غَايَةَ الثَّنَاءِ.

الفائدة الرابعة: ليس معنى أن الله ﷻ قَدِ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَشْرَفِ الْخَلْقِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْسَمَ بِهِ ﷺ... فَاللهُ ﷻ يَقْسَمُ بِمَا يَشَاءُ عَلَى مَا يَشَاءُ، فَقَدْ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْقَلَمِ وَالنَّجْمِ وَالشَّمْسِ وَالطُّورِ، أَمَا الْمَخْلُوقُ فَلَا يَقْسَمُ إِلَّا بِاللَّهِ ﷻ، وَهِيَ سُنَّةُ الْمُصْطَفَى ﷺ...

روى البخارى فى صحيحه: عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»<sup>(١)</sup>، وفى رواية عن ابن عمر رضيهما عن النبي ﷺ قال: «أَلَا مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ»، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِأَبَائِهَا، فَقَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

(١٠) أن أمته لا تجتمع على ضلالة:

✽ ومن فضله ﷺ عصمة أمته فلا تجتمع على ضلالة.. وحفظ طائفة من أمته

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٦٧٩) كتاب الشهادات.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٨٣٦) كتاب مناقب الأنصار.

لا تزال ظاهرة على الحق... كما في حديث البخارى وغيره « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ » (١).

(١) أن الله ﷻ أثنى عليه باسمين من أسمائه :

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

✽ مظاهر الثناء على النبي ﷺ في هذه الآية الكريمة :

١- بيان أن إرسال النبي ﷺ إلى الناس هومنة من الله ﷻ، حيث إنه من جنسهم ويتكلم بلسانهم... قال الشيخ السعدى في تفسير الآية: (يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمى الذى من أنفسهم يعرفون حاله ويتمكنون من الأخذ عنه) (٣).

٢- شفقة النبي ﷺ البالغة بأمته حيث أوضحت الآية أنه يشق عليه كل ما فيه مشقة على أمته أو يسبب لها الحرج وهو العنت... وهذا يدل أيضًا على عظيم حبه لأمته ﷺ.

ومن مظاهر حرصه على عدم إعانات الأمة أنه ﷺ راجع ربه لتخفيف عدد الصلوات المكتوبة، حتى أصبحت خمس صلوات من أصل خمسين صلاة في اليوم واللييلة.

ويؤخذ من الآية أنه ليس في الدين كله أى أمر فيه مشقة أو عنت على المسلمين؛ لأن الله ما كان ليشرع لهذه الأمة ما يشق عليها.

٣- حرص النبي ﷺ على إيصال كل أنواع الخير إلى أمته، ودفع كل أنواع الشر عنهم، في معاشهم ومعادهم؛ لأن هذا هو دأب الحريص على غيره،...

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣١١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة-ومسلم (١٩٢١) كتاب الإمارة.

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٣٥٦).

وقيل: إن معنى ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أى حريص على دخولكم الجنة ونجاتكم من النار.

٤- وهى أعظم ما فى الآية... وهو الثناء على الرسول ﷺ، حيث إن الله قد أثنى عليه باسمين من أسمائه الحسنى، وهما الرءوف والرحيم، ولو لم يكن فى القرآن ثناء على النبى ﷺ إلا هذا الثناء لكفى.

### (١٢) عصمة الرسول ﷺ من الشيطان:

وعصم الله رسوله ﷺ من الشيطان... وقد أعان الله رسوله ﷺ على قرينه الشيطان فأسلم، فلا يأمره إلا بخير... ففى صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ». قَالُوا وَإِيَّاكَ قَالَ: « وَإِيَّائِي إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ »<sup>(١)</sup> وفى حديث عائشة أنه سمى القرين شيطاناً<sup>(٢)</sup>.

### (١٣) عصمة الرسول ﷺ من القتل:

عصم الله رسوله ﷺ من القتل حتى يُبلغ رسالة ربه.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup> قال سفيان الثورى فيما نقله عنه ابن كثير فى تفسير هذه الآية: «بلغ أنت رسالتى، وأنا حافظك، وناصرك ومؤيدك على أعدائك، ومُظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك»<sup>(٤)</sup>. وقد أورد ابن كثير فى تفسيره هذه الآية الأحاديث التى تفيد أن الصحابة كانوا يحرسون الرسول ﷺ قبل نزول هذه الآية، فلما نزلت ترك

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٤) كتاب صفات المنافقين.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٥) كتاب صفات المنافقين.

(٣) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/٢٠٥).

رسول الله ﷺ الحرس<sup>(١)</sup>.

وقد جعل اليهود في شاة مصلية أهدتها يهودية لرسول الله ﷺ سُمًّا لتقتله، فلما سألهم عمًّا حملهم على ذلك قالوا: «أردنا إن كنت كاذبًا نستريح منك، وإن كنت صادقًا لم يضرك»<sup>(٢)</sup>.

ولما سأل المرأة قالت: أردتُ لأقتلك. قال: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكَ عَلَيَّ ذَلِكَ»<sup>(٣)</sup>.

فقد عصم الله رسوله أن يقتله السم... وأكل معه أحد أصحابه فمات كما أفادته بعض الأحاديث التي روت الواقعة.

(١٤) رُؤْيَا اللَّهِ ﷻ لَهُ ﷻ (رُؤْيَا خَاصَّة) :

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٧٧﴾ الَّذِي يَرْتَكِبُ جِئْنَ تَقْوَمُ ﴿٧٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

الشاهد في الآية: أثبتت الآية رؤية الله ﷻ لنيه ﷻ، وهي رؤية خاصة، المقصود بها العناية والحفظ، وليست رؤية إدراك وإحاطة، حيث إنها وردت بعد الأمر بالتوكل، وكأنها تحثُّ عليه وترغب فيه، ولو كانت رؤية عامة، ما كان لذكرها مزية بعد الأمر بالتوكل؛ لأن الرؤية العامة تشمل الناس جميعًا: متوكلين وغير متوكلين.

ومثال الرؤية الخاصة: قوله تعالى لموسى وهارون (عليهما السلام): ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٠٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣١٦٩) كتاب الجزية.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦١٧) كتاب الهبة - ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

(٤) سورة الشعراء: الآيات: (٢١٧-٢٢٠).

(٥) سورة طه: الآية: (٤٦).

❁ وفي الآية فوائد... منها:

❁ الفائدة الأولى: كمال عبادته ﷺ لله - سبحانه وتعالى - من جميع الوجوه، والتي منها التواضع بها لله والخشوع، وحسن القيام والسجود، وتمام الإخلاص، حيث إن الآية وردت على سبيل التمدح من الله ﷻ ولا يمتدح شيئاً فيه نقص أو خلل، بدون توجيه.. خاصة إذا كان يتعلق بقدوة هذه الأمة ﷺ.

❁ الفائدة الثانية: وعد الله ﷻ نبيه ﷺ بالنصر والظهور على أعدائه، والرحمة له ولأمته، حيث أمره - سبحانه وتعالى - بالتوكل عليه، ورغبه في ذلك بصفيتين من صفاته، وهما العزة والرحمة..

❁ الفائدة الثالثة: عظيم أمر التوكل فيه يكفينا الله ﷻ أمر أعدائنا بالنصر عليهم، ويكفينا شرور أنفسنا بغفران السيئات.

❁ الفائدة الرابعة: خُتمت الآيات بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، فهو - سبحانه وتعالى - الذى يسمع دعائك ويعلم حالك، وكأنه وعد منه - تبارك وتعالى - بتحقيق سؤله واستجابة دعائه، وقد تم ذلك كله بما تقر به عينه ﷻ.

(١٥) ولاية الله (ﷻ) له ﷻ :

قال تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

قيل: إن اللتين تظاهرتا على النبي ﷺ هما عائشة وحفصة رضي الله عنهما حيث ذكرا له أن به ريح مغاير من العسل الذى يشربه عند إحدى نسائه.

ولما كان النبي ﷺ يكره أن يجد أحدٌ منه ريحاً كريهة، حرم على نفسه العسل، فنزلت الآية توجه العتاب واللوم لعائشة وحفصة، وتعرض عليهما التوبة إلى الله بسبب ما بدر منهما وميلهما عما ينبغى من الورع والتوقير وعدم



المشقة في حق النبي ﷺ.

والشاهد في الآية على اعتناء الله - سبحانه وتعالى - بالنبي ﷺ غاية العناية: أن الآية ذكرت أن الله ﷻ هو مولى النبي ﷺ... والمولى هو المُعين والناصر، وهو الذى يتولى أمر مولاه في كل شئونه.

مما يوضح هذا المعنى ويُجليه ويبين أن ولاية الله هى واحدة من أعظم شمائل النبي ﷺ التى ربما نغفل عنها،... أقول: مما يوضح ذلك، ما ذكره الشيخ السعدى في تفسير هذه الآية، ونصّه: (أى الجميع أعوان للرسول مظاهرون ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره - مما يناوئه - مخذول. وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين حيث جعل البارئ نفسه الكريمة وخواص خلقه أعواناً لهذا الرسول الكريم). انتهى.

(١٦) معية الله ﷻ له ﷺ :

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾<sup>(١)</sup>.

الشاهد في الآية: أثبتت الآية معية الله ﷻ لنبيه وصاحبه.

قال تعالى حاكياً عن نبيه ﷺ أنه قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وهى معية خاصة؛ لأنها ذكرت بعد النهى عن الحزن الذى حصل بسبب خوف أبى بكر الصديق على الرسول... وارتفع هذا الخوف بعلمه أن الله معهما بنصره وتأيدته، فلن يصل إليهما أذى الكفار... ويؤكد هذا المعنى ما رواه البخارى ومسلم عن أنس عن أبى بكرٍ رضي الله عنهما قال: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ

قدميه لأبصرنا!! فقال: « يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا »<sup>(١)</sup>.

أما المعية العامة، والتي يقصد بها العلم والإحاطة، ففي قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١٧) جعله ﷺ خاتم النبيين:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

من كريم نعم الله على نبينا محمد ﷺ أن ختم به النبيين؛ لأن الخاتم يثبت له ما لا يثبت لإخوانه من الأنبياء... ومن ذلك على سبيل المثال:

١- أن يكون كتابه هو المهيمن على بقية الكتب السماوية المنزل.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

٢- أن تكون شريعته هي الشريعة الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة؛ لأنه لا شريعة بعد شريعته ﷺ.

٣- أن لا يحدث أى نسخ - بعد مماته - لكل ما جاء به من كتاب أو سنة.

٤- مطالبة كل أمة - تحت أديم السماء - من يوم بعثته إلى يوم القيامة - بالإيمان به والتصديق التام بكل ما جاء به، بل يكون الإيمان بجميع الرسل داخلًا في طيات الإيمان به؛ لأنه هو الذى دلَّ على نبوتهم جميعًا.

٥- أن يكون هو ﷺ الحكم على أفعال كل الأمم السابقة، يزكى حسناتهم

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٥٣) كتاب فضائل الصحابة - ومسلم (٢٣٨١) كتاب الفضائل.

(٢) سورة المجادلة: الآية: (٧).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٤٨).

ويحذر من سيئاتهم، ولم يثبت ذلك لأمة من الأمم... ثم إن جميع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) مُبشرون به مُزكون لأمتهم.

ومعلوم أن الخاتم لكل شيء هو أحسن وأجمل ما في الشيء، ولذلك يزين به، ولا يكتمل جمال الشيء إلا به... قال تعالى واصفًا جمال شراب أهل الجنة: ﴿خِطْمُهُ وَسُكُّهُ فِي ذَلِكَ فَلَيَتَنَاقِيسُ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٦٦﴾﴾<sup>(١)</sup>، وقد ذكر ابن كثير في تفسير الآية الكريمة ما نصّه: (فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم... ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله - تبارك وتعالى - في كتابه، ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أن لا نبي بعده ليعلموا أن كل مَنْ ادَّعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفَّاك ضالُّ مُضلل). انتهى<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر النبي ﷺ مثله ومثل بقية الأنبياء في الحديث الذي رواه البخارى عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْبَجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»<sup>(٣)</sup>.

(١٨) إمامته لأنبياء الله ورسله بأمر الله سبحانه ليلة الإسراء بالمسجد الأقصى:

لا شك أن إمامة نبينا ﷺ للأنبياء ليلة الإسراء من أولهم إلى آخرهم قبله؛ يرى فيها المنزلة العظمى التي لم تكن إلا له ﷺ.

قال ﷺ: «... ثُمَّ مَضِينَا حَتَّى آتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرِبْتُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَثَرَّتْ لِي الْأَنْبِيَاءُ مَنْ سَمَّى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْهُمْ

(١) سورة المطففين: الآية: (٢٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٩٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٥٣٥) كتاب المناقب.

وَمَنْ لَمْ يَسْمَ ، فَصَلَّيْتُ بِهِمْ...»<sup>(١)</sup>.

(١٩) تفضيله على الأنبياء بست فضائل أو سبع أو أكثر:

قال ﷺ: «أُعْطِيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأَحِلَّتْ لِي الْمَعَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً». وفي رواية: «وَحْتِمَ بِي النَّبِيُّونَ»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَّمِ»<sup>(٣)</sup>.

وفي فضله على الأنبياء فيمن أرسل إليهم قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>. وقال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup> فأرسله إلى الجن والإنس.

فظهر من هاتين الآيتين أن كل نبي كان يُرسل إلى قومه، وأرسل النبي ﷺ إلى جميع الأقوام والناس أجمعين.

(٢٠) أمر الأمة بتوقيره وعدم رفع الصوت فوقه ﷺ:

❁ ومن فضله وشرفه ﷺ أن الله عز وجل أمر الأمة بتوقيره واحترامه، فأخبر ﷺ أن الأمم السابقة كانت تخاطب رسلهم بأسمائهم الأعلام كقولهم: ﴿يَلْمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾<sup>(٦)</sup>، وقولهم: ﴿يَلَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في «الكبير»، ورجاله رجال الصحيح - قاله الهيثمي (١/٧٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٥) كتاب التيمم - ومسلم (٥٢١) كتاب المساجد.

(٣) حسن: رواه أحمد والبيهقي في السنن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩٣٩).

(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٤).

(٥) سورة سبأ: الآية: (٢٨).

(٦) سورة الأعراف: الآية: (١٣٨).

(٧) سورة هود: الآية: (٥٣).

وقولهم: ﴿يَصْلِحْ أُمَّتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾<sup>(١)</sup>. ونهى الله ﷻ أمة النبي ﷺ أن ينادوه باسمه فقال ﷻ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس في هذه الآية قال: (كانوا يقولون: يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبية ﷺ، قال: فقالوا: يا نبى الله، يا رسول الله). ونهى الله ﷻ أمة النبي أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته إعظاماً له ﷺ، فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(٢١) حفظ عرضه ﷺ من السب واللعن:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟. يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ»<sup>(٤)</sup>.

(٢٢) الصلاة عليه ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>. إذا كانت أعظم نعمة أنزلها الله على رسوله ﷺ هي القرآن الكريم، وإذا كانت أعظم معجزة خصَّ الله بها رسوله ﷺ هي القرآن الكريم ثم الإسراء والمعراج، وإذا كان أعظم تشريف حبا الله به نبيه ﷺ في الآخرة هي الشفاعة العظمى، فإن أعظم مظاهر حب الله - تبارك وتعالى - لنبية ﷺ هي الصلاة عليه منه - تبارك وتعالى - ومن ملائكته الكرام، وأمر المؤمنين بذلك.

ويحسن أن نبدأ بنبذة من أقوال بعض العلماء عن تلك الصلاة عند شرحهم

(١) سورة الأعراف: الآية: (٧٧).

(٢) سورة النور: الآية: (٦٣).

(٣) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٥٣٣) كتاب المناقب.

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمته الله: (المقصود من هذه الآية أن الله - سبحانه وتعالى - أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى بأنه يُثنى عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً) <sup>(١)</sup>.

وقال القرطبي رحمته الله: (هذه الآية شرف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم، في حياته وموته وذكر منزلته وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء أو في أمر زوجاته ونحو ذلك... والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره) <sup>(٢)</sup>.

(٢٣) ذم الله سبحانه من سمع اسم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصل عليه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمْضَانٌ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ فَلَمْ يَدْخُلَاهُ الْجَنَّةَ» <sup>(٣)</sup>.

وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» <sup>(٤)</sup>.

(٢٤) تزكية الله (جل وعلا) لنبيه صلى الله عليه وسلم :

وهي تشمل عدة أشياء منها:

١- تزكية فطرته صلى الله عليه وسلم :

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسرى به بإيلياء بقدرحين من

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥٠٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٣٢).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥١٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٧٨).

خمرٍ ولبنٍ فنظر إليهما فأخذ اللبن فقال جبريلُ: « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ »<sup>(١)</sup>.

الشاهد في الحديث: قول جبريل ﷺ: « لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ »، وفي رواية مسلم أيضاً: « أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ ».

## ٢- تزكية قلبه ﷺ:

لما كان القلب هو أعظم جوارح الجسد... فبه تصلح جميع الجوارح وبه تفسد، كما في الحديث الذي رواه الشيخان عن النعمان بن بشير وفيه: « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »<sup>(٢)</sup>، اعتنى الله ﷻ بقلبه عظيمًا بقلبه حبيبه ووصفيه من خلقه وخليله ﷺ منذ صغره، فطهر الله - تبارك وتعالى - هذا القلب ونزع منه حظ الشيطان وملاه إيمانًا وحكمة... فقد زكاه من حيث الوحي الذي أنزل إليه فكان هذا القلب الزكي الطاهر وعاءً له، وزكاه من حيث تعامله مع أصحابه، فذكر رفته ورحمته بالمؤمنين، وزكاه من حيث صدقه وحضوره، فحكم عليه بعدم الكذب ومطابقة ما يراه القلب بما يراه البصر، وزكاه من حيث اتصاله الدائم بالله - تبارك وتعالى - وعدم غفلته ﷺ عن ذكره، فذكر ﷺ في الحديث الصحيح أن عينيه تنامان ولا ينام قلبه<sup>(٣)</sup>.

## ٢- تزكية لسانه ﷺ:

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٠٩) كتاب التفسير - ومسلم (١٦٨) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان - ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٨) كتاب الوضوء - ومسلم (٧٦٣) (١٨٦) كتاب صلاة المسافرين

وقصرها.

(٤) سورة النجم: الآيتان: (٣، ٤).

قال الإمام القرطبي رحمته الله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ﴾، أى: ما يقول قولاً عن هوى وغرض وإنما يقول ما أمر بتبليغه إلى الناس موفوراً من غير زيادة ولا نقصان<sup>(١)</sup>. وقال الشيخ السعدى رحمته الله: (ليس نطقه صادراً عن هوى نفسه، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾). أى: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى فى نفسه وفى غيره<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- تزكية بصره رحمته الله:

قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>، هذه الآية الكريمة من أعظم الآيات التى تدلل على حسن خلقه رحمته الله عامة ورفيع أدبه خاصة، ولو لم يكن فى القرآن ولا فى السنة غير هذه الآية فى ذكر خلق النبى رحمته الله لكفته رحمته الله فخراً... وللأسف الشديد قد يمر المسلم عليها ويقرأها كثيراً ولا يستشعر ما فيها من كريم خلقه رحمته الله، فهذه الآية وردت فى معرض ذكر حادثة المعراج بالنبى رحمته الله إلى السماء السابعة ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى ما شاء الله تعالى، وبالرغم أن من جملة حكم هذه الحادثة هو أن يرى النبى رحمته الله من آيات ربه الكبرى.. كما قال تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِيَّتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٤)</sup> إلا أنه رحمته الله من كمال أدبه ورفيع خلقه لم يلتفت يمنة أو يسرة للنظر فى هذا الملكوت العظيم، والذى ليس به موضع شبر واحد، إلا وفيه آية من آيات الرب - تبارك وتعالى -، ولكنه رحمته الله لم يمتد بصره إلا لما أذن الله له أن يرى، ولن يستطيع أحد مهما أوتى من علم وحكمة أن يتصور مثل هذا الخلق الرفيع أو يُقيّمه أو يُقدره، وليس هذا من باب المبالغة.. والسبب فى ذلك أن أحداً منا لن يستطيع أن يتصور بعقله عظيم ملكوت الله وما به من آيات كبيرة،

(١) وردت هذه الفقرة عند ابن كثير (٤/٢٤٨) وهى من كلامه، وليست من قول القرطبي.

(٢) انظر تفسير السعدى (٨١٨).

(٣) سورة النجم: الآية: (١٧).

(٤) سورة الإسراء: الآية: (١).



والتي استطاع النبي ﷺ بخلقه أن يقصر نظره عنها.. فهو خُلِقَ عظيم يتناسب مع ما في ملك الله من آيات، فهل بعد هذا الخلق من خلق.

وتصور أخى القارئ أنك دخلت قصرًا لملك من ملوك الدنيا تعلم أن فيه ما لم تره عينك ولم تسمع به أذنك ولم يخطر من قبل على قلبك، فكم من أدب تحتاج أن يكون معك حتى لا تنظر يمناً ولا يسرة.. وشتان شتان بين ما عند الله - تبارك وتعالى - من آيات وما عند الملوك،... والفارق بينهما كالفارق بين الثرى والثريا، بل الفارق أعظم من ذلك بكثير، ولولا أن هذا الفعل من النبي ﷺ كان خُلِقًا ربيعاً منه، ما ذكره الله - سبحانه وتعالى - في القرآن العظيم في سياق الشناء والمدح.

وأقول: إذا كان هذا خلقه ﷺ فيما لا يقدر عليه غيره، فكيف يكون خلقه فيما يقدر عليه غيره، وإذا كان هذا الأدب منه ﷺ فيما لم يُؤمَر به فكيف يكون أدبه ﷺ فيما أمر به أو نُهي عنه... قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير الآية: (قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ما ذهب يميناً ولا شمالاً وما جاوز ما أمر به.. وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة فإنه ما فعل إلا ما أمر به ولا سأل فوق ما أُعطى... وما أحسن قول الناظم:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتأها<sup>(١)</sup>

وقال الشيخ السعدى رَحِمَهُ اللهُ: (وهذا كمال الأدب منه ﷺ أن قام مقاماً أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه ولا تجاوزه ولا حاد عنه، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم الذى فاق فيه الأولين والآخرين، فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور... إما ألا يقوم العبد بما أمر به، أو يقوم به على وجه التفريط أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة يميناً وشمالاً وهذه الأمور كلها مُنتفية عنه ﷺ)<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٥٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨١٩).

## ٥- تزكية خلقه ﷺ:

 قال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝١﴾<sup>(١)</sup>.

أكتفى هنا بذكر ما قاله الشيخ السعدى رحمه الله في تفسير تلك الآية الكريمة التي زكّت خلق النبي ﷺ تزكية عظيمة، ليس قبلها ولا بعدها تزكية، إذ قال رحمه الله ما نصّه: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝١﴾ أي: علياً به، مُستعلياً بخلقك الذي منّ الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه، فقالت: (كان خلقه القرآن). وذلك نحو قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۝١١٦﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ۝٣١﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٧٨﴾<sup>(٤)</sup>. وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه ﷺ بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثات على الخلق العظيم، فكان له منها أكملها وأجلّها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان ﷺ سهلاً لينا، قريباً من الناس، مُجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائباً، وإذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبدّ به دونهم، بل يُشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مُسيئهم، ولم يكن يعاشر جليساً له إلا كان أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوى

(١) سورة القلم: الآية: (٤).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٤) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذ به بما يصدر منه من جفوة، بل يُحسن إليه غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ<sup>(١)</sup>.

### ٦- تزكية صدقه ﷺ في التبليغ عن ربه عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

هذه الآيات الكريمت دليل صريح أن النبي ﷺ لم يكذب على ربه في أى شىء من الوحي، صغيراً كان أم كبيراً.

### ٧- تزكية من علمه ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٦﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

الآية الكريمة تدل على أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذى علم النبي ﷺ القرآن وغيره من الوحي حيث نَفَتْ الآية أن الله علم النبي ﷺ الشعر، فنفى تعليم الشعر، يثبت أنه - سبحانه وتعالى - هو الذى تكفل بتعليمه، لأنه لو كان أحد غير الله هو الذى يعلم نبيه ﷺ لأثبت له عدم تعليم النبي ﷺ الشعر، أما قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾﴾<sup>(٤)</sup>، فهو جبريل عليه السلام، فلا تنافي بين هذه الآية وما ذكرته آنفاً حيث إن جبريل علم النبي ﷺ الوحي الذى أنزله الله - تبارك وتعالى - على نبيه ﷺ، فنسبة التعليم إلى الله عز وجل من حيث أنه هو الذى أنزل على عبده الوحي، ونسبته إلى جبريل من حيث أنه هو الذى باشر إنزال الوحي، بإذن الله وعلمه.

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٧٩).

(٢) سورة الحاقة: الآيات: (٤٤-٤٦).

(٣) سورة يس: الآية: (٦٩).

(٤) سورة النجم: الآيات: (٥-٦).

### ❖ بعض فوائد الآية الكريمة :

الفائدة الأولى: مَنْ طَعَنَ فِي شَيْءٍ مِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، فَقَدْ طَعَنَ فِي اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، لَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ الْوَحْيَ كُلَّهُ، قَرَأْنَا وَسُنَّةً.

الفائدة الثانية: لا يليق بشخص النبي ﷺ، ولا يناسب دعوته تعلُّمُ الشعر.

الفائدة الثالثة: اعتناء القرآن الكريم بالرد على شبهات الكفار حول النبي ﷺ حيث لما اتهموه ﷺ أنه شاعر في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾<sup>(١)</sup>، رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ شَبَهَتَهُمْ بِنَفْسِ تَعَلُّمِهِ ﷺ الشعر.

الفائدة الرابعة: أثبتت الآية الكريمة صفة البيان لهذا القرآن، فهو بيِّن في نفسه، فلا شبهة فيه ولا التباس، ولا تناقض فيه ولا اعوجاج.

الفائدة الخامسة: أن في القرآن غِنَى عَمَّا سِوَاهُ، مِنْ عُلُومِ الْفَلَسْفَةِ وَالْمَنْطِقِ وَغَيْرِهَا، فَلَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلُبَ الْهَدَايَةَ مِنْ تِلْكَ الْعُلُومِ - الَّتِي غَالِبًا مَا تَعَارَضَ الْقُرْآنُ - وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا كِتَابًا بَيِّنًا مُبِينًا، أَنْارَ لَنَا الطَّرِيقَ، وَبَيَّنَّ لَنَا السَّبِيلَ، فَأَغْنَانَا عَنْ كُلِّ بَدِيلٍ، كَمَا يَتَفَرَّعُ عَلَيْهِ أَنْ كُلُّ مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَهْتَدِ، فَهُوَ إِمَّا جَاهِلٌ بِلُغَةِ الْقُرْآنِ، وَإِمَّا مُسْتَكْبِرٌ عَنِ الْحَقِّ، لِأَنَّ فِي الْقُرْآنِ غَايَةَ الْبَيَانِ.

### ٨- تَزْكِيَةُ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ ﷺ مِنْ كُلِّ وَجْهِ :

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

هذه الآية قد زكَّتْ الْوَحْيَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سِوَاءَ مَا كَانَ قَرَأْنَا أَوْ سُنَّةً -

بِكُلِّ أَنْوَاعِ التَّزْكِيَةِ الْمُمْكِنَةِ فِيمَا نَعْلَمُ.

### ٩- تَزْكِيَةُ هِمَّتِهِ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ (عَلَى لِسَانِ مُشْرِكِي مَكَّةَ) :

قال تعالى: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَيَّ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا

(١) سورة الطور: الآية: (٣٠).

(٢) سورة محمد: الآية: (٢).

لَشَيْءٍ يُرَادُ ﴿٦﴾<sup>(١)</sup>، الشاهد في الآية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾<sup>(٦)</sup>، أى: يريدُه النبي ﷺ ويقصده، وليس قوله عابر ستركه بعد أيام أو ليالٍ معدودات، وما علم الكفار ذلك من النبي ﷺ إلا بقرائن، وهى همته العالية فى الدعوة وتحمُّله ﷺ فى سبيل ذلك كل صعبٍ وشاق.

### ❁ بعض فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: عِظْمُ ما لاقاه النبي ﷺ فى دعوته إلى الله - سبحانه وتعالى - ويتمثل ذلك فى إصرار الكفار على التمسك بعقيدتهم الباطلة أشد التمسك حتى إنهم يتواصون فيما بينهم على عدم الوقوف لسماع الحق، والصبر على عبادة الأصنام، ومدافعة دعوة النبي لتوحيد الله عز وجل.

الفائدة الثانية: فى الآية إشارة وحثٌ لأهل الحق والدعوة إلى ما يجب أن يكونوا عليه، من الصبر على الدعوة والصبر على تعنت أهل العناد والشقاء، والإيذاء فى سبيل الله - سبحانه وتعالى - حيث لاقى النبي ﷺ كل ذلك وصبر عليه، وهو لنا قدوة، بالإضافة إلى أن الكفار كان يأمر بعضهم بعضًا بالصبر على عبادة الأصنام ومخالفة أمر النبي ﷺ... وأهل العلم والدعوة أولى بالصبر؛ للحق الذى هم عليه، ولجزيل المثوبة والثواب من الله - سبحانه وتعالى - بل عليهم أن يتواصوا بذلك فيما بينهم... يصدق ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

### ١٠- تزكية دعوته ﷺ ووصفه بالسراج المنير:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النُّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١٦﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة ص: الآية: (٦).

(٢) سورة العصر: الآيات: (١-٣).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٤٥-٤٦).

زكى الله - سبحانه وتعالى - نبيه ﷺ بأحسن أنواع التزكيات، ومدحه بأبلغ صفات المديح، فكانت الآيتان كلتاهما لرفع ذكره ﷺ في الدنيا والآخرة، فقد وصفه الله ﷻ في هاتين الآيتين بخمس صفات.

الأولى: أنه الشاهد على أمته يوم القيامة بما عملوا من خيرٍ أو شرٍ وأنه شاهد عليهم بالإبلاغ.. الثانية: أنه المبشر برحمة الله تعالى ورضوانه لمن أطاعه واتقاه.. الثالثة: أنه النذير بعذاب الله وانتقامه لمن عصاه وعاداه.. الرابعة: أنه يدعو إلى الله ﷻ.. الخامسة: وهي أجملها وأتمها وهي الصفة التي جمعت ما سبق وهي وصفه ﷺ بالسراج المنير، ومن كانت تلك بعض صفاته (وليست كلها) كان أحق الخلق عند رب الخلق بالاصطفاء والاجتباء، وأحق الناس عند الناس بالافتداء والافتداء.

## ١١- تزكية دعوته ﷺ على لسان الكافرين:

قال تعالى حاكياً عنهم أنهم قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وجه تزكية دعوة النبي ﷺ على لسان الكافرين أنهم أقروا أنه ﷺ إنما يدعوهم لعبادة إلهٍ واحد، وذلك واضح في قولهم: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾.

## ١٢- تزكية كل أحوله ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٢)</sup> عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(٣)</sup>.

لم يكتفِ القرآن العظيم بتزكية لسان النبي ﷺ، وبصره وفؤاده ودعوته وأخلاقه الفاضلة، بل زكى القرآن الكريم كل أحواله ﷺ بأن أثبت له ﷺ أنه على صراطٍ مستقيم، ولم تكن هذه هي التزكية الوحيدة لأحوال النبي ﷺ بل

(١) سورة ص: الآية: (٥).

(٢) سورة يس: الآيتان: (٣-٤).

جاءت على نسقها تزيكات متعددة، منها على سبيل المثال قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾<sup>(١)</sup>، فوصف القرآن النبي ﷺ أنه على الحق المبين، دون تخصيص هذا الوصف بأمرٍ مُعَيَّن: قد أفادنا أن هذا الوصف قد انسحب على كل ما يتعلق بالنبي ﷺ، فكان ﷺ على الحق - الذى لا يخالطه أدنى باطل - فى عباداته وعاداته، فيما يقول وفيما يحكم، وفيما يعتقد وفيما يشرع.. إذا سكت عن أمر كان هذا هو الحق، وإذا تكلم عن نفس الأمر فى موضع آخر كان هذا هو الحق.

إذا غضب من أمر كان غضبه موافقاً تماماً للحق، وكذلك إذا مزح وتبسَّط مع أصحابه،... ولا تعجب أخى القارئ من ذلك، لأن الله - تبارك وتعالى -، وهو الحق المبين، هو الذى وصف عبده بهذا الوصف الأتم الأكمل.

كما أن من التزيكات العظيمة التى ذكرها المولى ﷻ لنبيه ﷺ هو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>. ووجه التزكية هى موافقة ما كان عليه النبي ﷺ وما كان يدعو إليه، وهى أعظم منقبة لأى داعية.

### ١٣- قيامه ﷺ بالدعوة على أكمل وجه:

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (أى أعرِض عنهم واصفح عنهم، فما أنت بملوم عند الله لأنك أديت ما عليك من تبليغ الرسالة... ثم نقل عن مجاهد قوله: ليس يلومك ربك على تقصيرٍ كان منك). انتهى<sup>(٤)</sup>.

وقال الشيخ السعدى رَحِمَهُ اللهُ: (فليس عليك لوم فى ذنبهم وإنما عليك البلاغ وقد أديت ما حُمِلت وبلغت ما أُرسلت به).

(١) سورة النمل: الآية: (٧٩).

(٢) سورة المؤمنون: الآية: (٧٣).

(٣) سورة الذاريات: الآية: (٥٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٧/٥٤).

## (٢٥) تسلية الله ﷻ لرسوله ﷺ :

المقصود بتسلية الله ﷻ لرسوله ﷺ هو أن الله يذكر له كل ما من شأنه أن يخفف عنه حزنه وغمه وهمه، فيصبره على تكذيب عدوه وعناده، وتوليئه عن سماع كلامه ﷻ، بتعليمه الأسباب الباعثة لهم على ذلك كالجحود والاستكبار وموت القلوب، مع تطمينه أنه ﷻ لم يقصر أبداً في الدعوة إلى الله ﷻ وإبلاغ الحق إلى الخلق. وأن الله - تبارك وتعالى - ناصره، ومُعَلَى شأنه، ومُعَذِب مَنْ عاداه وآذاه... وسنأتى إن شاء الله تعالى على بعض أنواع التسلية الموجودة في الكتاب الكريم.

## ١- وعده بالنصر على عدوه:

قال تعالى: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾<sup>(١)</sup>. وهى آية مكية... وحدث النصر والتمكين فى المدينة.

## ٢- إخباره بتعذيب أعدائه فى الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

روى البخارى فى صحيحه، عن ابن عباس: أن النبى ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل فنادى «يا صباحاه». فاجتمعت إليه فرئس فقال: «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقونى؟»، قالوا: نعم، قال: «فإنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: ألهدنا جمعتنا؟! تباً لك، فأنزل الله ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إلى آخرها<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة القمر: الآية: (٤٥).

(٢) سورة المسد: الآيات: (١-٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٩٧٢) كتاب التفسير.



### ٣- تسليته بذكر استهزاء الكفار لمن قبله من الرسل:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ مَا نَصَّهُ: (يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ مُسْلِيًّا عَنْهُ بُوَعِيدِهِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ عَقُوبَةً مَا يَلْقَى مِنْهُمْ مِنْ أَدَى الْاِسْتِهْزَاءِ بِهِ وَالِاسْتِخْفَافِ فِي ذَاتِ اللهِ: هُوْنَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مَا أَنْتَ لَاقٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِكَ الْمُسْتَخْفِينَ بِحَقِّكَ وَامْضِ لِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِي وَالْإِقْرَارِ بِي وَالْإِذْعَانَ لَطَاعَتِي، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَادَوْا فِي غِيهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْمَقَامِ عَلَى كَفْرِهِمْ نَسَلْتُ بِهِمْ سَبِيلَ أَسْلَافِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ غَيْرِهِمْ مِنْ تَعْجِيلِ النِّقْمَةِ لَهُمْ وَحُلُولِ الْمَثَلَاتِ بِهِمْ)<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (هذه تسليية للنبي ﷺ فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ وَوَعْدُ لَهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ بِالنُّصْرَةِ وَالْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)<sup>(٣)</sup>.

### ٤- تسليته بذكر أسباب تولي الكفار وتكذيبهم:

والغرض من تلك التسليية أن يتيقن النبي ﷺ أن تولي الكفار وعدم سماعهم وإعراضهم عنه ليس بسبب تقصيره في النصيح والإرشاد أو ضعف حجته وبيانه أو خلل في قرآنه وسنته، ولكن إعراضهم بسبب تكبرهم واستكبارهم وجحودهم وإنكارهم... وأمثلة هذه التسليية في القرآن كثيرة.

(٢٦) رفع ذكره ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٠).

(٢) تفسير الطبري (١٥٣/٧).

(٣) تفسير ابن كثير (١٢٥/٢).

(٤) سورة الشرح: الآية: (٤).

أقول أولاً: إن رفع ذكر النبي ﷺ لهو من أعظم وأجل النعم، ومن الشمائل الحميدة، التي تدل على حب الله - سبحانه وتعالى - لرسولنا الكريم ﷺ... وهى أجل شأنًا من الصلاة عليه قطعًا؛ لأن رفع الذكر يشمل أمورًا عديدة، يأتى منها الصلاة عليه.. فالصلاة عليه فرغ من رفع الذكر.

### ✽ كلام بعض العلماء عن معنى رفع الذكر:

قال الإمام ابن كثير: (قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معنى: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله... وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا مُتَشَهِّدٌ ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. ثم قال ابن كثير: حكى البغوى عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان يعنى ذكره فيه.. وأورد من شعر حسان ابن ثابت:

أَغْرَّ عَلَيْهِ لِلنَّبُوَّةِ خَاتَمٌ      مِنْ اللَّهِ مِنْ نُورٍ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ  
وَضَمَّ إِلَهَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ      إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ: أَشْهَدُ  
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَلَهُ      فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ونوّه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم شَهَرَ ذكره في أمته فلا يُذكر الله إلا ذُكر معه). انتهى كلام ابن كثير<sup>(١)</sup>.

وقال القرطبي: (روى عن الضحاك عن ابن عباس، قال: يقول له: ما ذُكرتُ إلا ذُكرتَ معنى في الأذان، والإقامة والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم عرفة وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح، وفي مشارق الأرض ومغارها. ولو أن رجلاً عَبَدَ الله - جل ثناؤه -، وصدق بالجنة والنار وكل شىء، ولم يشهد أن محمدًا رسول

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٢٥).

الله، لم ينتفع بشيء وكان كافرًا.

وقيل: أي أعلينا ذكرك، فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك، ولا دين إلا ودينك يظهر عليه.

وقيل: رفعنا ذلك عند الملائكة في السماء، وفي الأرض عند المؤمنين، ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود، وكرائم الدرجات<sup>(١)</sup>.

(٢٧) أن الله ﷻ أرسله إلى الإنس والجن:

❁ ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أرسل كل نبي إلى قومه خاصة وأرسل نبينا ﷺ إلى الجن والإنس، ولذلك تمنن بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ووجه التمنن أنه لو بعث في كل قرية نذيرًا، لما حصل لرسول الله ﷺ إلا أجر إنذاره لأهل قريته.

(٢٨) سماع الله لتلاوته ﷺ:

عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَا أَدْنَى اللَّهِ لِشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»<sup>(٣)</sup>.

الشاهد في الحديث: أذن الله، أي استمع، والسماع هنا ليس من باب السماع العام، بل هو سماع الرضا والقبول... فالسماع ثلاثة أنواع:

سماع إحاطة، وقد ثبت في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/٢٠).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٥١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٤٤) كتاب التوحيد- ومسلم (٧٩٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) سورة المجادلة: الآية: (١).

وسماعٌ يُقصد به التهديد والوعيد، وقد ثبت في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾<sup>(١)</sup>، والدليل على أن المقصود بهذا السماع، هو التهديد والوعيد، قوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾<sup>(٢)</sup>.

أما النوع الثالث من السماع: فهو سماعٌ رضا وقبول.. ومثاله حديث الباب، والذي قصده العلماء من هذا التقسيم، هو شرح مقصود الله **عَزَّوَجَلَّ** من إثبات السماع والحكم المترتب عليه، فقد يسمع ويرضى عما سمع ويرتب على ذلك أجزل الثواب، وقد يسمع ويغضب عظيم الغضب مما يُقال ويرتب على ذلك أشد العذاب، وقد يكون السماع من باب الإحاطة بما يفعل العباد.

وفي الحديث إثبات حسن صوت النبي **ﷺ**.. يؤيده ما رواه مسلم، عن عدى ابن ثابت قال: سمعتُ البراء بن عازبٍ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ **ﷺ** قَرَأَ فِي الْعِشَاءِ بِالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ. فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ<sup>(٣)</sup>.

(٢٩) **أَنَّ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** وَقَرَهُ فِي نِدَائِهِ:**

❁ ومن شرفه وفضله **ﷺ** أن الله تعالى وقَّره في نداءه، فناده بأحب أسمائه وأسنى أوصافه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾<sup>(٤)</sup> وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾<sup>(٥)</sup> فنادى الله **عَزَّوَجَلَّ** الأنبياء بأسمائهم الأعلام فقال: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(٦)</sup>. وقال: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾<sup>(٧)</sup> وقال: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾<sup>(٨)</sup> قَدْ صَدَّقْتَ الرُّعْيَا

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٨١).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٨١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٦٩) كتاب الأذان - ومسلم (٤٦٤) كتاب الصلاة.

(٤) سورة الأنفال: الآية: (٦٤).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

(٦) سورة الأعراف: الآية: (١٩).

(٧) سورة هود: الآية: (٤٨).

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿يَلْحَيِّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وما خاطب الله ﷻ نبينا ﷺ إلا بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ أو بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا  
الرَّسُولُ﴾ أو بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدِيرُ﴾<sup>(٣)</sup> أو بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ﴾<sup>(٤)</sup>.  
وجمع الله ﷻ في الذكر بين خليله إبراهيم و خليله محمد ﷺ، فذكر خليله  
إبراهيم باسمه و خليله محمد بكنية النبوة، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ  
بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾<sup>(٥)</sup>. فكناه إجلالاً له و رفعة لفضل مرتبته  
و نباهته عنده ثم قدّمه في الذكر على من تقدّمه في البعث فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ  
النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا  
مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾<sup>(٦)</sup>.

(٢٠) أقسم بالضحى والليل أنه ما أهمل نبيه ﷺ:

✽ بل أقسم الله ﷻ بالضحى والليل إذا سجى أنه ما أهمل محمدًا ﷺ وما  
قلاه بعدما اختاره و اصطفاه و اجتباها، وأن ما أعدّه له في الآخرة خير له من كل ما  
أعطاه في دنياه فقال جل في علاه: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ  
وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ  
يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا  
الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾<sup>(٥)</sup>.

(٢١) النبي ﷺ خليل الله ﷻ:

عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا

(١) سورة الصافات: الآيتان: (١٠٤، ١٠٥).

(٢) سورة مريم: الآية: (١٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٦٨).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٧).

(٥) سورة الضحى.

لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ (أبو بكر) خَلِيلًا وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

الخلّة لله - سبحانه وتعالى - هي أعظم مقامات العبد، بل هي منتهى تلك المقامات، فليس بعدها من مقام، فهي أرفع قطعاً من مقام المحبة، حيث ثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له، ولكن الخلّة لم تثبت إلا لاثنين لا ثالث لهما، هما محمد وإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام -، وقد ثبتت خلّة إبراهيم بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ولللخلّة معانٍ كثيرة ذكرها العلماء... فالخلّة من العبد معناها: الافتقار والانقطاع... فخليل الله هو المنقطع إليه وقيل: سُمّي الخليل خليلاً لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خلاً إلا ملأته، وقيل: هو الذي ليس في محبته خلل. أما خلّة الله للعبد، فمعناها: نُصرة العبد وجعله إماماً لمن بعده، وقيل: هي كامل المحبة والاصطفاء... وأضيف فأقول: إذا كانت رؤية الله عزّ وجلّ تثبت للمؤمنين يوم القيامة، وإذا كان الكلام سيحدث أيضاً بين الله وبين عباده المؤمنين ليس بينه وبينهم ترجمان، فإن الخلّة ستبقى هي الخصلة التي اختص بها محمد وإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - لم يشاركهما فيها أحد في الدنيا والآخرة.

(٢٢) أن أمته هي السابقة يوم القيامة:

❁ ومن شرفه وفضله ﷺ ما رواه الشيخان عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيَدِ أَنْهَمُ أَوْ تَوَاتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ - يَعْنِي الْجُمُعَةَ - فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَذَا اللَّهُ لَهُ.. فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبِعٌ، الْيَهُودُ عَدَا وَالنَّصَارَى بَعْدَ عَدِي»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٨٣) (٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) سورة النساء: الآية: (١٢٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٨٧٦) كتاب الجمعة - ومسلم (٨٥٥) كتاب الجمعة.

والمعنى أن هذه الأمة ببركة نبينا ﷺ آخر الأمم خَلْقًا، وأولهم دخولا الجنة يوم القيامة... وفي الحديث كذلك أن الله ﷻ قد فرض على الأمم السابقة يومًا يعظمونه ويتعبدون فيه فوق اختيار اليهود على يوم السبت والنصارى على يوم الأحد، وهدى الله ﷻ أمة النبي ﷺ ليوم الجمعة.

(٢٣) الوعد بنصره ﷺ في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ (١٥) ﴿١﴾.

فالآية أثبتت أن الله ﷻ ناصر نبيه ﷺ لا محالة في الدنيا والآخرة، وأن كيد أعدائه لن يستطيع أن يرد نصر الله له.

قال ابن كثير في شرح هذه الآية الكريمة: (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ لَيْسَ بِنَاصِرٍ مَحْمَدًا وَكِتَابَهُ وَدِينَهُ فَلْيَذْهَبْ فَلْيَقْتُلْ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ غَائِظَهُ فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ لَا مَحَالَةَ). انتهى (٢).

(٢٤) أن الله أحل له ﷺ ولأمته الغنائم:

﴿ومن فضله ﷺ أنه أحلت له الغنائم... ففى الصحيحين عن جابر أن النبي ﷺ قال: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»﴾ (٣).

(٢٥) كفاية الله له ﷺ:

الكفاية في اللغة: من كفى وهو الاستغناء... يُقال كفاه الشيء يكفيه أى

(١) سورة الحج: الآية: (١٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٥) كتاب التيمم - ومسلم (٥٢١) كتاب المساجد.

استغنى عن غيره فهو كافٍ وكفى.

وقد قَسَّمت كفاية الله - تبارك وتعالى - لنبية ﷺ إلى ثلاثة أقسام وهي (كفايته شرعاً - كفايته قدرًا - كفايته شرعاً وقدرًا) ليتبين للقارئ مدى حب الله - سبحانه وتعالى - لنبية ﷺ وحفظه من جميع الوجوه والتي من أمثلتها قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤١﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

### ١- كفايته شرعاً :

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٨﴾﴾<sup>(٣)</sup>. قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٨﴾﴾ يقول جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: «أَشْهَدُكَ يَا مُحَمَّدُ رَبِّيكَ عَلَى نَفْسِهِ، أَنَّهُ سَيُظْهِرُ الدِّينَ الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ وَحَسْبُكَ بِهِ شَاهِدًا»، وقال رَحِمَهُ اللهُ: (أَشْهَدُ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ دِينَكَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)<sup>(٤)</sup>.

### ❖ بعض فوائد الآية الكريمة :

الفائدة الأولى: أظهرت الآية بجلاء حب الله سبحانه وتعالى لنبية ﷺ حيث بَيَّنَّت الآية كفاية الله له ﷺ من كل وجه... يتبين ذلك من:

١- ثناء الله - تبارك وتعالى - البالغ على ما أرسل به النبي ﷺ فلا يضره بعد ذلك ذم القادحين ولا يزيده مدح المادحين.

٢- كفاه الله - سبحانه وتعالى - همَّ ظهور هذا الدين: هل سيظهر هذا أم لا؟ هل سيعلو على كل الأديان أم لا؟ فطمأنه الله - تبارك وتعالى - وكفاه حمل هذا

(١) سورة الأنفال: الآية: (٦٤).

(٢) سورة التحريم: الآية: (٤).

(٣) سورة الفتح: الآية: (٢٨).

(٤) تفسير الطبري (١٠٩/٢٦).



العبء الثقيل، بأن وعده أنه سيُمكن له دينه ﷺ غاية التمكين.

٣- كفاه الله - سبحانه وتعالى - شهادة كل أحدٍ من الخلق على صدق نبوته وإظهار دينه... قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝١٨﴾.

قال الإمام الطبري رحمه الله: (أشهدك يا مُحَمَّدُ رَبُّكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، أَنَّهُ سَيُظْهِرُ الدِّينَ الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ وَحَسْبُكَ بِهِ شَاهِدًا) (١).

## ٢- كفايته قدرا:

قال تعالى: ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝١٤ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝١٥﴾ (٢).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في معنى الآية: (أى بلغ ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله ولا تخفهم فإن الله كافيك إياهم وحافظك منهم) (٣).

## بعض فوائد الآيتين الكريمتين:

الفائدة الأولى: حب الله - سبحانه وتعالى - لنبيه ﷺ وغضبه الشديد عز وجل على من تعرَّض لخليله ﷺ فوعده بالانتقام منهم.

الفائدة الثانية: في الآية تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ لكل من استهزأ بأدنى شيءٍ يخص نبينا ﷺ... ويكفى أن أقول له: يكفيك أنك قد جعلت الله خصمًا لك.

الفائدة الثالثة: عظيم علم الله وحكمته وقدرته - سبحانه وتعالى - فبعلمه اطلع على المستهزئين، وبحكمته وعد نبيه بإهلاكهم، وبقدرته أنفذ وعده ونصر عبده ﷺ.

## شاهد ثانٍ على كفايته ﷺ قدرا:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا

(١) تفسير الطبري (١٠٩/٢٦).

(٢) سورة الحجر: الآيتان: (٩٤-٩٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥٦٠/٢).

بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ (١).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (هذه حماية وعصمة من الله لرسوله ﷺ من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ ولا يُثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك) (٢).

❁ شاهد ثالث على كفايته قدراً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ - أَى: هل يصلى أمامكم؟ - قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِن رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَطَانٍ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لِأَعْفَرَنَ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجَّئْتُهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبِيهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟! فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهُوَ لَا وَأَجْنِحَةٌ!! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَضُوءًا عَضُوءًا» (٣).

٣ - كفايته شرعاً وقدراً:

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٤).

قلت: إن هذه الآية تدل على كفاية الله - سبحانه وتعالى - شرعاً وقدراً - أى أنها كفاية من كل الوجوه ... لأن الآية لم تقيد الكفاية بنوع مُعيّن، فعلمنا أنها تشمل كل أنواع الكفاية في الدين والدنيا والآخرة وفي الحياة وفي الممات.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (فإن الله سيكفيه في أمر دينه ودُنياه ويدفع عنه مَنْ

(١) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢٣٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) سورة الزمر: الآية: (٣٦).

ناواه بسوء<sup>(١)</sup>.

(٣٦) إرضاءه ﷺ :

أولاً: إرضاءه ﷺ في الدنيا :

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، - أَوْ قَالَ: أَخْوَالِهِ - مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ «صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ» فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَذَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ.. فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ.

قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا: أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقْتُلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ؟! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

الشاهد في الحديث: أن النبي ﷺ صلى قِبَلَ بيت المقدس، ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ولكن كان يحب أن تُحوَّلَ القبلة إلى المسجد الحرام، قبلة

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٢٥).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٤٤).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٤٠) كتاب الإيمان.

إبراهيم عليه السلام، وكان من علامات رجائه في تحويل القبلة، أنه كان يُقلب وجهه في السماء، طلباً لذلك.

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (١).

### ثانياً: إرضاءه عليه السلام في الآخرة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ عليه السلام تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «رَبِّ إِنهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (٢) ...، وَقَالَ عَيْسَى عليه السلام: «إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (٣)، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسْؤُوكَ» (٤).

الشاهد في الحديث: قول الله تعالى: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسْؤُوكَ».

### (٢٧) زوجه ربه من فوق سبع سماوات:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام لَزَيْدٍ: «فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ». قَالَ فَاَنْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى آتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤٤).

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٣) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

ظَهَرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقْبِي فَقُلْتُ يَا زَيْنَبُ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكِ. قَالَتْ مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي. فَقَامَتْ إِلَيَّ مَسْجِدَهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ<sup>(١)</sup>.

الشاهد في الحديث: قول أنس رضي الله عنه: (وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ).

ملخص القصة: كان النبي ﷺ قد تبني زيد بن حارثة ونسبه إليه، فكان يُدعى: زيد ابن محمد، وقد تزوج زيد من زينب بنت جحش، ابنة عمه النبي ﷺ، فلما أراد الله عز وجل أن يُبطل مسألة التبنى، نزل قوله تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، فدعى زيد مرة أخرى إلى أبيه، وبقيت مسألة أخرى كانت قد استحكمت في نفوس الناس، وهي أن الرجل المتبني، لا يحل له أن يتزوج بمطلقة من تبناه لأنها بمثابة زوجة ابنه، فأوحى الله إلى رسوله ﷺ، أن زيداً سيطلق زوجته، ثم يتزوجها النبي ﷺ ليُبطل تلك العادة، وكان زيد يأتي النبي ﷺ، يشاوره في طلاق زوجته، فيأمره النبي ﷺ أن يصبر عليها ويُمسكها بالمعروف ويخفي ما أوحى الله إليه، ولما تم أمر الله بالطلاق وانقضت عدة زينب رضي الله عنها، أرسل النبي ﷺ زيداً إلى مُطلِّقته يخبرها برغبة النبي ﷺ بالزواج منها، فقالت: أشاور ربي، أي أستخير، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾<sup>(٣)</sup>، فدخل النبي ﷺ على زينب بغير إذنها.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٢٨) كتاب النكاح.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٧).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٣٧).

( ٢٨ ) يَبِيْتُ ﷺ يُطْعِمُهُ رَبُّهُ وَيَسْقِيهِ :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ» فَقَالَ لَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: فَإِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُوَاصِلُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْكُمْ مِنْ لِي، إِنِّي أَبَيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ» فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوِصَالِ وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا، ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوْا الْهَيْلَالَ، فَقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُمْ» كَالْمُنْكَلِ بِهِمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا <sup>(١)</sup>.

الشاهد في الحديث: قوله ﷺ: «أَيْكُمْ مِنْ لِي، إِنِّي أَبَيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ»، ومناسبة هذا القول أن الرسول ﷺ كان يواصل صيام عدة أيام من شهر رمضان بدون إفطار فلما أراد الصحابة أن يفعلوا مثله ذكر لهم هذه المقولة.

( ٢٩ ) الْأَمْرُ بِالصَّدَقَةِ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاهُ ﷺ :

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةً ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

إِنْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّدَقَةِ قَبْلَ مَنَاجَاةِ النَّبِيِّ ﷺ - أَى الْإِسْرَارِ إِلَيْهِ - لَهُوَ مِنْ أَبِينِ الْأَدْلَةِ عَلَى عَنَايَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِنَبِيِّهِ، بِمَا يَضْمَنُ رَفْعَ شَأْنِهِ، وَإِظْهَارَ فَضْلِهِ وَبَيَانَ عَظِيمِ مَكَانَتِهِ، وَمَا قَلَّتْهُ لَيْسَ مِنْ بَابِ الْمَبَالِغَةِ فِي شَيْءٍ، وَلَكِنْ هَذِهِ فَحْوَى مَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى: (أمر الله عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجى رسول الله ﷺ أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتركيه وتؤمله؛ لأن يصلح لهذا المقام). انتهى <sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح: رواه البخارى (١٩٦٥) كتاب الصوم.

(٢) سورة المجادلة: الآية: (١٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٣٢٧).

(٤٠) تعظيم المكان بإقامته ﷺ فيه :

قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾<sup>(١)</sup>. فالبلد المعنية بالآية الكريمة - بالاتفاق - هي مكة المكرمة، المُشَرَّفَةُ المُعْظَمَةُ على سائر القرى والبلدان، ولكن الله - تبارك وتعالى - لما أقسم بها، ذكر إقامة النبي ﷺ بمكة فتزاد شرفاً وعزاً، فيزداد القَسْمُ توكيداً.

قال صاحب تفسير الزُّبَيْدِ<sup>(٢)</sup>: (أى استحَلَّ منك مُشركو مكة أن يؤذوك في البلد الحرام يا محمد. وقيل: المعنى: أقسم بهذا البلد الذى أنت مُقيمٌ فيه تشریفاً لك وتعظيمًا لقدرك لأنه قد صار بإقامتك فيه عظيمًا شريفًا).

وقال صاحب المنتخب<sup>(٣)</sup>: (أقسم قسمًا مؤكداً بمكة البلد الحرام وأنت مقيم بهذا البلد تزيده شرفاً وقدرًا).

❁ بعض فوائد الآية الكريمة :

الفائدة الأولى: شرف النبي ﷺ عند ربه - تبارك وتعالى -، فقد عَظُمَ القَسْمُ بالبلد الحرام بذكر مقام النبي ﷺ فيه.

الفائدة الثانية: تفاضل القرى والبلاد بتفاضل مَنْ يسكنها ويعمرها، فإذا كانت مكة المكرمة التى لها من الحرمة والتعظيم والتشريف ما ليس لغيرها، قد ازدادت شرفاً ورفعة بإقامة النبي ﷺ فيها، فمن باب أولى ما دونها من البلدان... ويتفرع عليه عظيم قدر مدينة رسول الله ﷺ فى حياته ﷺ وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى؛ إذ دُفِنَ فيها ﷺ.

(٤١) جعل صلاته واستغفاره ﷺ رحمة للمؤمنين :

عَظَّمَ اللهُ - تبارك وتعالى - شأن صلاة النبي ﷺ على المؤمنين، أى: دعاؤه

(١) سورة البلد: الآيتان: (١-٢).

(٢) تفسير الزبىد.

(٣) المنتخب.

لهم بمغفرة ذنوبهم وتخفيف فتنة القبر عليهم ودخولهم الجنة، وغير ذلك من أنواع الأدعية كثير، فجعلها الله - تبارك وتعالى - صلاة مباركة طيبة تُقبل قبولاً حسناً... بل إن الله - تبارك وتعالى - حَثَّ المؤمنين أن يذهبوا لرسول الله ﷺ ليستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم.

بل الأعظم من ذلك أن الله - تبارك وتعالى - جعل من علامات المنافقين الاستكبار عن الذهاب لرسول الله ﷺ ليستغفر لهم... قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۝﴾<sup>(١)</sup>، قال صاحب التفسير الميسر: (وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: أقبِلوا تائبين معتردين عما بدر منكم من سيئ القول وسفهِ الحديث يطلب لكم رسول الله من ربه أن يعفو عنكم: حَرَّكَوْا رُءُوسَهُمْ اسْتَهْزَاءً وَاسْتِكْبَارًا وَأَبْصَرْتَهُمْ - يَا مُحَمَّد - يُعْرَضُونَ عَنْكَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْإِمْتِثَالِ لِمَا طُلِبَ مِنْهُمْ).

### بعض فوائد الآية الكريمة:

**الفائدة الأولى:** عمل النبي ﷺ بأمر ربه فكان يستغفر لمن كان يأتيه بالصدقات... فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ». فَاتَاهُ أَبِي أَبُو أَوْفَى بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ أَلِ أَبِي أَوْفَى»<sup>(٢)</sup>.

**الفائدة الثانية:** في الآية دليل على تعظيم الصحابة رضي الله عنهم لدعاء النبي ﷺ وصلاته عليهم وتيقنهم أن دعاءه مقبول عند الله - تبارك وتعالى - فبدعائه صلواته تُمحي السيئات وتُقال العثرات وتُرفع الدرجات وتُشفى الأمراض، ووجه استنباط ذلك من الآية: أن الله - تبارك وتعالى - أبلغنا أن قلوب الصحابة تطمئن بدعاء النبي ﷺ.

(١) سورة المنافقون: الآية: (٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٧٨) كتاب الزكاة.



**الفائدة الثالثة:** إثبات فضيلة خاصة للصحابة رضي الله عنهم تميزوا بها دون سائر الأمة، ألا وهي استغفار النبي ﷺ لهم وصلاته عليهم، ولم يضيعوا رضي الله عنهم هذه المزية ولم يفوتوها عليهم، فكثيراً ما كانوا يطلبون من رسول الله ﷺ الدعاء لهم ولأولادهم.

الشاهد الثاني: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى رسول الله ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال: ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

(٤٢) من استهزأ به ﷺ كفر:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعُفَ عَنْ ظَافِقَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ ظَافِقَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

هذه الآية اختلف المفسرون في سبب نزولها، ولكن كل الأقوال تدور حول استهزاء بعض المنافقين في غزوة تبوك بالرسول ﷺ وأصحابه، حيث قال المنافقون: (ما رأينا مثل قرأتنا هؤلاء أرغب بطوناً وأكذب ألسناً وأجبن عند اللقاء)، ولم يثبت في الصحاح شيء في سبب النزول، والذي يهمننا هنا ليس هو سبب النزول لكن الحكم الذي جاءت به الآية الكريمة حيث حكمت بكفر من استهزأ بشيء من الدين سواء كان متعلقاً بالله أو بآياته أو برسوله ﷺ.

(١) سورة النساء: الآية: (٦٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٥٢٠).

(٣) سورة التوبة: الآيتان: (٦٥-٦٦).

(٤٣) كماله وعصمته ﷺ :

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝﴾<sup>(١)</sup>.

الشاهد في الآية: جعل الله ﷺ الرسول ﷺ أسوة حسنة لنا، نقتدى به في كل شىء، لذا نقطع أن الرسول ﷺ معصوم، وأن كل ما فعله، موافق للصواب والحكمة، ظاهراً وباطناً، يرضى عنه الرب - تبارك وتعالى -، ويكافئ عليه خيراً، وإلا فكيف يأمرنا الله باتباع من يزل أو يخطئ.. والله لا يأمر إلا بالعدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝﴾<sup>(٢)</sup>، وبالقطع كان ﷺ معصوماً؛ لأن الله أمرنا باتباعه المطلق، فلو أن النبي بدر منه أى شىء محرم، (حاشا لله)، واتبعه أحد في هذا الفعل المحرم امثالاً لأمر الله - سبحانه وتعالى -، فلن يخرج أمر المتبع من حالين: إما أن يحمل وزراً، وهذا ينافي كمال عدل الله، وإما أن يُثاب وهذا ينافي بالغ حكمته ﷺ، فثبتت عصمته ﷺ من الصغائر والكبائر، ولا شك أن الذى ثبتت له العصمة في كل شىء، يثبت له الكمال البشرى في كل أحواله... وهذا ما أردت إثباته، فله الحمد والمنة على عصمة نبينا ﷺ.

(٤٤) أن الله ﷺ غفر له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

ومن الأدلة على شرفه ﷺ أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم يُنقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم؛ لأن كل واحد منهم إذا طلبت منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التى أصابها وقال: «نفسى نفسى» كما ورد في حديث الشفاعة الطويل وفيه أن الناس يذهبون إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى يطلبون الشفاعة... فكلُّ منهم

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٢) سورة النحل: الآية: (٩٠).

يذكر أن الله غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، ثم يقول: «نفسى نفسى» ويحيلهم على غيره حتى يأتوا عيسى فيقول لهم: «لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلَكِنْ أَتَوْتُ مُحَمَّدًا عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » فإذا أتوا النبي ﷺ قال: «أَنَا لَهَا أَنَا لَهَا»<sup>(١)</sup>.

(٤٥) إسلام قرينه ﷺ :

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا ، قَالَتْ: فَغَرْتُ عَلَيْهِ ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ ، فَقَالَ: «مَا لَكَ؟ يَا عَائِشَةُ أَغْرَتِ؟» فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْدَ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنَّ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ»<sup>(٢)</sup>.

الشاهد في الحديث: قول النبي ﷺ: «وَلَكِنَّ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ».

❁ في الحديث فوائد منها :

١ - حَرَقَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - العادة له بإسلام قرينه الشيطان، وما حدث ذلك إلا بإعانة الله له ﷺ.

٢ - كمال عصمته ﷺ ... فبالإضافة إلى غسل قلبه بماء زمزم، وإخراج حظ الشيطان من قلبه، جاء إسلام قرينه، حتى تكتمل منظومة العصمة، وكان يمكن أن يموت ذلك القرين، أو لا يكون هناك قرين أصلاً، ولكن المعجزة أنه يُسَلِّمُ ولا يموت، حتى يأمره بالخير، فهي معجزة على معجزة، وعصمة فوق عصمة.... جاء عند مسلم: «إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»، فالقلب قد طُهِرَ وَغُسِّلَ وَنُزِعَ مِنْهُ حَظُّ الشَّيْطَانِ، ومُلِيَ بِدَلَالَةٍ مِنْ ذَلِكَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، والقرين قد أسلم، ويأمره بالخير، واللسان قد حُفِظَ فَلَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، والبصر قد

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧١٢) كتاب التفسير - ومسلم (١٩٤) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٥) كتاب صفات المنافقين.

شملته الرعاية الإلهية، فلا يزيغ ولا يطغى، والذكر قد رُفِعَ، والذنبُ قد مُحِيَ، مع عدم وجوده أصلاً، فله الحمد - سبحانه وتعالى - أن طهر نبينا من كل ما يسوء، ومنحه كل ما يعلو به ويرفع قدره.

٣- لطف النبي ﷺ مع زوجاته وعذره لهن على ما يجِدْنَهُ في نفوسهن من الغيرة الشديدة عليه، وعدم نهرهن على ذلك، لعلمه بضعف المرأة، ورحمته بهذا الضعف.

(٤٦) أمر المؤمنين بتقديره ﷺ على أنفسهم:

قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٤٦﴾﴾<sup>(١)</sup>

هذه الآية الكريمة تبين بجلاءٍ عظيمٍ قدرِ النبي ﷺ، وما يستحقه من تبجيلٍ وتوقيرٍ وطاعةٍ من المؤمنين، لما له من فضلٍ عليهم، وتوضح في المقابل ما للمؤمنين من حقٍّ على النبي ﷺ؛ لأنه يجب فهم قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ من الجهتين، من جهة أن النبي ﷺ أحقُّ بأداء ما على المؤمنين من حقوقٍ وديونٍ إن أعدموا، ومن جهة أنه يجب على المؤمنين أن يقدموا طاعة النبي ﷺ وحبَّه على طاعة أنفسهم وحبَّها.

(٤٧) تشریف الله تعالى له بإعطائه الكثير من أسمائه الحسنی:

إن الله تعالى حَصَّ كثيرًا من الأنبياء بكرامة خلعها عليهم من أسمائه، كتسمية إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم، وإبراهيم بحليم، ونوح بشكور، وعيسى ويحيى بپر، وموسى بكريم وقوى، ويوسف بحفيظ عليم، وأيوب بصابر، وإسماعيل بصادق الوعد كما في الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦).

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وفضّل محمداً ﷺ بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة أنبيائه بعدة أسماء كثيرة:

✽ فمن أسمائه تعالى: الحميد ومعناه المحمود، لأن حمد نفسه وحمده عباده، ويكون أيضاً بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات.

✽ وسمى الله تعالى النبي ﷺ محمداً وأحمد، فمحمداً بمعنى محمود، وأحمد بمعنى: أكبر من حميد وأجل من حميد، وأشار إلى نحو هذا حسان بقوله:

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُحَلِّهُ فَدُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

✽ ومن أسمائه تعالى: الرؤوف الرحيم، وهما بمعنى متقارب، وقد سمّاه في كتابه بذلك، فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

✽ ومن أسمائه تعالى الحق المبين... ومعنى الحق: الموجود والمتحقق أمره، وكذلك المبين أي البين أمره وإلهيته، ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم. وسمى النبي ﷺ بذلك في كتابه فقال: ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. وقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup> قيل: محمد وقيل القرآن، ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره، وهو بمعنى الأول... والمبين: البين أمره ورسالته أو المبين عن الله ما بعثه به... كما قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٢) سورة الزخرف: الآية: (٢٩).

(٣) سورة الحجر: الآية: (٨٩).

(٤) سورة يونس: الآية: (١٠٨).

(٥) سورة الأنعام: الآية: (٥).

(٦) سورة النحل: الآية: (٤٤).

✽ ومن أسمائه تعالى: النور: منور السموات والأرض بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية، وسمى الله تعالى محمداً نوراً فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١) قيل محمد وقيل القرآن. وقال فيه: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٢) سُمِّيَ بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين بما جاء به.

✽ ومن أسمائه تعالى: الشهيد ومعناه العالم وقيل: الشاهد على عباده يوم القيامة، وسمَّاه شهيداً وشاهداً، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٤) وهو بمعنى الأول. ✽ ومن أسمائه تعالى: الكريم؛ ومعناه الكثير الخير، وقيل: المفضل، وقيل: العفو، وقيل: العلى. وسمَّاه تعالى كريماً بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٥) قيل: محمد، وقيل: جبريل.... وهكذا.

(٤٨) تخصيص ملائكة سياحة في الأرض تُبلغه سلام أمته:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ» (٦).

ومثله حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ» (٧).

(١) سورة المائدة: الآية: (١٥).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٤٦).

(٣) سورة الفتح: الآية: (٨).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

(٥) سورة الحاقة: الآية: (٤٠).

(٦) صحيح: رواه أحمد والنسائي والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٧٤).

(٧) حسن: رواه أبو داود، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٧٩).

(٤٩) النبي ﷺ كليم الله :

إذا كان النبي ﷺ من عظيم فضله ورفيع قدره قد شارك إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - في منزلة الخلة، فقد شارك موسى - عليه الصلاة والسلام - في الكلام مع ربه قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>، وهى منزلة عظيمة،... قال القرطبي - رحمه الله تعالى: (تكليمًا مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان مَنْ يقول خلق لنفسه كلامًا في شجرة فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذى يكون به المتكلم متكلمًا، وأجمع النحويون على أنك إذا أكَّدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازًا). انتهى<sup>(٢)</sup>.

أما كلام الله عز وجل مع الحبيب محمد ﷺ فقد كان ليلة الإسراء والمعراج... ونعلم بثبوت كلام الله لنبينا ﷺ أن الله عز وجل لم يخص نبيًا من أنبيائه بفضيلة إلا كان للنبي ﷺ منها أوفرُّ الحظ وأكملُه، فقد شاركهم النبي ﷺ في كل الفضائل والشمائل - حتى المعجزات الحسية، وزاد عليهم - بفضل الله وامتته - شمائل عظيمة انفرد بها دون غيره.

(٥٠) تأييد الله تعالى له ﷺ بالمعجزات وتشبيته بالآيات :

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>. وسيأتى الحديث عن المعجزات بشيء من التفصيل.

(٥١) أن معجزته ﷺ باقية :

❁ ومن فضله وشرفه ﷺ أن معجزة كل نبي تصرمت وانقضت ومعجزته ﷺ - وهى القرآن المبين - باقية إلى يوم الدين.

ففى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا

(١) سورة الإسراء: الآية: (١٦٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٦).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٣٣).

أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمِنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْ حَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

(٥٢) تَتَابَعِ الْوَحْيَ عَلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﷺ:

عن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك: (أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ تَابَعَ الْوَحْيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ، حَتَّى تُوفِّيَ، وَأَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ يَوْمَ تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ).

الشاهد في الحديث: قول أنس بن مالك ﷺ: (حَتَّى تُوفِّيَ، وَأَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ يَوْمَ تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ).

بعض فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: بيان عظيم إكرام الله - سبحانه وتعالى - لنبية واعتناؤه به إلى يوم وفاته... ومن مظاهر هذا الإكرام كثرة نزول الوحي عليه قبل وفاته، حتى كان أكثر نزولاً - بالنسبة لما سلف من جميع أيام حياته - يوم وفاته ﷺ.

الفائدة الثانية: إرادة تسليية الله ﷺ لنبية قبل وفاته وذلك بكثرة نزول الوحي عليه، حتى لا يجد في قلبه ما يجده غيره يوم وفاته من قلة أهميته وهوانه وانقطاع حاجة الناس إليه. ورجبتهم فيه، فهذا كله - قطعاً - لم يحدث للنبي ﷺ إلى يوم وفاته بسبب تتابع الوحي واتصاله بالسماء.

الفائدة الثالثة: حفظ الله - سبحانه وتعالى - عقل نبية ﷺ وقلبه إلى يوم وفاته، لأن الوحي ما كان ينزل عليه وقد ذهل عقله أو غفل قلبه ﷺ.

الفائدة الرابعة: حثّ المؤمن على أن يكون موصولاً بالله - سبحانه وتعالى - فترة شبابه وصحته وشغله حتى يضمن أن يكون موصولاً بالله تعالى، في حال وفاته.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٨١) كتاب فضائل القرآن - ومسلم (١٥٢) كتاب الإيمان.



(٥٣) نعيه وتوديعه ﷺ في القرآن :

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾ (١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان عمرُ يُدخلني معَ أشياخِ بدرٍ فكانَ بعضهم وجدَ في نفسه، فقال: لِمَ تُدخلُ هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عمرُ: إِنَّهُ مَنْ قَد عَلِمْتُمْ، فدَعَاهُ ذاتَ يومٍ فأدخله معهم، فما رُئيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قال: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ [النصر: ١]؟

فقال بعضهم: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكْذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ»، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ (١) «وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ»، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾ (٢)، فقال عمرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ» (٣).

الشاهد في الحديث: هو قول ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ (١) «وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ»، وفي رواية: (نُعيَت إليه نفسه)، وهذا شرفٌ عظيمٌ لنبينا ﷺ أن يخبره الله بقرب أجله، وينعيه، ولا يكون ذلك إلهامًا ولا منامًا، ولكن بقرآن يُتلى إلى يوم القيامة، في سورة كاملة، هي سورة النصر، ولن نعقل هذا الفضل والشرف، إلا إذا عقل المسلم عظيم شأن القرآن، وأنه لا ينزل إلا في الأمور العظيمة، والأحداث الجسيمة، وكل حرف منه جاء لحكمة وبحكمة.

(٥٤) أن النبي ﷺ اختبأ بدعوته شفاعته لأُمَّته :

﴿ومن شرفه وفضله ﷺ إيثاره ﷺ أُمَّته على نفسه بدعوته؛ إذ جعل الله ﷻ لكل نبي دعوة مستجابة، فكلُّ منهم تعجَّلَ دعوته في الدنيا، واختبأ هو ﷻ

(١) سورة النصر: الآيات: (١-٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٩٧٠) كتاب التفسير.

دعوته شفاعَةً لأُمَّته.

ففى الصحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.

وقد دلَّت الأحاديث الكثيرة على رحمة النبي ﷺ بأُمَّته، وإشاره إياهم على نفسه، ودعائه لهم فى كل مناسبة تعرض له... بل بلغ من شفقتة عليهم أنه أخذه البكاء عند الدعاء لهم، كما ثبت فى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم ﷺ: «رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»<sup>(٢)</sup>.

وقول عيسى: «إِنْ تُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»<sup>(٣)</sup>.

فرفع يده وقال: «أُمَّتِي أُمَّتِي» ثم بكى فقال الله تعالى: «يَا جِبْرِيلُ، أَذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوؤُكَ»<sup>(٤)</sup>.  
(٥٥) أن الله تعهد بحفظ كتابه:

❁ ومن فضله ﷺ حفظ كتابه... كما قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»<sup>(٥)</sup>.

وقال عن الكتب السابقة: «بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»<sup>(٦)</sup> فجعل حفظه إليهم فضاء.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٤) كتاب الدعوات - ومسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٣) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(٥) سورة الحجر: الآية: (٩).

(٦) سورة المائدة: الآية: (٤٤).

✽ وتعهد كذلك بحفظ سنته ﷺ.. والدليل على ذلك قوله (جل وعلا):  
 ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِخُبْرَيْنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٤) ✽<sup>(١)</sup>..  
 والمعنى أن الله ﷻ أنزل السنة ليبين النبي ﷺ بها القرآن..

فقد جاء القرآن ليأمر المسلمين بالصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من العبادات فأنزل الله السنة لتشرح للمسلمين تفاصيل تلك العبادات وكيف يؤديونها على الوجه الأكمل.. ولذا قال تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) ✽<sup>(٢)</sup>.

#### (٥٦) تثقيل موازينه ﷺ يوم القيامة :

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»<sup>(٣)</sup>.

الشاهد في الحديث: قوله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ»، وحيث إن الرسول هو الذي دلَّ على كل خير، ودعا إلى كل هدى، وحذر من كل ضلالة، فإن له من الأجر الموفور يوم القيامة، مثل أجور هذه الأمة جميعًا، ولذلك فلا غرابة، أن تكون له الدرجة العالية الرفيعة في الجنة، التي لا تنبغى إلا له ﷺ.

#### (٥٧) أنه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة :

✽ من الأدلة على شرفه وفضله ﷺ أنه ساد الكل ﷺ كما في الحديث: «أَنَا

(١) سورة النحل: الآية: (٤٤).

(٢) سورة القيامة: الآيات: (١٦-١٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»<sup>(١)</sup>.  
ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يذكر افتخارًا في الغالب، أراد ﷺ أن يقطع  
وهم من توهم من الجهلة أنه يذكر ذلك افتخارًا فقال: «وَلَا فخر».

(٥٨) أن أمته ﷺ أمة شاهدة يوم القيامة:

✽ ومن فضله ﷺ أن الله عز وجل أنزل أمته منزلة العُدول من الحكام،...  
فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،  
فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ  
بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ،  
فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ  
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ  
شَهِيدًا﴾<sup>(٢)(٣)</sup>. وَالْوَسْطُ: الْعَدْلُ.

(٥٩) أنه ﷺ يوم القيامة أول شافع وأول مشفع:

✽ ومنها أنه ﷺ أول شافع وأول مشفع... كما في صحيح مسلم عن أبي  
هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ  
عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»<sup>(٤)</sup>.

فهو ﷺ أول من يشفع في الخلائق يوم القيامة، كما في حديث الشفاعة حين  
يذهب للشفاعة يستأذن على الله فيأذن له، فإذا رأى الله تعالى حراً ساجداً، فيدعه  
الله ما شاء ثم يقال: «ارْفَعْ رَأْسَكَ مُحَمَّدُ، وَقُلْ تَسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ  
تُشَفَّعُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل.

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٤٨٧) كتاب التفسير.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٧٦) كتاب التفسير - ومسلم (١٩٣) كتاب الإيمان.

وهذه هي الشفاعة العظمى في الخلائق كلهم يوم القيامة، وهي المقام المحمود الذي اختص به نبينا ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧٩) (١).

وعسى من الله واجب كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.. ولنبينا ﷺ شفاعات أخرى. منها: شفاعته لأهل الجنة في دخولها، فلا تفتح لأحد قبل النبي ﷺ.

ومنها: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم حتى لا يدخلوها، ومنها شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم، ومنها: شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

ومنها: شفاعته في بعض أهله الكفار حتى يخفف عنهم عذاب النار، وهذه خاصة بأبي طالب... ففي الصحيحين عن العباس رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: ما أغنيت عن عمك وكان يدفع عنك ويحوطك؟ قال: «هُوَ فِي ضَحَضَاحٍ مِّنْ نَّارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (٢).

(٦٠) أن الله عز وجل سيدخل من أمته سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب:

❁ ومن فضله وشرفه ﷺ أن الله عز وجل وهبه سبعين ألفاً من أمته، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وجوههم مثل القمر ليلة البدر، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وليس هذا لأحد غيره رضي الله عنه.

❁ ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ

(١) سورة الإسراء: الآية: (٧٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٣) كتاب مناقب الأنصار - ومسلم (٢٠٩) كتاب الإيمان.

ورواه أحمد عن ابن عباس وقال الألباني رحمه الله في التعليق عليه: هذا الحديث نص في أن السبب في التخفيف إنما هو النبي ﷺ أي شفاعته وليس هو عمل أبي طالب، وهذه خصوصية للرسول ﷺ كرامة أكرمه الله تبارك وتعالى بها، مع أن القاعدة في المشركين أنهم كما قال الله عز وجل: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّفَاعِينَ﴾ ❁ ولكن الله تعالى يختص بفضله من يشاء.

عَلَى الْأُمَّمِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ<sup>(١)</sup>، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيْمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيْلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَظَنَنْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيْمٌ، فَقِيْلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخِرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيْمٌ، فَقِيْلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاصَّ النَّاسَ فِي أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ - وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ - فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخَوْضُونَ<sup>(٢)</sup> فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ<sup>(٣)</sup>، وَلَا يَنْطَيِّرُونَ<sup>(٤)</sup>، وَلَا يَكْتَوُونَ<sup>(٥)</sup>، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ؟» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرٌ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»<sup>(٦)</sup>.

❁ ومن كمال رحمة النبي ﷺ بالأمة فلقد سأل الله ﷻ الزَّيْدَ الْمَزِيدَ مَنْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

قال ﷺ: «أُعْطِيَتْ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي ﷻ، فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا»<sup>(٧)</sup>.

(١) الرهط: الجماعة من الرجال دون العشرة.

(٢) تخوضون: تتناظرون وتتناقشون.

(٣) الرقية: تعويذ المريض بقراءة أذكار مشروعة عليه - والاسترقاء: طلب الرقية.

(٤) الطيرة: التشاؤم الذي يصد صاحبه عن العمل.

(٥) يكتوون: يتداوون بالكى.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٠٥) كتاب الطب - ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

(٧) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٥٧).

وفي رواية قال ﷺ: « وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِلاَ حِسَابٍ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثَ حَيَاتٍ <sup>(١)</sup> مِنْ حَيَاتِ رَبِّي <sup>(٢)</sup> » .

(٦١) أن أمته تلتى أهل الجنة.. وأعمالهم في ميزانه ﷺ:

❁ ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله ﷻ يكتب لكل نبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها،... وأمته تلتى أهل الجنة.

فقد روى أحمد ومسلم والأربعة من حديث أبي هريرة بلفظ: « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا <sup>(٣)</sup> » .

وأمته خير الأمم ﷺ، وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعارف والأحوال والأقوال والأعمال؛ ولأجل هذا بكى موسى ﷺ ليلة الإسراء بكاء غبطة غبِط بها النبي ﷺ إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسى ﷺ،... وصحَّ هذا في قصة المعراج من حديث (أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) مرفوعاً وفيه... « ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ... فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ (جبريل): هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي <sup>(٤)</sup> » .

قال ﷺ: « أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ <sup>(٥)</sup> » .

(١) حَيَاتٍ: الحثو: الأخذ بملء الكفين.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وابن حبان، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٧١١١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٨٨٧) كتاب مناقب الأنصار - غبِط النبي: أى حسده حسداً محموداً - والحسد المحمود هو: تمنى مثل ما عند الغير دون تمنى زوال النعمة من عند الغير.

(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٢٥٢٦).

## (٦٢) أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْطَاهُ نَهْرَ الْكَوْثَرِ:

❁ ومن شرفه ﷺ الكوثر الذي أعطاه الله ﷻ، وهو نهر في الجنة وحوض في الموقف.

روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أنس قال: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةٍ» فَقَرَأَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾»<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ نَهْرًا وَعَدْنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَّثْتُ بَعْدَكَ»<sup>(٢)</sup>.

## (٦٣) أَنَّهُ ﷺ صَاحِبُ أَعْلَى دَرَجَةِ فِي الْجَنَّةِ (الْوَسِيلَةَ):

❁ ومن شرفه وفضله ﷺ أنه ﷺ صاحب الوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وهي له ﷺ.

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»<sup>(٣)</sup>.

❁ كانت هذه بعض مظاهر حب الله (جل وعلا) لنبيه ﷺ. ولو استطردنا في الحديث عن هذا الحب لاحتاج الأمر إلى مصنفات لا يحصى عددها إلا الخالق (جل وعلا).

(١) سورة الكوثر.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٠٠) كتاب الصلاة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.





# من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم



## من أخلاق الرسول ﷺ

كان النبي ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان وبلاغة القول.

❁ وكان الحلم والاحتمال، والعمو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدبه الله بها،... وكل حلیم قد عُرِفَ منه زلة، وحُفِظت عنه هفوة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حِلْمًا.

قالت عائشة: ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تُتَهَكَّ حُرْمَةُ اللَّهِ فينتقم لله تعالى<sup>(١)</sup>، وكان أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضا.

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يُقَادَر قدره... كان يعطى عطاء مَنْ لا يخاف فقراً... قال ابن عباس: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ<sup>(٢)</sup>.

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يُجْهَل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفرّ عنه الكمأة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يتزحزح. وكان أشد الناس حياءً وإغضاءً،... قال أبو سعيد الخدري: كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وإذا كره شيئاً عُرِفَ في وجهه<sup>(٣)</sup>، وكان لا يُبَيِّنُ نظره في وجه أحد، خافض الطرف لا يشافه أحداً بما يكره حياءً وكرم نفس، وكان لا يُسْمَى رجلاً بلغ عنه شيء يكرهه: بل يقول، «ما بال أقوام يصنعون كذا»<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٦٠) كتاب المناقب - ومسلم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦) كتاب بدء الوحي - ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٦٢) كتاب المناقب - ومسلم (٢٣٢٠) كتاب الفضائل.

(٤) ورد هذا الخلق الحميد في أحاديث كثيرة، انظر على سبيل المثال: صحيح البخاري (٧٥٠)، وصحيح

مسلم (٥) (١٤٠١)، وسنن أبي داود (٣٩٣٠)، وسنن ابن ماجه (٢٠١٧).

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك مُحاوروه وأعداؤه، وكان يُسمَّى قبل نبوته الصادق الأمين، ويُتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام.

وكان أشد الناس تواضعًا، وأبعدهم عن الكبر... يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك وكان يعود المساكين، ويُجالس الفقراء، ويجب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم،... قالت عائشة: «كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ»<sup>(١)</sup>، و«كَانَ بَشْرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ»<sup>(٢)</sup>.

كان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، وأحسن الناس عشرة وأدبًا، وأبسط الناس خلقًا، أبعد الناس عن سوء الأخلاق، لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا لعانًا، ولا صخبًا في الأسواق، ولا يجزى السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح<sup>(٣)</sup>، وكان لا يدع أحدًا يمشى خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مآكل ولا ملابس، ويخدم من خدمه، ولم يقل لخدمه أف قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه<sup>(٤)</sup>، وكان يحب المساكين ويُجالسهم ويشهد جنازتهم، ولا يحقر فقيرًا فقره.

وعلى الجملة فقد كان النبي ﷺ مُحَلَّى بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ، وَأَدَّبَهُ رَبُّهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، حَتَّى خَاطَبَهُ مُثْنِيًا عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ

(١) رواه أحمد، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٤٨٢)، وأبو الشيخ (ص ٢١)، وأبو يعلى، وصححه ابن حبان (١٢/٥٦٧٦، ٥٦٧٧)، والألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٤١٩).

(٢) رواه أحمد، والترمذي في «الشمائل» (٣٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤١)، والبخاري في «شرح السنة» (٣٦٧٦)، وصححه ابن حبان (١٢/٥٦٧٥)، والألباني في «الصحيح» (٦٧١/٢).

(٣) الجزء الأول: رواه البخاري (٣٥٥٩) كتاب المناقب - ومسلم (٢٣٢١) كتاب الفضائل - والجزء الثاني رواه البخاري (٢١٢٥) كتاب البيوع.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٦٨) كتاب الوصايا - ومسلم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل.

﴿٤﴾ (١)، وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحبَّبه إلى القلوب، وصيَّره قائداً تهوى إليه الأفئدة، وألان من شكيمته قومه بعد الإباء، حتى دخلوا في دين الله أفواجا (٢).

وحسبه أن الله عزَّ وجلَّ جمع له ذلك كله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾.

## النبي ﷺ كان خلقه القرآن

✽ لقد اجتمعت في رسول الله ﷺ خصال الخير من حياءٍ وكرم وشجاعةٍ ووفاء ونجدة وشهامة وحسن استقبال وحلم وإكرام يتيم وحسن سريرة وصدق حديث وعفة وطهارة وزكاء نفس وسائر خصال الخير.

✽ قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه... وحسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه.. فتقوى الله تُوجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته» (٣).

✽ وقد سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» (٤).

وصفٌ موجز وبلوغٌ تصف به أم المؤمنين الفقيهة العالمة رسول الله ﷺ!  
وصفٌ شاملٌ وجامع، «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» صلوات ربي وسلامه عليه.  
خُلُقُهُ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٥)، و﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ (٦).

(١) سورة القلم: الآية: (٤).

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٥٣٢: ٥٣٧) بتصرف.

(٣) الفوائد (ص: ٧٥).

(٤) أخرج مسلم (٧٤٦) من طريق هشام بن عامر قال: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألسنت تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن.

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٩).

(٦) سورة الجن: الآية: (٢).

✽ خلقه القرآن، ذلكم الكتاب الذي: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

✽ لقد كانت أخلاقه ﷺ عظيمة مع أصحابه وأعدائه وفي بيته وخارج بيته ومع القريب والبعيد. فكان لا يعامل الناس بأخلاقهم بل كان يتحمل سوء أخلاقهم ويعاملهم بأخلاقه هو ﷺ... حتى شهد له أعداؤه قبل أحبابه.

فها هو أبو سفيان رضي الله عنه الذي كان زعيماً للمشركين ومع ذلك فقد شهد للنبي ﷺ بـ«حسن الخلق قبل أن يُسلم.. بل قال له عند إسلامه: «والله إنك لكريم، ولقد حاربتك فنعم مُحاربي كنت، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت، فجزاك الله خيراً»<sup>(٢)</sup>.

✽ بل لا أكون مبالغاً إذا قلت أن أعداءه قد انبهروا بأخلاقه فكان ذلك سبباً في اعتناقهم لهذا الدين العظيم.

فها هو ملك عُمان المعاصر لرسول الله ﷺ وهو الجَلَنْدِيُّ<sup>(٣)</sup>؛ الذي انبهر بأخلاقه ﷺ، فقال: «والله لقد دلّني على هذا النبي الأُمى الذي لا يأمر بخير إلا كان أول آخذٍ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تاركٍ له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفى بالعهد وينجز الموعد، وأشهد أنه نبي»<sup>(٤)</sup>.

✽ وها هو المستشرق البريطاني وليم موير<sup>(٥)</sup> (١٨١٩-١٩٠٥م)، يصف حياته ﷺ قائلاً: «كانت السهولة صورة من حياته كلها، وكان الذوق والأدب من

(١) سورة البقرة: الآية: (٢).

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة (٣/١٥٠٩).

(٣) الجَلَنْدِيُّ: ملك عُمان بعث إليه رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يدعوهُ إلى الإسلام.

انظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة (١/٥٣٨) ترجمة رقم (١٢٩٨).

(٤) الشفا / للقاضي عياض (١/٢٤٨).

(٥) السير وليم موير (william Muir) مؤرخ ومستشرق إنجليزي، وكان يبحث في الإسلام ويدرس أخلاق نبي الإسلام منذ بداية وجوده في الهند عام ١٨٣٧م، ودرس الحقوق في جامعتي أدنبره وجلاسجو ووصل إلى منصب رئيس جامعة أدنبره، وتوفي عام ١٩٠٥م.

أظهر صفاته في معاملته لأقل تابعيه،... فالتواضع، والشفقة، والصبر، والإيثار، والجود صفات ملازمة لشخصه، وجالبة لمحبة جميع مَنْ حوله، فلم يُعرف عنه أنه رفض دعوة أقل الناس شأنًا، ولا هديةً مهما صغرت، وما كان يتعالى ويبرز في مجلسه، ولا شعر أحد عنده أنه لا يختصه بإقبال وإن كان حقيرًا، وكان إذا لقي مَنْ يفرح بنجاح أصابه أمسك يده وشاركه سروره، وكان مع المصاب والحزين شريكًا شديد العطف، حسن المواساة، وكان في أوقات العسر يقتسم قوته مع الناس، وهو دائم الاشتغال والتفكير في راحة مَنْ حوله وهناءتهم<sup>(١)</sup>.

✽ وهذا هو السر في أن النبي ﷺ قد اشتهر بين قومه بأنه الصادق الأمين..  
وحيثما أراد المشركون أن يفتروا على النبي ﷺ وأن يصفوه بما ليس فيه قالوا عنه كلامًا كثيرًا كله ظلم وبُهتان لكن لم يستطع واحدٌ منهم بأن يصفه بأنه كذاب أو خائن.

- وليس هناك أدل على ذلك من أن الواحد منهم كان إذا أراد أن يحفظ شيئًا ثمينًا من ممتلكاته فإنه كان لا يجد إلا النبي ﷺ فيضعها عنده.. لأنه يعلم أن النبي ﷺ لا يكذب ولا يخون.

ولذلك فإن النبي ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة طلب من علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام مكانه ليرد تلك الأمانات لأصحابها.

✽ ولم يكن الأمر قاصرًا على قريش فحسب.. بل كان العرب جميعًا يشهدون للنبي ﷺ بحسن الخلق وبدعوته إلى حسن الخلق.

فعندما عرض محمد ﷺ نفسه - مثلًا - على وفد بني شيبان بن ثعلبة - وكان في القوم مفروق بن عمرو، والمثنى بن حارثة، وهانيء بن قبيصة، والنعمان ابن شريك - فتلا عليهم رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ

(١) انظر: وليم موير: حياة محمد - نقلًا عن سعيد حوى: كتاب الرسول (ص ١٤٧).

رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ أَمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾<sup>(١)</sup>، فقال مفروق: ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه. فتلا رسول الله ﷺ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥١﴾﴾<sup>(٢)</sup>، فقال مفروق: دعوت والله يا قرشى إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، ولقد أفك<sup>(٣)</sup> قومٌ كذبوك وظاهروا عليك<sup>(٤)</sup>.

✽ ولم تكن أخلاق النبي ﷺ مع قومٍ دون قومٍ بل كان حسن الخلق مع الغنى والفقير ومع السادة والعييد.. فكان يحب المساكين ويجالس الفقراء ويزور أصحابه ويُلبي الدعوة ويعود المرضى ويشهد الجنائز وتسير به الأمة في شوارع المدينة أينما شاءت.

وبالجملة فقد كان رحيماً بكل من حوله دائم الابتسامة مُتهلّل الوجه كثير العفو عمّن أساء إليه وظلمه.

✽ وكان النبي ﷺ يستمد أخلاقه من القرآن فقد كان النبي ﷺ قرآناً يمشى على الأرض لذلك قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سألتها سعد بن هشام ابن عامر رضي الله عنه عن خلق رسول الله ﷺ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ:

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥١).

(٢) سورة النحل: الآية: (٩٠).

(٣) أفك قوم كذبوك: أي صُرفوا عن الحق ومنعوا منه - انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١٣٦)، وابن منظور: لسان العرب، مادة أفك (١٠/٣٩٠).

(٤) انظر البيهقي: دلائل النبوة (٦٩٥)، وابن الأثير: أسد الغابة (٥/٢٦٤)، وأبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة (٥/٢٦٤٢)، وابن كثير: السيرة النبوية (٢/١٦٧).



«فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»<sup>(١)</sup>.

✽ ومع كل هذا فقد كانت أخلاقه متكافئة بحيث لا يطغى خلق على خلقٍ آخر... فكان حياؤه مثل ورعه وكان صدقه مثل حلمه وكان صبره مثل شجاعته وكان توكله مثل إحسانه وكانت أمانته مثل كرمه وكان وفاؤه مثل رحمته.. وهكذا.

✽ ولو أردت أن أتكلم عن أخلاق النبي ﷺ حتى آخر لحظة من عمري ما استطعت أن أوفيه حقه ﷺ.

وحسبه أن الله (جل وعلا) وصفه بأعظم وصفٍ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝١﴾<sup>(٢)</sup>.

### الله (جل وعلا) يأمر عباده بحسن الخلق

✽ أمر الله تعالى بحسن الخلق مع الناس كافة، ولم يستثن، فقال ﷺ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: «يعنى الناس كلهم»<sup>(٤)</sup>، وعن عطاء قال: «للناس كلهم، المشرك وغيره»<sup>(٥)</sup>.

فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا، ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة ولا موالاتة محرمة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضى مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾<sup>(٦)</sup> فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه.

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٤٦) صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) سورة القلم: الآية: (٤).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٨٣).

(٤) «شعب الإيمان» (٢٨٨/٥).

(٥) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢/٢٩٦)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» رقم (٣٠٨).

(٦) سورة طه: الآية: (٤٤).

✽ وقال طلحة بن عمر: قلت لعطاء: «إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل في حدة، فأقول لهم بعض القول الغليظ»، فقال: «لا تفعل! يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى، فكيف بالحنيفي؟»<sup>(١)</sup>.

✽ وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام: «وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به، فإذا كان البغض الذي أمر الله به قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو بهوى نفس؟! فهو أحق أن لا يُظلم، بل يعدل معه»<sup>(٣)</sup> ا.هـ.

### النبي ﷺ يحض الأمة على حسن الخلق

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ صاحب الخلق الرفيع يحض الأمة على أن تتحلى بحسن الخلق.

✽ عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيَّةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ»<sup>(٤)</sup>.

وقال ﷺ: «أثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ»<sup>(٥)</sup>.

وقال ﷺ: «أثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ خُلُقٌ حَسَنٌ، إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ الْبِدِيَّ»<sup>(٦)</sup>.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/٢).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٨).

(٣) «منهاج السنة» (١٢٦/٥).

(٤) حسن: رواه أحمد، والترمذي، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٩٧).

(٥) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٣٤).

(٦) صحيح: رواه البيهقي، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٥).

وقال ﷺ: «أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا، الْمُؤَطَّوْنَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ بِالْفُؤُونِ وَيُؤَلَّفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤَلَّفُ»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتٍ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ»<sup>(٤)</sup>.  
 ❀ وسئل النبي ﷺ ف قيل له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ؟ قَالَ: «خُلُقٌ حَسَنٌ»<sup>(٥)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ». وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الْفَمُّ وَالْفَرْجُ»<sup>(٦)</sup>.

وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ»<sup>(٨)</sup>، «وَالْمُتَفِيهِقُونَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ»<sup>(٩)</sup>.

وقال ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنْ اللَّهُ لَيَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبِدِيءَ»<sup>(١٠)</sup>.

- (١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٩).
- (٢) حسن: رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٢٣١).
- (٣) صحيح: رواه الترمذي، وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٣٢).
- (٤) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٠).
- (٥) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٢١).
- (٦) حسن: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٧٧).
- (٧) الثرثارون: هم الذين يُكثرون الكلام تكلفًا.
- (٨) التشدق: التكلم بملء الفم إظهارًا للفصاحة.
- (٩) حسن: رواه الترمذي، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٠١).
- (١٠) صحيح: رواه الترمذي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٣٢).

## فقه الأخلاق

❁ هذا وللأخلاق فقه كما أن للعبادات فقهًا!!

للشجاعة فقهٌ وللحياء فقهٌ وللكرم فقهٌ ولسائر الأخلاق فقه!!

فقد يظن شخصٌ أنه شجاع مغوار وهو طائش متهور!!

وقد يظن شخصٌ أنه صادق الحديث قَوَّالٌ بالحق وهو مغتابٌ نمام!!

وقد يبالغ الشخص في اللين وخفض الجناح حتى يصل إلى الاستسلام

والضعف والخور!!

والشدة في موطن يحتاج إلى رفق تُعدُّ نوعًا من أنواع التهور والطيش!!

والتراخي في موطن يحتاج إلى حزم يُعدُّ نوعًا من أنواع الضعف!!

وقد يصل الكرم بالشخص أحيانًا إلى حد التبذير، ويكون الشخص في عداد

المسرفين المبذرين وهو يظن أنه من الكرماء الممدوحين!!

وقد يظن الشخص أنه ينفع أخاه بالثناء الزائد عليه وهو في الحقيقة يقطع

عنقه ويذبحه ذبحًا بغير سكين!!

ومن الناس من تكفيه الإشارة لردعه وزجره ونبيه عما هو فيه!

ومنهم من يحتاج إلى نوع من نوعي البيان: القلم أو اللسان!

ومنهم من لا يصلح معه لزجره إلا الضرب بالسياط!

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ...﴾<sup>(١)</sup>

فخصال الناس تختلف وطبائعهم تتنوع وأحوالهم لها اعتبار عند التعامل

معهم، وأوضاعهم وظروفهم تُحتم علينا نوعًا من التعامل يختلف من شخص

إلى شخصٍ آخر.. وكي يُوفق المرء في التعامل مع الناس عليه أن يعرف الداء

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٥).

وأن يعرف أيضًا الدواء، عليه أن يكون مُلمًّا بأكبر قدرٍ ممكن من الكتاب والسنة وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه، ومعاملات الرسول ﷺ والناس، ومُلمًّا أيضًا بأحوال العباد، ويُنزل الدليل من الكتاب والسنة منزلته الصحيحة، ويعطى كل واقعة ما يليق بها من المعاملة الحسنة معها، وهذا من الحكمة... ومن الحكمة أن تضع الدليل الصحيح في موقعه الصحيح.

فكم من شخص يحمل قدرًا كبيرًا من الكتاب والسنة لكنه لا يعرف كيف يُنزل هذا الدليل ولا أين يضع هذه الآية وهذا الحديث!!

مثل ذلك كمثّل صيدلى صيدليته كلها دواء، لكن قد يأتيه مريض فيعطيه دواء ليس هو بدواء ذلك الداء، فلا يبرأ المريض، بل يزداد مرضًا إلى مرضه وألمًا إلى ألمه ووجعًا إلى وجعه!

ولكن إذا صُرف الدواء بناءً على وصف طيب فاهم في طبه وتخصّصه، بارع في عمله أصاب الدواء الداء فشفى المريض بإذن الله.

وكذلك حامل الكتاب والسنة عليه أن يُنزل كل دليل منزلته وكل تصرف في موقعه... وصدق الرسول ﷺ إذ يقول: «فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرَبِّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»<sup>(١)</sup>.

وصدق (عليه الصلاة والسلام) إذ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(٢)</sup>.

وصدق الله إذ يقول: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٧٤١) كتاب الحج - ومسلم (١٦٧٩) كتاب القسامة والمحاربيين.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧١) كتاب العلم - ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٦٩).

(٤) فقه الأخلاق (١٧/١ - ١٩).

## فوائد وثمرات حسن الخلق

والأخلاق الحسنة لها فوائد وثمرات كثيرة وسأكتفى بذكر بعضها:

❁ **حسن الخلق من أفضل ما يقرب العبد إلى الله عز وجل:**

وذلك لأن الله عز وجل أمرنا بحسن الخلق فإذا تحلّى العبد بحسن الخلق فقد امتثل أمر الله عز وجل.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

﴿٣٣﴾<sup>(١)</sup>

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: «أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق

الناس»<sup>(٢)</sup>.

❁ **أنه طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:**

فقد قال صلى الله عليه وسلم: «... وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِي حَسَنٍ»<sup>(٣)</sup>.

❁ **أنه سبب لمحو السيئات:**

فقد قال صلى الله عليه وسلم: «... وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا...»<sup>(٤)</sup>.

ولا شيء أفضل من حسن الخلق.

❁ **أنه سبب لعفو الله وجالب لغفرانه:**

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَتَى اللَّهَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ

اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾<sup>(٥)</sup>،

قَالَ: يَا رَبِّ أَتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيْسِرُ

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٦٤٤) كتاب التفسير.

(٣) حسن: رواه الترمذى، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٧).

(٤) انظر السابق.



عَلَى الْمُوسِرِ، وَأَنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللَّهُ: أَنَا أَحَقُّ بِدَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي» (١).  
 \* أنه سبب للفوز بمحبة الله ﷻ:

وذلك لقول النبي ﷺ: « أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » (٢).

\* أنه سبب للفوز بمحبة رسول الله ﷺ:

فقد قال ﷺ: « إِنْ مِنْ أَحْبَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا » (٣).

\* أنه من خير أعمال العباد:

عن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ؟ قَالَ: «خُلُقٌ حَسَنٌ» (٤).

وقال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخْفُ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟» قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَجَمَّلُ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا» (٥).

\* أن صاحبه يوصف بالخيرية:

قال ﷺ: « إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا » (٦).

\* أن حسن الخلق سبب لتعمير الديار وزيادة الأعمار:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « صِلَةُ الرَّجِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يُعَمِّرَنَّ الدِّيَارَ وَيَزِدَنَّ فِي الْأَعْمَارِ » (٧).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٧٧) كتاب البيوع - ومسلم (١٥٦٠) كتاب المساقاة، واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٩).

(٣) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٠١).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والنسائى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٢١).

(٥) حسن: رواه أبو يعلى، والبيهقى فى الشعب، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٤٨).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٥٩) كتاب المناقب - ومسلم (٢٣٢١) كتاب الفضائل.

(٧) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٦٧).

### ❁ صاحب الخلق الحسن يألف الناس ويألفه الناس :

فإن قلوب العباد تميل دائماً إلى صاحب الخلق الحسن وتبغض الإنسان صاحب الخلق السيء... ولذا قال ﷺ: « الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ »<sup>(١)</sup>.

### ❁ حُسن الخلق يُصلح ما بين الإنسان وبين الناس :

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: « جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحُسن الخلق، لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله تُوجب له محبة الله وحُسن الخلق يدعو الناس إلى محبته »<sup>(٢)</sup>.

### ❁ بالخلق الحسن يكثر الأُحباب ويقل الأعداء :

قال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: « إِذَا حَسُنْتَ أَخْلَاقَ الْإِنْسَانِ كَثُرَ مُصَافُوهُ، وَقَلَّ مُعَادُوهُ، فَتَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ الصَّعَابُ، وَلَانَتْ لَهُ الْقُلُوبُ الْغِضَابُ »<sup>(٣)</sup>.

### ❁ حُسن الخلق يحول العدو إلى صديق :

فقد قال عَزَّ وَجَلَّ: « وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا أَلْسِيئَةُ أَدْفَعُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ »<sup>(٤)</sup>.

### ❁ أنه دليل على كمال إيمان العبد :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا »<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح: رواه أحمد وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٦٦١).

(٢) الفوائد (٧٥).

(٣) أدب الدنيا والدين (٢٣٧).

(٤) سورة فصلت: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

(٥) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٣٠).



وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين»<sup>(١)</sup>.

### ❁ أنه سبب لتأييد الله ونصره لعباده:

فلقد وصفت خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا رسول الله ﷺ عندما أخبرها بنزول الوحي، وقال: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ: كَلَّا أَبْشِرُ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا- ثم ذكرت سبب ذلك بقولها: - فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ<sup>(٢)</sup>.

❁ قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ:

«قال العلماء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: معنى كلام خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنك لا يُصيبك مكروه، لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم الشمائل، وذكرت ضروريًا<sup>(٣)</sup> من ذلك... وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق، وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء»<sup>(٤)</sup>.

❁ ووصف ابن الدغنة أبا بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بمثل ما وصفت به خديجة رسول الله ﷺ من مكارم الأخلاق.

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «حَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ - وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ - فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ وَلَا يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ»<sup>(٥)</sup> ارجع

(١) «مدارج السالكين» (٢/٢٩٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣) كتاب بدء الوحي - ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

(٣) «ضروريًا»: أنواعًا، والمفرد: ضرب.

(٤) شرح النووي على مسلم (٢/٢٠٢).

(٥) جاز: أى مُجبر، أَمنع من يؤذيك.

وَأَعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ فَرَجَعَ»<sup>(١)</sup>.

❁ سبب لتحرير جسد العبد على النار:

فقد قال ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنٍ سَهْلٍ»<sup>(٢)</sup>.

❁ حسن الخلق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(٣)</sup>.

❁ من أسباب دخول الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الْفَمُّ وَالْفَرْجُ»<sup>(٤)</sup>.

❁ من أسباب الارتقاء في درجات الجنة:

فيبلغ العبد بحسن الخلق أعلى درجات الجنة مع عباد الله المخلصين الذين لا يفترون عن الصيام والقيام.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»<sup>(٥)</sup>.

❁ النبي ﷺ يضمن له بيتاً في أعلى الجنة:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ<sup>(٦)</sup> بَيْتٍ فِي

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٢٩٧) كتاب الكفالة، و(٣٩٠٥) كتاب مناقب الأنصار.

(٢) صحيح: رواه أبو يعلى والترمذي والطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٩٠)، (٥٦٣٢).

(٤) حسن: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٧٧).

(٥) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٣٢).

(٦) زعيم: ضامن.

رَبَضٍ (١) الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ (٢) وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ  
الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ» (٣).

✽ أن صاحبه يكون قريباً من النبي ﷺ في الجنة :

لقول النبي ﷺ: « إِنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ  
أَخْلَاقًا... » (٤).

فهذه بعض الثمرات التي يجنيها العبد من وراء حسن الخلق.

ولو لم يكن هناك ثمرة لحسن الخلق إلا أن صاحبه يفوز بمحبة الله  
وصحبة رسول الله ﷺ والقرب من النبي ﷺ في الجنة لكفى.

فأسأل الله عز وجل أن يرزقني وإياكم حسن الخلق.

### صدقه ﷺ

لقد كانت حياته ﷺ أفضل مثال للإنسان الكامل الذي اتخذ من الصدق في  
القول والأمانة في المعاملة خطأ ثابتاً لا يحيد عنه قيد أنملة، وقد كان ذلك فيه  
بمثابة السجية والطبع فُعرف بذلك حتى قبل البعثة، وكان لذلك يُلقَّب بالصادق  
الأمين، واشتهر بهذا وعُرف به بين أقرانه، وقد اتخذ ﷺ من الصدق الذي اشتهر  
به بين أهله وعشيرته مدخلاً إلى المجاهرة بالدعوة، إذ أنه لما نزل قوله تعالى:  
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٥) جمع أهله وسألهم عن مدى تصديقهم له

(١) ربض الجنة: أذناها، وربض المدينة: ما حولها، وجمع ربض: أرباض.

(٢) المراء: أصله من مريت الناقه، إذا استخرجت ما في ضرعها، وهو المنازعة في القول والعمل بقصد  
الباطل، فإذا كان يقصد الحق فهو جدال.

(٣) حسن: رواه أبو داود، والضياء، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٤) حسن: رواه الترمذي، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٠١).

(٥) سورة الشعراء: الآية: (٢١٤).

إذا أخبرهم بأمرٍ من الأمور، فأجابوا بما عرفوا عنه قائلين: ما جربنا عليك إلا صدقاً... روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(١)</sup> صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝﴾<sup>(٢)(٣)</sup>

وقد كان الصدق من خصائص أقواله ﷺ... يقول صاحب «جلاء الأفهام» ما خلاصته: لقد كان ﷺ محفوظ اللسان من تحريفٍ في قولٍ واسترسالٍ في خبرٍ يكون إلى الكذب منسوباً وللصدق مُجانباً.. وكانت قريش كلها تعرف عنه ذلك، ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة... ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر الأزم، ومن عُصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله أعصم.

وبعد البعثة المباركة كان تصديق الوحي له مدعاة لأن يطلق عليه أصحابه «الصادق المصدوق»، وصدق الله عَزَّ وَجَلَّ إذ قال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾<sup>(٤)(٥)</sup>

(١) سورة الشعراء: الآية: (٢١٤).

(٢) سورة المسد: الآيتان: (١، ٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٧٠) كتاب التفسير - ومسلم (٢٠٨) كتاب الإيمان.

(٤) سورة النجم: الآيتان: (٢-٤).

(٥) نضرة النعيم (٦/ ٢٤٧٥-٢٤٧٦).

## مظاهر الصدق في حياة النبي ﷺ

لقد كان النبي ﷺ أصدق الناس جميعاً في أحواله وأقواله وأفعاله.

- فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا مع بعض الصور المضيئة من الصدق في حياة

النبي ﷺ .

✽ فقد شهدت قريش له بأنه الصادق الأمين.. والفضل ما شهدت به

الأعداء.

✽ وهذا هو أبو سفيان بن حرب، وكان من ألد أعداء النبي ﷺ، قبل

إسلامه يوم الفتح، ومع هذا شهد بصدقه عندما أرسل إليه هرقل، وذهب إليه،

ودعاه هو ومن معه إلى مجلسه... وكان حوله عظماء الروم، ودعاً بترجمانه،

فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ

فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَأِئِلُ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ،

فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ... قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا

لَكَذَّبْتُ عَنْهُ.

ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ: أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟

قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ؟ قُلْتُ: بَلْ ضِعْفَاؤُهُمْ.

قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا.  
 قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا.  
 قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَلَمْ تُمْكِنِي كَلِمَةٌ أَدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.  
 قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ.  
 قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ.. يَنَالُ مِنَّا  
 وَنَنَالُ مِنْهُ.

قَالَ: مَاذَا يَا أُمَّرُكُمُ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،  
 وَاتْرِكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاةِ.  
 فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ  
 الرَّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ  
 قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.  
 وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ  
 مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ.

وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا،  
 فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ....<sup>(١)</sup>

✽ بل لقد روى أن رجلاً من سادات قريش لقي أبا جهل في أحد طرقات  
 مكة فاستوقفه ثم قال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك... أنشدك بالله هل  
 محمد صادق أم كاذب؟ فأجابه أبو جهل بكل صراحة، فقال: والله إن محمداً  
 صادق وما كذب قط.

(١) متفق عليه. رواه البخاري (٧) كتاب بدء الوحي - ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

قال: فما يمنعكم من اتباعه؟

فقال أبو جهل: تنافسنا نحن وبنو هاشم وتنازعنا الزعامة والفخر فأطعموا فأطعمنا، وسقوا فسقينا، وأجاروا فأجرنا حتى كنا كفرسى رهان ثم زادوا علينا فقالوا: بُعث منا نبي فمن أين نأتيهم بنبي؟! والله لا نؤمن به ولا نتبعه.

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (١).

فهم يعلمون أن ما جاء به النبي ﷺ هو الحق الذي لا مرأى فيه ولكنهم قوم يستكبرون.. كما قال الحق ﷻ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (٢).

✽ بل ها هي خديجة رضي الله عنها عندما نزل الوحي لأول مرة على النبي ﷺ وجاء إليها ترتعد فرائصه وهو يقول: «زملوني زملوني»... وإذا بها لم تجد ما تهدى به روعه إلا أن قالت له: «كَلَّا، وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» (٣).

✽ بل ها هو النضر بن الحارث الذي كان من ألد أعداء النبي ﷺ ومع ذلك فقد شهد بصدق النبي ﷺ حينما قام النضر خطيباً في سادة قريش قائلاً لهم: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ وَاللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ مَا أَتَيْتُمْ لَهُ بِحِيلَةٍ بَعْدُ، قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غَلَامًا حَدِيثًا» (٤)، أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ، وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدُغَيْهِ الشَّيْبَ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، قُلْتُمْ سَاحِرٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ

(١) سورة الأنعام: الآية: (٣٣).

(٢) سورة النمل: الآية: (١٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٥٣) كتاب التفسير - ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

(٤) غلاماً حديثاً: أى فتيئ السن، ورجل حدث أى شاب - انظر: ابن منظور لسان العرب، مادة حدث

بِسَاحِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا السِّحْرَةَ وَنَفَثَهُمْ وَعَقَدَهُمْ، وَقُلْتُمْ: كَاهِنٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، قَدْ رَأَيْنَا الْكُهْنَةَ وَتَخَالَجَهُمْ وَسَمِعْنَا سَجْعَهُمْ... وَقُلْتُمْ شَاعِرٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، قَدْ رَأَيْنَا الشُّعْرَ، وَسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلَّهَا: هَزَجُهُ وَرَجْزُهُ... وَقُلْتُمْ: مَجْنُونٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ... فَانظُرُوا فِي شَأْنِكُمْ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ»<sup>(١)</sup>.

✽ وعندما جاءه وفد هوازن.. وإذا بالنبي ﷺ يغرس في قلوبهم قيمة الصدق في أول يوم لهم في الإسلام فقال لهم النبي ﷺ: «أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ...»<sup>(٢)</sup>.

✽ وحتى في وقت الحرب الذي رخص فيه النبي ﷺ في الكذب من أجل النجاة من شرور الأعداء.. ومع ذلك لم يقل النبي ﷺ إلا صدقًا.

- فيها هو النبي ﷺ يخرج مع أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبِيلَ غَزْوَةَ بَدْرٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَرَفَ عَلَى أَخْبَارِ قُرَيْشٍ.. فَلَقِيَ شَيْخًا مِنَ الْعَرَبِ فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قُرَيْشٍ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُمْ مَا حَتَّى تُخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أُخْبِرْتَنَا أُخْبِرْنَاكَ». قَالَ: أَذَاكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ الشَّيْخُ: فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي، فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا - لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَبَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا - لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ قُرَيْشٌ. فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ خَبْرِهِ، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَحْنُ مِنْ مَاءٍ»، ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُ. قَالَ يَقُولُ الشَّيْخُ: مَا مِنْ مَاءٍ، أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ؟<sup>(٣)</sup>

(١) السيرة النبوية / لابن هشام (١/٢٩٩-٣٠٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٣٠٧) كتاب الوكالة.

(٣) ابن كثير: السيرة النبوية (٢/٣٩٦)، وابن هشام: السيرة النبوية (١/٦١٥)، والسهيلي: الروض الأنف

(٥/٧٣)، وابن سيد الناس عيون الأثر (١/٣٢٩).



✽ بل حتى عند المزاح الذي يظن بعض الناس أن الكذب فيه مباح.. كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا صدقاً.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستحمله، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ نَاقَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ؟!» (١).

✽ وكان النبي ﷺ يحض أزواجه وأولاده وأحفاده على الصدق. وأكبر دليل على ذلك ما رواه أبو الحوراء السعدي حيث قال: قلت للحسن ابن علي رضي الله عنه: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دَعِ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكُذْبَ رِيْبَةٌ» (٢).

✽ بل كان يحض الأمة كلها على الصدق. قال رضي الله عنه: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَعِفَّةٌ مَطْعَمٌ» (٣).

✽ بل ويرتقى النبي ﷺ بأمته إلى الجنة فيقول رضي الله عنه: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا» (٤).

وقال رضي الله عنه: «اضْمُنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اتَّمَمْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَعُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ» (٥).

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٢٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والطبراني، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٧٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٩٤) كتاب الأدب - مسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) حسن: رواه أحمد، وابن حبان، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠١٨).

وقال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ» (١).

## الرحمة في حياة النبي ﷺ

✽ ولقد كان النبي ﷺ أرحم الناس أجمعين.. وشهد له بذلك الكافر قبل المسلم... فإنه لما أراد الله تعالى أن يمتنَّ على العالم برجل يمسخ آلامه ويخفف أحزانه، ويجدد آماله، ويرثي لخطاياها، ويستमित في هدايته، أرسل محمدًا ﷺ وسكب في قلبه من العلم والحلم، وفي خُلُقهِ من الإيناس والبر، وفي طبعه من السهولة والرقّة، وفي يده من السخاوة والندى، ما جعله أزكى عباد الله، وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدرًا.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧) (٢).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٨) (٣).

وقيل في معنى هذه الآية: «حريص عليكم لا يلقى بكم في المهالك ولا يدفع بكم إلى المهاوى، فإذا هو كلفكم الجهاد، وركوب الصعاب فما ذلك من هوان بكم عليه ولا بقسوة في قلبه وغلظة، إنما هي الرحمة في صورة من صورها. الرحمة بكم من الذل والهوان والرحمة بكم من الذنب والخطيئة، والحرص عليكم أن يكون لكم شرف حَمَلِ الدعوة وحظّ رضوان الله، والجنة التي وُعد المتقون». اهـ.

(١) حسن: رواه أبو داود، والضياء، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

## صور من رحمته ﷺ

وها هي صور يسيرة من رحمته ﷺ.. وإن كان الحديث عن رحمة النبي ﷺ لا ينتهي أبداً... بل لا أكون مبالغاً لو قلت: إن الأعمار قد تفتنى ونحن لا نستطيع أن نصف مدى رحمة النبي ﷺ بمن حوله فلقد سُكبت الرأفة والرحمة في قلبه منذ نعمة أظفاره ﷺ.

✽ عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: إن أبا هريرة كان حريصاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: يا رسول الله، ما أول ما رأيت في أمر النبوة؟

فاستوى رسول الله ﷺ جالساً، وقال: «لَقَدْ سَأَلَتَ أَبَا هُرَيْرَةَ.. إِنِّي لَفِي صَحْرَاءَ ابْنِ عَشْرِ سِنِينَ وَأَشْهُرٍ، وَإِذَا بِكَلَامٍ فَوْقَ رَأْسِي، وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لِرَجُلٍ: أَهْوَهُو؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَقْبَلَانِي بِوُجُوهِ لَمْ أَرَهَا لِخَلْقٍ قَطُّ، وَأَرْوَاحٍ لَمْ أَجِدْهَا مِنْ خَلْقٍ قَطُّ، وَثِيَابٍ لَمْ أَرَهَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ، فَأَقْبَلَا إِلَيَّ يَمْسِيَانِ، حَتَّى أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِعَضْدِي، لَا أَجِدُ لِأَحَدِهِمَا مَسًّا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَضْجِعْهُ. فَأَضْجَعَانِي بِلَا قَصْرِ وَلَا هَصْرِ»<sup>(١)</sup>.

فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: افْلِقْ صَدْرَهُ، فَهَوَى أَحَدُهُمَا إِلَى صَدْرِي، فَفَلَقَهَا فِيمَا أَرَى بِلَا دَمٍ وَلَا وَجَعٍ، فَقَالَ لَهُ: أَخْرِجِ الْغِلَّ وَالْحَسَدَ، فَأَخْرَجَ شَيْئًا كَهَيْئَةِ الْعَلَقَةِ، ثُمَّ نَبَذَهَا فَطَرَحَهَا، فَقَالَ لَهُ: أَدْخِلِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ، فَإِذَا مِثْلُ الَّذِي أَخْرَجَ يُشْبِهُ الْفِضَّةَ، ثُمَّ هَزَّ إِنْهَامَ رَجُلِي الْيُمْنَى، فَقَالَ: اغْدُ وَاسْلَمْ فَرَجَعْتُ بِهَا أَغْدُو رِقَّةً عَلَى الصَّغِيرِ وَرَحْمَةً لِلْكَبِيرِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) بلا قصر ولا هصر: أي بلا عنف ولا ضغط.

(٢) حسن: رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند (٢٠٧٥٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٢/٨): رواه عبد الله ورجاله ثقات، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥).

❁ ولا عجب في ذلك فهو نبي الرحمة ﷺ.

ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُسمى لنا نفسه أسماء، فقال:

«أنا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفَّى<sup>(١)</sup>، وَالْحَاشِرُ<sup>(٢)</sup>، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ<sup>(٣)</sup>».

❁ قال الشاعر:

فآمنوا بنبي لا أبا لكم      ذي خاتم صاغه الرحمن مختوم  
رأف رحيم بأهل البر يرحمهم      مقرب عند ذي الكرسي مرحوم

❁ لقد كان النبي ﷺ يتمنى إيصال الخير لأمته لفرط محبته لتلك الأمة المباركة.

- فما هو ﷺ يفرح بتلك الآية التي تفتح باب الأمل للمذنبين.

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

❁ وما هو ﷺ يخشى المشقة على أمته فيقول ﷺ: «لَوْ لَا أَن أَشَقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لَفَرَضْتُ عَلَيْهِمُ السُّوَاكَ مَعَ الْوُضُوءِ، وَلَا خَرْتُ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ إِلَّا نِصْفَ اللَّيْلِ»<sup>(٦)</sup>.

❁ ويقول ﷺ - كما في الصحيحين - : «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ

(١) المقفَى: المتبع للأنبياء.

(٢) الحاشر: أي الذي يُحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٥٥) كتاب الفضائل.

(٤) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٥) ضعيف: رواه أحمد، وقال الهيثمي في المجمع (٢١٤/١٠)، رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وضعفه الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٤٤٠٩).

(٦) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والضياء، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣١٦).

أُطِيلَهَا فَاسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَاتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةٍ وَجَدِ أُمَّهُ مِنْ بُكَائِهِ»<sup>(١)</sup>.

✽ بل وفي رحلة الإسراء والمعراج عندما فرض الله على الأمة خمسين صلاة ظل النبي ﷺ يسأل ربه ﷻ التخفيف حتى أصبحت خمس صلوات بأجر خمسين صلاة... رحمة بتلك الأمة.

✽ وها هو ﷺ يحض الآباء والأمهات على تيسير الزواج للشباب والفتيات فيقول ﷺ: « خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ »<sup>(٢)</sup>، ويا لها من كلمة عظيمة تكشف عن رحمة النبي ﷺ بأُمَّته، ورغبته في تيسير الخير لكل شاب مسلم ولكل فتاة مسلمة، وذلك لأن المغالاة في المهور وعدم تيسير الزواج يجلب الشقاء للأمة المسلمة ويجعل الحرام يتفشى في المجتمع المسلم.

قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرَ رَحْمَتِهَا»<sup>(٣)</sup>.

قال عروة ﷺ: وأنا أقول من عندي: ومن أول شؤمها أن يكثر صداقها.

✽ بل ها هو ﷺ يختبئ دعوته شفاعته لأُمَّته.

- ففي الحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»<sup>(٤)</sup>.

- وفي الحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ ﷻ في إبراهيم: «رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»<sup>(٥)</sup> وقال عيسى ﷺ: «إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٩) كتاب الأذان - ومسلم (٤٧٠) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٠٠).

(٣) حسن: رواه أحمد، والحاكم، وحسنه الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٣٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٥) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾<sup>(١)</sup> فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبِّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوؤُكَ»<sup>(٢)</sup>.

✽ بل وأخبر النبي ﷺ أمته كيف تفوز بشفاعته ﷺ.

- ففي الحديث السابق الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «... وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَإِنَّهَا نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا».

فأعظم الأسباب للفوز بشفاعته النبي ﷺ أن تبتعد عن الشرك وأن تحقق التوحيد لله ﷻ.

✽ أما السبب الثاني الذي يجعلك تفوز بشفاعته ﷺ فلقد أخبر عنه الحبيب ﷺ فقال: كما في الحديث الذي رواه مسلم: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَبْغَى إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»<sup>(٣)</sup>.

- وفي الحديث الذي رواه البخاري وأحمد أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ النَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

- وأما عن السبب الثالث فهو أن تصلي على النبي ﷺ عشراً حين تُصبح وعشراً حين تمسى.

(١) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦١٤) كتاب الأذان.

قال ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمَسِّي عَشْرًا أَدْرَكْتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ »<sup>(١)</sup>.

- وأما عن السبب الرابع فهو أن يموت المسلم بالمدينة المنورة.  
فقد قال ﷺ: « مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا »<sup>(٢)</sup>.

### رحمته ﷺ بالأطفال

وتأمل معي أيها الأخ الحبيب إلى تلك الصور المشرقة من رحمة النبي ﷺ بالأطفال... وسأكتفي بذكر بعض تلك الصور المشرقة:

❁ ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَبَّلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ ابْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنْ لِي عَشْرَةٌ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ »<sup>(٣)</sup>.

❁ وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ تُقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ فَمَا نُقْبَلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟ »<sup>(٤)</sup>.

❁ وروى البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذْنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخْذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى فَخْذِهِ الْآخَرَ، ثُمَّ يَضْمُهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ ارْحَمُهُمَا، فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا »<sup>(٥)</sup>.

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣٥٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠١٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٧٦) كتاب التوحيد - ومسلم (٢٣١٨) كتاب الفضائل.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٩٨) كتاب الأدب - ومسلم (٢٣١٧) كتاب الفضائل.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٦٠٠٣) كتاب الأدب.

❁ وفي الصحيحين عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: (خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها) <sup>(١)</sup>.

❁ وروى البخارى عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع صبيًا فى حجره يُحنكُه، فَبَالَ عَلَيْهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَاتَّبَعَهُ <sup>(٢)</sup>.

❁ وروى البخارى عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ، قَالَ: كَانَ فَطِيمًا <sup>(٣)</sup>، قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَأَاهُ، قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» <sup>(٤)</sup> نَغْرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَزَبَمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيَكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا <sup>(٥)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup>.

❁ وروى البخارى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ <sup>(٧)</sup>، وَكَانَ ظَنْرًا <sup>(٨)</sup> لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّمَهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ - وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ - فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٦) كتاب الصلاة - ومسلم (٥٤٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٠٠٢) كتاب الأدب.

(٣) فطيم: بمعنى مفلوم، أى انتهى إرضاعه.

(٤) النغير: طائر يشبه العصفور.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٢٠٣) كتاب الأدب.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٦) كتاب الفضائل.

(٧) القين: الحداد. ويُطلق على كل صانع.

(٨) ظنرًا لإبراهيم: الظنر: زوج المرضعة، وإبراهيم هو ابن النبي صلى الله عليه وسلم.



لَمَحْزُونُونَ»<sup>(١)</sup>.

✽ وروى البخارى عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال: أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه: إن ابناً لي قبض، فأتنا، فأرسل يُقْرِئُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرِ، وَلْتَحْتَسِبِ»، فأرسلت إليه تُقَسِّمُ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَنَهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ، فَرَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الصَّبِيَّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعَّقُ<sup>(٢)</sup> - قَالَ: حَسِبْتَهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنْ<sup>(٣)</sup> - فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرَحِمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءُ»<sup>(٤)</sup>.

### رحمته صلى الله عليه وسلم بالمدنبيين والمخطئين

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في قمة الرحمة بالمدنبيين والمخطئين.

فكان يرفع عنهم الحرج ويفتح لهم باب الأمل ولا يقنط أحداً من رحمة الله. ومن أمثلة ذلك ما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، فيقول: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَحِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَّابِعَيْنِ»، قَالَ: لَا، فَقَالَ: «فَهَلْ تَحِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا». قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِعَرَقٍ<sup>(٥)</sup> فِيهَا تَمْرٌ - وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ - قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْ

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٠٣) كتاب الجنائز.

(٢) تتققق: صوت الشيء اليابس إذا حرك.

(٣) شن: القرية القديمة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٨٤) كتاب الجنائز - ومسلم (٩٢٣) كتاب الجنائز.

(٥) العرق: المكتل والجراب والوعاء المنسوج من الخوص - انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة عرق

هَذَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا يَبْنُ لَابْتِيهَا<sup>(١)</sup> - يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ - أَهْلَ بَيْتِ أَفْقَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمُهُ أَهْلَكَ»<sup>(٢)</sup>.

ومن القصص الواضحة في هذا ما حدث لمعاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه لما جاء إلى المدينة من البادية ولم يكن يدرى عن تحريم الكلام في الصلاة قال: بَيْنَا أَنَا أَصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاتُّكَلَّ أُمِّيَاءَهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمُّونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ (أى أوشكت أن أردد عليهم لكني تمالكت نفسي ولزمت السكوت)، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَابِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ، مَا كَهَرَنِي (أى زجرني وعبس في وجهي) وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»<sup>(٣)</sup>.

فالجاهل يحتاج إلى تعليم، وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان، والغافل يحتاج إلى تذكير، والمُصر يحتاج إلى وعظ، فلا يسوغ أن يُسوَّى بين العالم بالحكم والجاهل به في المعاملة والإنكار، بل إن الشدة على الجاهل كثيرًا ما تحمله على النفور ورفض الانقياد بخلاف ما لو علّمه أولاً بالحكمة واللين؛ لأن الجاهل عند نفسه لا يرى أنه مخطئ فلسان حاله يقول لمن ينكر عليه: أفلا علمتني قبل أن تهاجمني.

(١) لابتيتها: مثني لابة، وهي الأرض التي بها حجارة سود، والرجل يقصد المدينة المنورة.

انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة لوب (١/٧٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٣٦) كتاب الصوم - ومسلم (١١١١) كتاب الصيام.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

دخل شاب إلى المسجد وجعل يتلفت يمينا وشمالاً كأنه يبحث عن أحد..  
وقعت عيناه على رسول الله ﷺ.. فأقبل يمشى إليه..

كان المتوقع أن يجلس الشاب في الحلقة ويستمع إلى الذكر.. لكنه لم  
يفعل..! إنما نظر الشاب إلى رسول الله ﷺ وأصحابه حوله..

ثم قال بكل جرأة: يا رسول الله.. ائذن لي بـ... بطلب العلم؟! لا.. لم  
يقلها.. ويا ليتة قالها.. ائذن لي بالجهاد.. لا.. ويا ليتة قالها..

أتدرى ماذا قال؟

قال: يا رسول الله.. ائذن لي بالزنا..

عجباً!! هكذا بكل صراحة!!؟

نعم.. هكذا: ائذن لي بالزنا..

نظر النبي ﷺ إلى الشاب.. كان يستطيع أن يعظه بآيات يقرأها عليه.. أو  
نصيحة مختصرة يحرك بها الإيمان في قلبه.. لكنه ﷺ سلك أسلوباً آخر..

قال له ﷺ بكل هدوء: «أرضاه لأمك؟».

فانتفض الشاب وقد مرَّ في خاطره أن أمه تزني.. فقال: لا.. لا أرضاه لأمي..

فقال له ﷺ بكل هدوء: «كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم»..

ثم فاجأه سائلاً: «أرضاه لأختك؟!».

فانتفض الشاب مرة أخرى.. وقد تخيل أخته العفيفة تزني.. وقال مبادراً:

لا.. لا.. لا أرضاه لأختي..

فقال ﷺ: «كذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم»..

ثم سأله: «أرضاه لعمتك؟! أرضاه لخالتك؟!».

والشاب يُردد: لا.. لا.. لا..

فقال ﷺ: «فأحب للناس ما تحب لنفسك.. واکره للناس ما تكره لنفسك»..

أدرك الشاب عند ذلك أنه كان مخطئاً..

فقال بكل خضوع: يا رسول الله.. ادعُ الله أن يطهر قلبي..

فدعاه ﷺ.. فجعل الشاب يقترب.. ويقترب.. حتى جلس بين يديه.. ثم وضع يده على صدره..

وقال: «اللهم اهدِ قلبه.. واغفر ذنبه.. وحصّن فرجه..»<sup>(١)</sup>

فخرج الشاب وهو يقول: والله لقد دخلت على رسول الله ﷺ.. وما من شيء أحب إليّ من الزنا.. وخرجت من عنده وما من شيء أبغض إليّ من الزنا..<sup>(٢)</sup>

### رحمة النبي ﷺ بالمشركين

بل لقد وصلت رحمة النبي ﷺ مبلغاً لا يخطر على قلب بشر.. فلقد كان حزيناً كل الحزن لإعراض المشركين عن نور الهداية حتى قال له جل وعلا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾<sup>(٣)</sup>

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يُسَلَى اللهُ تَعَالَى نَبِيَهُ ﷺ فِي حَزْنِهِ عَلَى الْمَشْرِكِينَ لِتَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ وَبُعْدَهُمْ عَنْهُ ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾<sup>(٤)</sup> يقول: لا تَهْلِكْ نَفْسَكَ أَسَفًا وَحَزْنًا، أَيْ لَا تَأْسَفْ عَلَيْهِمْ بَلْ أَبْلِغْهُمْ رِسَالَةَ اللهِ فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تُذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ<sup>(٤)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: أخرجه أحمد، والطبراني، والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٠).

(٢) استمتع بحياتك (ص: ١٥٩-١٦٠).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٦).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير (٣/٦١).



## رحمته ﷺ بالحيوان

- ولم تقف رحمة النبي ﷺ بالإنسان فحسب بل وصلت حتى إلى الدواب.
- ✽ فيها هو ﷺ يحفز النفوس للإحسان إلى الدواب من خلال ذكر ثواب الإحسان إليهم فيقول ﷺ - كما في الصحيحين - : « في كل ذات كبد حرى أجرٌ ».
- ✽ وقال ﷺ - كما في الصحيحين - : « بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ <sup>(١)</sup> كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَزَعَتْ مُوقَهَا <sup>(٢)</sup> فَسَقَتْهُ فَعُفِرَ لَهَا بِهِ <sup>(٣)</sup> ».
- ✽ وفي المقابل يخبر النبي ﷺ بعقوبة مَنْ أساء لتلك الدواب فيقول ﷺ - كما في الصحيحين - : « دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمَهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ <sup>(٤)</sup> ».
- ✽ وأمرنا النبي ﷺ بالإحسان إلى تلك الدواب حتى عند ذبحها (أى عند ذبح ما أحلَّ الله ذبحه وأكل لحمه) ... قال ﷺ: « إِنْ اللَّهُ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ <sup>(٥)</sup> ».
- ✽ وتأمل معي تلك الصورة المشرقة من رحمته ﷺ بالدواب.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمْرَةً <sup>(٦)</sup> مَعَهَا فَرَّخَانٍ فَأَخَذْنَا فَرَّخِيهَا، فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ <sup>(٧)</sup>،

(١) يطيف بركيّة: أى يدور حول بئر.

(٢) موقها: أى حُفها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٦٧) كتاب أحاديث الأنبياء - ومسلم (٢٢٤٥) كتاب السلام.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣١٨) كتاب بدء الخلق - ومسلم (٢٦١٩) كتاب البر والصلة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح.

(٦) الحمرة: طائر صغير يشبه العصفور.

(٧) تفرش: هو أن تفرش جناحيها وتقرب من الأرض وتُرفرف.

فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا»... وَرَأَى قَرِيْبَةً نَمَلٌ قَدْ حَرَّقَتْهَا فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

### ومن رحمة النبي ﷺ بالحيوان<sup>(٢)</sup>

ينظر الإسلام إلى الحيوان إجمالاً نظرة واقعية؛ تركز على أهميته في الحياة، ونفعه للإنسان، وتعاونه معه في عمارة الكون واستمرار الحياة، ولا أدل على ذلك من أن عدة سور في القرآن الكريم وضع الله لها أسماء من أسماء الحيوان مثل: سورة البقرة، والأنعام، والنحل، وغيرها.

وينص كذلك سبحانه وتعالى على تكريم الحيوان، وبيان مكانته، وتحديد موقعه إلى جانب الإنسان، فيقول تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَعُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن أهم الحقوق التي أصَّلها الرسول ﷺ للحيوان عدم إيذائه.

فقد روى جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَّمَهُ»<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>. وفي رواية له قال: «نهى رسول الله ﷺ عَنِ الضَّرْبِ

(١) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٥)، وصحيح الجامع (٢٤٢٥) - وأصله في صحيح مسلم.

(٢) أسوة للعالمين / د. راغب السرجاني (ص ٨٩: ٩٢).

(٣) سورة النحل: الآيات: (٥-٧).

(٤) وَسَّمَهُ: إذا أُثِّرَ أو عَلِّمَ فِيهِ بَكْيٌ... والوسم والسمة العلامة المميزة للشيء.

انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة وسم (١٢/ ٦٣٥).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢١١٧) كتاب اللباس والزينة.

فِي الْوَجْهِ، وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ»<sup>(١)</sup>. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «لعن النبي ﷺ مَنْ مَثَلَ بِالْحَيَوَانِ»<sup>(٢)</sup>. وهذا يعنى أن إيذاء الحيوان وتعذيبه وعدم الرفق به يُعتبر جريمة في نظر الشريعة الإسلامية.

وكذلك شرع الرسول ﷺ في تأصيله لحقوق الحيوان: تحريم حبسه وتجويعه، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «عُدَّتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، لَمْ تَطْعَمَهَا، وَلَمْ تَسْقِهَا، وَلَمْ تَتْرُكْهَا تَأْكُلْ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ»<sup>(٣)</sup>. وروى سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه<sup>(٤)</sup>، فقال: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُّوهَا صَالِحَةً»<sup>(٥)</sup>.

كما أمر الرسول ﷺ أن يُستخدم الحيوان فيما خُلِقَ له، وحدد الغرض الرئيسى من استخدام الدواب، فقال: «إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ»<sup>(٦)</sup>. ونهى الرسول ﷺ عن اتخاذه غرضًا... فهذا هو ذا ابن عمر رضي الله عنهما يمرُّ بفتيانٍ من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، فقال لهم: لعن الله من فعل هذا؛ إن رسول الله ﷺ لعن من اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا»<sup>(٨)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١١٦) كتاب اللباس والزينة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٥١٥) كتاب الذبائح والصيد.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٦٥) كتاب المساقاة- ومسلم (٢٢٤٢) كتاب السلام.

(٤) لحق ظهره ببطنه: أى ظهر عليه الهزال من الجوع -انظر: العظيم آبادى: عون المعبود فى شرح سنن أبى داود (٤٤٨/٥).

(٥) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن حبان، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٣).

(٦) تتخذوا ظهور دوابكم منابر: كناية عن القيام عليها؛ لأنهم إذا خطبوا على المنابر قاموا، والمعنى: لا تجلسوا على ظهورها فتوقفونها وتحدثون بالبيع والشراء وغير ذلك، بل انزلوا واقضوا حاجاتكم، ثم اركبوا- انظر: العظيم آبادى: عون المعبود (١٦٩/٧).

(٧) صحيح: رواه أبو داود، والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٩١).

(٨) صحيح: رواه مسلم (١٩٥٨) كتاب الصيد والذبائح.

ومن أهم ما أصَّله النبي ﷺ من حقوق الحيوان كذلك ما كان من وجوب الرحمة والرفق به، وقد تجسَّد ذلك في قول رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بَيْتْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ<sup>(١)</sup>، يَأْكُلُ الثَّرَى<sup>(٢)</sup> مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبَيْتْرَ فَمَلَأَ حُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»<sup>(٣)</sup>. قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا<sup>(٤)</sup>؟ فقال: «في كل ذات كبدٍ رطبة أجر»<sup>(٥)</sup>.

ومن مظاهر شفقتة ورحمته ﷺ كذلك ما يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قائلاً: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمْرَةً<sup>(٦)</sup> مَعَهَا فَرَحَانٍ فَأَخَذْنَا فَرَحَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ<sup>(٧)</sup>، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدِهَا؟ رُدُّوْا وَلَدَهَا إِلَيْهَا»<sup>(٨)</sup>.

كما أمرنا الرسول ﷺ أن نختار للدواب المراعى الخصبة، وإن لم تُوجد فعلى أصحاب هذه الدواب أن يتقلوا بها إلى مكانٍ آخر.

(١) يلهث: يرتفع نفسه بين أضلاعه، أو يخرج لسانه من شدة العطش والحر-انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (٤١/٥)، وابن منظور: لسان العرب، مادة لهث (١٨٤/٢).

(٢) الثرى: التراب الندي، وقيل: أى يعضُّ أو يكدم الأرض الندية-انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (٤١/٥)، وابن منظور: لسان العرب مادة ثرا (١١٠/١٤).

(٣) شكر الله له فغفر له: أى تقبله الله منه وأثابه عليه بتجاوزه عن ذنوبه... وشكر الله هو الثواب على الطاعة، ولا يشكر الله سعيًا ولا عملاً إلا أثاب عليه-انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (٢٧٨/١).

(٤) يعنون: أيقون لنا في سقى البهائم والإحسان إليها أجر؟!.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٦) كتاب المظالم والغصب- ومسلم (٢٢٤٤) كتاب السلام.

(٦) الحمرة: طائر صغير كالعصفور-انظر: العظيم آبادى: عون المعبود (٢٤٠/٧)، وابن منظور: لسان العرب مادة حمر (٢٠٨/٤).

(٧) تفرش أى: ترفرف، والتفريش أن ترتفع وتُظلل بجناحيها على من تحتها.

(٨) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٥)، وصحيح الجامع (٢٤٢٥) - وأصله فى صحيح مسلم.



يقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيَرْضَى بِهِ، وَيَعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يَعِينُ عَلَى الْعُنْفِ، فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجَمَ فَأَنْزِلُوهَا مَنْزِلَهَا، فَإِنْ كَانَتْ الْأَرْضُ جَدْبَةً فَانْجُوا عَلَيْهَا بِنَقِيهَا»<sup>(١)</sup>...»<sup>(٢)</sup>.

على أن هناك درجة أخرى أعلى من الرحمة وأثمن أوجبها النبي ﷺ في معاملة الحيوان، وهى: الإحسان إليه واحترام مشاعره... وإن أعظم تطبيق لهذا الخلق حين ينهى الرسول ﷺ عن تعذيبه أثناء الذبح لأكل لحمه، سواء كان التعذيب جسدياً بسوء اقتياده للذبح، أو برداءة آلة الذبح، أو كان التعذيب نفسياً برؤية السكين؛ ومن ثم يجمع عليه أكثر من مائة!

فقد روى شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»<sup>(٣)</sup>.

كما روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا أَضْجَعَ شَاةً يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهَا - وَهُوَ يَحْدُ شَفْرَتَهُ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوَاتٍ هَلَّا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا»<sup>(٤)</sup>.

وهكذا حق للحيوان أن ينعم بالأمن والأمان، والراحة والاطمئنان في بيئة علا فيها قول رسول الله ﷺ، وطُبقت فيها أفعاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) النقي: الشحم والودك، والمعنى أن ينجو عليها وهى في عافيتها، حتى يحصل في بلد الخصب، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة نقا (٣٣٨/١٥).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذباح.

(٤) صحيح: رواه الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٣).

## العدل في حياة المصطفى ﷺ

وإذا أردنا أن نتكلم عن العدل فلا نستطيع أبداً أن ننسى أستاذ البشرية كلها الذي ربّاه الحق عزّ وجلّ وصنعه على عينه ليربى به الأمم والأجيال - بأبى هو وأمى ﷺ - وسأكتفى بذكر بعض المواقف من عدل النبي ﷺ وذلك؛ لأن الحديث عن عدل النبي ﷺ... يحتاج إلى مجلدات ومع ذلك فلن نستطيع أن نوفيه حقه ﷺ.

✽ قال ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»<sup>(١)</sup>.

✽ وها هي صورة عالية من عدل النبي ﷺ:

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ؟»، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»<sup>(٢)</sup>.

✽ إن الإمام العادل يضع نصب عينيه قول رسول الله ﷺ وهو القدوة والأسوة: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَفَارِقَكُمْ وَلَا يَطْلُبَنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِمَظْلَمَةٍ ظَلَمْتُهُ»<sup>(٣)</sup>.

## وهذه صورة لعدل النبي ﷺ بين أصحابه

✽ لقد كان النبي ﷺ يحذر أصحابه من أن يأتي واحد منهم إلى النبي ﷺ فيتكلم كلاماً جميلاً ليأخذ حق أخيه.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧) كتاب الإمامة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٧٥) كتاب أحاديث الأنبياء - ومسلم (١٦٨٨) كتاب الحدود.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٤٨٠).



✽ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتَ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

✽ وكان النبي ﷺ لا يشهد على أى شىء فيه ظلم أبداً.

✽ عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنه، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ<sup>(٢)</sup>.

✽ وكان يوصى أصحابه دائماً أن يتقوا الله في إخوانهم ولا يظلم بعضهم بعضاً.

✽ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَنِلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي: «أَسَابَيْتَ فُلَانًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «إِنَّكَ أَمْرُؤٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ» قُلْتُ عَلَى حِينِ سَاعَتِي: هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السَّنِّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يَكْلَفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

✽ بل ها هو ﷺ يقدم نفسه للقصاص.. وهو من هو؟

هو رسول الله ﷺ وخير خلق الله أجمعين.

فبينما كان رسول الله ﷺ يعدل صفوف جيشه، مرَّ بسوادِ بنِ عَزِيَّةَ وهو خارج عن الصفِّ، فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ بِعُودٍ كَانَ فِي يَدِهِ، قَائِلاً: «اسْتَوِ يَا سَوَادُ»، وهنا قال

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٨٠) كتاب الشهادات - ومسلم (١٧١٣) كتاب الأفضية.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٥٨٧) كتاب الهبة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٠٥٠) كتاب الأدب.

سواد: أَوْجَعْتَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، ثُمَّ طَلَبَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يُعْطِيَ الْقِصَاصَ مِنْ نَفْسِهِ قَائِلًا: أَقِدْنِي، فَلَمْ يَتَرَدَّدْ ﷺ، وَكشَفَ عَنْ بَطْنِهِ ﷺ لِيَقْتَصَّ مِنْهُ سَوَادٌ قَائِلًا لَهُ: «اسْتَقِدْ»، وَلَكِنْ سَوَادًا بَدَلًا مِنْ أَنْ يُطْعَنَ فِي بَطْنِ الرَّسُولِ قِصَاصًا، أَخَذَ يُقْبِلُهَا، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ؟».

قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَضَرَ مَا تَرَى - يَعْنِي الْقِتَالَ -، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرٍ<sup>(١)</sup>.

### وهذه صورة مشرقة لعدله بين أزواجه ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ (لعروة بن الزبير): «يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُفْضَلُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسَمِ، مِنْ مَكْتَبِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا، فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَيَّ الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتُ عِنْدَهَا...»<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضْرَبَتْ - الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا - يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَقَّ الصَّحْفَةَ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمَّكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كُسِرَتْ<sup>(٣)</sup>.

(١) حسن: رواه أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/٢٦٦-سيرة ابن هشام) ومن طريقه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/٣٣٢)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٣٥).

(٢) حسن: رواه أبو داود، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٧٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٢٢٥) كتاب النكاح.



## بل هذا عدله ﷺ مع المشركين

فقبل وفاة النبي ﷺ بعامين أرسل أسامة بن زيد رضي الله عنه على سرية خرجت للقاء بعض المشركين الذين يناوئون الإسلام والمسلمين وكانت تلك أول إمارة يتولاها أسامة.

قَالَ أُسَامَةُ رضي الله عنه: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحِرْقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنَتْهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ، حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ <sup>(١)</sup>.

❁ وفي رواية قال: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا زَالَ يُرِدُّهَا عَلَيَّ حَتَّى لَوَدِدْتُ أَنَّ مَا مَضَى مِنْ إِسْلَامِي لَمْ يَكُنْ، وَأَنِّي كُنْتُ أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ وَأَنِّي لَمْ أَقْتُلْهُ قَالَ: قُلْتُ: أَنْظِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَعَاهِدُ اللَّهَ أَنْ لَا أَقْتُلَ رَجُلًا يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَبَدًا، قَالَ: «تَقُولُ بَعْدِي يَا أُسَامَةُ» قَالَ: قُلْتُ: بَعْدَكَ.

وإذا بهذا الدرس العظيم ينتفع به أسامة رضي الله عنه.

فإنه لما حدثت الفتنة بين (على) و(معاوية) رضي الله عنه اعتزل أسامة تلك الفتنة وقال: «لَا أَقَاتِلَ أَحَدًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

❁ وعن أبي مسعود الأنصاري قال:

كُنْتُ أَضْرِبُ مَمْلُوكًا لِي، فَسَمِعْتُ قَائِلًا مِنْ خَلْفِي يَقُولُ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» فَالْتَفَتُ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، أَنْ اللَّهَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٦٩) كتاب المغازي - ومسلم (٩٦) كتاب الإيمان.

أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ» قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: فَمَا ضَرَبْتَ مَمْلُوكًا بَعْدَ ذَلِكَ (١).

❁ وها هو ﷺ يحرص على هداية هذا الغلام اليهودي في أثناء مرضه.

فقد روى الإمام البخاري، عن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَاتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» (٢).

### النبي ﷺ يدعو الكون كله للعدل

لقد كان النبي ﷺ يدعو الكون كله للتحلى بخلق العدل لتسود المحبة بين الناس أجمعين.

فها هو ﷺ يقول: «إِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا، وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ» (٣).

ويخبر النبي ﷺ أن العدل صدقة تُكتب في ميزان العبد.

قال ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ...» (٤).

وأخبر النبي ﷺ أن الإمام العادل لا تُرد دعوته فقال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ...» (٥).

بل وأخبر النبي ﷺ أن العدل من أعظم أسباب النجاة فقال ﷺ: «ثَلَاثُ كَفَّارَاتٍ وَثَلَاثُ دَرَجَاتٍ وَثَلَاثُ مُنْجِيَّاتٍ وَثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ... وَأَمَّا الْمُنْجِيَّاتُ:

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٥٩) كتاب الأيمان.

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٣٥٦) كتاب الجنائز.

(٣) حسن: رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٠٧) كتاب الصلح - ومسلم (١٠٠٩) كتاب الزكاة.

(٥) ضعيف: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٩٢).



فَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا...»<sup>(١)</sup>.

❁ وأخبر النبي ﷺ أن أهل العدل يكونون يوم القيامة في ظل عرش الرحمن فقال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ. يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ...»<sup>(٢)</sup>.

❁ بل وأخبر أن أهل العدل يكونون يوم القيامة على منابر من نور فقال ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَّوْا»<sup>(٣)</sup>.

❁ بل وأخبر أنهم من أهل الجنة فقال ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ فَقِيرٌ عَفِيفٌ مَتَّعِفٌ ذُو عِيَالٍ»<sup>(٤)</sup>.

ولقد أمر رسول الله ﷺ بالعدل مع عامة الناس وخاصتهم حتى الوالد في ولده فقال: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطَاءِ»<sup>(٥)</sup>.

وأمر الزوج بالعدل بين الزوجات، بل أمر الإنسان نفسه أن يعدل بين نفسه فإذا انقطعت شرك إحدى نعليه فعليه خلع الأخرى، وقال: «لِيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا أَوْ لِيُخْلِعْهُمَا جَمِيعًا»<sup>(٦)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) حسن: رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان - ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٢٥٨٧) كتاب الهبة.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٥٥) كتاب اللباس - ومسلم (٢٠٩٧) كتاب اللباس والزينة.

## كِرْمَهُ

✽ إن الإسلام هو دين الجود والكرم والإيثار... ولذا جاءت الآيات والأحاديث لتحض الناس على البذل والجود والكرم.. وجاء الوعد من الله ومن رسول الله ﷺ بالعوض في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٣١) ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٧٢) ﴿٢﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٧٢) ﴿٣﴾.

✽ وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثَلَاثَةٌ أَقْسَمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ...» (٤).

✽ وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيَعْلَمُهَا» (٥).

(١) سورة سبأ: الآية: (٩٣).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٧٢).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٧٣).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣) كتاب العلم - ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

وقال عمر: تفقهوا قبل أن تُسودوا - قال أبو عبد الله وبعد أن تُسودوا وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم.

✽ قال الإمام النووي رحمته الله:

قوله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ» قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقي ومجازي، فالحقيقي: تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة.





معناه: ينبغي أن لا يُغبط أحدٌ إلا على إحدى هاتين الخصلتين.

✽ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ . قَالَ: « فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ ، وَمَالٌ وَارِثِهِ مَا آخَرَ » (١).

✽ وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » (٢). وقال رسول الله ﷺ: « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهَا ، كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » (٣).

✽ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُسْكًا تَلْفًا » (٤).

✽ وقال رضي الله عنه: « صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقَى مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَالْآفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ » (٥).

✽ وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا ، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ ، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ ، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَاهُ صَدَقَةٌ » (٦).

وأما المجازي: فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة. والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما.

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٤٢) كتاب الرقاق.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٢٣) كتاب الأدب - ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٠) كتاب الزكاة - ومسلم (١٠١٤) كتاب الزكاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة - ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٥) صحيح: رواه الحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٩٥).

(٦) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٠٨).

❁ ولقد كان النبي ﷺ أجود الناس وأكرم الناس حتى وصفه الحق (جل وعلا) بالكرم والجود فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وكانت حياته كلها تطبيقًا عمليًا لكل ما جاء في القرآن.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ.. فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»<sup>(٢)</sup>.

❁ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَدْخِرُ شَيْئًا لِعَدِيٍّ»<sup>(٣)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ يقول: «مَا يَسْرُنِي أَنْ عِنْدِي مِثْلَ أَحَدٍ هَذَا ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِلدِّينِ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ...<sup>(٤)</sup>.

ويروى عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْسُوكَ هَذِهِ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبَسَهَا، فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَ هَذِهِ، فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: «نَعَمْ» فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَمَةِ أَصْحَابِهِ، قَالُوا: مَا أَحْسَنَتْ حِينَ رَأَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبَسَهَا النَّبِيُّ ﷺ، لَعَلِّي أَكْفَنُ فِيهَا... وفي رواية قال سهل: فَكَانَتْ كَفَنَهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الحاقة: الآية: (٤٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦) كتاب بدء الوحي - ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٤٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٦٨) كتاب الاستئذان - ومسلم (٩٩١) كتاب الزكاة.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٦٠٣٦) كتاب الأدب.

ومن خلال هذا الموقف ندرک معنى حديث جابر رضي الله عنه: «مَا سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ، فَقَالَ: لَا»<sup>(١)</sup>.

✽ وعن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

✽ وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا: الْغَرَاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ»<sup>(٣)</sup>.

✽ وعن ابن شهاب قال: غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتَحَ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَانصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ. وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةَ مِنَ النَّعْمِ ثُمَّ مِائَةَ ثُمَّ مِائَةَ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ»<sup>(٤)</sup>.

✽ وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أَعْطَيْنَاكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» وَقَالَ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا، فَقَبِضَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ. فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بَعْدَهُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: مَنْ كَانَتْ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِ، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْنَاكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» فَحَتَّى أَبُو بَكْرٍ مَرَّةً، ثُمَّ قَالَ لِي: عُدَّهَا، فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ، فَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا»<sup>(٥)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٣٤) كتاب الأدب- ومسلم (٢٣١١) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٤٠) كتاب الجهاد- ومسلم (٢٣٠٧) كتاب الفضائل.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٨٣٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٣) كتاب الفضائل.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٤) كتاب الفضائل.

بل ها هي أمانة خديجة رضي الله عنها تشهد لحبيب الله صلى الله عليه وسلم في أول البعثة عندما نزل عليه الوحي لأول مرة فعاد إليها خائفاً فقالت له بكل ثقة و يقين: «والله لا يُخزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ».

فكأنها أرادت أن تقول له: كيف يُخزِي اللهُ عبداً قد تحلّى بتلك المكارم التي لا تجتمع أبداً إلا في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❁ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا <sup>(١)</sup>.

❁ وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَسَمًا، فَقُلْتُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، لَغَيْرِ هَؤُلَاءِ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ، قَالَ: «إِنَّهُمْ خَيْرُونِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ أَوْ يُبْخَلُونِي، فَلَسْتُ بِبَاخِلٍ» <sup>(٢)</sup>.

❁ وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمْرَةَ، فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعْمًا، لَقَسَمْتُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَحْدُونِي بِخِيَلٍ وَلَا كَذَابًا وَلَا جَبَانًا» <sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٢) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٥٦) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٨٢١) كتاب الجهاد.

❁ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ ». قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتْفُهَا. قَالَ: « بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتْفِهَا » (١).

ومعناه: تصدقوا بها إلا كتفها فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها.

❁ كان النبي ﷺ يعلم يقيناً أن المال وسيلة وليست غاية. فاستخدمه في تأليف قلوب زعماء مكة كأبي سفيان، وحكيم بن حزام، والحارث بن هشام أخو أبي جهل، والنضير بن الحارث أخو النضر بن الحارث شيطان قريش المعروف، والذي كان من ألد أعداء الرسول ﷺ،... كما أعطى زعماء القبائل من الأعراب كعبيدة بن حصن زعيم قبيلة بني فزار، والأقرع بن حابس زعيم بني تميم (٢)؛ فكان جوده وكرمه سبباً من أسباب رسوخ الإسلام في قلوب هؤلاء، وغدت كلمة أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خيراً دليل على حالهم: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لِمَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» (٣).

❁ ولقد كان النبي ﷺ جواداً كريماً حتى آخر لحظة في حياته.

وها هي صورة من كرمه يعجز القلم عن وصفها - وهو على فراش

الموت -:

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: اشْتَدَّ وَجَعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ سَبْعَةُ دَنَابِيرٍ أَوْ تِسْعَةٌ فَقَالَ: « يَا عَائِشَةُ مَا فَعَلْتَ تِلْكَ الذَّهَبُ؟ » فَقُلْتُ: هِيَ عِنْدِي. قَالَ: « تَصَدَّقِي بِهَا » قَالَتْ: فَشَغِلْتُ بِهِ ثُمَّ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ مَا فَعَلْتَ تِلْكَ الذَّهَبُ؟ » فَقُلْتُ: هِيَ عِنْدِي فَقَالَ: « ائْتِنِي بِهَا » قَالَتْ: فَجِئْتُ بِهَا، فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ، ثُمَّ قَالَ: « مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ أَنْ لَوْ لَقِيَ اللَّهُ وَهَذِهِ عِنْدَهُ؟ » (٤).

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٤٤).

(٢) انظر: ابن الأثير: أسد الغابة (٤/٢٨٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨٢٢، ١٨٢٣)، والطبري: تاريخ الأمم والملوك (٢/١٧٥)، وابن كثير: البداية والنهاية (٤/٣٦٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٢) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠١٤).

ثم ها هي أم سلمة (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تدخل عليه فتجده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو ساهم الوجه، فقالت: فحسبت أن ذلك من وجع، فقلت: يا رسول الله، ما لك ساهم الوجه؟ فقال: «مِنْ أَجْلِ الدَّنَائِرِ السَّبْعَةِ الَّتِي أَتْنَا أَمْسٍ، وَلَمْ نَقْسِمَهَا وَهِيَ فِي خُصْمِ الْفِرَاشِ» (٢). وفي رواية: «أَتْنَا وَلَمْ نُنفِقْهَا» (٣).

### النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحمل البشري لكل من حوله

إن الناس يحبون من يحمل لهم البشري.  
ولقد كان النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحرص كل الحرص على أن يحمل البشري للناس من حوله... فيها هو يبشر خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بيت في الجنة من اللؤلؤ المجوف.  
عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ (٥)، لَا صَخَبَ (٦) فِيهِ وَلَا نَصَبَ (٧)» (٨).

وها هو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبشر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالبراءة في قصة الإفك.  
وها هو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبشر كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالبراءة بعدما تخلف عن غزوة تبوك ثم نزلت توبة الله عليه بعد خمسين يوماً.

- (١) أم سلمة: هي هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، القرشية، المخزومية، أم المؤمنين - انظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة ١٥٠ ترجمة (١١٨٤٥).
- (٢) خصم الفراش: طرفه وجانبه - انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة خصم (١٢ / ١٨٠).
- (٣) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٥١٣٨).
- (٤) رواه أحمد، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.
- (٥) من قصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف.
- (٦) صخب: هو الصوت المختلط المرتفع.
- (٧) نَصَبٌ: المشقة والتعب.
- (٨) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢٠) كتاب مناقب الأنصار - ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

❁ وها هو ﷺ يبشر بعض الصحابة بالجنة.

❁ وها هو ﷺ يبشر أبا بكر رضي الله عنه بأنه يُدعى يوم القيامة من أبواب الجنة

الثمانية.

❁ وها هو ﷺ يبشر أمته بأن مَنْ مات على التوحيد فإنه سيكون من أهل

الجنة.. حتى وإن عُدّب ببعض ذنوبه فإن مصيره في النهاية بأن يكون في الجنة.

❁ وها هو ﷺ يبشر بعض أصحابه بأن الجنة تشتاق إليهم.

قال ﷺ: « إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَيَّ ثَلَاثَةً: عَلِيٌّ، وَعَمَّارٌ، وَسَلْمَانَ »<sup>(١)</sup>.

❁ بل ويبشر ﷺ بلالاً بأنه سمع صوت نعليه أمامه في الجنة.

❁ وهكذا كان النبي ﷺ يحرص كل الحرص على حمل البشري لكل من

حوله.

❁ أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة:

أين نحن من تلك الصفة؟..... ولماذا لا نحمل البشري لكل من حولنا

لندخل عليهم السعادة والسرور.

- فإن علم الواحد منا خيراً يُدخل الفرحة والسرور على قلب أخيه فلماذا لا

يبادر ويكون أول مَنْ يبشره... فهذا كله من كمال الإيمان.

- فلنحرص كل الحرص على أن نحمل البشريات الجميلة لإخواننا لتسعد

قلوبهم ويكون ذلك كله في ميزان حسناتنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) حسن: رواه الترمذى، والحاكم، وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (١٥٩٨).

## بكاء النبي ﷺ

لقد كان النبي ﷺ كثير البكاء قريب الدمع وذلك لأنه كان رقيق القلب.

### كان بكاء النبي ﷺ في ثلاثة أحوال

ولقد كان بكاء النبي ﷺ في ثلاثة أحوال:

- (١) عند موت الأحباب.
- (٢) عند هجر الأوطان.
- (٣) بكأؤه من خشية الله (جل وعلا).

### أولاً: بكأؤه عند فراق الأحباب

وُلد النبي ﷺ يتيماً.. فقد مات أبوه وهو حَمْلٌ في بطن أمه فإنه لما حملت به أمه خرج أبوه بعد فترة يسيرة من الحمل لبيحت عن لقمة العيش. وذهب في رحلة الصيف إلى الشام فمرض في الطريق ووافته المنية فمات في طريق العودة.

وكانت آمنة بنت وهب تنتظر زوجها عبد الله لتكتمل سعادتها ولكن سرعان ما وصل إليها خبر موته ففاضت دموعها على خديها ولم تكن تتخيل أن تفقد زوجها بهذه السرعة.

✽ لقد مات عبد الله بالمدينة المنورة وهو راجع وترك هذه النسمة الطاهرة... وكان القدر يقول له: لقد انتهت مهمتك في الحياة، وهذا الجنين الطاهر يتولى الله ﷻ بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.





وتمر الأيام ويُولد النبي ﷺ في عام الفيل وتأخذه حليلة السعدية لترضعه ثم تعود بعد فترة لترده إلى أمه آمنة بنت وهب.

### وفاة أمه ( عليه الصلاة والسلام )

أخذت آمنة طفلها المبارك واحتضنته وأغدقت عليه حبًا وحنانًا فهي تشعر أنه خير غلام أنجبته أرض العرب.

✽ وفي يوم من الأيام أخذته أمه لزيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار بعد أن استأذنت من جده عبد المطلب الذي كان لا يطيق فراق حفيده أبدًا.. وكان النبي ﷺ قد بلغ السادسة من عمره.

✽ فخرجت آمنة متجهة إلى يثرب (المدينة المنورة) ومعها ابنها المبارك ومعها أم أيمن (جارية عبد المطلب).

ولما وصلوا يثرب ورآه أخواله فرحوا به فرحًا شديدًا ولم يأذنوا لأمه بالعودة إلا بعد إلحاح شديد.

✽ وفي طريق العودة من يثرب إلى مكة... وفي مكان بين مكة والمدينة اسمه الأبواء أحست آمنة بالآلام شديدة أوقفتها عن المسير... ونظر محمد ﷺ إلى أمه فإذا هي في النزاع الأخير فنزفت دموعه وهو يرى أمه تموت أمام عينيه.

وماتت أمه بالأبواء ودُفنت هناك... فنظر النبي ﷺ إلى أم أيمن وبكى وقال لها: «يا أم أيمن أنت أمي بعد أمي».

✽ وفي هذه اللحظة احتضنته أم أيمن ودموعها على خديها وعادت به إلى مكة وتوجهت به إلى بيت جده عبد المطلب الذي احتضن حفيده وبكى بعدما علم ما حدث له.

وكان عبد المطلب يخاف عليه خوفًا شديدًا فكان يوصي أم أيمن ويقول لها: لا تغفلي لحظة واحدة عن محمد ﷺ.

## وفاة جده عبد المطلب

وبعد فترة يسيرة نام عبد المطلب على فراش الموت... وقد كان يتمنى أن يعيش طويلاً من أجل أن يرى حفيده المبارك ﷺ. ولكن جاءت اللحظة الحاسمة ومات عبد المطلب جد النبي ﷺ وكان النبي ﷺ يبلغ من العمر ثمان سنوات.

وكان عبد المطلب قد أوصى ابنه أبا طالب في اللحظات الأخيرة أن يكفل محمداً ﷺ ويرعاه... فلما مات عبد المطلب كفل أبو طالب النبي ﷺ وأخذه إلى بيته ليعيش مع أولاده... ومرّت الأيام وكبر النبي ﷺ وأصبح خاتم الأنبياء وصدع بكلمة التوحيد فعادته قريش عن بكرة أبيها...

وكان عمه أبو طالب قد تكفل بحمايته من بطش قريش وأذاها فلطالما دافع عنه ودفع عنه أذى المشركين.

✽ ولكن قريشاً أخذت تُضيق على النبي ﷺ وأصحابه حتى كتبوا تلك الصحيفة الظالمة وحبسوا النبي ﷺ وأصحابه في شعب أبي طالب ثلاث سنوات إلى أن سعى بعض الناس في نقض هذه الصحيفة فرجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة.

## عام الحزن

وما إن خرج النبي ﷺ وأصحابه من شعب أبي طالب حتى تتابعت عليه المحن والأحزان... فقد مات عمه أبو طالب الذي كان يدافع عنه وينصره... ولم تكن المصيبة في موته فحسب بل كانت المصيبة في أنه مات كافراً مع أن النبي ﷺ كان يتابعه بالدعوة حتى آخر لحظة في عمره.

✽ وما كاد النبي ﷺ يخلع ثوب الحزن على عمه حتى فُجع بموت زوجته



وشريكة عمره خديجة رضي الله عنها التي آزرته ونصرته وبذلت نفسها ومالها لنصرة هذا الدين... وكانت نعم الزوجة.

وكانت وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوة، ولها خمس وستون سنة على أشهر الأقوال، ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره. وحزن النبي ﷺ لموتها حزناً شديداً فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التي آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نصرة هذا الدين كل غالٍ ونفيس فلم يستطع النبي ﷺ أن ينساها أبداً وكان يحمل لها وفاءً يعجز القلم عن وصفه.

### وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ

وبعد هجرة النبي ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة تمر الأيام وتأتي غزوة بدر التي كتب الله فيها النصر للنبي ﷺ وأصحابه. وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو في غاية السعادة والسرور لهذا النصر الذي أكرمه الله به... وكان النبي ﷺ قد خلف عثمان بن عفان رضي الله عنه لأن زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ كانت مريضة جداً.. فلما عاد النبي ﷺ من غزوة بدر علم أن رقية قد ماتت ودُفنت فاحتسبها عند الله ورضى بقضاء الله (جل وعلا).

### وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

فلما توفيت رقية رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عثمان بن عفان من ابنته أم كلثوم رضي الله عنها.. ولذلك كان عثمان يُسمى بندي النورين لأنه تزوج بنتين من بنات الرسول ﷺ.

وفي شهر شعبان سنة تسع من الهجرة النبوية المباركة، شعرت أم كلثوم بقرب لقاء الله ﷻ، ونزل بها المرض، فأضحت طريحة الفراش.

وصعدت روح أم كلثوم إلى ربه اراضية مرضية تشهد شهادة الحق، وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وأم عطية الأنصارية (رضى الله عنهن) وصلى عليها النبي الكريم ﷺ، ومن ثم انطلقت الجنازة إلى البقيع، ووُضعت أم كلثوم في قبرها<sup>(١)</sup>.

ورسول الله ﷺ راضٍ بقضاء الله وقدره، صابراً في غير سخط، دامعاً بغير صوت، حزيناً بلا جزع، متألماً بلا هلع، قدوة في كل أمر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

وقدمت جميع أبناء النبي ﷺ كلهم في حياته إلا فاطمة رضي الله عنها.

### وفاة حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ

وفي غزوة أحد تجددت الأحزان في قلب النبي ﷺ باستشهاد عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسد الله وأسد رسول الله ﷺ.

ويبكي النبي ﷺ لموت حمزة ويحزن عليه حزناً شديداً.

❁ بل ويحزن النبي ﷺ على كل أصحابه الذين قُتلوا يوم أحد.

### حزن النبي ﷺ على قواده الثلاثة في سرية مؤتة

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبْرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

(١) نساء أهل البيت (٥٢٥، ٥٢٦) باختصار.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦٢) كتاب المغازي.



## حزن النبي ﷺ على جعفر ﷺ

وهنا يذهب الحبيب ﷺ إلى أسماء بنت عميس ﷺ ليلبغها خبر استشهاد زوجها.. ويأله من مشهد يجعل القلوب تبكى الدماء بدل الدموع.

عن أسماء ابنة عميس، قالت: لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ دَبَعْتُ، وَعَجَنْتُ عَجِينِي، وَغَسَلْتُ بَنِيَّ وَدَهَنْتُهُمْ وَنَظَفْتُهُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَيْتَنِي بِبَنِي جَعْفَرٍ».

قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ فَشَمَّمَهُمْ وَذَرَفْتُ عَيْنَاهُ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا يُبْكِيكَ؟ أَبْلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ؟

قَالَ: «نَعَمْ، أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ»، قَالَتْ: فَقُمْتُ أَصِيحُ وَاجْتَمَعَ إِلَيَّ النِّسَاءُ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ.

فَقَالَ: «لَا تُعْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

## حزن النبي ﷺ على زيد بن حارثة ﷺ

وفي غزوة مؤتة كان (أسامة بن زيد) يقاتل مع أبيه وتحت لوائه وكان عمره وقتها لم يبلغ الثامنة عشرة، وهناك على أرض الشرف رأى بعينه مصرع أبيه، وقد شاط في رماح القوم فقتل شهيداً.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا قُتِلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَبْطَأَ أُسَامَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّ يَأْتِيهِ ثُمَّ جَاءَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا نَزَفَتْ عَبْرَتُهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِمَ أَبْطَأْتَ عَنَّا، ثُمَّ جِئْتَ تُحْزِنُنَا؟» قَالَ: فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ جَاءَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مُقْبِلًا قَالَ: «إِنِّي لَلْآقِ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا لَقِيتُ مِنْكَ

(١) حسن رواه أحمد، وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥١٨).

أَمْسٍ» فَلَمَّا دَنَا دَمَعَتْ عَيْنُهُ فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١).

## ثانياً : بكاء النبي ﷺ عند هجر الأوطان

لما رفض أهل مكة أن يُسلموا الله (جل وعلا) أراد النبي ﷺ أن يبحث عن أرضٍ أخرى تقبل بذرة التوحيد... فخرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه من أجل أن يُبلِّغ هذه الرسالة.

فلما انتهى النبي ﷺ إلى الطائف ذهب إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم: عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرته الإسلام، فقال أحدهم: هو يَمْرُطُ ثياب الكعبة (أى يمزقها) إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وَجَدَ اللهُ أحداً غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً... إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام! ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك، فقام عنهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «إذ فعلتم ما فعلتم فاکتموا عني».

وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به عبيدهم، فلما أراد الخروج تَبِعَهُ عبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له صفيين وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السَّفَه، ورجموا عَرَاقِيه، حتى اختضب نعلاه بالدماء - فداه أبى وأمى ونفسى - وكان زيد ابن حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقيه بنفسه حتى أصيب بجرح في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه ﷺ إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه.

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٦٦٩٨)، وإسناده صحيح.



وأتى رسول الله ﷺ إلى شجرة عنب فجلس تحت ظلها إلى جدار، ودعا ربه فقال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»<sup>(١)</sup>.

### خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة

وتمر الأيام ويشتد الإيذاء على النبي ﷺ وأصحابه فيأذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة بعد أن شعر أن أصحابه سيكونون في أمان في هذا المكان وذلك بعد أن بايعه أهلها بيعة العقبة الثانية.

فهاجر أصحاب الرسول ﷺ وتركوا الديار والأوطان ليفوزوا بنعمة الإسلام والتوحيد.

ثم هاجر بعدهم النبي ﷺ وهو ينظر إلى مكة ويبكى ويقول: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت».

### ثالثاً: بكاء النبي ﷺ من خشية الله (جل وعلا)

لقد كان النبي ﷺ أخشى الناس لله عز وجل وكان يقول عن نفسه ﷺ: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أنفى»<sup>(٢)</sup>.

(١) ضعيف: رواه الطبراني في المعجم الكبير، والضياء في المختارة، وابن عدي، وعنه ابن عساكر، وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٩٣٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١١١٠) كتاب الصيام.

❁ وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكَ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى. وَاللَّهِ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى» (١).

❁ وعن عبد الله بن الشَّخِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: آتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ (٢).

❁ وعن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال عبيد ابن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي فقال: «يا عائشة ذريني أتعبد لربي»، قالت: قلت: والله إنني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بَلَ حِجْرَهُ، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَ الأَرْضَ، وجاء بلال يؤذن بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً لقد نزلت الليلة آيات ويلاً لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾» (٣) (٤).

❁ وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: «نَعَمْ فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى آتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

(١) حسن: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٨٤٠)، وصحيح الترغيب (٥٤٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٩٠).

(٤) حسن: رواه ابن حبان، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٨).





بشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾<sup>(١)</sup>. قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ<sup>(٢)</sup>.

## رفق النبي ﷺ

وإن كان حديثنا عن الحلم والرفق فلا نستطيع أن ننسى أبداً صاحب القلب الرحيم الرفيق الذي علّم الكون كله كيف يكون الحلم والرفق.  
- وإذا أردت أن أسلط الأضواء على صور من حلم النبي ﷺ ورفقه فإنني سأحتاج إلى سرد سيرته العطرة من أولها لآخرها ولكن حسبنا أن نلقى الضوء على بعض تلك المواقف العطرة.

﴿عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ<sup>(٣)</sup> مِنْ قَوْمِي، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا، قَالَ: «ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، وَلْيُؤَمِّمَكُمْ أَكْبَرَكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

﴿وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ<sup>(٥)</sup> عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ» قَالَتْ: «أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ: «أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة النساء: الآية: (١٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٥٨٢) كتاب التفسير.

(٣) النفر: جماعة من الرجال دون العشرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٨) كتاب الأذان - ومسلم (٦٧٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) السام: الموت.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٦٠٣٠) كتاب الأدب.

✽ وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا» <sup>(١)</sup> عَلَى بَوْلِهِ ذَنْبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجَلًا <sup>(٢)</sup> مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسَّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ» <sup>(٣)</sup>.

✽ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيْلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟» <sup>(٤)</sup> فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» <sup>(٥)</sup>.

✽ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قَمَنَّ يَتَدَرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَهْبَنَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبِنُنِي وَلَا تَهَبِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ? قُلْنَ:

(١) أهرق: أراق وأهدر.

(٢) السجل: الدلو المملوءة الكبيرة.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٢٠) كتاب الوضوء.

(٤) الأخشبين: جبلين بمكة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق - ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

نَعَمْ، أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفْظُ<sup>(١)</sup> مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا<sup>(٢)</sup> إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»<sup>(٣)</sup>.

✽ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَاتَجَوَّزُ<sup>(٤)</sup> مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةٍ وَجِدٍ<sup>(٥)</sup> أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ»<sup>(٦)</sup>.

✽ وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: «رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»<sup>(٧)</sup>. وقال عيسى عليه السلام: «إِن تُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»<sup>(٨)</sup>، فرجع يديه وقال: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي» وبكى فقال

الله عز وجل: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَيَّ مُحَمَّدٍ فَسَلِّمْهُ مَا يُبْكِيهِ؟» - وربك أعلم - . فأتاه

جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله: «يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَيَّ مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سُرَّضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ»<sup>(٩)</sup>.

✽ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ، عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا،

فَقِيلَ: هَلَكْتَ دَوْسٌ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ»<sup>(١٠)</sup>.

✽ وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِّلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ

(١) الفظاظة: شدة الخلق وخشونة الجانب.

(٢) الفج: الطريق الواسع.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق - ومسلم (٢٣٩٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) التجوز: التخفيف.

(٥) وجد أمه: حزنها.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٩) كتاب الأذان - ومسلم (٤٧٠) كتاب الصلاة.

(٧) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٨) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٩) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(١٠) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٣٧) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (٢٥٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

أَيَسَّرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُتْهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»<sup>(١)</sup>.

### خوف النبي ﷺ من المظالم

إن الخوف من المظالم ملأ قلوب الأنبياء والصالحين رُعبًا وخوفًا من قصاص يوم القيامة.

✽ فيها هو النبي ﷺ يطلب من أحد أصحابه أن يقتصر منه خوفًا من أن يلقي الله عز وجل يوم القيامة بأى مظلمة.

✽ عن محمد بن علي بن الحسين أبي جعفر الباقر: «أن النبي ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزية الأنصاري فقال: «يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني»<sup>(٢)</sup>»، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: «استقِدْ» قال: فاعتنقه فقبَّل بطنه، فقال: «مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ؟!».

قال يا رسول الله: «حَضَرَ مَا تَرَى، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ... فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرٍ، وَقَالَ لَهُ خَيْرًا»<sup>(٣)</sup>.

✽ ولذا كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أتخذ عندك عهدًا لن تُخلفنيه؛ فإنما أنا بشرٌ، فأیما مؤمنٍ آذيته، أو شتمته، أو جلدته، أو لعنته، فاجعلها له صلاةً وزكاةً وقربةً بها إليك يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٦٠) كتاب المناقب - ومسلم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل.

(٢) أقذني: خذ لى الحق من نفسك.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٥٩/٢)، وسنده حسن إلا أنه مرسل، وبسنده ما جاء عن عبد الله بن جبير الخزاعي في مجمع الزوائد (٢٨٩/٦)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجالها ثقات على ما في عبد الله ابن جبير من ضعف كما جاء في التهذيب (١٦٨/٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٦١) كتاب الدعوات - ومسلم (٢٦٠١) كتاب البر والصلة.

## صور من مزاح النبي ﷺ

❁ ولكي تكتمل الأسوة والقدوة في النبي محمد ﷺ فلقد استوعبت أحواله كل أحوال البشر.

فلقد كانت سيرة المصطفى ﷺ أنموذجاً متكاملًا للشخصية المسلمة المثالية من جميع الجوانب والمكونات.

(فهو في خلوته يصلّي ويطيل الخشوع والبكاء؛ حتى تتورم قدماه، وهو في الحق لا يبالي بأحد في جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بشراً سوي، يحب الطيبات، ويبش ويتسمم، ويداعب، ويمزح، ولا يقول إلا حقاً ﷺ).<sup>(١)</sup>

❁ هكذا كان النبي ﷺ أكثر الناس تبسُّماً وضحكاً في وجوه أصحابه وتَعْجُباً مما تحدثوا به وخلطاً لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه<sup>(٢)</sup>.

بل وفي الصحيحين من حديث جرير من حديث عليّ: يضحك مما تضحكون منه، ويتعجب مما تعجبون منه، ... وعند مسلم من حديث جابر بن سمرة: كانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم<sup>(٣)</sup>.

وتأمل معي ما قاله هذا الصحابي الجليل:

ففي الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجليّ رضي الله عنه أنه قال: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسَلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ، وَلَقَدْ شَكَّوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَتَّبِثُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»<sup>(٤)</sup>.

❁ روى أن امرأة عجوزاً جاءت تقول: يا رسول الله: ادع الله لي أن يدخلني

(١) الحلال والحرام. د / يوسف القرضاوي (ص: ٢٧٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي في الشمائل، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (ح ١٩٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٧٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٥)، (٣٠٣٦) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (٢٤٧٥) كتاب فضائل

الجنة، فقال لها: «يَا أُمَّ فُلَانٍ! إِنْ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَبْجُوزٌ»<sup>(١)</sup>.

فانزعجت المرأة وبكت، ظنًّا منها أنها لن تدخل الجنة، فلما رأى ذلك منها بين لها غرضه: أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزًا، بل يُنشئها الله خلقًا آخر، فتدخلها شابة بكرًا... وتلا عليها قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ غُرُبًا أَثْرَابًا﴾<sup>(٢)</sup>.

✽ وعن أنس أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ - أى طلب منه دابة يحمله عليها - فقال: «أَنَا حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ» فقال: مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فقال رسول الله ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقَ؟»<sup>(٣)</sup>.

✽ وعن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا، قال: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»<sup>(٤)</sup>.

✽ وعن أنس بن مالك قال: كَانَ ابْنُ لَأْمٍ سُلَيْمٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ رُبَّمَا مَازَحَهُ إِذَا جَاءَ... فَدَخَلَ يَوْمًا يُمَازِحُهُ، فَوَجَدَهُ حَزِينًا، فَقَالَ: «مَا لِي أَرَى أَبَا عُمَيْرٍ حَزِينًا؟». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ نَعِيرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّعِيرُ؟»<sup>(٥)</sup>.

✽ وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَدِيَّةِ كَانَ اسْمُهُ: زَاهِرُ بْنُ حِزَامٍ أَوْ حَرَامٍ قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ وَكَانَ دَمِيمًا، فَاتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ، فَقَالَ: أَرْسَلَنِي مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ

(١) صحيح: أخرجه الترمذى فى الشمالى، والبيهقى فى البعث، والبغوى فى الأنوار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٩٨٧).

(٢) سورة الواقعة: الآيات: (٣٥-٣٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى التعليق على المشكاة (٤٨٨٦)، وصحيح الجامع (٧١٢٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٠٩).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٠٣) كتاب الأدب - ومسلم (٢١٥٠) كتاب الآداب.



فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْزَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا<sup>(١)</sup>. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ - أَوْ قَالَ: لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ»<sup>(٢)</sup>.

❁ وها هو موقف آخر يوضح لنا كيف كان النبي ﷺ سهلاً لينا، لا تفارقه البسمة لكنه كان يضعها في موضعها.

ففي الحديث الذي رواه البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْأَلْنَهُ وَيَسْتَكْبِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ تَبَادَرَنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ: أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ فَقَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ»<sup>(٣)</sup> فَقَالَ: أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهْبَنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: يَا عَدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبِنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقُلْنَ: إِنَّكَ أَفْظٌ وَأَغْلَظٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيهَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا<sup>(٤)</sup> إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»<sup>(٥)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لَعِبٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟» قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ؟» قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟!» قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا

(١) كاسدًا: من الكساد وهو العطل والبوار.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد، والترمذي في الشمائل، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٢٠٤).

(٣) تبادرن الحجاب: أي: اختبان وراء الستارة.

(٤) فجًّا: الفج: هو الطريق الواسع.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق - ومسلم (٢٣٩٦) كتاب فضائل الصحابة.

أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ<sup>(١)</sup>.

✽ بل وصل الأمر إلى درجة رفيعة من الحلم والتواضع حتى إن النبي ﷺ كان يسابق أمنا عائشة رضي الله عنها لتعلم يقيناً أن النبي ﷺ لن يحرمها من اللطف والعطف والرعاية... فهي صفات راسخة في قلب الحبيب ﷺ الذي ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَكُنْتُ جَارِيَةً، لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْذُنْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا، تَقَدَّمُوا»، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ تَعَالَى حَتَّى أَسَابِقُكَ» فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى أَسَابِقُكَ»، فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقْتَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَيَقُولُ: «هَذِهِ بِنْتُكَ»<sup>(٢)</sup>.

### النبي ﷺ ونعمة الرضا

✽ كان رضا رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل فوق ما يصفه الواصفون، فهو راضٍ في الغنى والفقر، راضٍ في السلم والحرب، راضٍ وقت القوة والضعف، راضٍ وقت الصحة والسقم، راضٍ في الشدة والرخاء.

عاش ﷺ مرارة اليتيم، وأسى اليتيم، ولوعة اليتيم فكان راضياً، وافتقر ﷺ حتى ما يجد ردىء التمر، وكان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، ويقترض شعيراً من يهودى ويرهن درعه عنده، وينام على الحصير فيؤثر في جنبه، وتمر ثلاثة أيام لا يجد شيئاً يأكله، ومع ذلك كان راضياً عن الله رب العالمين: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي في الكبرى، وصححه الألباني في آداب الزفاف (ص ٢٠٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٣١).





تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٥﴾<sup>(١)</sup>.

ورضى عن ربه وقت المجابهة الأولى، يوم وقف هو في حزب الله، ووقفت الدنيا - كل الدنيا - تحاربه بخيلها ورجلها، بغناها وبزخرفها، بزهوها وبخيلائها، فكان راضياً عن الله.. رضى عن الله في الفترة الحرجة، يوم مات عمه وزوجته خديجة، وأوذى أشد الأذى، وكُذِّبَ أشد التكذيب، ورُمى في صدقه، فقيل له: كذاب وساحر، وكاهن ومجنون وشاعر.

ورضى يوم طُرد من بلده ومسقط رأسه التي فيها مراتع صباه وملاعب طفولته وأفانين شبابه، فيلتفت إلى مكة وتسيل دموعه، ويقول: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرِ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبِّ بِلَادِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا خَرَجْتُ»<sup>(٢)</sup>.

ورضى عن الله وهو يذهب إلى الطائف ليعرض دعوته، فيواجه بأقبح ردٍّ وبأسوأ استقبال، ويُرمى بالحجارة، حتى تسيل قدماه، فيرضى عن مولاه. ويرضى عن الله وهو يخرج من مكة مُرْعَمًا، فيسير إلى المدينة ويُطارَد بالخيل، وتوضع العراقيل في طريقه أينما ذهب.

يرضى عن ربه في كل موطن، وفي كل مكان وفي كل زمان. يحضر أحداً ﷺ فيُشج رأسه، وتكسر نيتته، ويُقتل عمه ويُذبح أصحابه، ويُغلب جيشه، فيقول: «صُفُّوا ورائي لأُثني على ربي».

يرضى عن ربه وقد ظهر حلف كافر ضده من المنافقين واليهود والمشركين، فيقف صامداً متوكلاً على الله، مفوضاً الأمر إليه.

وجزاء هذا الرضا منه ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٣﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الفرقان: الآية: (١٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٨٩).

(٣) سورة الضحى: الآية: (٥).

(٤) لا تحزن (ص: ٤٥١ - ٤٥٣).

## النبي ﷺ يعلم الأمة الرضا بقضاء الله (جل وعلا)

وها هو ﷺ يعلم الأمة الرضا بقضاء الله ﷻ.. بل ويبدأ هو بنفسه ﷺ... فعند موت ابنه إبراهيم عليه السلام قال ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»<sup>(١)</sup>.

✽ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»<sup>(٢)</sup>.

✽ وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

✽ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الْجَنَّةَ»<sup>(٤)</sup>.

### صور من تواضع النبي ﷺ

هذا هو سيد المتواضعين الذي رسم على جبين الزمان صورة حية من التواضع ليتعلم منه الكون كله كيف يكون التواضع الحقيقي.

✽ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، لَوْ شِئْتُ، لَسَارَتْ مَعِيَ جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلِكٌ إِنَّ حُجْرَتَهُ لَتَسَاوَى الْكَعْبَةَ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٠٣) كتاب الجناز - ومسلم (٢٣١٥) كتاب الفضائل.

(٢) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٤٢٤) كتاب الرقاق.



عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: إِنَّ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا، فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ ﷺ فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعَّ نَفْسَكَ، فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا»، وفي رواية: «بَلَّ عَبْدًا رَسُولًا»<sup>(١)</sup>.  
 \* وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «أَكُلْ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسْ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حَدَّثَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذُكِرَ لَهُ صَوْمِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ، فَأَلْقَيْتُ لَهُ وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا لَيْفٌ، فَجَلَسَ عَلَيَّ عَلَى الْأَرْضِ، وَصَارَتِ الْوِسَادَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ.....»<sup>(٣)</sup>.

\* وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعْتَهُ لَهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «قَوْمُوا فَأُصَلِّيَ لَكُمْ»، قَالَ أَنَسُ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لَيْسَ، فَضَحَّحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفَفْتُ أَنَا، وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزَ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ<sup>(٤)</sup>.

\* وعن أبي رفاعة تميم بن أسيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأَتَى بِكُرْسِيِّ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا<sup>(٥)</sup>.

\* وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعَقَ أَصَابِعَهُ

(١) ذكره العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٢٠٤٥) وقال: والحديث صحيح دون جملة

الحجزة وبلفظ: بل عبداً رسولاً، انظر الصحيحة (١٠٠٢) رواه أحمد، وابن حبان.

(٢) صحيح: رواه أبو يعلى، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧)، والصحيحة (٥٤٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٨٠) كتاب الصوم - ومسلم (١١٥٩) (١٩١) كتاب الصيام.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨٧٦) كتاب الجمعة.

الثَلَاثَ، وَقَالَ: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعَهَا لِلشَّيْطَانِ»، وَأَمَرْنَا أَنْ نَسَلُتَ الْقِصْعَةَ، قَالَ: «فِيَانِكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ»<sup>(١)</sup>.

✽ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: «لَوْ دُعِيْتُ إِلَى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أَهْدَى إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»<sup>(٢)</sup>.

✽ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أَحَبُّوا الْمَسَاكِينَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ: «اللَّهُمَّ أَحِبِّنِي مِسْكِينًا وَأَمْتِنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.

✽ وعن أنس رضي الله عنه: «أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صَبِيَّانِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِم» وَقَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ»<sup>(٤)</sup>.

✽ وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا عَلَى إِكَافٍ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بَنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ»<sup>(٥)</sup>.

✽ وعن أبي بردة رضي الله عنه قَالَ: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رضي الله عنها كِسَاءً وَإِرَارًا غَلِيظًا، فَقَالَتْ: «فَبِضِّ رُوحَ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَيْنِ»<sup>(٦)</sup>.

✽ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخَالِطَنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»<sup>(٧)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٤) كتاب الأشربة.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥١٧٨) كتاب النكاح.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦١).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٢٤٧) كتاب الاستئذان.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٨٧) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (١٧٩٨) كتاب الجهاد والسير.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨١٨) كتاب اللباس - ومسلم (٢٠٨٠) كتاب اللباس والزينة.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٠٣) كتاب الأدب - ومسلم (٢١٥٠) كتاب الآداب.



✽ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه في خطبة له قال: إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يُعَوِّدُ مَرَضَانَا، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ <sup>(١)</sup>.

✽ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضْتُ كُدِيَّةً شَدِيدَةً، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدِيَّةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ - وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوْاقًا...» <sup>(٢)</sup>.

✽ وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ رضي الله عنها هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيْطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ <sup>(٣)</sup>.

✽ وعن عائشة رضي الله عنها وقد سُئِلَتْ عما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ <sup>(٤)</sup>.

✽ وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، وَيُقَلِّ اللِّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَكَانَ لَا يَأْنَفُ وَلَا يَسْتَكْبِرُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمُسْكِينِ وَالْعَبْدِ، فَيَقْضِي لَهُ حَاجَتَهُ <sup>(٥)</sup>.

✽ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ» <sup>(٦)</sup>.

✽ وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ،

(١) رواه أحمد، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤١٠١) كتاب المغازي - ومسلم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، وابن حبان، وصححه الألباني في التعليقات

الحسان (٦٤٠٦).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٠٣٩) كتاب الأدب.

(٥) صحيح: رواه النسائي، والحاكم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٠٠٥).

(٦) صحيح: رواه البخاري (٢٢٦٢) كتاب الإجارة.

حَتَّى اغْبَرَ بَطْنُهُ، يَقُولُ:

« وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا  
فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا  
إِنَّ الْأَلْيَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا  
وَيَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ: « أَيْنَا أَيْنَا » (١).

✽ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ » (٢).

✽ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى » (٣).

✽ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ذَاكَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام » (٤).

✽ وعن أنس رضي الله عنه، أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: « يَا أُمَّ فُلَانٍ انظري أَيَّ السَّكِّكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ » فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، حَتَّى فَرَعَتْ مِنْ حَاجَتِهَا (٥).

✽ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ (٦).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٠٤) كتاب المغازى - ومسلم (١٨٠٣) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٩٥) كتاب أحاديث الأنبياء - ومسلم (٢٣٧٧) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٩) كتاب الفضائل.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٦) كتاب الفضائل.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٦٠٧٢) كتاب الأدب.

✽ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَكَثْتُ سَنَةً أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنْ آيَةٍ... الحديث... وفيه: «وَأِنَّهُ - أَي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ - جلد - حَشَوْهَا لَيْفٌ؛ فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟» فَقُلْتُ<sup>(١)</sup>: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ... فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ»<sup>(٢)</sup>.

### النبي ﷺ ونعمة الوفاء

لقد كان النبي ﷺ سيد الأوفياء وكان يحض الأمة على الوفاء في كل شىء... فكان يُعلم الأمة كيف يكون الوفاء مع الله عَزَّوَجَلَّ أولاً.

✽ روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرَّ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ عُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»!!<sup>(٣)</sup>.

- وكان يرتقى بأرواح المؤمنين إلى جنة رب العالمين - جل وعلا -.

فها هو ﷺ يقول: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ - وكان من بينها - وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ»<sup>(٤)</sup>.

- وكان ﷺ يحذر من الغدر ونقض العهود والوعود فقال ﷺ - كما في الصحيحين -: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» زاد في رواية لمسلم: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ»<sup>(٥)</sup>.

(١) القائل هنا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٩١٣) كتاب التفسير.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٩) كتاب صفات المنافقين.

(٤) حسن: رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (١٠١٨).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣) كتاب الإيمان - ومسلم (٥٩) كتاب الإيمان.

- ولما سأل هرقل أبا سفيان عن النبي ﷺ - وكان أبو سفيان وقتها على الشرك -.. فقال له هرقل: فماذا يأمركم؟ - يعنى: النبي ﷺ - فقال أبو سفيان: يَا مُرْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ (١).

- وكان النبي ﷺ ينهى عن الغدر حتى في الحروب...

روى مسلم أن النبي ﷺ كان إذا أمر أميرًا على سرية أمره في نفسه بتقوى الله ثم قال: « اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، وقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا... » (٢).

## صور مضيئة من وفائه ﷺ

عن أبي رفع رضي الله عنه قال: بعثني قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقى في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبدًا، فقال رسول الله ﷺ: « إِنِّي لَا أُخِيسُ (٣) بِالْعَهْدِ وَلَا أَحْبِسُ الْبُرْدَ (٤)، وَلَكِنْ أَرْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ » قَالَ: فَذَهَبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمْتُ (٥).

✽ وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ما معنى أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حُسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال:

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧) كتاب بدء الوحي - ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٣) أخيس: أنقض.

(٤) البرد: جمع بريد وهو الرسول.

(٥) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥١٠).



«أَنْصِرَ فَا... نَفَى لَهُمْ بَعْدَهُمْ وَنَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>.

❁ وها هو المغيرة بن شعبة الذي كان قد صحب قومًا في الجاهلية فشرّبوا الخمر فقام عليهم فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم وأراد أن يعطى المال للنبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»<sup>(٢)</sup>. وذلك لأنه أخذ غدراً.

❁ وروى البخارى عن جبير بن مطعم بن عدى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إن النبي ﷺ قال في أُسارى بدر: «لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بِنُ عَدِي حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ التَّنِي لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

❁ وإنما قال النبي ﷺ ذلك اعترافًا منه بالجميل لما أدخله في جواره بعد أن رده أهل الطائف.

### وفاء النبي ﷺ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وكان النبي ﷺ سيد الأوفياء لكل من حوله... وكان أقرب الناس إلى قلبه هم أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين كانوا عونًا له ﷺ على حمل أمانة هذا الدين فضحّوا من أجله بالغالى والنفيس وبذلوا أموالهم ودماءهم لإعلاء كلمة: لا إله إلا الله.. ولم ينس لهم النبي ﷺ ذلك فأوصى الأمة المسلمة بأصحابه ليعرفوا قدرهم ومكانتهم.

❁ عن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٧) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣١) كتاب الشروط.

(٣) المراد بهم أسرى بدر من المشركين.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣١٣٩) كتاب فرض الخمس، و(٤٠٢٤) كتاب المغازى.

(٥) المُد: قال في لسان العرب: المُد ضرب من المكابيل وهو ربع صاع وهو قدر مُد النبي ﷺ.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٣) كتاب فضائل الصحابة.

## وفاء النبي ﷺ لأبي بكر ﷺ

فمن المعلوم أن أبا بكر ﷺ هو أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ.. فهو الذى قدّم الكثير والكثير لنصرة دين الله ﷻ فلم يتأخر لحظة واحدة عن مساندة النبي ﷺ من أول لحظة من لحظات البعثة وحتى فارق الدنيا ﷺ.. فأراد النبي ﷺ أن يوضح للناس مكانة أبي بكر ليعرفوا قدره ومكانته.. وهذا من باب وفاء النبي ﷺ لأبي بكر ﷺ.

قال ﷺ: «ما أحدٌ أعظمُ عندي يدًا من أبي بكرٍ... وآساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته»<sup>(١)</sup>.

✽ وروى مسلم والترمذى أن النبي ﷺ قال: «ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه، ما خلا أبا بكرٍ، فإنَّ له عندنا يدًا يكافئُه اللهُ بها يومَ القيامةِ، وما نفعنى مالٌ أحدٍ قطُّ ما نفعنى مالُ أبي بكرٍ، ولو كنتُ مُتخِذاً خليلاً لأتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ألا وإنَّ صاحبكمُ خليلُ اللهِ»<sup>(٢)</sup>.

✽ وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنْ أَخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»<sup>(٣)</sup>.

= قوله: «نصفه» قال الترمذى: ومعنى قوله: «نصفه» أى نصف المُد.

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥١٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٦١)، وأصله فى صحيح

مسلم.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٦) كتاب الصلاة - ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.



## وفاء النبي ﷺ لأمته

وها هو الحبيب ﷺ يضرب لنا المثل والأسوة والقُدوة في وفائه لأمته الذي يأتون يوم القيامة وهم في ميزان حسناته ﷺ.

❁ فها هو ﷺ يبكي خوفاً وشفقة على أمته.

ففي الحديث الذي رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي - وبكى، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: - يا جبريل اذهب إلى محمد فسله: ما يبكيك - وربك أعلم - . فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله تعالى: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ» (٣).

❁ وها هو ﷺ يدخر دعوته شفاعته لأمته يوم القيامة لينقذهم من النار... ففي الحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُّسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» (٤).

❁ بل ها هو ﷺ يخبر أن سبعين ألفاً من أمته سيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب... ولا يكتفى النبي ﷺ بهؤلاء السبعين ألفاً بل يسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يزيد

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

من عدد هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب - حُبًّا لِأُمَّتِهِ ﷺ - .

❁ قَالَ ﷺ: « أُعْطِيتُ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ ، فَرَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا » (١) .

وفي رواية قال ﷺ: « وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَلَا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ مِنْ حَثِيَّاتِ رَبِّي » (٢) .

### وفاء النبي ﷺ لعمه أبي طالب

ولقد كان أبو طالب - عم النبي ﷺ - يدافع عنه ويدفع عنه أذى المشركين فلم ينس النبي ﷺ له ذلك أبدًا وظل يتابعه بالدعوة حتى آخر لحظة في حياته... لكن عمه مات على الكفر وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.. فقال العباس - عم النبي - للنبي ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ ﷺ: « هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » (٣) . وهكذا كان وفاء النبي ﷺ لعمه أبي طالب.

### وفاء النبي ﷺ لخديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

وكان من بين الصفحات المشرقة لوفاء النبي ﷺ تلك الصورة الغالية من وفائه لأمنا خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فلقد كان النبي ﷺ يحبها حبًّا جمًّا... فلم يتزوج النبي ﷺ امرأة قبلها أبدًا بل ولم يتزوج عليها حتى ماتت فلما ماتت حزن عليها النبي ﷺ حزنًا شديدًا وظل يذكرها لآخر لحظة في حياته ﷺ... وهكذا يعلمنا النبي ﷺ

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٥٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١١١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٣) كتاب مناقب الأنصار - ومسلم (٢٠٩) كتاب الإيمان.



كيف يكون الوفاء مع الزوجة الصالحة.

✽ وروى مسلم عن عائشة قالت: مَا غَرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا... قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ! فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية للبخارى... وَرَبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرَبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةَ؟ فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»<sup>(٢)</sup>.

✽ وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَتَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءِ، قَالَتْ: فَغَرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشُّدَقِينَ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: «مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنْتُ بِى إِذْ كَفَرَ بِى النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْلَادَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»<sup>(٣)</sup>.

## يقين النبي ﷺ وتوكله

وها هي صفحة ناصعة من توكل سيد الأولين والآخرين ﷺ.

✽ ففي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنَمِنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٥) (٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٨١٨) كتاب مناقب الأنصار.

(٣) رواه أحمد، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا سند حسن في المتابعات.

اخْتَرَطَ <sup>(١)</sup> عَلَى سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ، - ثَلَاثًا - «وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ <sup>(٢)</sup>».

وفي رواية: قال جابر: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذَاتِ الرَّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفٌ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعْلَقٌ بِالشَّجَرَةِ فَأَخْرَطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «لَا» فَقَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللَّهُ» <sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه: قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ: فَسَقَطَ السَيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟». فَقَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ. فَقَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَعَاهِدُكَ أَنْ لَا أَقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونُ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَى سَبِيلَهُ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ <sup>(٤)</sup>.

❁ وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ أَمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا تَمُوتُ، وَالْحَيُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» <sup>(٥)</sup>.

❁ وعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ،

(١) اختَرَطَ: سَلَّ السَّيْفَ وَأَخْرَجَهُ مِنْ غَمَدِهِ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩١٠) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤١٣٦) كتاب المغازي - ومسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) رواه الحاكم في المستدرک (٣/٣١)، وأبو يعلى في مسنده (٣/٣١٣)، وعبد بن حميد في مسنده (٣٣٠/١).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٨٣) كتاب التوحيد - ومسلم (٢٧١٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، واللفظ له.

أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أَظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» (١).

✽ بل وفي حديث هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة كان معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال أبو بكر - كما في الصحيحين -: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: « مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا » (٢).

✽ ومع كل هذا اليقين والتوكل الذي امتلأ به قلب النبي ﷺ فقد كان يأخذ بالأسباب ويُعلم الأمة كلها أن تأخذ بالأسباب بشرط ألا تتعلق القلوب إلا بمُسبب الأسباب - جل وعلا -.

- فيها هو النبي ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة يستأجر رجلاً مشركاً ليدله على الطريق بل ويخرج مخفياً عن أعين المشركين.  
وفي يوم أحد كان يقاتل ويُظاهر بين درعين... وكان يدخر القوات لأهله - صلوات ربي وسلامه عليه -.

✽ بل كان من أسماء رسول الله ﷺ: المتوكل. كما في الحديث: «... وَسَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ » (٣) وإنما قيل له ذلك رضي الله عنه لقناعته باليسير والصبر على ما كان يكره (٤).

### النبي ﷺ وخشيته من الله ( جل وعلا )

لقد كان النبي ﷺ أخشى الناس لله - جل وعلا - وكان يقول عن نفسه رضي الله عنه: « وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَقَى » (٥).

- (١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠٩).
- (٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣) كتاب المناقب - ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.
- (٣) صحيح: رواه البخاري (٢١٢٥) كتاب البيوع، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.
- (٤) انظر فتح الباري (٨ / ٤٥٠).
- (٥) صحيح: رواه مسلم (١١١٠) كتاب الصيام.

ولما سأله جبريل عليه السلام وقال له: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال صلى الله عليه وسلم: « أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »<sup>(١)</sup>.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء: «... اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ »<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشِيَّتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup>.

✽ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى . وَاللَّهُ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(٤)</sup>.

✽ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّمَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْحِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا»<sup>(٥)</sup>.

✽ وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُصَلِّي

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠) كتاب الإيمان - ومسلم (٩، ١٠) كتاب الإيمان، من حديث أبي هريرة .... ورواه مسلم (٨) كتاب الإيمان، من حديث عمر بن الخطاب، وهو جزء من حديث جبريل المشهور.

(٢) صحيح: رواه النسائي، والحاكم، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٣٠١).

(٣) حسن: رواه الترمذي، والحاكم، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٢٦٨).

(٤) حسن: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٥) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٩٢).



وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيذِ الْمَرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ<sup>(١)</sup>.

❁ وفي الصحيحين عن أم العلاء الأنصارية قالت: قال رسول الله ﷺ: « وَاللَّهِ مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ »<sup>(٢)</sup>. وقال: «لَنْ يُنَجِّي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلَهُ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

❁ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت؟ قال: «شَيْبَتْنِي هُوْدٌ، وَالْوَأَقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»<sup>(٤)</sup>.

### عائشة رضي الله عنها تحكى كيف كانت خشية النبي صلى الله عليه وسلم

ففى «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَطُّ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا، حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ... وَقَالَتْ: كَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا، أَوْ رِيحًا، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَى النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ، عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكِرَاهِيَةَ؟ قَالَتْ: فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرِّيْحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمَطِّرُنَا»<sup>(٥)</sup>.

❁ وعن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال عبيد بن عمير: حدثينا بأعجب شىء رأيتيه من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي فقال: «يا عائشة ذرينى أتعبد لربى»، قالت: قلت: والله إنى لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلى، فلم يزل يبكى حتى بلَّ

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود (٨٤٠)، وصحيح الترغيب (٥٤٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٠١٨) كتاب التعبير.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٣) كتاب الرقاق - ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفات المنافقين.

(٤) صحيح: رواه الترمذى، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٢٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٢٩) كتاب التفسير - ومسلم (٨٩٩) كتاب صلاة الاستسقاء.

حجره، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً.. لقد نزلت الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾»<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

✽ وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ»<sup>(٣)</sup>. قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ أَوْلِيَّتُكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»<sup>(٤)</sup>.

✽ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا ذَكَرَتْ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «مَا يُبْكِيكِ؟» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَمَا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخْفُ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَأْوُمُ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ﴾»<sup>(٥)</sup> حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفَى يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصَّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ»<sup>(٥)</sup>.

✽ وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش. فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ»<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٩٠).

(٢) حسن: رواه ابن حبان، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٨).

(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٦٠).

(٤) حسن: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٢).

(٥) ضعيف: رواه أبو داود، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (١٢٤٥).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٤٨٦) كتاب الصلاة.

## حياة النبي ﷺ

❁ ففي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»<sup>(١)</sup>.

❁ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلَتِ امْرَأَةَ النَّبِيِّ ﷺ: كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضَتِهَا؟ قَالَ: فَذَكَرْتُ أَنَّهُ عَلَّمَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ. ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مِنْ مِسْكِ فَتَطَهَّرُ بِهَا. قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟ قَالَ: «تَطَهَّرِي بِهَا سُبْحَانَ اللَّهِ» وَاسْتَرَّ - بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ - قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاجْتَذَبْتُهَا إِلَيَّ وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ. فَقُلْتُ: تَتَّبِعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ<sup>(٢)</sup>.

❁ ومن حياة رسول الله ﷺ ما رواه الشيخان عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه من تردُّد النبي ﷺ بين ربه وبين موسى، وسؤاله ربه التخفيف - في الصلاة - حتى جعلها خمسا، فقال له موسى عليه السلام: «ارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ»، قال: «سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأَسْلَمُ»<sup>(٣)</sup>.

### النبي ﷺ يحض الأمة على التحلى بخلق الحياء

وها هو الحبيب ﷺ يحض الأمة على التحلى بخلق الحياء.

❁ قال رضي الله عنه: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»<sup>(٤)</sup>.

وقال رضي الله عنه: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»<sup>(٥)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ، وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٠٢) كتاب الأدب - ومسلم (٢٣٢٠) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٤) كتاب الحيض - ومسلم (٣٣٢) كتاب الحيض.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٨٧) كتاب مناقب الأنصار - ومسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٧) (٦١) كتاب الإيمان.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦١١٧) كتاب الأدب - ومسلم (٣٧) (٦٠) كتاب الإيمان.

(٦) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٥٥).

وقال رسول الله ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَدَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>.  
وقال ﷺ: «الْحَيَاءُ وَالْعِيَّةُ<sup>(٣)</sup> شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَدَاءُ وَالْبَيَانُ<sup>(٤)</sup> شُعْبَتَانِ مِنَ النَّفَاقِ»<sup>(٥)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قَرْنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ»<sup>(٦)</sup>.

### زهد النبي ﷺ

وها هو سيد الزاهدين محمد بن عبد الله ﷺ الذي عُرِضَتْ عَلَيْهِ جِبَالُ مَكَّةَ أَنْ تَصِيرَ لَهُ ذَهَبًا فَأَبَى وَقَالَ: بَلْ أَجُوعُ يَوْمًا فَأَصْبِرُ وَأَشْبَعُ يَوْمًا فَأَشْكُرُ.  
وتأمل معي كيف كانت حياة سيد ولد آدم ﷺ.

- ففي الحديث الذي رواه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يَظْلُ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ<sup>(٧)</sup> مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ.

- وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزٍ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، حَتَّى قُبِضَ<sup>(٨)</sup>.

(١) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٩٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٩) كتاب الإيمان - ومسلم (٣٥) كتاب الإيمان.

(٣) العي: سكوت اللسان خشية الوقوع فيما لا يحل.

(٤) فصاحته وإن كان بغير حق.

(٥) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٠١).

(٦) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرک (١/٧٣)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٠٣).

(٧) الدقل: ردىء التمر.

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (٥٤١٦) كتاب الأطعمة، و(٦٤٥٤) كتاب الرقاق - ومسلم (٢٩٧٠)

- وفي الصحيحين عن عروة، عن عائشة، أنها كانت تقول: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ، ثُمَّ الْهَلَالِ، ثُمَّ الْهَلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَهٗ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتْ: «الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَانِهَاءِ، فَيَسْقِينَاهُ»<sup>(١)</sup>.

- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَأْتُ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَبَاءً مَثْنِيَةً، فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِهَا، فَبَعَثْتُ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ الصُّوفُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقُلْتُ: فُلَانَةُ الْأَنْصَارِيَّةُ دَخَلَتْ عَلَيَّ، فَرَأَتْ فِرَاشَكَ فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِهَذَا. فَقَالَ: «رُدِّيهِ» فَلَمْ أَرُدَّهُ، وَأَعْجَبَنِي أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِي، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، رُدِّيهِ، وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَأَجْرَى اللَّهُ مَعِيَ جِبَالَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

✽ وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتِظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»<sup>(٣)</sup>.

✽ بل كان النبي ﷺ يكثر من هذا الدعاء أنه ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتًا»<sup>(٤)</sup>.. أي: ما يسد الرمق.

✽ بل تأمل معي هذا المشهد الجليل.

- ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ

≡ كتاب الزهد والرفائق.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٥٩) كتاب الرقاق - ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرفائق.

(٢) حسن: رواه ابن سعد، وأبو يعلى، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٤٨٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٠) كتاب الرقاق - ومسلم (١٠٥٥) كتاب الزكاة.

بُيُوتِكُمْ هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَخْرَجُنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمْ... قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَآتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرَحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»<sup>(١)(٢)</sup>.

### وهذا حاله ﷺ عند الموت

ففي الحديث الذي رواه البخاري عن عمرو بن الحارث أخى جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها، قال: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَعَلْتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً»<sup>(٣)</sup>.

❁ وكيف لا يكون هذا هو حال النبي ﷺ وهو الذي قال: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا يُسْرِنِي أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثُ، وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ

(١) قولها: «يَسْتَعِذُّ» أى: يطلب الماء العذب، وهو الطيب - و«العِدْقُ»: وهو الكباسة، وهى الغصن - و«الْمُدِيَّةُ»: هى السكين - و«الحلُوب» ذات اللبن - والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لا سؤال توبيخ وتعذيب والله أعلم.

وهذا الأنصارى الذى أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه، كذا جاء مبيناً فى رواية الترمذى وغيره.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٨) كتاب الأشربة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٩) كتاب الوصايا.

لِدَيْنٍ»<sup>(١)</sup>.

❁ بل وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ<sup>(٢)</sup>.

❁ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلِمَتُهُ فَفَنِي<sup>(٣)</sup>.

ولذا كان النبي ﷺ يحض الأمة على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة حتى لا تتعلق قلوبهم بحطام الدنيا الزائل.

- فهذا هو صلى الله عليه وسلم يخبر أصحابه والأمة من بعدهم بضآكة الدنيا التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

- روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»<sup>(٤)</sup>.

- وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟»<sup>(٥)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»<sup>(٦)</sup>.

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٨٩) كتاب فى الاستقراض - ومسلم (٩٩١) كتاب الزكاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩١٦) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (١٦٠٣) كتاب المساقاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٩٧) كتاب فرض الخمس - ومسلم (٢٩٧٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٦) صحيح: رواه الترمذى، والضياء، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٩٢).

مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا» (١).

❁ ومع كل هذا فقد كان النبي ﷺ حريصًا على أن تكون نظرة المسلمين إلى الدنيا نظرة متوازنة.... فهم يزهدون في الدنيا ولا يحرصون عليها ولكنهم في نفس الوقت يحرصون كل الحرص على إعمار الدنيا من أجل أن ينتفع بها المسلمون لتكون عونًا لهم على طاعة الله ولتكون زادًا لهم إلى الآخرة.

لذلك يقول رسول الله ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدٍ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ» (٢).

### قوة النبي ﷺ وشجاعته

لقد ربَّى القرآن الكريم المؤمنين على الشجاعة، فكانت آياته المنبع الذي شربت منه الأمة معنى وقيمة الشجاعة... فقال الله ﷻ: «مُحَاطَبًا الْأُمَّةَ وَرَسُولَهَا ﷺ: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾» (٣).

وحياة النبي ﷺ القولية والعملية كانت نموذجًا عاليًا في الشجاعة، فعند التأمل في سيرته نجده ﷺ يتعامل مع كل المواقف والمصاعب بقلب ثابت، وإيمانٍ راسخ، وشجاعة نادرة؛ لذلك خاطبه الله سبحانه وتعالى قائلاً: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

وقد كانت هذه الشجاعة خلقًا فطريًا مزروعًا في قلبه منذ نشأته الأولى ﷺ؛  
فها هو ذا يشارك أعمامه في حرب الفجار وهو لم يبلغ الخامسة عشر من

(١) حسن: رواه الترمذى، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٠٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والبخارى فى الأدب المفرد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٢٤).

(٣) سورة النساء: الآية: (٧٤).

(٤) سورة النساء: الآية: (٨٤).



عمره<sup>(١)</sup>، كما أنه ﷺ كان يعتكف وحده في غار حراء وسط الصحراء<sup>(٢)</sup>؛ لذلك لم يكن غريباً أن تظهر الشجاعة في كل لمححة من لمحات حياته بعد بعثته... ولم يكن هذا كلاماً نظرياً دون تطبيق، بل مارس الرسول ﷺ الشجاعة دون تردّد أو جُبْن أو خور؛ فنجده ﷺ في أول أيام دعوته يُواجه المشركين بأمر تُنكره عقولهم ولا تدركه في أول الأمر تصوّراتهم، ولم يمنعه من الجهر بالدعوة الخوف من مواجعتهم، فضرب بذلك ﷺ لأئمة أروع الأمثلة في الجهر بالحق أمام أهل الباطل، وإن تحزّبوا ضد الحق، وجنّدوا لحربه كل ما في وسعهم.

وتتجلى شجاعته ﷺ في مواقف عديدة من أهمها اعتراضه على الظلم، ووقوفه في وجه الظالم دون تردّد أو خوف... فهذا هو رسول الله ﷺ يقف بجوار المظلوم ويأخذ حقه من الظالم.

كما تظهر شجاعته ﷺ واضحة جلية عندما يتعرض أهله وصحابته لخطر ما... فيها هو أنس بن مالك رضي الله عنه يصف شجاعة النبي ﷺ بقوله: كان النبي ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، قَالَ: وَقَدْ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً.. سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِي<sup>(٣)</sup>، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَجَدْتُهُ بَحْرًا»<sup>(٤)</sup> يَعْنِي الْفَرَسَ<sup>(٥)</sup>.

(١) الفجار: حرب وقعت بين قريش وحلفائها وبين هوازن قبل البعثة بعشرين سنة تقريباً، وكانت في الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيها قالوا: قد فجرنا فسُميت فِجَارًا - انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٢/ ٢٨٩-٢٩١)، وابن منظور: لسان العرب، مادة فجر (٥/ ٤٥).

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية (١/ ٣٨٥).

(٣) فرس عُرِي: لا سرج عليه - انظر: ابن منظور: لسان العرب: مادة عرا (١٥/ ٤٤).

(٤) وجدته بحراً: أى سريع الجرى؛ لأنه كان به أول الناس تحركاً في مواجهة الخطر.

انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (٦/ ٣٥).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٠٨) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (٢٣٠٧) كتاب الفضائل.

ويضرب النبي ﷺ المثل والقُدوة في ميدان القتال فكانت شجاعته النبراس الذي سار عليه الصحابة فيما بعد... فيُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «كُنَّا إِذَا احْمَرَ الْبَأْسُ<sup>(١)</sup>، وَلَقِيَ الْقَوْمَ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

وفي أحلك لحظات المسلمين شدة وانهمامهم أمام عدوهم في غزوة أُحُد نراه ﷺ متماسكاً شجاعاً، مقاتلاً لزعماء الشرك، فقد أدركه أبيُّ بن خلف وهو يقول: أي محمد، لا نجوتُ إن نجوت. فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجلٌ منّا؟ فقال رسول الله: «دَعُوهُ». فلما دنا، تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصِّمَّة رضي الله عنه فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء<sup>(٣)</sup> عن ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأداً<sup>(٤)</sup> منها عن فرسه مراراً، فمات وهم راجعون به إلى مكة<sup>(٥)</sup>؛ ولذلك يقول المقداد بن عمرو رضي الله عنه عن ثبات النبي ﷺ وشجاعته في غزوة أُحُد، قوله: «لا والذي بعثه بالحق إن زال رسول الله ﷺ شبراً واحداً، إنه لفي وجه العدو، وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرة، وتُصرف عنه مرة، فربما رأيتَه قائماً يرمى على قوسيه، ويرمى بالحجر، حتى تحاجزوا، وثبت رسول الله ﷺ كما هو في عصابة<sup>(٦)</sup> صبروا معه»<sup>(٧)</sup>.

(١) احمرَّ البأس: أي صار في الشدة والهول مبلغاً كبيراً-انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة حمر (٢٠٨/٤).

(٢) رواه أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وكذا صححه الشيخ أحمد شاکر (١٣٤٦).

(٣) الشعراء: نوع من الذباب يكون على ظهر الإبل والخيول-انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة شعر (٤١٠/٤).

(٤) تدأداً: تدحرج وسقط-انظر ابن منظور: لسان العرب: مادة دأداً (٦٩/١).

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية (٨٣/٢).

(٦) العصابة: المجموعة والجماعة من الناس-انظر ابن منظور: لسان العرب مادة عصب (٦٠٢/١).

(٧) البيهقي: دلائل النبوة (٢٤٦/٣).

أما يوم حُنين فقد ضرب النبي ﷺ أروع مثل عرفته البشرية في الشجاعة؛ وذلك حينما فرَّ الجيش من ساحة القتال، فنزل النبي ﷺ من على بغلته ودعا واستنصر، وهو يُردد: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ»<sup>(١)</sup>.

فما رُئِيَ أحدٌ يومئذٍ كان أثبت منه، ولا أقرب للعدو<sup>(٢)</sup>، فقد وقف في وجههم أجمعين مُتحدِّيًا لهم، وأخذ كَفًّا من حصي وضرب وجوههم، وقال ﷺ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»<sup>(٣)</sup>. فما استطاع أحد أن يمسه بسوء<sup>(٤)</sup>.

كما نجد النبي ﷺ يُعلِّمُ أمته الاستعاذة من أي حَور وجُبْن؛ لأن الآجال والأرزاق وكل الكون بيد الله سبحانه وتعالى يُصرفها كيف يشاء، فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ...»<sup>(٥)</sup>.

ويستمرُّ ﷺ في تعليم أمته الشجاعة في كل الميادين، بدايةً من ميدان الكلمة وانتهاءً بميدان الجهاد في سبيل الله،... ومن أعظم هذه الميادين التي يُؤكد عليها النبي ﷺ ميدان مواجهة الظلم، فيقول ﷺ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ عَدَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»<sup>(٦)</sup>. وهو ﷺ القائل - أيضًا - في فضل الجهاد والإقدام بالنفس والمال: «لَعْدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ»<sup>(٧)</sup>، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»<sup>(٨)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٦٤) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (١٧٧٦) كتاب الجهاد والسير.

(٢) ابن سيد الناس: عيون الأثر (٢/٤٢٢)، وابن قيم الجوزية: زاد المعاد (٣/٩٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٧٧) كتاب الجهاد والسير.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية (١/٦٢٨)، والسهيلي: الروض الأنف (١/٢٢٨، ٢٢٩).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٧٤) كتاب الدعوات - ومسلم (٢٧٠٦) كتاب الذكر والدعاء.

(٦) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٢٢٠٩).

(٧) الغدوة: المرة الواحدة من الغدو، وهو الخروج في أى وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والروحة:

المرة الواحدة من الرواح، وهو الخروج في أى وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها. وسبيل الله:

الجهاد - انظر ابن حجر العسقلانى: فتح البارى (٦/١٤) والنوى: المنهاج (١٣/٢٦).

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٩٢) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (١٨٨٠) كتاب الإمارة.

ومع هذه الشجاعة التي كان يتحلى بها رسول الله ﷺ إلا أنها لم تكن شجاعة تهوّر، إنما كانت مضبوطة بالعقل؛... فلننظر إلى حصاره ﷺ لحصن الطائف الذي استمر أكثر من أربعين يوماً، عَلم - خلالها - ﷺ أن الطعام والشراب اللذين بداخل حصن الطائف يكفياه سنة على الأقل أو عدة سنوات، وعندها وازن ﷺ القائد الشجاع بين مضار الحصار وفوائده، فوجد أن بقاءه في هذه البقعة - أكثر من ذلك - سيوقع الدولة الإسلامية في مشاكل ضخمة؛ لأن القوات الإسلامية ليست مجرد فرقة من الجيش الإسلامي؛ بل هي المجتمع المسلم بكامله، كما أن النبي ﷺ لم يترك في المدينة إلا القليل من الرجال لحراسة الديار والنساء، فهي إذن مُعرّضة للمهاجمة من المشركين واليهود؛ لذلك أخذ ﷺ قراره الشجاع بفكّ الحصار<sup>(١)</sup>.

وهذه الشجاعة - أيضًا - كانت مضبوطة بالرحمة؛ فلذلك لم يستعملها إلا في مواطن الجهاد؛ لإعلاء كلمة الله خفاقة، ومن ثم لم ينتقم رسول الله ﷺ لنفسه، ولم يضرب بيده إلا في سبيل الله،... ولذا قالت عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يُجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُتّهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

هكذا كانت شجاعة النبي ﷺ... شجاعة قائمة على يقين وثبات وأخلاق ومبادئ؛ لذلك كانت مضرب الأمثال للأجيال على مرّ العصور.. فما أروعها من شجاعة!<sup>(٣)</sup>

(١) السهيلي: الروض الأنف (ص ٢٥٥-٢٦٦)، وابن كثير: السيرة النبوية (٣/ ٦٥٢-٧٠٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل.

(٣) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين).

## اصبر كما صبر النبي ﷺ

إذا تأملت سيرة النبي ﷺ مع قومه، وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبيُّ قبله، وتلوُّن الأحوال عليه، من سلمٍ وخوفٍ، وغنى وفقر، وأمن وإقامة في وطنه، وظعن عنه وتركه في الله، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى، من القول والفعل، والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله، يدعو إلى الله.

فلم يؤذ نبي ما أودى، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يُعطَ نبي ما أُعطيهِ. فرفع الله له ذكره، وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلِّهم، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمعهم عنده شفاعة. وكانت تلك المحن والابتلاءات عين كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفًا وفضلًا، وساقه بها إلى أعلى المقامات.

وهذا حال ورثته من بعده، الأمثل فالأمثل، كلُّ له نصيب من الجنة، يسوقه الله به إلى كماله، بحسب متابعتة له.

وما لا نصيب له من ذلك فحظُّه من الدنيا، حظٌّ من خلق لها وخلقَتْ له، وجعل خلاقه ونصيبه فيها. فهو يأكل منها رغدًا، ويتمتع فيها حتى يناله نصيبه من الكتاب.

يُمتحن أولياء الله وهو في دعةٍ، وخفض عيش... ويخافون وهو آمن. ويحزنون وهو في أهله مسرور.

له شأن ولهم شأن، وهو في وادٍ وهم في وادٍ... همَّه ما يقيم به جاهه، ويسلم به ماله، وتُسمع به كلمته، لزم من ذلك ما لزم، ورضى مَنْ رضى، وسخط مَنْ سخط.

وهمُّهم إقامة دين الله، وإعلاء كلمته، وإعزاز أوليائه، وأن تكون الدعوة له

وحده، فيكون هو وحده المعبود لا غير، ورسوله المطاع لا سواه.  
فلله سبحانه مَنْ الْحِكْمَ فِي ابْتِلَاءِ أَنْبِيَائِهِ وَرِسْلِهِ وَعِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَقْصُرُ  
عُقُولُ الْعَالَمِينَ عَنْ مَعْرِفَتِهِ.

وهل وصل مَنْ وصل إلى المقامات المحموده، والنهايات الفاضلة إلا على  
جسر المحنة والابتلاء.

كذا المعالي إذا ما رُمْتَ تُدْرِكُهَا فاعبر إليها على جسرٍ من التعب<sup>(١)</sup>

### لا تستسلم للخوف

إن الهواجس والإخفاق والشقاء والأمراض تولد غالبًا من الخوف، وإذا  
أردت السلامة والنجاح والسعادة والصحة، فيجب عليك أن تكافح الخوف  
وتكون كمن حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ  
قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾  
فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو  
فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾<sup>(٢)(٣)</sup>.

### صور مشرقة من عفو النبي ﷺ

وهذا نبينا محمد ﷺ نال من العفو الثريا... فهذه قريش بالغت في أذاه ﷺ  
وأحكمت قبضتها منه ثم أخرجته من بين أهله وعشيرته... قتلوا من أصحابه في  
يوم أحد سبعين وجرحوا آخرين،... جرح ﷺ وكسرت ربايعيته وشج وجهه ﷺ  
وهو يقول: «إِلَّهِمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

(١) مفتاح دار السعادة (١/٣٠١).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٧٣، ١٧٤).

(٣) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٣٧، ٣٨).



ثم أمكنه الله منهم فعاد فاتحاً مكة ومعهُ أكثر من عشرة آلاف معهم السيوف مُسلطة على رؤوس قريش، وهو يقول لهم: «مَا تَرُونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟» فقالوا: خيراً أخُ كريم، وابن أخٍ كريم.

عجباً!!

هل نسوا ما كانوا يفعلونه بهذا الأخ الكريم!!

أين سبُّكم فيه وقولكم أنه: مجنون.. ساحر.. كاهن؟!!

ما دام أخاً كريماً.. وأبوه أخ كريم!! فلماذا حاربتموه؟!!

أين تعذيبكم للمسلمين الضعفاء..

هذا بلال واقف.. وآثار التعذيب لا تزال في ظهره..

وتلك نخلة قريية قُتلت عندها سمية.. وزوجها ياسر..

وهذا ابنهما عمار مع المسلمين يشهد..

اليوم تقولون: أخ كريم؟!!

أين حبُّسكم لهذا النبي الكريم مع المسلمين الضعفاء.. ثلاث سنين في

شعب بني عامر.. حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع..؟!!

ما رحمتكم بكاء الصغير.. ولا أنين الشيخ الكبير.. ولا حاملاً ولا مرضعاً!!

أين حربكم له في بدر.. وأُحُد.. وتَحزُّبكم عليه في الخندق؟

واليوم.. هو أخُ كريم!!

أين منعكم له من دخول مكة معتمراً.. لما جاءكم قبل سنين.. وتركتموه

محبوساً في الحديدية.. ممنوعاً من دخول مكة؟

أين صدُّكم لعمه أبي طالب عن الإسلام وهو على فراش الموت؟

أين..؟!!

أين..؟

شريط طوييسيل من الذكريات المؤلمة يمر أمام عينيه ﷺ.. وهو ينظر إلى وجوه كفار قريش بين يديه.. ويقلب طرفه في فجاج الحرم.. وربما امتد بصره إلى جبال مكة حول الحرم.. أو إلى شوارعها وطرقاتها.. ليس هو فقط.. بل تمر هذه الذكريات أمام عيني أبي بكر وعمر..

وعثمان وعلى..

وبلال وعمار..

فكل واحد من هؤلاء.. له مع قريش قصة حزينة..

كان ﷺ يستطيع أن يُنزل بهم أقسى أنواع العقوبة.. فهم أعداء محاربون.. معتدون.. خونة.. نعم خونة.. خانوا صلح الحديبية.. واعتدوا..

كانوا مجرمين.. متحيرين.. لا يدرون ماذا سيفعل بهم..

فإذا به ﷺ يدوس على الأحقاد.. ويحلق بهمته عالياً.. ويقول كلمة يهتف بها التاريخ: «اذهبوا.. فأنتم الطلقاء..».

فينطلقون.. مستبشرين.. تكاد أرجلهم تطير من الفرح..

أحقاً عفا عننا؟!!!

ثم يتلفت ﷺ ينظر حول الكعبة.. فإذا ثلاثمائة وستون صنماً.. تُعبد من..

دون الله.. عند بيته المُعظم..!!

فجعل ﷺ يضربها بيده الكريمة.. فتهدى.. وهو يقول:

«جَاءَ الْحَقُّ.. وَزَهَقَ الْبَاطِلُ.. جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ..»<sup>(١)</sup>.

والذي يتتبع سيرة النبي ﷺ يرى سجلاً حافلاً من صور العفو.



✽ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم الله عز وجل <sup>(١)</sup>.

✽ ونحن نعلم أن النبي ﷺ عفا عن وحشي الذي قتل عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في غزوة أحد.

✽ وعفا عن رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان يكره النبي ﷺ ويحاربه ويدبر له المؤامرات الحقيرة لإيذائه ... وكان منها أنه اتهم زوجة النبي ﷺ أم المؤمنين عائشة بأنها فعلت الفاحشة ومع كل هذا عفا عنه النبي ﷺ وصلى عليه بعد موته.

✽ بل عفا النبي ﷺ عن حاطب بن أبي بلتعة لما أراد أن يفسى سر فتح مكة للمشركين.. فعفا عنه النبي ﷺ لأنه شهد غزوة بدر ... ولذلك لما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» <sup>(٢)</sup>.

✽ وعفا النبي ﷺ عن عكرمة بن أبي جهل الذي ظل يحاربه أكثر من عشرين سنة... وكان النبي ﷺ قد أباح دمه في يوم فتح مكة... ومع ذلك لما طلبت أم حكيم - زوجة عكرمة - من رسول الله ﷺ أن يعفو عن عكرمة عفا عنه النبي ﷺ وجاء عكرمة وأسلم بين يدي الرسول ﷺ وكان من خيرة الناس بعد ذلك حتى مات شهيداً في معركة اليرموك.

✽ بل عفا النبي ﷺ عن رجل يهودي أذى النبي ﷺ وعمل له سحراً.. ومع

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٠٧) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

ذلك عفا عنه النبي ﷺ.

✽ وعفا النبي ﷺ عن المرأة اليهودية التي دعته إلى الطعام بعد غزوة خيبر ووضعت له السم في الشاة التي أكل منها... ومع ذلك عفا عنها النبي ﷺ.

✽ وعفا النبي ﷺ عن الرجل الأعرابي الذي بال في المسجد فلما أراد الصحابة أن يضربوه نهاهم عن ذلك وقال: « دَعُوهُ وَهَرِّقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ »<sup>(١)</sup>.

✽ ولو استطردنا في الأمثلة لوجدنا الكثير والكثير من عفو النبي ﷺ عن كل مَنْ أساء إليه حتى نتعلم منه العفو والصفح فهو أسوتنا وقدوتنا ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠) كتاب الوضوء.



ذِكْرُ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ



## ذكر النبي ﷺ في الكتب السابقة (١)

✽ أكرم الله ﷻ بَرِيَّةَ الْبَشَرِيَّةِ بِرَسُولِهِ وَخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ إِنْسَهُمْ وَجَنَّهُمْ، عَرَبِهِمْ وَعَجْمَهُمْ، بِأَوْضَحِ حُجَّةٍ، وَأَظْهَرَ دَلَالَةٍ، وَأَيَّنَ بَرَهَانَ، وَسَاقَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى تِلْكَ الدَّلَائِلَ الظَّاهِرَةَ الْبَيِّنَةَ لِتَعْلَمَ الْبَشَرِيَّةُ صِدْقَ دَعْوَتِهِ وَنُبْلَ رِسَالَتِهِ، وَأَنَّهُ حَلْقَةٌ فِي سُلْسِلَةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَوْظِيفَةٍ وَاحِدَةٍ لَا تَتَجَزَأُ... وَتَتَمَثَّلُ فِي دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ يُسَلِّمُ جَذْوَةَ دَعْوَتِهِ إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، وَهَكَذَا فَقَدْ بَشَّرَتْ بِهِ ﷺ الْكُتُبُ السَّالِفَةُ، وَأَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ السَّابِقَةُ، مِنْ عَهْدِ آدَمَ ﷺ أَبِي الْأَنْبِيَاءِ وَالبَشْرِ إِلَى عَهْدِ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، كُلَّمَا قَامَ رَسُولٌ أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَالبَشَارَةَ بِنُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ.

وهذه البشارات هي بمنزلة الإعلان والبلاغ المسبق من الله ومن الرسل إلى الأمم والشعوب بمقدم محمد ﷺ... والحكمة منها أن لا يحدث انقطاع في الهدى الإلهي؛ فإذا جاء نبيٌّ جديد فلا يُقابله أتباع النبي السابق بشيء من العداوة والبغضاء والتعصب المذموم، بل يشعرون أنه امتداد لما كان عليه النبي السابق؛ فتتواصل بذلك الهداية الإلهية، وتتعاقد وتتكامل الرسالات السماوية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) بتصريف من كتاب (أسوة للعالمين) / د. راغب السرجاني.

## بشارات النبي ﷺ في كتب الأولين

﴿ أخبر القرآن الكريم أن الله تعالى أرسل لكل أمة رسولا يدعوهم إلى التوحيد فينذرهم ويُبشّرهم، ليقيم عليهم الحُجة يوم القيامة، وأن كل هذه الأمم والشعوب قد عرفت وتيقنت - عن طريق أنبيائهم ورسلهم - بمجيء خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ.. وهو ما أخبر به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾<sup>(١)</sup>، أي: «إن ذكر محمد ﷺ في كتب الأولين»<sup>(٢)</sup>.

ورغم أنه لم يُعد من كتب الأولين إلا بقايا قليلة جداً، لكنها لم تخل من ذكرٍ لمحمد ﷺ ورسالته... ففي كتاب (السامافيدا)، أحد الكتب المقدسة لدى البراهمة، نجد النص التالي: «أحمد تلقى الشريعة من ربه، وهي مملوءة بالحكمة، وقد قُبست من النور كما يقبس من الشمس»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في كتاب مُقدس آخر عند الهندوس وهو (أدهروهيديم) ما نصّه: «أيها الناس، اسمعوا وعُوا؛ يُبعثُ المحمّدُ بين أظهر الناس، وعظمتُهُ تُحمّدُ حتى في الجنة، ويجعلها خاضعة له وهو المحامد»<sup>(٤)</sup>. يعني محمد.

وفي كتاب هندوسي ثالث هو (بفوشيا برانم) ما يلي: «في ذلك الحين يُبعثُ أجنبي مع أصحابه باسم محامد الملقب بأستاذ العالم»<sup>(٥)</sup>، والملِك يطهره بالخمس

(١) سورة الشعراء: الآية: (١٩٦).

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣٨/١٣).

(٣) السامافيدا الجزء الثاني من الفقرة (٦-٨)، نقلاً عن صفى الرحمن المباركفوري: وإنك لعلى خلق عظيم (٣٥١/١).

(٤) كتاب (أدهر وهيديم)، الجزء العشرون الفصل (١٢٧) الفقرة (٧٠)، نقلاً عن صفى الرحمن المباركفوري: وإنك لعلى خلق عظيم (٣٥٢/١).

(٥) وأيضاً فإن في الإنجيل (إنجيل يوحنا) أن المسيح ﷺ أخبر بهذه الصفة، بقول: «إن أركون العالم سيأتي». وأركون تعنى السيد والعظيم - انظر: ابن تيمية: الجواب الصحيح (٣٠٤، ٣٠٥).



المطهرة»<sup>(١)</sup>. ولا شك في أنها الصلوات الخمس التي يمحو الله بهن الخطايا. وقد جاء وصف أصحاب رسول الله ﷺ في كتاب (بنوشيا برانم)، فقد ورد فيه: «هم الذين يختتنون، ولا يُربون القزع»<sup>(٢)</sup>، ويُربون اللّحَى، ويُنادون الناس للدُّعاء بصوتٍ عالٍ<sup>(٣)</sup>، ويأكلون أكثر الحيوانات إلا الخنزير، ولا يستعملون الدرباء<sup>(٤)</sup> للتطهير، بل الشهداء هم المتطهرون، ويُسمون بمسلى<sup>(٥)</sup>؛ بسبب أنهم يُقاتلون من يُلبس الحق بالباطل، ودينهم هذا يخرج مني وأنا الخالق»<sup>(٦)</sup>.

### بشارة النبي ﷺ في الكتب السابقة

✽ لقد جاءت البشارات الكثيرة في التوراة والإنجيل ببعثة خاتم الأنبياء محمد ابن عبد الله ﷺ.. ولكن اليهود أرادوا أن يطمسوا النور الذي بين أيديهم وأن يُخفوا الحقائق الدالة على بعثة النبي ﷺ فحرّفوا وبدّلوا في التوراة وذلك لأنهم كانوا يرجون أن يكون نبي آخر الزمان من ولد إسحاق عليه السلام.

فلما كان النبي ﷺ من ولد إسماعيل عليه السلام ازداد اليهود حقداً فوق حقدهم فبدّلوا وسعهم من أجل تشويه الحقائق وطمسها.

✽ وها هي بعض الأدلة على بشارة النبي ﷺ في الكتب السابقة:

جاء في الفصل التاسع من السفر الأول من التوراة: «إن هاجر لما فارقت سارة

(١) الجزء ٢ الفصل ٣ العبارة الثالثة وما بعدها - نقلاً عن صفى الرحمن المباركفوري وإنك لعلی خلق عظیم (٣٥٢/١).

(٢) جمع قزعة وهي القطعة من السحاب - وسمى شعر الرأس إذا حُلِقَ بعضه وتُرك بعضه قزعا، تشبيهاً بالسحاب المتفرق - انظر: شمس الحق آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٦٥/١).

(٣) ينادون للدعاء: أي ينادون للصلاة؛ لأن الصلاة دعاء.

(٤) الدرباء: نبات يُخرج به الهنود الدم من جسم الإنسان، ويعدون هذا العمل تطهيراً من الخطايا.

(٥) مسلى: أي يُسمون بالمسلمين... دخل عليها شيء من التحريف.

(٦) الجزء الثالث الفصل الثالث عبارات (٢٧، ٢٨)، نقلاً عن صفى الرحمن المباركفوري: وإنك لعلی حُلِقِ عظیم (٣٥٢/١).

وخاطبها الملك فقال: يا هاجر، من أين أقبلت؟ وإلى أين تريدان؟ فلما شرحت له الحال، قال: ارجعي، فإنني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يُحصون، وها أنت تحبلين وتلدان ابناً اسمه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع ذلك وخضوعك، وولدك يكون وحش الناس، يده فوق يد الجميع، ويد الكل به، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته<sup>(١)</sup>.

يقول ابن القيم: «... ومعلوم أن يد بنى إسماعيل قبل مبعث محمد ﷺ لم تكن فوق أيدي بنى إسحاق؛ بل كان في أيدي بنى إسحاق النبوة والكتاب، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب، فلم يكن لبنى إسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بُعث موسى، وكانوا مع موسى من أعز أهل الأرض، ولم يكن لأحدٍ عليهم يد؛ ولذلك كانوا مع يوشع إلى زمن داود ومُلك سليمان، المُلك الذي لم يُؤتَ أحدٌ مثله فلم تكن بنى إسماعيل عليهم، ثم بعث الله المسيح فكفروا به وكذبوه، فدَمَّر عليهم تكذيبهم إياه، وزال مُلكهم، ولم تَقم لهم بعده قائمة، وقطعهم الله في الأرض أُمَّماً، وكانوا تحت حُكم الروم والفرس، وغيرهم، ولم تكن يدُ ولد إسماعيل عليهم في هذه الحال، ولا كانت فوق يد الجميع إلى أن بعث الله محمداً ﷺ برسالته، وأكرمه الله نبوته، فصارت بمبعثه يدُ بنى إسماعيل فوق الجميع، فلم يبقَ في الأرض سلطان أعز من سلطانهم؛ بحيث قهروا سلطان فارس والروم والتُّرك والديلم، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وعُباد الأصنام؛ فظهر بذلك تأويل قوله في التوراة: «ويكون يده فوق يد الجميع، ويد الكل». وهذا أمر مستمرٌّ إلى آخر الدهر.

قالت اليهود: نحن لا نُنكر هذا؛ ولكن إن هذه بشارة بملكه وظهوره وقهره لا برسالته ونُبوته. قال المسلمون: المُلك مُلكان؛ ملك ليس معه نبوة بل ملك

(١) الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين - نقلاً عن ابن قيم الجوزية / هداية الحيارى (ص ١٤٧).



جبار مُتسلط، وملك نفسه نبوة؛ والبشارة لم تقع بالملك الأول، ولا سيما إن ادَّعى صاحبه النبوة والرسالة وهو كاذب مفتر على الله؛ فهو من شر الخلق وأفجرهم وأكفرهم، فهذا لا تقع البشارة بمملكه، وإنما يقع التحذير من فتنه، كما وقع التحذير من فتنة الدجال، بل هذا شرٌّ من سنحاريب وبُخْتَنْصَر<sup>(١)</sup>، والملوك الظلمة الفجرة الذين يكذبون على الله، فالأخبار لا تكون بشارة، ولا تفرح به هاجر وإبراهيم، ولا بشر أحدٌ بذلك، ولا يكون ذلك إثابة لها من خضوعها وذُلها، وأن الله قد سمع ذلك ويعظّم هذا المولود ويجعله لأمة عظيمة، وهذا عند الجاحدين بمنزلة أن يُقال: إنك ستلدين جبارًا ظالمًا طاغيًا يقهر الناس بالباطل، ويقتل أولياء الله، ويسبى حريمهم، ويأخذ أموالهم بالباطل، ويبدل أديان الأنبياء، ويكذب على الله، ونحو ذلك... فمن حمل هذه البشارة على هذا، فهو من أعظم الخلق بُهتانًا وفرية على الله؛ وليس هذا بمُستنكر لأمة الغضب، وقتلة الأنبياء، وقوم البُهت<sup>(٢)</sup>.

ورغم هذه التشويهاات المتعاقبة عبر العصور المتلاحقة في التوراة، فقد بقيت هناك بعض النصوص التي تُدلل بوضوح على وجود النبي الخاتم الذي بشر به موسى ﷺ، بل وأراد أن يكون من أمته!

يقول ابن تيمية: «قد رأيتُ أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ﷺ باسمه، ورأيتُ نسخة أخرى بالزبور فلم أرَ ذلك فيها، وحينئذٍ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي ﷺ ما ليس في أخرى»<sup>(٣)</sup>.

(١) بُخْتَنْصَر: هو الذي كان حرب بيت المقدس، وقيل: إنما هو بُوْحْتَنْصَر، فأعرب - وبُوخت ابن، ونَصِرُ صنم، وكان وُجد عند الصنم، ولم يُعرف له أب، فقيل: هو ابن الصنم.

انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة نصر (٥/ ٢١٠).

(٢) ابن قيم الجوزية / هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص ١٤٨، ١٤٩).

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح (٣/ ٥٠، ٥١).

ومن البشارات أيضًا التي جاءت في التوراة، ما جاء في سفر (أشعيا) في الإصحاح الثاني والأربعين ما نصّه: «لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيذار<sup>(١)</sup>؛ لترنم سكان سالع، من رءوس الجبال ليهتفوا؛ ليعطوا الرب مجدًا، ويُخبروا بتسيحه في الجزائر»<sup>(٢)</sup>.

وهذا النص واضح في التبشير بمحمد ﷺ؛ فقد أشار إلى بلاد العرب وهي الديار التي سكنها قيذار بن إسماعيل، وطلب منها أن تبتهج. والغريب أن النص لم يكتفِ بالإشارة إلى قيذار بن إسماعيل الذي هو جدُّ النبي محمد ﷺ<sup>(٣)</sup>؛ بل إن النص جاء بذكر دار هجرة رسول الله ﷺ وهي المدينة المنورة، فقال: «لترنم سكان سالع». وسالع هو (سَلْع) وهو جبل في باب المدينة، كما هو اسمه إلى الآن، وهو سالع بالعبرانية<sup>(٤)</sup>.

والنص السابق يُلِمح لنا عن طريق التأمل والاستقصاء لماذا استقر اليهود في المدينة المنورة وما حولها؟ لقد كانوا على يقين بأن خاتم الأنبياء سيقطن المدينة، التي من أماراتها جبل (سالع) المذكور عندهم في التوراة كالبشارة السابقة، فتمنوا أن يكون منهم وفيهم، ومن المعلوم أنهم طالما خوفوا الأوس والخزرج من النبي الخاتم الذي سيخرج من بين ظهرانيهم فيتخلص منهم، ومن على شاكرتهم!

لقد كان اليهود في المدينة وما حولها يعلمون صفة النبي ﷺ، وقُرب ظهوره، وهو ما يؤكده ابن سعد في طبقاته بسند متصل عن ابن عباس رضي الله عنهما ما نصّه: «قال: كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي ﷺ قبل

(١) قيذار: هو ابن نبي الله إسماعيل رضي الله عنه.

(٢) (أشعيا ٤٢/١١).

(٣) انظر: ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى (ص ١٥٨).

(٤) فاضل صالح السامرائي / نبوة محمد من الشك إلى اليقين (ص ٢٥٣).

أن يُبعث، وأن دار هجرته المدينة»<sup>(١)</sup>.

## بشارات النبی ﷺ في الإنجيل

كثرت البشارات بقدم النبی الخاتم محمد ﷺ في الإنجيل تارة بوصفه أستاذ العالم، وأخرى بتسميته الفارقليط، بل كان ثمة جزء كبير من رسالة عيسى ﷺ إلى قومه قائمًا على التبشير بمجيء محمد ﷺ، لكن اليهود خاصتهم وعامتهم، ورهبانهم وأخبارهم قد انساقوا خلف الشهوات، وحادوا الله سبحانه وتعالى، بل ووقفوا ضد رسالة عيسى ﷺ، وقاموا بقتل يحيى ﷺ، وغيره من أنبياء الله الذين جاءوا لهديتهم، ورغم ذلك فإن الإنجيل لا يزال يشهد في مواضع عديدة بالحق الذي يأتي من بعد عيسى، والمتمثل في محمد ﷺ ورسالته الخاتمة الخالدة.

إن الرسالة المحددة التي بُعث بها المسيح كانت هداية اليهود وإعادتهم عن ضلالهم وانحرافهم، وتصحيح اعتقادهم الخاطيء عن المسيح المنحدر من سلالة داود، ولإقناعهم بأن ملكوت الله على الأرض - الذي كانوا ينتظرون تحقيقه - لم يكن ليتحقق بواسطة مُخلَّصٍ منحدر من سلالة داود، ولكن من نسل إسماعيل اسمه أحمد، وهو الاسم الصحيح المطابق للاسم الذي نصَّت عليه الأناجيل اليونانية بصيغة (بركليطوس PERIQLYTOS)، وليس (باراكليت)<sup>(٢)</sup> (PARACLETE) كما شوته الكنائس<sup>(٣)</sup>.

(١) محمد بن سعد / الطبقات الكبرى (١/ ١٠٤).

(٢) باراكليت: هو الفارقليط أي الذي يُفرق بين الحق والباطل، وهو روح الحق الذي يرسله أي: هو الذي يعلمكم كل شيء، والفارقليط عندهم الحماد، وقيل: الحامد. وجمهورهم أنه المُخلَّص.

انظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس باب القاف فصل الفاء (فرقن) (٢٦/ ٣٠٠)، وابن

تيمية: الجواب الصحيح (٥/ ٢٨٧، ٢٨٨).

(٣) عبد الأحد داود / محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (ص ١٤٢).

وهذه الحقيقة يُؤكدُها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ولقد جاءت البشارات بمجىء خاتم الأنبياء محمد ﷺ في مواضع عديدة من الأناجيل... من ذلك ما ورد في إنجيل يوحنا ونصّه: «الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، وإذا جاء وبَّخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكنه مما يسمع به، ويكلّمكم ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب»<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلفت تفاسير كلمة الفارقليط اليونانية (PERIQLYTOS)؛ فمنهم من فسَّرها بمعنى المُعزّي، أو المحامي والكثير الحمد، وقيل: هي كلمة آرامية الأصل، تعني المُخلَّص من اللعنة. وقد كانت هذه الكلمة دارجة بين المؤمنين - آنذاك - وكانت تتعلق بخاتم الأنبياء. وقيل: هي كلمة يونانية تعني بالترجمة الحرفية لها (أحمد) أو (محمد) بالعربية. والنصوص الأصلية للإنجيل باللغة الآرامية القديمة قد جاءت بكلمة مَحَمده وحمده، وهي كلمات موازية تمامًا لكلمة محمد وأحمد في اللغة العربية، ولعل هذا التفسير الأخير لكلمة الفارقليط - وهي لفظة يونانية كما أسلفنا - يُعتبرُ الأقرب للصواب؛ لأن الله تعالى ذكره صراحةً على لسان عيسى ﷺ في كتابه الكريم: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا من أقوى البراهين على نبوة محمد ﷺ، وعلى أن القرآن تنزيل إلهي فعلاً؛ إذ لم يكن في وسع محمد ﷺ أن يعرف أن كلمة البرقليطوس كانت تعني (أحمد) إلا من خلال الوحي، وهذه حُجة جازمة ونهائية؛ لأن المدلول الحرفي للاسم اليوناني يُعادل بدقة كلمتي (أحمد ومحمد)، ومن

(١) سورة الصف: الآية: (٦).

(٢) (يوحنا ١٦-٢٥).

(٣) سورة الصف: الآية: (٦).

المدهش أن الوحي قد ميّز صيغة أفعل التفضيل من غيرها أي (أحمد) من (محمد)، ومن المدهش أيضًا أن هذا الاسم الفريد لم يُعطَ لأحدٍ من قبل؛ إذ حُجز بصورة معجزة لخاتم الأنبياء والرسل وأجدرهم بالحمد والثناء؛ وذلك أن اسم برقليطوس لم يُطلق على أي يوناني قط، كما أن اسم أحمد لم يُطلق على أي عربي قبل النبي محمد... صحيح أنه كان هنالك يوناني مشهور من أئتنا اسمه برقليس (PERIQLYS) بمعنى الشهير، ولكن ليس بمعنى الأشهر<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى مبيّنًا أن النبي ﷺ وأصحابه ليسوا فقط المذكورين في التوراة والإنجيل بأسمائهم، بل بصفاتهم كذلك: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكَعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

بل بلغ من وصف الله تعالى لنبيه ﷺ في الكتب السابقة أنهم أصبحوا يعرفونه كما يعرف أحدهم ابنه؛... قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ وَكَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد أخفى النصارى إنجيل برنابا الذي يصرح فيه باسم النبي ﷺ محمد وأنه النبي المُبشّر به من قبل المسيح وأنه آخر الرسل<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: عبد الأحد داود / محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (ص ١٩٢، ١٩٨).

(٢) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٤٦).

(٤) انظر: كتاب الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأنجيل الأربعة / لمحمد عبد الرحمن عوض، دار البشير، القاهرة. (ذكر النقل عن برنابا...).

وصدق الله إذ يقول: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وعن عطاء بن يسار قال: لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قلتُ: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾﴾<sup>(٢)</sup> وحرزًا للأُميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظٌ ولا غليظٌ ولا سخابٌ في الأسواق ولا يدفعُ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفرُ، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعيننا عميًا وآذاننا صمًا وقلوبنا غلفًا<sup>(٣)</sup>. وزاد الإمام أحمد: (قال عطاء لقيت كعبًا<sup>(٤)</sup> فسألته فما اختلفا في حرفٍ إلا أن كعبًا يقول بلغته: أعيننا عمومى وآذاننا صمومى وقلوبنا غلوفى<sup>(٥)</sup>).

وعن أبي صخر العقيلي، حدثنى رجلٌ من الأعراب، قال: جَلَبْتُ جَلُوبَةً<sup>(٦)</sup> إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ بَيْعَتِي قُلْتُ: لَأَقِينَنَّ هَذَا الرَّجُلَ فَلَأَسْمَعَنَّ مِنْهُ، قَالَ: فَتَلَقَانِي بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ يَمْشُونَ، فَتَبِعْتُهُمْ فِي أَقْفَائِهِمْ حَتَّى أَتَوْا عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ نَاشِرًا التَّوْرَةَ يَقْرُؤُهَا، يُعَزِّي بِهَا نَفْسَهُ

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٥٧).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٤٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢١٢٥) كتاب البيوع.

(٤) يعنى: كعب الأخبار الذى كان يهوديًا من علماء اليهود ثم أسلم.

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٦٥٨٥).

(٦) يعنى: بضاعة - اسم مصدر من جلب (انظر: لسان العرب: ١/٢٦٨).

عَلَى ابْنِ لَهْ فِي الْمَوْتِ ، كَأَحْسَنِ الْفِتْيَانِ وَأَجْمَلِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَنْشُدْكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ ، هَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِكَ ذَا صِفَتِي وَمَخْرَجِي ؟» فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا ، أَيْ : لَا ، فَقَالَ ابْنُهُ : إِي وَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا صِفَتَكَ وَمَخْرَجَكَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ : «أَقِيمُوا الْيَهُودَ عَنْ أَحْيَاكُمْ - يَعْنِي : ابْنِ الْيَهُودِي الَّذِي أَسْلَمَ - ثُمَّ وَلِي كَفَنَهُ وَحَنَطَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup> .

ومن أعجب ما قرأت في هذا الباب قصة الإمام أبي محمد عبد الله الميورقي الترجمان (المتوفى سنة ٨٣٢هـ)، الذي كان من أكبر قساوسة النصارى في وقته، بل كان مهياً لأن يصبح البابا الأكبر، ثم أسلم عندما وقع على آية في الإنجيل تبشر بقدوم النبي ﷺ، ثم ألف كتاب «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب»، وقسمه قسمين؛ القسم الأول: في ذكر قصة إسلامه، والثاني: في الردود المفصلة على النصارى<sup>(٢)</sup>، وذكر قصة انتقاله إلى الإسلام في سبع عشرة صفحة هذا مختصرها:

قال: اعلموا رحمكم الله أن أصلى من مدينة ميورقة<sup>(٣)</sup>، وكان والدي محسوباً من أهل حاضرة ميورقة، ولم يكن له ولد غيري، ولما بلغت ست سنين من عمري أسلمني إلى معلم من القسيسين، قرأت عليه الإنجيل حتى حفظت أكثره في مدة سنتين على غير عادة قومي، ثم أخذت في تعلّم لغة الإنجيل وعلم المنطق في ست سنوات، ثم ارتحلت من بلدي إلى مدينة لاردة من أرض القسطلان<sup>(٤)</sup>، وهي مدينة العلم عند النصارى في ذلك القطر، ويجتمع فيها طلبة العلم من النصارى، ويتتهون إلى ألف وخمسمائة ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذي يقرؤون عليه، فقرأت فيها علم الطبيعيات والنجامة مدة ست سنين، ثم تصدّرت

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٩٨١) وإسناده صحيح (صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، المجلد السابع، ٣٢٦٩).

(٢) ومن أبواب هذا القسم: باب في شهادة التوراة والإنجيل والزبور وجميع الكتب على نبوة نبينا محمد ﷺ.

(٣) جزيرة في البحر الأبيض المتوسط جنوب إسبانيا وتابعة لها (انظر: تحفة الأريب، ص ٦١).

(٤) وهي مدينة في الأندلس (انظر: تحفة الأريب، ص ٦٣).

فيها أقرأ الإنجيل ولغته ملازمًا ذلك مدة أربع سنين، ثم ارتحلت إلى مدينة بلونية من أرض الأنبردية، وهي مدينة كبيرة جدًا، وهي مدينة علم ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد من ألفى رجل يطلبون العلوم، ولا يلبسون إلا الملف الذي هو صباغ الله، فسكنت في كنيسة لقسيس كبير السن عندهم كبير القدر اسمه: (نقلاو مرتيل)، وكانت منزلته فيهم في العلم والدين والزهد رفيعة جدًا، انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية، فكانت الأسئلة في دينهم تَرِدُ عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم، ويصحب الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية في بابه، ويرغبون في التبرك به، وفي قبوله لهداياهم، ويتشرفون بذلك.

فقرأت على هذا القسيس علم أصول النصرانية وأحكامها، ولم أزل أتقرب إليه بخدمته والقيام بكثير من وظائفه حتى صيرني من أخص خواصه، وانتهيت في خدمتي له وتقربى إليه إلى أن دفع إليّ مفاتيح مسكنه وخزائن مأكله ومشربه، وصير جميع ذلك على يدي، ولم يستثن من ذلك سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه كان يخلو فيه بنفسه، والظاهر أنه بيت خزانة أمواله التي كانت تُهدى إليه، والله أعلم.

فلازمته على ما ذكرت من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين، ثم أصابه مرض يومًا من الدهر، فتخلف عن حضور مجلس إقرائه، وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلوم، إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله - ﷻ - على لسان نبيه عيسى - ﷺ - في الإنجيل: إنه يأتي من بعده نبي اسمه (البارقليط)<sup>(١)</sup>، فبحثوا في تعيين هذا النبي من هو من الأنبياء، وقال كل واحد منهم بحسب علمه... وعظم مقالهم وكثر جدالهم، ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة، فأتيت مسكن القسيس، فقال: ما الذي كان عندكم اليوم من البحث في

(١) انظر: إنجيل يوحنا (١٥: ١٤ - ١٧)، والكلمة فيه (باركليتكس) وترجمتها في النسخة العربية (المعزى)، وهو تحريف، والصحيح أن معناها (كثير الحمد) انظر: تحفة الأريب (ص ٢٦٦-٢٦٧).



غيتي عنكم؟ فأخبرته باختلاف القوم في اسم (البارقليط) وسردت له أجوبتهم، فقال لي: وبماذا أجب أنت؟ فقلت: بجواب القاضي فلان في تفسيره الإنجيل. فقال لي: ما قصرت وقربت، وفلان أخطأ، وكاد فلان أن يقارب، ولكن الحق خلاف هذا كله؛ لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل، فبادرت قدميه أقبلهما وقلت له: يا سيدى! قد علمت أنى ارتحلت إليك من بلد بعيد، ولى في خدمتك عشر سنين، حصّلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعلّ من جميل إحسانكم أن تمّنوا علىّ بمعرفة هذا الاسم.

فبكى القسيس وقال لي: يا ولدى! والله أنت لتعز علىّ كثيرًا من أجل خدمتك لي وانقطاعك إليّ، في معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة، لكنى أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك، فتقتلك عامة النصارى في الحين. فقلت له: يا سيدى! والله العظيم، وحق الإنجيل ومن جاء به، لا أتكلم بشيء مما تسره إليّ إلا عن أمرك.

فقال لي: إذن فاعلم يا ولدى أن البارقليط هو اسم من أسماء نبي المسلمين محمد ﷺ، وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام وأخبر أنه نزل هذا الكتاب عليه، وأن دينه هو دين الحق، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل.

فقلت: وما تقول في دين هؤلاء النصارى؟ فقال لي: يا ولدى! لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول، لكانوا على دين الله؛ لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله، ولكن بدلوا وكفروا.

فقلت: يا سيدى! وكيف الخلاص من هذا الأمر؟ فقال: يا ولدى! بالدخول في دين الإسلام. فقلت: وهل ينجو الداخل فيه؟ قال: نعم ينجو في الدنيا والآخرة. فقلت: يا سيدى! إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم؛ فإذا

علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك منه؟ فقال: يا ولدي! إن الله لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك به إلا بعد كبر سني، ووهن جسمي، ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك لتركت كل شيء ودخلت في دين الحق، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى، من رفعة الجاه والعز، والترف، وكثرة عرض الدنيا، ولو أني ظهر عليّ شيء من الميل إلى دين الإسلام، لقتلتني العامة في أسرع وقت، وهبّ أني نجوت منهم وخلصت إلى المسلمين، فأقول لهم: إني جئتكم مسلمًا. فيقولون لي: قد نفعت نفسك بنفسك بالدخول في دين الحق، فلا تَمَنَّ علينا بدخولك في دين خلّصت فيه نفسك من عذاب الله. فأبقى فيهم شيخًا كبيرًا فقيرًا ابن تسعين، لا أفتقه لسانهم، ولا يعرفون حقّي<sup>(١)</sup>. فقلت: يا سيدي! أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل دينهم؟ فقال: إن كنت عاقلًا، طالبًا للنجاة، فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة، ولكن يا ولدي هذا أمر لم يحضره أحدٌ معنا الآن، فاكتمه بغاية جهدك، وإن ظهر عليك شيء منه قتلتك العامة لحينك، ولا أقدر على نفعك، ولا ينفعك أن تنقله عني، فإنني أجحده وقولي مُصدِّقٌ عليك، وقولك غير مُصدِّقٍ عليّ، وأنا برىء من ذلك إن فُهِتْ بشيء... فعاهدته بما يُرضيه.

ثم أخذت في أسباب الرحلة وودعته، فدعا لي عند الوداع بخير، فانصرفت إلى بلدي ميورقة، ثم سافرت إلى جزيرة صقلية، وأقمت فيها خمسة أشهر وأنا أنتظر مركبًا يتوجه لأرض المسلمين، فحضر مركب يسافر إلى مدينة تونس، فسافرت فيه من صقلية وأقلعنا عنها قرب مغيب الشفق، فوردنا مرسى تونس قبل الزوال، فلما نزلت بديوان تونس، وسمع بي الذين بها من أحبار النصارى

(١) وهذا سوء ظن بالمسلمين ولكنه كما قال هو: (حب الدنيا رأس كل خطيئة)، وحدثنا أحد المتخصصين في كتب النصارى وتاريخهم من أساتذة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة أن هذا الرجل أسلم أيضًا وقتلته النصارى.

أتوا بمركب وحملوني معهم إلى ديارهم، وصحبهم أيضًا بعض التجار الساكنين أيضًا بتونس، فأقمت عندهم في ضيافتهم على أرغد عيش أربعة أشهر، وبعد ذلك سألتهم هل بدار السلطان أحد يحفظ لسان النصارى، وكان السلطان آنذاك مولانا أبا العباس أحمد رَحِمَهُ اللهُ فذكر لى النصارى أن بدار السلطان المذكور رجلاً فاضلاً من أبرَّ خُدَّامه اسمه يوسف الطيب وكان طبيبه، ومن خواصه، ففرحت بذلك فرحاً شديداً، وسألت عن مسكن هذا الرجل الطيب، فدللت عليه واجتمعت به، وذكرت له شرح حالى، وسبب قدومى للدخول فى الإسلام، فسرَّ الرجل بذلك سروراً عظيماً بأن يكون تمام هذا الخير على يديه، ثم ركب فرسه وحملنى معه إلى دار السلطان، ودخل عليه فأخبره بحديثى، فاستأذنه لى فأذن لى، فمثلت بين يديه، فأول ما سألتى السلطان عن عمرى، فقلت له: خمسة وثلاثون عاماً، ثم سألتى عما قرأت من العلوم فأخبرته، فقال لى: قدمت قدوم خير، فأسلم على بركة الله. فقلت للترجمان - وهو الطيب المذكور -: قل لمولانا السلطان إنه لا يخرج أحد من دين إلا ويكثر أهله القول فيه والطعن فيه، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأخبارهم، وتسالوهم عنى وتسمعوا ما يقولون فى جنابى، وحينئذ أسلم إن شاء الله تعالى، فقال لى بواسطة الترجمان: أنت طلبت ما طلب «عبد الله بن سلام» من النبى ﷺ.

ثم أرسل إلى أخبار النصارى وبعض تجارهم وأدخلنى فى بيت قريب من مجلسه، فلما دخل النصارى عليه قال لهم: ما تقولون فى هذا القسيس الجديد الذى قَدِم فى هذا المركب؟ قالوا له: يا مولانا! هذا عالم كبير فى ديننا، وقالت القساوسة: إنهم ما رأوا أعلى من درجته فى العلم والدين فى ديننا، فقال لهم: وما تقولون فيه إذا أسلم؟ قالوا: نعوذ بالله من ذلك هو ما يفعل ذلك أبداً. فلما سمع ما عند النصارى بعث إلىّ، فحضرت بين يديه وشهدت شهادتى الحق بمحضر

النصارى، فصلّبوا على وجوههم، وقالوا: ما حملة على هذا إلا حب التزويج، فإن القسيس عندنا لا يتزوج.

وخرجوا مكروبين محزونين، فرتب لي السلطان ربح دينار كل يوم في دار المختص، وزوجني ابنة الحاج محمد الصفار، فلما عزمت على البناء بها، أعطاني مائة دينار ذهباً وكسوة جيدة كاملة، فبنت بها، وولد لي منها ولد سميته محمداً على وجه التبرك باسم نبينا ﷺ<sup>(١)(٢)</sup>.

وفي نهاية هذا الفصل الذي استعرضنا فيه بعضاً من بشارات الكتب السابقة بما فيها التوراة والإنجيل بالنبي ﷺ، نختم بقصة واقعية تؤكد صحة هذه البشارات، التي استطاع أحد الرهبان - ويُدعى فرامرينو، وهو راهب لاتيني - اكتشاف النسخة المحررة باللغة الإيطالية من الإنجيل، ويقول في ذلك: إنه لدى مطالعته عدة رسائل لأيريناوس وجد إحداها تندد بالقدّيس بولس الرسول استناداً إلى إنجيل القدّيس برنابا، ومن هنا اهتم الراهب فرامرينو بالبحث عن هذا الإنجيل، وقد ساعدته ظروف عمله في مقر البابوية، إذ صار بعد فترة مُقرباً من البابا سكتس الخامس، وبذلك تمكن من دخول المكتبة البابوية، وبيحثه عشر على نسخة إنجيل برنابا<sup>(٣)</sup> التي كان يرنو إليها، وبعد الاطلاع عليها تأكد من صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وانتهى به الأمر باعترافه بالإسلام<sup>(٤)(٥)</sup>.

(١) كتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لأبى محمد عبد الله الميورقي الترجمان (ص ٦١ - ٦٧)، طبعته دار البشائر، بيروت، الطبعة الأولى، ٨٨٩١ (بتصرف).

(٢) بتصرف من كتاب (الأدلة الجلية على صدق خير البرية ﷺ) / د. عبد المحسن المطيرى.

(٣) لمزيد من البشارات عن الرسول محمد ﷺ انظر: إنجيل برنابا دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد ﷺ / تحقيق سيف الله أحمد فاضل.

(٤) محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية (ص ٥٦).

(٥) أسوة للعالمين (ص ٢٢٠ - ٢٢١).



# شهادات على صادق

نبوة النبي  
صلى الله  
عليه  
وسلم



## شهادات على صدق نبوة النبي ﷺ

(١) شهادة الله (جل وعلا):

فهناك شهادات كثيرة على صدق نبوة النبي ﷺ.

ولكن أعظم شهادة هي شهادة الحق (جل وعلا) فلقد شهد الحق تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين،.... فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>(١)</sup>.  
وكفى بشهادة رب العالمين دليلاً على صدقه ﷺ.

فإن الله (جل وعلا) لن يوفق إنساناً كذاباً مُدعيّاً عليه (سبحانه وتعالى) فإن الله تعالى أخبر أن محمداً لو تقول على ربه شيئاً من الأقاويل لأهلكه ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿١١﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿١٣﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿١٤﴾﴾<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَّا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿١١﴾﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦١﴾﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾<sup>(٥)</sup>، ولكن النبي ﷺ ما خاب بل هدى وأفلح في كل المجالات، ودينه أعظم الأديان في الأرض وأكثرها انتشاراً.

✽ هذا بالإضافة إلى أن القرآن هو أصدق وثيقة ظلت حتى الآن بلا تحريف ولا تبديل فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٥﴾﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الحاقة: الآيات: (٤٤-٧٤).

(٣) سورة طه: الآية: (٦١).

(٤) سورة يونس: الآية: (٦٩).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٣).

(٦) سورة الحجر: الآية: (٩).

فلقد جاء في القرآن الكريم في أكثر من سورة شهادة رب العالمين لنبيه بالرسالة.

فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾<sup>(١)</sup>. وننظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>. ويقول الطبري مُعلقًا على هذه الآية: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾، إنما جعلناك - يا محمد - رسولاً بيننا وبين الخلق، تُبلِّغهم ما أرسلناك به من رسالة إليهم، وليس عليك غيرُ البلاغ وأداء الرسالة إلى مَنْ أرسلت إليه، فإن قبلوا ما أرسلت به فلا نفسهم، وإن ردُّوا فعلوها. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> شَهِيدًا يقول: حسبك اللهُ - تعالى ذكره - شاهداً عليك في بلاغك ما أمرت ببلاغه من رسالته ووحيه، وعلى مَنْ أرسلت إليه في قبولهم منك ما أرسلت به إليهم، فإنه لا يخفى عليه أمرُك وأمرهم، وهو مُجازيك ببلاغك ما وعدك، ومجازيهم ما عملوا من خيرٍ وشرٍّ، جزاء المُحسن بإحسانه، والمُسيء بإساءته<sup>(٤)</sup>.

وفي تحدٍّ عجيب يقول الحقُّ تبارك وتعالى للذين لا يؤمنون برسالة محمد ﷺ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>. يقول ابن عاشور تعليقاً على شهادة رب العالمين على صدق نبيه ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَدِّقُ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ، فَلَا يَتَّبِعُهُ لَهُ أَمْرٌ... وهو معنى قول أئمة أصول الدين: إن دلالة المعجزة على الصدق أن تغيير الله العادة لأجل تحدى الرسول ﷺ قائم مقام قوله: صدق عبدى فيما أخبر به عنى<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

(٢) سورة النساء: الآية: (٧٩).

(٣) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن (٨ / ٥٦١).

(٤) سورة الرعد: الآية: (٤٣).

(٥) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٢٥ / ٢١).



ويقول الحق تبارك وتعالى في آياتٍ أخرى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾<sup>(١)</sup>.

ويعلق الأستاذ سيد قطب على هذه الآيات قائلاً: «إذا أنكر أهل الكتاب هذه الرسالة الأخيرة، وهي جارية على سنة الله في إرسال الرسل لعباده ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾؛ فأهل الكتاب يعترفون بالرسل قبل محمد ﷺ... اليهود يعترفون بمن قبل عيسى ﷺ، والنصارى يعترفون بهم وبعيسى... فإذا أنكروا رسالتك - يا محمد - فلا عليك منهم، فليُنكروا ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ وفي هذه الشهادة من الله، ثم من ملائكته ومنهم مَنْ حملها إلى رسوله، إسقاطٌ لكل ما يقوله أهل الكتاب... فمن هُم والله يشهد؟! والملائكة تشهد؟! وشهادة الله وحدها فيها الكفاية! وفي هذه الشهادة تسرية عن الرسول ﷺ وما يلقاه من كيد اليهود وعتهم»<sup>(٢)</sup>.

وآيات القرآن التي تشهد بصدق النبي ﷺ كثيرة، ولا نكون مبالغين إن قلنا: إن كل القرآن يشهد بذلك تصريحًا أو تضمينًا.

وما أجمل أن نختم هذا المبحث بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، «أى» شاهد في هذا الوجود كله هو أكبر شهادة؟ أى شاهد تعلقوا شهادته كل شهادة؟ أى شاهد تحسم شهادته في القضية

(١) سورة النساء: الآيات: (١٦٤-١٦٦).

(٢) سيد قطب/ في ظلال القرآن (٢/٢٩١).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٩).

فلا يبقى بعد شهادته شهادة... وكما يُؤمر رسول الله ﷺ بالسؤال، فهو يُؤمر كذلك بالجواب؛ ذلك أنه لا جواب غيره باعتراف المخاطبين أنفسهم، ولا جواب غيره في حقيقة الأمر والواقع.

«قُلْ اللَّهُ» نعم! فالله سبحانه وتعالى هو أكبر شهادة، هو الذى يُقْصُّ الحق، وهو خير الفاصلين... هو الذى لا شهادة بعد شهادته، ولا قول بعد قوله؛ فإذا قال فقد انتهى القول، وقد قُضى الأمر<sup>(١)</sup>.

وقد قرر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ هذا الدليل أوضح تقرير، فقال رَحِمَهُ اللهُ: (وقد جرت لى مناظرة بمصر مع أكبر مَنْ يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة، فقلت له فى أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة. فعجب من ذلك وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟ فقلت له: اسمع الآن تقريره؛ إذا قلت: إن محمداً ملك ظالم، قهر الناس بسيفه، وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدعى أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرنى الله بكذا ونهانى عن كذا، وأوحى إلى كذا؛ ولم يكن من ذلك شىء، ويقول: إنه أباح لى سبى ذرارى مَنْ كذبنى وخالفنى ونساءهم، وغنيمة أموالهم، وقتل رجالهم ولم يكن من ذلك شىء، وهو يدأب فى تغيير دين الأنبياء، ومعاودة أممهم، ونسخ شرائعهم؛ فلا يخلو إما أن تقولوا: إن الله - سبحانه - كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه. أو تقولوا: إنه خفى عنه ولم يعلم به. فإن قلت: لم يعلم به: نسبتموه إلى أقبح الجهل، وكان مَنْ عَلِمَ ذلك أعلم منه، وإن قلت: بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته وإطلاعه عليه. فلا يخلو إما أن يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أو لا، فإن لم يكن قادراً فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافى للربوبية، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه وينصره، ويؤيده ويُعليه ويُعلي كلمته، ويوجب دعاءه، ويُمكنه من أعدائه، ويُظهر على يديه من أنواع

(١) سيد قطب / فى ظلال القرآن (٢/ ٤٩٣).

المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به، ولا يدعو به بدعوة إلا استجابها له، فهذا من أعظم الظلم والسّفه الذي لا يليق نسبتَه إلى آحاد العقلاء، فضلاً عن رب الأرض والسماء، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه، وهذه عندكم شهادة زور وكذب؟! فلما سمع ذلك قال: معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذبٍ مُفترٍ بل هو نبيٌّ صادق، مَنْ اتَّبَعَهُ أَفْلَحَ وَسَعِدَ. قلت: فما لك لا تدخل في دينه؟ قال: إنما بُعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه. قلت له: غلبت كل الغلب؛ فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر إنه رسول الله إلى جميع الخلق، وأن مَنْ لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، وإذا صحَّت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به، فأمسك ولم يجد جواباً»<sup>(١)</sup>.

ومثال هذا (لو أن حاجب الأمير قال للناس: إن الأمير قد أمركم بفعل كذا وكذا. فإن الناس يعلمون أنه لا يتعمد الكذب في مثل هذا وإن لم يكن بحضرته، فكيف إذا كان بحضرته)<sup>(٢)</sup> وبعلمه.

## (٢) الآيات التي يجريها الله على يديه ﷺ :

وهذه الآيات والمعجزات لا شك أنها حُجة قاطعة على صدق رسالته ونبوته ﷺ؛ لأن خرق العادة ومخالفة قانون الطبيعة وتغير ناموس الحياة لا يمكن أن يفعله مخلوق، بل لا يكون إلا من الخالق للعادة - سبحانه - والله تعالى لا يخرق العادة لكاذب، بل إنما يؤيد بها رسله للتدليل على صدقهم في دعوتهم، كما حصل من قلب النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، وقلب عصي موسى إلى أفعى، وإحياء الموتى لعيسى، وغير ذلك من الآيات... لذلك كان القوم إذا أرسل إليهم أحد، أو

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى / لابن قيم الجوزية (ص ٨٧)، نشر الجامعة الإسلامية في

المدينة النبوية - بتصرف.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٤٨٣)، تحقيق: د. على بن

ناصر وآخرين.

أَدْعَى النُّبُوَّةَ قَالُوا: ﴿... لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ...﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ...﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا...﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ...﴾<sup>(٤)(٥)</sup>.

✽ وسنُفرد فصلاً كاملاً للحديث عن بعض معجزات النبي ﷺ .

### (٣) شهادة زوجاته (رضى الله عنهن):

من لطيف الاستدلال - في هذا المقام - استدلال بعضهم لصدقه بزواجه من أكثر من تسع نسوة؛ ووجه ذلك إن الإنسان الكاذب قد يستطيع أن يتحرز من الناس في حياته الخارجية، بحيث لا يستطيع أحد أن يجد عليه كذباً، لكن هذا لا يحصل للإنسان مع زوجته؛ فإن العادة جرت بسقوط الكلفة وانسباط الرجل مع أهله.. وزوجته أعلم الناس بحاله، لكن لما كان احتمال أن هذه الزوجة تتواطأ مع زوجها في إخفاء كذبه؛ أُذِنَ للنبي ﷺ أن يكثر من الأزواج... فالنبي ﷺ مع كثرة أزواجه لم تنقل إحداهن عن حياته الخاصة إلا كل كمال يمكن أن يُوصَفَ به إنسان، فلو أمكن أن تتواطأ واحدة، فإنه لا يمكن أن يتواطأ كلهن على ستر كذبه - وحاشاه - وإخفاء عيبه فهذا في غاية من البُعد، لا سيما أن بعضهن كصفيّة بنت حُيى بن أخطب، التي تزوجها بعد أن حارب قومها، وقتل منهم الكثير بل قتل زوجها وأباها وعمها، ثم سبها ثم أعتقها وتزوجها.. وأم حبيبة كان متزوجاً بها وهو يحارب أباها أبا سفيان.. وجويرية بنت الحارث كانت من سبايا بنى المصطلق، ثم أعانها على مكاتبها وتزوجها<sup>(١)</sup>، ألم يكن لهؤلاء

(١) سورة البقرة: الآية: (١١٨).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٣٧).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٠٩).

(٤) سورة يونس: الآية: (٢٠).

(٥) (الأدلة الجلية على صدق خير البرية) (ص: ٣٨-٣٩) بتصرف.

(٦) انظر في ترجمة أمهات المؤمنين: صحابيات حول الرسول ﷺ / للمصنف.

النسوة أكبر دافع للثأر منه، ولو بتشويه صورته بعد موته؟ بلى، ولكن كل هذا لم يحصل فدلّ على صدقه (١).

✽ ونحن نعلم أن الرجل إذا كان متزوجاً بأكثر من زوجة فإنه قد تحبه إحداهن وقد تكرهه الأخريات بسبب عدم العدل أو سوء المعاملة أو غير ذلك... لكن النبي ﷺ الذي أحسن إلى كل أزواجه وكان يعدل بينهن غاية العدل... كانت كل زوجة من أزواجه تحبه حباً جمّاً وتسعى للفوز بحبه ورضاه.

✽ فيها هي خديجة رضي الله عنها تلك الزوجة الوفية التي عاش معها النبي ﷺ خمسة وعشرين عاماً فما رأت منه إلا الخير والصلاح وحُسن العشرة... فلما نزل عليه الوحي وخاف خوفاً شديداً ما كان منها إلا أن أخذت تُهدئ من روعه وتقول له: «وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ (٢)، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ...» (٣).

✽ وها هي عائشة رضي الله عنها - وهي أصغر زوجاته - تشهد بصدقه وحُسن خلقه وعشرته الطيبة... فإنه لما جاء أحد الصحابة يسألها عن خُلُق الرسول ﷺ قالت له: «كان خُلُقَه القرآن» (٤).

ومن أعظم الشهادات على صدقه ﷺ شهادة أم المؤمنين صفية بنت حُيى ابن أخطب رضي الله عنها زعيم يهود بني النضير، الذي أمر النبي ﷺ بقتله لغدره وخيانتة للعهد الذي تم بينه وبين المسلمين؛... فيها هي ذى رضي الله عنها تُحدثنا عن خُلُق النبي ﷺ فتقول: ما رأيتُ أحداً قط أحسن خُلُقاً من رسول الله... لقد رأيتُه ركب بي في خيبر، وأنا على عجز ناقته ليلاً، فجعلتُ أنعس فتضرب رأسي مؤخرة

(١) الأدلة الجلية (ص ٧٦).

(٢) الكل: الثقل من كل ما يُتكلف - انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة كلل (١١/٥٩٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣) كتاب بدء الوحي - ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين.

الرحل، فيمسني بيده ويقول: «يا هذه، مهلاً»<sup>(١)</sup>.

ثم ها هي ذي تتمنى أن تُضحى بنفسها فداءً له ﷺ، وأن تتألم عوضاً عنه؛... فعن زيد بن أسلم رضي الله عنه أنه قال: اجتمع نساؤه رضي الله عنهن في مرضه الذي توفي فيه، فقالت صفية رضي الله عنها: إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي... فقال النبي ﷺ معلقاً على كلامها: «والله إنها لصادقة»<sup>(٢)</sup>.

#### (٤) شهادة الصحابة رضي الله عنهم:

إن صحابة رسول الله ﷺ هم الذين صدقوا دعوته، وآمنوا برسالته، وصحبوه في سلمه وحربه، لفترة زمنية طويلة، فعلموا فيها حقيقة محمد ﷺ وخبيته... فلو كان محمد ﷺ فظاً في تعامله، سيئاً في سريره، لكانوا أول الناس ابتعاداً عنه، وكُرْهاً له، لكن الأمر كان على النقيض تماماً؛ إذ كانوا يزدادون يوماً بعد يوم... فبلغ عدد من شهد حجة الوداع منهم مائة ألف صحابي أو يزيد. وقد شهد القريب والبعيد منهم بحسن خلق النبي ﷺ.

فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه أحد الصحابة الذين عاشوا مع محمد ﷺ بصورة شبه كاملة؛ في البيت، وفي المسجد، وفي الطريق، وفي السوق، وفي الحرب، يقول: «خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي: أْفَ قَطٌّ، وَلَا: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلَا: أَلَّا صَنَعْتَ»<sup>(٣)</sup>. وهذا مثال في غاية الروعة، ووصفٌ في غاية الجمال... فعشر سنين فترة زمنية ليست بالهينة ولا القصيرة، ورغم ذلك لم يخرج من فم رسول الله ﷺ أقل عُتب أو لوم لأنس رضي الله عنه، ولو خرج في هذه المدة من رسول الله ﷺ ما يُغضب أنساً لقاله، ولأخبر به بعد وفاة النبي ﷺ، لكن ذلك لم يحدث.

(١) أبو يعلى: المسند (١٣/٢٩-٣١)، والطبراني: المعجم الأوسط (٦/٣٤٤، ٣٤٥).

(٢) عبد الرزاق: المصنف (١١/٤٣١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٣٨) كتاب الأدب - ومسلم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل.

لقد أقر كلُّ الصحابة - بلا استثناء - بحب رسول الله ﷺ، وكان هذا الحب والإنصاف نابغاً من تصديقهم برسالته، ومُعاشيتهم لواقعه.

ومما يُدلل على هذا الحب والإنصاف موقف الصحابي زيد بن الدثنة رضي الله عنه، الذي أسره بعضُ الهذليين، وباعوه لصفوان بن أمية القرشي الذي كان والده أمية قُتل في غزوة بدر الكبرى، فأراد أن يثأر لوالده بقتله لزيد بن الدثنة، فأخذه إلى الحرم ليقتلوه، فرأى أبو سفيان رباطة جأشه، وإقباله على الشهادة بحُبِّ منقطع النظير، فقال له: أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلِكَ؟ قال: والله ما أحبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي<sup>(١)</sup>... وقيل: أن نفس الموقف حدث مع خبيب بن عدي رضي الله عنه.

وممن شهد بصدق رسول الله ﷺ، سلمان الفارسي الذي ظل يبحث عن النبي الحق الذي عرف صفاته ومناقبه من أحد الرهبان في عمورية، بعدما طلب منه سلمان أن يدلّه على راهب من الرهبان يعيش في كنفه عابداً لربه.

وترجع أهمية قصة إسلام سلمان رضي الله عنه إلى كونها دليلاً يشهد بصدق نبوة محمد رضي الله عنه، بل إن بقاء سلمان رضي الله عنه على إسلامه، وجهاده ودفاعه عن الدين، ونشره له حتى مماته في عام خمسة وثلاثين من الهجرة، دليلٌ على كون محمد رضي الله عنه صادقاً فيما أُرسِل إليه، ولم يكن مُدعيًا للنبوة، أو كاذبًا فيما جاء به، ولو رأى سلمان رضي الله عنه خلاف ذلك لرجع إلى بحثه عن النبي الخاتم، الذي خرج من أجله منذ أعوام عديدة؛ إذ كان ذلك هو سُغله الشاغل، لكن ذلك لم يحدث؛ لأن سلمان رضي الله عنه وجد أن محمداً رضي الله عنه نبيٌّ حقًا، بل هو خاتم الأنبياء أجمعين.

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية (٢/١٧٢)، وابن كثير: السيرة النبوية (٣/١٢٨)، والصالحى الشامى:

وقد تكرر الأمر نفسه عند إسلام الحبر اليهودي (عبد الله بن سلام) (١). ولم تكن هذه الشهادات في حياته ﷺ فقط ولكنها كانت - أيضًا - بعد مماته ﷺ،... فيها هو عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول عن رسول الله ﷺ بعد وفاته وهو يصفه: « مَا كَانَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ » (٢).

هذه بعض شهادات الصحابة على حُبهم له ﷺ، وإيمانهم بدعوته، وتصديقهم برسالته، والتي لا تدع مجالاً للشك أن محمدًا ﷺ نبيٌّ مُرْسَلٌ لهداية الناس إلى الحق، ولإخراجهم من الظلمات إلى النور (٣).

### (٥) عشارية هرقل:

ملك الأوربيين الأسبق هرقل عظيم الروم - وكان من علماء النصراني - سأل أحد أكبر أعداء النبي ﷺ في وقتها عشرة أسئلة تحقق منها صدق النبي ﷺ ونبوته... وإليك هذا الحديث العجب كما في الصحيحين:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تَجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادًّا فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَاتَوَهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عِظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بَتْرُجْمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي،

(١) عبد الله بن سلام: هو أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه «الحصين» فسماه رسول الله ﷺ عبد الله... توفي بالمدينة سنة (٤٣هـ/٦٦٣م). انظر ابن عبد البر: الاستيعاب (٣/٩٢١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢١) كتاب الإيمان.

(٣) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين).



وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِيهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَأِئِلُ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَّبْتُ ... ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ:

- ١- كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.
  - ٢- قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا.
  - ٣- قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا.
  - ٤- قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضِعْفَاؤُهُمْ.
  - ٥- قَالَ: أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ.
  - ٦- قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا.
  - ٧- قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا.
  - ٨- قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا... قَالَ: وَلَمْ تُمَكِّنِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.
  - ٩- قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ.
  - ١٠- قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاةِ.
- فَقَالَ لِلتَّرْجَمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ

وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضَعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِيهِ<sup>(١)</sup>.

❁ ولم تكن شهادة أبي سفيان هي الشهادة الوحيدة للنبي ﷺ من أعدائه الذين عاصروه.

بل لقد اعترفت قريش كلها بصدق النبي ﷺ فقد كانوا يُسمونه بالصادق الأمين... وفي يوم من الأيام «خرج رسول الله حتى أتى الصفا، فصعد عليه فهتف: «يا صباحاه»... فلما اجتمعوا إليه قال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: «فَأِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ». فقال أبو لهب: تَبَّ لَكَ! ما جمعتنا إلا لهذا؟...»<sup>(٢)</sup>.

❁ بل لقد اعترف نصارى نجران بنبوته ﷺ وذلك عندما رفضوا مباهلة<sup>(٣)</sup> رسول الله ﷺ الذي امتثل لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧) كتاب بدء الوحي - ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٧٠) (٤٨٠١) كتاب التفسير - ومسلم (٢٠٨) كتاب الإيمان.

(٣) المباهلة: الملاعة، يقال: باهلت فلاناً أى لاعتته: ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا - انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة بهل (١١/٧١).

الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ  
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾<sup>(١)</sup>؛ فخرج إليهم ﷺ ومعه علي  
والحسن والحسين وفاطمة، ودعاهم للمباهلة فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا نظرفي  
أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، فانصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب،  
وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد  
عرفتم أن محمداً لنبىٌ مُرْسَلٌ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم<sup>(٢)</sup>، ولقد  
علمتم أنه ما لآعن قومٌ نبياً قط فبقى كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنه للإستصال  
منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من  
القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم<sup>(٣)</sup>.

✽ بل لقد اعترف بصدقه أكبر أعدائه... وهو أبو جهل الذى حارب النبى  
ﷺ وأشعل نار العداوة إلى درجة لا تخطر على البال.

فقد سأل المسور بن مخرمة خاله أبا جهل عن حقيقة محمد ﷺ، إذ قال: «يا  
خالى، هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن  
أختى، والله! لقد كان محمد ﷺ فينا وهو شابٌ يُدعى الأمين، فما جربنا عليه  
كذباً قط. قال: يا خال، فما لكم لا تتبعونه؟ قال: يا ابن أختى، تنازعنا نحن وبنو  
هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا  
تجاثنا<sup>(٤)</sup> على الرُّكْب كُنا كفرسى رهان<sup>(٥)</sup>، قالوا: منا نبى. فمتى نُدرِكُ مثل

(١) سورة آل عمران: الآية: (٦١).

(٢) يقصد عيسى ﷺ.

(٣) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية (١/٥٨٤).

(٤) تجاثنا: أى جلسنا على الرُّكْب للخصومة. وفي الروض الأنف: تجاذبنا على الركب: وقع في الجمهرة

الجاذى: المقعى على قدميه. قال: وربما جعلوا الجاذى والجاثى سواء.

انظر: السهيلي: الروض الأنف (٣/١١٠)، وانظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة جثا (١٤/١٣١)،

ومادة جذا (١٤/١٣٦).

(٥) كَفَرَسَى رِهَان: يُضْرَبُ لِلْمَتَسَاوِينَ فِي الْفَضْلِ، وَقِيلَ: لِلْمَتَنَاصِبِينَ - انظر: الضبى: الأمثال (١/١١).

هذه؟!... وقال: الأحنس بن شريق يوم بدر لأبى جهل: يا أبا الحكم، أخبرنى عن محمد؛ أصادقٌ هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا من قريش أحدٌ غيرى وغيرك يسمع كلامنا. فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمداً لصادقٌ، وما كذب محمداً قط، ولكن إذا ذهبت بنو قُصى باللواء والحجابه والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟»<sup>(١)</sup>.

✽ كما اعترف زعماء اليهود بصدق نبوته ﷺ، وهذا ما تقصّه أم المؤمنين صفية رضي الله عنها بنت حُيى بن أخطب زعيم يهود بنى النضير فتقول: «كنت أحبّ ولد أبى إليه وإلى عمى أبى ياسر، لم ألقهما قط مع ولدٍ لهما إلا أخذانى دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قُباء فى بنى عمرو ابن عوف، غدا عليه أبى، حُيى بن أخطب، وعمى أبو ياسر بن أخطب، مُغلسين<sup>(٢)</sup>. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالأين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششتُ إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلى واحدٍ منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لأبى حُيى بن أخطب: أهو هو<sup>(٣)</sup>؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتُثبتهُ؟ قال: نعم. قال: فما فى نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت»<sup>(٤)(٥)</sup>.

### (٦) الداخولون فى الإسلام:

كل من دخل فى الإسلام فإن له قصة، أو حصل له موقف، أو عنده علم من الكتب السابقة، أو رأى شيئاً من محاسن الإسلام، أو تنبّه لأمرٍ، أو لاحظ ملاحظاً، أو قرأ شيئاً، أو سمع عن شىء من جمال هذا الدين، أو ذُهل من عظمة

(١) ابن القيم / هداية الحيارى (ص ٥٠، ٥١).

(٢) الغلس: ظلام آخر الليل - انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة غلس (٦/١٥٦).

(٣) يقصد بذلك رسول الله ﷺ.

(٤) ابن هشام / السيرة النبوية (١/٥١٧).

(٥) أسوة للعالمين (٢٣٨-٢٤٠) بتصرف.



القرآن، أو أخذت سيرة النبي ﷺ بمجامع قلبه.

فهذه المواقف من أعظم الأدلة على صدق النبي ﷺ وصدق القرآن.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِءِ فَأَمَنْ وَأُسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١)

قال القرطبي: (قال ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد: هو عبد الله بن سلام، شهد على اليهود أن رسول الله ﷺ مذكور في التوراة، وأنه نبي من عند الله.

ولما جاء ابن سلام مسلماً من قبل أن تعلم اليهود بإسلامه قال: يا رسول الله! اجعلني حكماً بينك وبين اليهود، فسألهم عنه: «أى رجل هو فيكم؟». قالوا: سيدنا وعالمنا. فقال: «إنه قد آمن بي»، فأساؤوا القول فيه» (٢) (٣).

### (٧) شهادة المنصفين من الغربيين:

الكثير من المخالفين لديننا - سواء كانوا أهل كتاب أو ملاحدة - شهدوا لنبينا ﷺ بالصدق وأنه نبي من الله حقاً، وبعضهم أسلم، وبعضهم لم يُسلم ولكنه أنصف، وإذا كان المخالف المتربص المتصيد للأخطاء أقرب بصحة مذهب خصمه، فإن هذا من أقوى الأدلة على صدق النبي ﷺ، وقد قيل سابقاً: وشمائِلُ شَهِدِ العَدُوُّ بِفَضْلِهَا والفضلُ ما شهدتُ به الأعداءُ

✽ يقول الجلندي ملك غسان - لما بلغه رسول رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام -: (والله لقد بلغني على هذا النبي الأُمِّي؛ أنه لا يأمر بخير إلا كان أول

(١) سورة الأحقاف: الآية: (١٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٢٥) بتصرف.

(٣) الأدلة الجلية (ص: ٢٢).

أخذ به، ولا ينهى عن شرِّ إلا كان أول تاركٍ له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفى بالعهد، وينجز الوعد، وأشهد أنه نبي<sup>(١)</sup>.

✽ وقد شهد له هرقل عظيم الروم - وكان من علماء النصارى - بأنه نبي صادق.

✽ وإليك بعض هذه النصوص من المعاصرين:

- (كان محمد ﷺ خاتم النبيين، وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعو الناس إلى عبادة الله..) [واشنجتون ايرقنج<sup>(٢)</sup>] <sup>(٣)</sup>.

- (إن أشد ما نتطلع إليه بالنظر إلى الديانة الإسلامية، ما اختص منها بشخص النبي محمد ﷺ، وبذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصيته، وتقرير حقيقته الأدبية؛ علني أجد في هذا البحث دليلاً جديداً على صدقه وأمانته، المتفق تقريباً عليها بين جميع مؤرخي الديانات، وأكبر المتشيعين للدين المسيحي..) [هنري دي فاستري<sup>(٤)</sup>].

- ويقول كارلايل أيضاً: (لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر، أن يصغى إلى القول بأن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خداع مزور، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل، وما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لمئات الملايين من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا.

(١) الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام (٤/ ٢٥٠).

(٢) مستشرق أمريكي، أولى اهتماماً كبيراً بتاريخ المسلمين في الأندلس، من آثاره: (سيرة النبي العربي) مذيلة بخاتمة لقواعد الإسلام ومصادرها الدينية، (فتح غرناطة) ألفه في تاريخ (١٨٥٩). انظر: قالوا عن الإسلام، (ص ٥٠) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٢.

(٣) انظر: حياة محمد، لإميل درمنغم، (ص ٧٢)، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩١١.

(٤) مقدم في الجيش الفرنسي، ولد سنة ١٨٥٠ وتوفي ١٩٢٧، قضى في الشمال الإفريقي ردحاً من الزمن... من آثاره: مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب، والأشرف السعديون، ورحلة هولندي إلى المغرب، وغيرها. انظر: قالوا عن الإسلام (ص ٦١).



أكان أحدهم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والعد أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا، فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول، فما الناس إذا إلا بُله ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث؛ كان الأوّلَى ألا تُخلق<sup>(١)(٢)</sup>.

✽ ويتحدث الأديب الإنجليزي جورج برناردشو قائلاً:

«لقد درست محمدًا باعتباراه رجلاً مدهشًا، فرأيتُه بعيدًا عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يُدعى منقذ الإنسانية... وأوروبا في العصر الراهن بدأت تعشق عقيدة التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك؛ فتعرف بقدره هذه العقيدة على حلّ مشكلاتها، فهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي»<sup>(٣)</sup>.

✽ وممن أنصف رسول الله ﷺ الشاعر الفرنسي لامارتين<sup>(٤)</sup>؛ حيث يقول: «أترون أن محمدًا كان صاحب خداع وتدليس، وصاحب باطل وكذب؟! كلا، بعدما وعينا تاريخه، ودرسنا حياته، فإن الخداع والتدليس والباطل والإفك.. كل تلك الصفات هي ألصق بمن وصف محمدًا بها»<sup>(٥)</sup>.

✽ ويقول المفكر البريطاني لين بول:

«إن محمدًا ﷺ كان يتصفُ بكثير من الصفات؛ كاللطف والشجاعة وكرم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تطبعه هذه الصفات في نفسه، ودون أن يكون هذا الحكم صادرًا عن غير ميل أو هوى...»

(١) انظر: القرآن والمستشرقون / د. التهامي نقرة (ص: ٢٥).

(٢) الأدلة الجلية (ص ٣٥ - ٣٧).

(٣) الحسيني الحسيني معدي / الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة (ص ٧٠).

(٤) ألفونس دو لامارتين Alphonse de Lamartine (١٧٩٠-١٨٦٩م): كاتب وشاعر وسياسي

فرنسي، كان كثير السفر، أقام مدة في أمير بتركيا - من كتبه: رحلة إلى الشرق، وتأملات شعرية.

(٥) لامارتين / السفر إلى الشرق (ص ٨٤).

كيف لا؟! وقد احتمل محمد ﷺ عداء أهله وعشيرته سنوات بصبر وجلد عظيمين، ومع ذلك فقد بلغ من نبله أنه لم يكن يسحب يده من يد مُصافِحه حتى لو كان يصفاح طفلاً! وأنه لم يمر بجماعة يوماً من الأيام - رجالاً كانوا أم أطفالاً - دون أن يُسلم عليهم، وعلى شفثيه ابتسامة حُلوة، وبنعمة جميلة كانت تكفي وحدها لتسحر سامعيها، وتجذب القلوب إلى صاحبها جذباً! <sup>(١)</sup>.

### (٨) عدم استغلاله الفرص للتعالي:

في بعض المواقف تحصل للنبي ﷺ فرصة عظيمة للتعالي والتكبر والفخر، ولكنه يأبى أن يفعل ذلك، ولو كان كاذباً لاستغلها أعظم استغلال:

يقول إميل درمنغم <sup>(٢)</sup>: (وُلد لمحمد ابنه إبراهيم فمات طفلاً، فحزن عليه كثيراً ولحده بيده، ووافق موته كسوف الشمس، فقال المسلمون: إنها انكسفت لموت إبراهيم. ولكن محمداً كان من سمو النفس ما رأى به رد ذلك، فقال: « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتُ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ.. » <sup>(٣)</sup>؛ فقول مثل هذا لا يصدر عن كاذب دجال.. <sup>(٤)</sup>) وهذا كلام حق، فلو كان غير النبي ﷺ من مُدَّعي النبوة، لاهتبل هذه الفرصة وقال: انظروا إلى الشمس حزنت لحزني وانكسفت.

ومن هذا الباب حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ أَهْلُ بَيْتِ مِنَ الْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونُ عَلَيْهِ <sup>(٥)</sup> وَإِنَّ الْجَمَلَ اسْتُصْعِبَ عَلَيْهِمْ فَمَنْعَهُمْ ظَهْرَهُ وَإِنَّ

(١) لين بول: رسالة في تاريخ العرب، نقلاً عن: عفيف عبد الفتاح طيارة / روح الدين الإسلام (ص ٤٣٨).

(٢) مستشرق فرنسي، عمل مديراً للمكتبة الجزائرية... من آثاره: (حياة محمد) طبع في باريس عام (١٩٢٩)،

و(محمد والسنة الإسلامية) ألفه في باريس (١٩٥٥) انظر: قالوا عن الإسلام (ص ٦٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٤٣) كتاب الكسوف - ومسلم (٩٠٧) كتاب الكسوف.

(٤) حياة محمد له (ص ٣١٨)، نقله عنه كتاب «قالوا عن الإسلام» (ص ٦٠).

(٥) يسنون عليه: أي: يستقون عليه - لسان العرب (س ن ي)، وسنى الدابة: استقى عليها الماء المعجم

الوسيط (س ن ي).



الْأَنْصَارَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نَسْنِي عَلَيْهِ وَإِنَّهُ اسْتُصِيبَ عَلَيْنَا وَمَنْعَنَا ظَهْرَهُ وَقَدْ عَطِشَ الزَّرْعُ وَالنَّخْلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ «قَوْمُوا» فَقَامُوا فَدَخَلَ الْحَائِطُ وَالْجَمَلُ فِي نَاحِيَةِ فَمَشَى النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَهُ فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلْبِ<sup>(١)</sup> وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ فَقَالَ: «لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ»<sup>(٢)</sup> فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ بَهِيمَةٌ لَا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ! وَنَحْنُ نَعْقِلُ فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ. فَقَالَ: «لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لِأَمْرَتِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عَظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ مِنْ قَدَمِهِ إِلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فُرْحَةٌ تَنْبَجِسُ بِالْقَيْحِ وَالصَّيْدِ ثُمَّ اسْتَقْبَلْتَهُ فَلَحَسْتَهُ مَا أَذَّتْ حَقَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

فلم يستغل النبي ﷺ سجود الجمال له ليعظم نفسه أو يرفعها، بل قال: لا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ<sup>(٤)</sup>.

#### (٩) انتفاء الغرض الشخصي:

من أدلة صدق النبي ﷺ عدم إرادة المصلحة الشخصية لنفسه من هذه الدعوة... وقد نبه الله تعالى إلى هذا الدليل بقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) أي: المسعور. يقال: كَلَبَ الْكَلْبُ يَكَلِبُ كَلْبًا: أصابه داءُ الْكَلْبِ. انظر: الوسيط (ك ل ب)، ولسان العرب (١/٧٢٢).

(٢) فالذي عصمه من كل أذى الناس ألا يقدر أن يعصمه من الحيوان؟

(٣) صحيح لغيره: رواه أحمد، والبخاري، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٣٦): صحيح لغيره.

(٤) الأدلة الجلية (ص ٨٢-٨٤) بتصرف.

(٥) سورة ص: الآية: (٨٦).

وهذا على خلاف أصحاب المذاهب والأفكار الباطلة والدجالين والكذابين؛ فإنهم يسعون لتحقيق مصالح شخصية ومآرب ذاتية من جاهٍ أو مالٍ أو نساءٍ أو أتباعٍ أو منصبٍ أو شهرةٍ أو غير ذلك، بينما لا تجد هذا في النبي ﷺ، فهو أزهّد الناس في الدنيا؛ حيث كانت تمر ثلاثة أهلة ولا يُوقَد في بيت رسول الله ﷺ نار، وإنما كان طعامه التمر والماء<sup>(١)</sup>، وتأتى الفقيرة إلى بيت رسول الله، فلا تجد عائشة رضي الله عنها إلا تمرة واحدة فتعطيها إياها<sup>(٢)</sup>، وأحياناً يأتي الضيف فيرسل النبي ﷺ إلى بيوته التسعة، فلا يجد فيها شيئاً حتى التمرة، ليس في بيوته التسعة إلا الماء<sup>(٣)</sup>.

ولقد خيّرته ربه بين أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً رسولاً، فاختر أن يكون عبداً رسولاً... عن أبي هريرة قال: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ فَلَمَّا نَزَلَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَرَسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: «بَلْ عَبْدًا رَسُولًا»<sup>(٤)</sup>.

✽ وكان لا يحب أن يرفعه الناس فوق قدره:

عن ابن عباس أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعتُ النبي ﷺ يقول: « لا تُظَرُونِي، كَمَا أَظَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ »<sup>(٥)(٦)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٦٧) كتاب الهبة - ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٨) كتاب الزكاة - ومسلم (٢٦٢٩) كتاب البر والصلة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٩٨) كتاب المناقب - ومسلم (٢٠٥٤) كتاب الأشربة.

(٤) صحيح: رواه الإمام أحمد، وابن حبان، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٠٠٢).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٣٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٦) الأدلة الجلية (ص ٩٧-٩٨) بتصرف.

إن عدم رغبة النبي ﷺ في متاع الدنيا دليل على أنه إنما فعل هذا طاعة لله،  
بوحي منه - سبحانه.

وقد وفق بعض المستشرقين المنصفين لفهم هذا المعنى وإدراكه؛ يقول  
(كارليل): (ومما يبطل دعوى القائلين إن محمداً ﷺ لم يكن صادقاً في رسالته؛  
أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة، ولم  
يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوي، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه  
وسلطان، ولم يك إلا بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب)<sup>(١)</sup>. وقد استدل بهذا  
الدليل حبيب النجار<sup>(٢)</sup> الذي في سورة يس.

كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا  
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١١﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا الدليل حق، وكان كل نبي يأتي إلى قومه يقول لهم هذا الأمر، ففي  
سورة الشعراء قال نوح وهود وصالح ولوط وشعيب - عليهم السلام -: ﴿وَمَا  
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾﴾<sup>(٤)(٥)</sup>.

(١٠) الإعجاز العلمي:

وأقصد به إخبار النبي ﷺ بحقائق علمية في عدة مجالات في وقت لم يكن  
أحد يعرف معناها، ولم تُعرف إلا بعد ذلك،... فوجه الدليل إخباره ﷺ بها قبل  
أن يعرف عنها أحد وظهور الأمر كما أخبر ﷺ.

(١) الأبطال، لكارليل، (ص ٥١) عن كتاب النوحى القرآنى فى المنظور الاستشراقى ونقده،  
د. محمود ماضى، (ص ١٢٧).

(٢) انظر: تفسير البيضاوى (٤/٤٢٩)، وتفسير القرطبي (١٥/١٥)، وتفسير ابن كثير (٣/٥٦٩) وغيره  
من كتب التفسير.

(٣) سورة يس: الآيتان: (٢٠-٢١).

(٤) سورة الشعراء: الآيات: (١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠).

(٥) الأدلة الجلية (ص ١٠٤).

وقد ألفت في هذا مؤلفات كثيرة، تبين مدى الإعجازات العلمية الدقيقة التي تكلم عنها النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرناً، ولم نعرف معناها إلا الآن في هذا القرآن... فمن ذلك ما أَلْفَه الدكتور مختار سالم بعنوان (الإبداعات الطيبة لرسول الإنسانية)<sup>(١)</sup>، ذكر فيها أنواعاً كثيرة من العلاجات النبوية لأعراض بعضها لم يُعرف له دواء إلى الآن، وكيف أن النبي ﷺ أخبر بخروج طاعون العصر (الإيدز)؛ كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ، لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا.. »<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ » فقد ثبت طبيياً أن لسان الكلب يحمل فطريات ضارة جداً بالإنسان، وهذه الفطريات لا تزول ولا تُقتل إلا بالتراب مع الماء<sup>(٤)</sup>.

وفي صحيح البخاري<sup>(٥)</sup> أيضاً أن النبي ﷺ قال: « إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءٌ ، وَفِي الْآخَرِ شِفَاءٌ . » وأثبت التجارب الطبية أن الذبابة تحمل في أحد جناحيها جراثيم مضرّة، وفي الآخر فطريات تقتل هذه الجراثيم<sup>(٦)</sup>.

(١) طبعته مؤسسة المعارف في بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٥).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٧٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٢) كتاب الوضوء - ومسلم (٢٧٩) كتاب الطهارة.

(٤) انظر: القرآن والسنة في العلوم الحديثة، (ص ٦٩).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٥٧٨٢) كتاب الطب.

(٦) انظر: معجزات في الطب للنبي العربي محمد ﷺ / تأليف الطبيب محمد سعيد السيوطي (ص ٦٤)،

مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية (١٩٨٦).

وغير ذلك من أنواع الإعجاز وألوانه التي يطول المجال في ذكرها، وهذا يدل على أن النبي ﷺ لا يقول هذا من عند نفسه بل من الوحي<sup>(١)</sup>.

### (١١) تأليف قلوب العرب:

لقد كان العرب قبل الإسلام قبائل متنازعة متناحرة، لا هم لها إلا المفاخرة والتعالي على بعض، تشتعل الحرب بينهم لأتفه أمر، وقد تستمر الحرب بينهم لعشرات السنوات لأجل ناقة - على سبيل المثال - كما حصل في حرب البسوس التي استمرت أربعين سنة بين قبيلتي تغلب وبكر ابني وائل؛ لأن كليب ابن ربيعة التغلبي قتل ناقة البسوس خالة جساس بن مرة الكلبي<sup>(٢)</sup>.

و حرب داحس والغبراء التي كانت بين قبيلتي عبس وذبيان، لخلاف على سباق بين فرسين - وهما داحس والغبراء - واستمرت هذه الحرب أربعين سنة أيضاً، وشارك في بعض حروبها عنتر، وذكرها زهير بن أبي سلمى في معلقته<sup>(٣)</sup>...

والحرب بين الأوس والخزرج مع أنهم أبناء عم استمرت أكثر من مائة سنة.

فهذه النفوس كان فيها من الأنفة، وعدم الرضا بالضميم والحمية القبلية والقتال على أتفه الأسباب، والتي كانت تجعل النهب والقتل من أعظم سبل كسب الرزق والمفاخرة بالظلم، مما يجعلها أصعب ما يكون للاتحاد وجمع الكلمة... فالقدرة على جمع كلمة العرب قاطبة بقبائلها المتنافرة، وإسقاط ما في نفوس بعضهم لبعض من البغض والثأر من رجل واحد؛ أمرٌ مُعجز حقاً.

قال تعالى ممتناً على هذه الأمة بهذه النعمة ومبيناً أنه من فعله وليس من فعل أحد من البشر: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ

(١) الأدلة الجلية (ص ١١٦-١١٧).

(٢) المعجم المفصل في الأدب / د. محمد التونجي (١/١٨٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة

الأولى، ١٩٩٣ م.

(٣) المصدر السابق (٢/٤٣٠).

اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾ ﴿١﴾.

وقال - سبحانه - مُبِينًا صعوبة تأليف القلوب: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>، فكانوا بعد هذا التأليف قوة ضاربة أسقطت فارس والروم، وقد تلمح بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

هل تطلبون من المختار معجزة      يكفيه شعب من الأجداد أحياء  
فكانوا يداً في الحرب واحدة      من خاضها باع دُنياه بأخراه<sup>(٣)</sup>

(١٢) أُمِّي يُعَلِّمُ الْعَالِمَ :

فمن أعظم الأدلة على صدق النبي ﷺ كونه أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب طيلة حياته وإلى وفاته، كما شهد بذلك التاريخ والمخالف والموافق.  
وكما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ وَبِيمِينِكَ إِذَا لَا أَرْتَابَ الْمُبِطُلُونَ ﴿٤٨﴾﴾<sup>(٤)</sup>.  
وقدرَ هذا الأمر على كثير من الشُّبُه التي تُثار... فهو ليس بكاتب محترف ولا قارئ نهم فكيف أتى بهذا العلم إلا أن يكون وحيًا من السماء.  
لم يقرأ كتابًا ولم يدرس علمًا ومع هذا خرَّج علماء وأئمة وعلم العالم أجمع.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٣).

(٢) سورة الأنفال: الآيتان: (٦٢، ٦٣).

(٣) الأدلة الجلية (ص ١٢٤ - ١٢٥).

(٤) سورة العنكبوت: الآية: (٤٨).

كيف لرجل أُمى يأتي بهذا الكم الهائل من المعلومات ولا تجد بينها تناقضًا ولا تعارضًا وتباينًا ولا أدنى اختلاف بل كلها تناسب في سياق واحد وتجري في فلك واحد، وهذا لا يكون من بشر متعلم فكيف يكون من أُمى؟! ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) (١).

كيف لرجل أُمى يُسأل في أى مسألة فيجيب، ويناظر فيغلب ويجادل فيُحج ولا يُحفظ عنه قول تراجع عنه أو مسألة أخطأ فيها.

أثبت هذا الأمر أنه نبىٌ صادق حيث أخبر عن أخبار المرسلين وقصص الأولين وهو أُمى لا يقرأ ولا يكتب.

وردَّ هذا الأمر أيضًا على أكذوبة: ﴿وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٢) (٢).

وردَّ أيضًا على دعوى (نقله من التوراة والإنجيل).

وغير ذلك من الشُّبه التي تكفل هذا الدليل بنسفها (٣).

### (١٣) إخباره بالغيب:

من أدلة صدق النبي ﷺ إخباره بالغيب سواء كان غيبًا لاحقًا أو سابقًا أو حاضرًا؛ وأخبر بما يكون بعد موته من الرِّدة في خلافة أبى بكر رضي الله عنه، والفتنة في زمن على رضي الله عنه، وأخبر بأن الخلفاء الثلاثة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم يُقتلون شهداء، وأخبر بفتح القسطنطينية والحيرة ومصر وفارس والروم وبيت المقدس، وبأويس القرنى، وأخبر بخروج كثير من الفرق كالخوارج والقدرية، وبشّر كثيرًا من الصحابة بالجنة فماتوا على الإيمان، وأخبر الكثير بدخولهم النار فماتوا على الكفر، وأخبر بكثير من أشرط الساعة الصغرى (٤) وقد تحققت.

(١) سورة النساء: الآية: (٨٢).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٥).

(٣) الأدلة الجلية (ص ١٢٨-١٢٩).

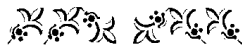
(٤) انظر: كتاب (رحلة إلى الدار الآخرة) وكتاب (قصة النهاية) للمصنف.

ولم تتحقق هذه الأمور إلا بعد موته، ومثل هذا لا يمكن أن يكون إلا بوحى.

ومثل هذا أيضاً إخباره بالغيب الماضى، كقصص السابقين والأنبياء وبنى إسرائيل، فقد تحدّث عن أخبار الأنبياء قبله بأدق التفاصيل التى لم تكن موجودة فى كتاب، وحدّث بالكثير من أخبار بنى إسرائيل وصدقته التوراة والإنجيل على ذلك، فهذه الغيبات الماضية ليس لها مقدمات يستدل بها عليها، ومع هذا أخبر بها النبى ﷺ موافقة للواقع.

قد يقول قائل: إنه قرأ التاريخ. قلنا: إنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولو سلّمنا بهذا، فإنه كان يخبر بالغيب الحاضر أيضاً، كإخباره الصحابة بغزوة مؤتة وهو فى المدينة، وهى قريب من الشام.

فعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ نعى زيداً وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» (١)(٢).



(١) صحيح: رواه البخارى (٣٧٥٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) الأدلة الجلية (ص ١٠٥-١٠٦).





# قطوف وشذرات

من حياة النبي  
صلى الله  
عليه  
وسلم





## قطوف وشذرات

### من حياة النبي ﷺ (١)

✽ وها هي بعض القطوف والشذرات من حياة النبي ﷺ:

✽ النسب الشريف للنبي ﷺ:

✽ قال الإمام البخارى رَحِمَهُ اللهُ: «هو أبو القاسم، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لَوْيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ»<sup>(٢)</sup>.

✽ قال الإمام ابن حزم: وعدنان بلا شك من ولد إسماعيل الذبيح رسول الله ابن إبراهيم خليل الله ورسوله صلى الله على سيدنا محمد وعليهما وعلى جميع رسله وأنبيائه<sup>(٣)</sup>.

✽ وقال الإمام ابن القيم: بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضًا: «إلى ها هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف ألبته، وما فوق عدنان مُخْتَلَفٌ فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٤)</sup>.

✽ وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه السيرة النبوية: «وعدنان من ولد إسماعيل ابن إبراهيم (عليهما السلام) بإجماع الناس، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء»<sup>(٥)</sup>.

(١) بتصرف من كتاب (زاد المعاد) للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، كتاب (سيرة الرسول ﷺ) للمصنف.

(٢) أورده البخارى فى الباب (٢٨) باب مبعث النبى ﷺ - فتح البارى (١٩٩/٧).

(٣) جوامع السيرة / لابن حزم (٢) ط. فيصل آباد باكستان. بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.

(٤) زاد المعاد (٧١/١) ط. مؤسسة الرسالة.

(٥) الذهبى فى السيرة النبوية (ص: ١).

❁ وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وذلك أنه (أى إبراهيم ﷺ) وُلد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان: إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة ووُلد له يعقوب أى من إسحاق كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (١) - وهو إسرائيل - الذى ينتسب إليه سائر أسباطهم، فكانت فيهم النبوة وكثروا جدًّا، بحيث لا يعلم عددهم إلا الذى بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة، حتى ختموا بعيسى بن مريم من بنى إسرائيل.

وأما إسماعيل ﷺ فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها، كما سنُبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى... ولم يوجد من سلالته من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق وسيدهم وفخر بنى آدم فى الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى المكى ثم المدنى ﷺ.

فلم يوجد من هذا الفرع الشريف، والغصن المنيف، سوى هذه الجوهرة الباهرة، والدرة الزاهرة، وواسطة العقد الفاخرة، وهو السيد الذى يفتخر به أهل الجمع، ويغبطه الأولون والآخرون يوم القيامة» (٢).

### مكانة النبى ﷺ بين قومه

لقد كان النبى ﷺ فى خير قبيلة وأشرف نسب.. وهكذا الأنبياء يكونون أشرف الناس نسبًا وأكمل الناس خلقًا وخلقًا.

لذا سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن نسب النبى ﷺ فقال: كَيْفَ نَسَبُهُ فَيْكُمْ؟ فقال أبو سفيان: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. ثم قال: سَأَلْتُكَ عَن نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فَيْكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْعَثُ فِى نَسَبِ قَوْمِهَا» (٣).

(١) سورة هود: الآية: (٧١).

(٢) قصص الأنبياء / لابن كثير (ص: ١٧٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧) كتاب بدء الوحي - ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

✽ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا قَرْنَا حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ <sup>(١)</sup> الَّذِي كُنْتُ فِيهِ) <sup>(٢)</sup>.

✽ وعن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) <sup>(٣)</sup>.

✽ وفي فضل قريش عن أم هانئ مرفوعاً «فَضَّلَ اللَّهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِصَالٍ: فَضَّلَهُمْ بِأَنْ عَبْدِوا اللَّهَ عَشْرَ سِنِينَ لَا يَعْبُدُهُ إِلَّا قُرَشِيٌّ ، وَفَضَّلَهُمْ بِأَنْ نَصَرَهُمْ يَوْمَ الْفِيلِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَفَضَّلَهُمْ بِأَنْ نَزَلَتْ فِيهِمْ سُورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَدْخُلْ فِيهَا غَيْرُهُمْ ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وَفَضَّلَهُمْ بِأَنْ فِيهِمُ النَّبِيُّ وَالْخِلاَفَةُ وَالْحِجَابَةُ وَالسَّقَايَةُ» <sup>(٥)</sup>.

✽ وعن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: (أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدِ كِنْدَةَ ، وَلَا يَرُونِي إِلَّا أَفْضَلَهُمْ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْتُمْ مِنَّا؟ فَقَالَ: «نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ لَا نَقْفُو أُمَّنَا» <sup>(٦)</sup> وَلَا نَتَّعِفِي مِنْ أَبِينَا» فَكَانَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ: «لَا أُوتِي بِرَجُلٍ نَفَى رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ إِلَّا جَلَدْتُهُ الْخَدَّ» <sup>(٧)</sup>.

✽ وَعَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، قَالَ: أَتَى أَنَسٌ مِنْ الْأَنْصَارِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالُوا: إِنَّا لَنَسْمَعُ مِنْ قَوْمِكَ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ مِنْهُمْ: إِنَّمَا مَثَلُ

(١) القرن: كلُّ طبقةٍ مقترنين في وقت، وقيل قرن: لأنه يقرب أمةً بأمةٍ وعالمًا بعالم، وقيل القرن: ثمانون سنة، وقيل أربعون، وقيل مائة سنة.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٥٥٧) كتاب المناقب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٦) كتاب الفضائل.

(٤) سورة قريش: الآية: (١).

(٥) حسن: رواه البخاري في التاريخ الكبير وابن عدي في الكامل، والحاكم، وحسنه الألباني لشواهده في الصحيحة رقم (١٩٤٤).

(٦) نقفو أمتنا: أي لا ننتهزها، ولا نقذفها.

(٧) حسن: رواه ابن ماجه، وأحمد، وحسنه الألباني في الإرواء (٢٣٦٨).

مُحَمَّدٍ مَثَلُ نَخْلَةٍ نَبَتَتْ فِي كِبَاءٍ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أَنَا؟» قَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - قَالَ: فَمَا سَمِعْنَاهُ قَطُّ يُتَمَى قَبْلَهَا - أَلَا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ، ثُمَّ فَرَّقَهُمْ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ الْفِرْقَتَيْنِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قِبَائِلَ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بِيُوتًا، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا، وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا»<sup>(٢)</sup>.

✽ وعن كُليبِ بنِ وائلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَبِيبَةُ النَّبِيِّ ﷺ، زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: قُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ أَكَانَ مِنْ مُضَرَ؟ قَالَتْ: فَمِمَّنْ كَانَ إِلَّا مِنْ مُضَرَ، مِنْ بَنِي النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ<sup>(٣)</sup>.

✽ بل لقد كان الحجر يعرف قدر النبي ﷺ فكان يُسَلَّمُ عليه قبل البعثة.  
فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»<sup>(٤)</sup>.

### خاتم النبيين ﷺ

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُيْتَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْتَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْتَةُ! قَالَ: فَأَنَا اللَّبْتَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»<sup>(٥)</sup>.

### أسماء النبي ﷺ وكناه

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا

(١) الكباء: الكناسة.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٧٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٤٩١) كتاب المناقب.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل.

مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ»، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَعُوفًا رَحِيمًا<sup>(١)</sup>.

✽ قال الإمام النووي: قوله ﷺ: « وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ » قال العلماء: المراد محو الكفر من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب، وما زوى له ﷺ من الأرض، ووعد أن يبلغه ملك أمته. قالوا: ويحتمل أن المراد المحو العام بمعنى الظهور بالحجة، والغلبة كما قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وجاء في حديث آخر تفسير الماحي بأنه الذي مُحيت به سيئات مَنْ اتبعه... فقد يكون المراد بمحو الكفر هذا، ويكون كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي الحديث الصحيح «الإسلام يهدم ما كان قبله»<sup>(٤)</sup>.

✽ قوله: «وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى عَقْبِي» أى على أثرى، أى أنه يُحشر قبل الناس، وهو موافق لقوله في الرواية الأخرى «يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي» ويحتمل أن يكون المراد بالقدم الزمان أى وقت قيامى على قدمي بظهور علامات الحشر، إشارة إلى أنه ليس بعده نبي ولا شريعة.

✽ وأما العاقب ففسره في الحديث بأنه ليس بعده نبي أى جاء عقبهم. قال الحافظ: والذي يظهر أنه أراد أن لى خمسة أسماء أختص بها لم يُسمَّ بها أحدٌ قبلى، أو معظمه أو مشهوره فى الأمم السابقة لا أنه أراد الحصر فيها. قال عياض: حمى الله هذه الأسماء أن يُسمَّى بها أحد قبله، وإنما تسمى بعض العرب محمداً قرب ميلاده، لما سمعوا من الكهان والأجبار أن نبياً سيُبعث فى هذا الزمان يُسمَّى محمداً، فرجوا أن يكونوا هم فسمُّوا أبناءهم بذلك<sup>(٥)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٣٢) كتاب المناقب - ومسلم (٢٣٥٤) كتاب الفضائل.

(٢) سورة الفتح: الآية: (٢٨).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٣٨).

(٤) مسلم بشرح النووي (١٥٣/١٥).

(٥) فتح الباري (٦/٦٤٢).

❁ وقال ابن مسعود: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق.

وفي التوراة: أنه حرز للأمين، وأن اسمه المتوكل.

ومن أسمائه الأمين، وكانت قريش تدعوه به قبل نبوته.

ومن أسمائه الفاتح وقثم<sup>(١)</sup>.

وقال علي بن زيد بن جدعان: تذاكروا أحسن بيت قالته العرب، فقالوا قول

أبي طالب في النبي ﷺ:

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجْلَه فذو العرش محمودٌ وهذا محمد<sup>(٢)</sup>

❁ ومن أسمائه كذلك: المقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة.

عن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً.

فقال: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام النووي: وأما (نبي التوبة ونبي الرحمة ونبي الرحمة) فمعناها

متقارب ومقصودها أنه ﷺ جاء بالتوبة وبالتراحم... قال الله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾<sup>(٥)</sup>، والله أعلم. وفي

حديث آخر (نبي الملاحم)، لأنه ﷺ بُعث بالقتال... قال العلماء: وإنما اقتصر

على هذه الأسماء مع أن له ﷺ أسماء غيرها كما سبق، لأنها موجودة في الكتب

المتقدمة وموجودة للأمم السالفة<sup>(٦)</sup>.

ومما وقع من أسمائه في القرآن بالاتفاق «الشاهد، والمبشر، والنذير المبين،

والداعي إلى الله، والسراج المنير». وفيه أيضًا: «المذكر، والرحمة، والنعمة،

(١) القثم: المجتمع الخلق وقيل الجامع الكامل وقيل الجموع للخير كما في النهاية.

(٢) السيرة للذهبي (١٠/٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٥٥) (١٢٦) كتاب الفضائل.

(٤) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٥) سورة البلد: الآية: (١٧).

(٦) مسلم بشرح النووي (١٥٤/١٥-١٥٥).



والهادي، والشهيد، والأمين، والمزمل، والمدثر». وتقدم في حديث عمرو بن العاص «المتوكل» ومن أسمائه المشهورة «المختار، والمصطفى، والشفيع، والمشفع، والصادق والمصدق».

وغير ذلك. قال ابن دحية في تصنيف له مفرد في الأسماء النبوية: قال بعضهم: أسماء النبي ﷺ عدد أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون اسمًا<sup>(١)</sup>. أما كُنيتُه ﷺ فكان ﷺ يُكنَى أبا القاسم بولده القاسم، وكان أكبر أولاده واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها... عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت النبي ﷺ. فقال: سَمُّوا باسمي ولا تكتنوا بكنتي<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ: وقد اختلف في جواز التكني بكُنيتِه ﷺ: فالمشهور عن الشافعي المنع على ظاهر هذه الأحاديث، وقيل: يختص ذلك بزمانه، وقيل بمن تسمى باسمه<sup>(٣)</sup>.

❖ قال الإمام ابن القيم: وأسماءُه ﷺ نوعان:

أحدهما: خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل، كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمقفى، ونبي الملحمة. والثاني: ما يشاركه في معناه غيره من الرسل، ولكن له منه كماله، فهو مختص بكماله دون أصله، كرسول الله، ونبيه، وعبده، والشاهد، والمبشر، والنذير، ونبي الرحمة، ونبي التوبة.

وأما إن جعل له من كل وصف من أوصافه اسم، تجاوزت أسماءه المائتين، كالصادق، والمصدق، والرؤوف الرحيم، إلى أمثال ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري (٦/٦٤٣-٦٤٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٥٣٧) كتاب المناقب.

(٣) فتح الباري (٦/٦٤٨).

(٤) زاد المعاد (١/٨٨).

## أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين رضي الله عنهن)

❁ أولاهن خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، تزوجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم، وهي التي آزرته على النبوة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله إليها السلام مع جبريل، وهذه خاصة لا تُعرف لامرأة سواها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.

ثم تزوج بعد موتها: سودة بنت زمعة القرشية، وهي التي وهبت يومها لعائشة. ثم تزوج بعدها أمّ عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنه، المبرأة من فوق سبع سماوات، حبيبة رسول الله ﷺ، عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعرضها عليه الملك قبل نكاحها في سرقة من حرير وقال: «هذه زوجتك»<sup>(١)</sup> تزوج بها في شَوَّال وعمرها ست سنين، وبنى بها في شَوَّال في السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وما نزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، ونزل عذرها من السماء، واتفقت الأمة على كفر قاذفها، وهي أفقه نسائه وأعلمهن، بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق، وكان الأكابر من أصحاب النبي ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها.

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه... وذكر أبو داود أنه طلقها، ثم راجعها<sup>(٢)</sup>.

ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية، من بنى هلال بن عامر،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٩٥) كتاب مناقب الأنصار - ومسلم (٢٤٣٨) كتاب فضائل الصحابة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «أرئتك في المنام مرتين إذا رجل يملكك في سرقة (شقة من حرير أبيض) من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشفها، فإذا هي أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يُمضه» وخبر تزوجها وهي بنتُ ست وبنائوه بها وهي بنت تسع أخرجه البخاري (٣٨٩٦) كتاب مناقب الأنصار - ومسلم (١٤٢٢) كتاب النكاح: باب تزويج الأب البكر الصغيرة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجه والدارمي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٠٧).

وتوفيت عنده بعد ضمّه لها بشهرين.

ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية، واسم أبي أمية حذيفة بن المغيرة، وهي آخر نسائه موتاً.

ثم تزوج زينب بنت جحش من بني أسد بن خزيمة وهي ابنة عمته أميمة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكُمَهَا﴾<sup>(١)</sup> وبذلك كانت تفتخر على نساء النبي ﷺ، وتقول: زَوَّجَكَنْ أَهَالِيكَنْ، وزَوَّجَنِي اللهُ مِنَ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ<sup>(٢)</sup>.

ومن خواصها أن الله سبحانه وتعالى كان هو وليها الذي زوّجها لرسوله من فوق سماواته، وتوفيت في أول خلافة عمر بن الخطاب. وكانت أولاً عند زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ تبناه، فلما طلقها زيد، زوّجه الله تعالى إياها لتأسي به أمته في نكاح أزواج من تبنيه - وبخاصة وأن الإسلام أبطل التبنّي بعد ذلك -.

وتزوج ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، وكانت من سبايا بني المصطلق، فجاءته تستعين به على كتابتها، فأدّى عنها كتابتها وتزوجها.

ثم تزوج أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية. وقيل: اسمها هند، تزوجها وهي ببلاد الحبشة مهاجرة، وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار، وسيقت إليه من هناك، وماتت في أيام أخيها معاوية... هذا هو المعروف المتواتر عند أهل السير والتواريخ.

وتزوج ﷺ صفية بنت حُيي بن أخطب سيد بني النضير من ولد هارون ابن عمران أخى موسى، فهي ابنة نبي، وزوجة نبي، وكانت من أجمل نساء

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٧٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٤٢٠) كتاب التوحيد عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله، وأمسك عليك زوجك» قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً، لكتّم هذه قال: فكانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول: «زَوَّجَكَنْ أَهَالِيكَنْ، وزَوَّجَنِي اللهُ مِنَ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ».

العالمين، وكانت قد صارت له من السبي أمة فأعتقها، وجعل عتقها صداقها... ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، وهى آخر من تزوج بها، تزوجها بمكة فى عمرة القضاء بعد أن حلَّ منها على الصحيح.

فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتى دخل بهن، وأما من خطبها ولم يتزوجها، ومن وهبت نفسها، ولم يتزوجها، فنحو أربع أو خمس، وقال بعضهم: هن ثلاثون امرأة، وأهل العلم بسيرته وأحواله ﷺ لا يعرفون هذا، بل ينكرونه، والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها، فدخل عليها ليخطبها، فاستعادت منه، فأعازها ولم يتزوجها.. وكذلك الكلية، وكذلك التى رأى بكشحها بياضاً، فلم يدخل بها، والتى وهبت نفسها له فزوّجها غيره على سور من القرآن... هذا هو المحفوظ، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

ولا خلاف أنه ﷺ تُوفى عن تسع، وكان يقسم منهن لثمان: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وجويرية... أما سودة فقد وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها

وأول نساته لحوقاً به بعد وفاته ﷺ زينب بنت جحش سنة عشرين، وآخرهن موتاً أم سلمة، سنة اثنتين وستين فى خلافة يزيد، والله أعلم.

وقال الإمام النووى رحمته الله: أولهن خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة وأم حبيبة وأم سلمة وزينب بنت جحش وميمونة وجويرية وصفية، فهؤلاء التسع بعد خديجة توفى عنهن ولم يتزوج فى حياة خديجة غيرها، ولا تزوج بكرة غير عائشة، وأما اللاتى فارقهن فى حياته فتركناهن لكثرة الاختلاف فيهن.

وكان له سريتان: مارية وريحانة بنت زيد، وقيل بنت شمعون ثم أعتقها. رويانا عن قتادة قال: «تزوج النبى ﷺ خمس عشرة امرأة، فدخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة وتوفى عن تسع»<sup>(٢)</sup>.

(١) زاد المعاد (١/١٠٥-١١٤) بتصرف.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٧).

## أولاد النبي ﷺ

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ:

كان له ﷺ ثلاثة بنين: القاسم وبه كان يُكنَى،... وُلد قبل النبوة، وتوفي وهو ابن سنتين، وعبد الله وسُمِّي الطيب والطاهر، لأنه ولد بعد النبوة وقيل الطيب والطاهر غير عبد الله والصحيح الأول<sup>(١)</sup>. والثالث: إبراهيم وُلد بالمدينة سنة ثمانٍ، ومات بها سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهرًا أو ثمانية عشر.

وكان له أربع بنات:

زينت ... تزوجها أبو العاص، بن الربيع بن عبد العُزى بن عبد شمس وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد.

وفاطمة ... تزوجها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ورقية وأم كلثوم ... تزوجهما عثمان بن عفان... تزوج رقية، ثم أم كلثوم، وتُوفيتا عنده، ولهذا سُمي ذا النورين... توفيت رقية يوم بدر في رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وتوفيت أم كلثوم في شعبان سنة تسع من الهجرة.

فالبنت أربع بلا خلاف، والبنون ثلاثة على الصحيح. وأول من وُلد له القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وجاء أن فاطمة أسن من أم كلثوم<sup>(٢)</sup>.

وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية... وكلهم تُوفوا قبله إلا فاطمة، فإنها عاشت بعده ستة أشهر على الأصح الأشهر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) ورجحه ابن حزم في جوامع السيرة (٤٠).

(٢) باختصار من تهذيب الأسماء واللغات (٢٦/١).

## أعمامه وعماته

فمنهم أسدُ الله وأسدُ رسوله سيدُ الشهداء حمزةُ بن عبد المطلب، والعباسُ، وأبو طالب واسمه عبدُ مناف، وأبو لهب واسمه عبد العُزى، والزبير، وعبد الكعبة، والمقوم، وضرار، وقُثم، والمغيرة ولقبه حَجَل، والغيداق واسمه مصعب، وقيل: نوفل، وزاد بعضهم: العوام ... ولم يُسلم منهم إلا حمزة والعباس رضي الله عنهما.

وأما عماته، فصفية أم الزبير بن العوام، وعاتكة، وبرّة، وأروى، وأميمة، وأم حكيم البيضاء... أسلم منهن صفية رضي الله عنها، واختلف في إسلام عاتكة وأروى، وصحح بعضهم إسلام أروى. وأسن أعمامه: الحارث، وأصغرهم سنًا: العباس <sup>(١)</sup>.

## سراريه

قال أبو عبيدة: كان له أربع: مارية وهي أم ولده إبراهيم، وريحانة وجارية أخرى جميلة أصابها في بعض السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش.

## موالي الحبيب

إن المراد من الموالى أولئك الأرقاء الذين أعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرفوا بخدمته يوماً من الدهر، وهذه قائمة بأسمائهم:

✽ زيد بن حارثة الكلبي وولده أسامة بن زيد وهما الحَب وابن الحَب رضي الله عنهما

✽ ثوبان: ويكنى بأبي عبد الله ... أصابه من السراة .. سكن حِمص بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بها.

(١) زاد المعاد / للإمام ابن القيم (١/١٠٤-١٠٥) بتصرف.



✽ شقران: واسمه صالح .. قيل إنه من الحبشة وقيل من الفُرس، وغالب الظن أنه من الفرس الذين كانوا يسكنون اليمن من بقايا الجيوش التي دخلت اليمن من الفرس في الجاهلية قبل الإسلام.

✽ أبو رافع: واسمه إبراهيم القبطي كان لآل العباس فأسلم ووهبه العباس لرسول الله ﷺ فأعتقه وزوّجه فأنجب أولادًا وكان ينحت القداح، وكان كاتبًا، واستكتبه على ﷺ.

✽ سلمان الفارسي: الأصبهاني كان مملوكًا في آخر أيامه قبل الإسلام ليهودي فكتب اليهودي وأعانه رسول الله ﷺ حتى عُتق.

✽ سفينة<sup>(١)</sup>: وكان لأم سلمة فأعتقته واشترطت عليه خدمة رسول الله ﷺ مدة حياته، فقبل بالشرط ونفّذه، فخدم رسول الله ﷺ وشرف بذلك وباليتمنى كنت أنا وأمي وأولادي خدمًا لرسول الله ﷺ مدة حياته.

✽ أنسة: ويكنى أبا مسروح وهو من مولدى السراة، وكان يأذن<sup>(٢)</sup> على رسول الله ﷺ إذا جلس... توفي في حياة أبي بكر ﷺ.

✽ أبو كبشة: واسمه سُليم... اشتراه الرسول ﷺ وأعتقه وشهد بدرًا والمشاهد كلها وتوفي يوم استخلف عمر ﷺ.

✽ رُوَيْفِع: ويكنى أبو مويهبة كان من مولدى مزينة... اشتراه النبي ﷺ وأعتقه.

✽ رباح الأسود: وكان يأذن على رسول الله ﷺ في المجلس وهو الذى أخذ الإذن لعمر حتى دخل على رسول الله أيام آل من نسائه.

(١) يُسمى سفينة لأنه كان في سفر فكان الرجل إذا أعيأ يرمى عليه درعه أو سيفه فيحمل ذلك. فقال له رسول الله ﷺ: «أنت سفينة» فلقّب بسفينة.

(٢) بمعنى يستأذن في الدخول لمن أراد أن يدخل على رسول الله ﷺ، وفي الكلام لمن أراد أن يكلمه ﷺ.

✽ فضالة اليماني: نزل الشام.

✽ مدعم: قُتل بوادي القرى بسهم عاثر أي بسهم لا يُعرف من رماه به.

✽ أبو ضُميرة: قيل كان من الفرس أصابه رسول الله ﷺ في بعض الوقائع وأعتقه.

✽ يسار: وكان نوبياً أصابه رسول الله ﷺ في بعض غزواته فأعتقه وهو الذي قتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح النبي ﷺ.

✽ مهران: مولاه حدّث عن النبي ﷺ.

✽ حُنين: مولى رسول الله ﷺ وهو جد إبراهيم بن عبد الله بن حنين كان يخدم رسول الله ﷺ ويؤضئه ثم وهبه رسول الله ﷺ لعمه العباس فأعتقه.

✽ زيد أبو يسار: راوى حديث<sup>(١)</sup>: «مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الرَّحْفِ».

✽ كركرة: كان على ثقل النبي ﷺ في بعض غزواته ومات وهو غالٌّ عباءة فقال النبي ﷺ: هو في النار.

✽ كيسان: راوى حديث: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ نُهَيْنَا أَنْ نَأْكُلَ الصَّدَقَةَ» رواه البغوى.

✽ أبو بكرة نويفع الثقفى: تولى ببكرة من حصن الطائف فأعتقه رسول الله ﷺ مع أعبد كانوا معه، وطلب أهل الطائف بهم بعد إسلامهم فلم يردهم رسول الله ﷺ إليهم وقال: هم عتقاء الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٦٢٢).



## إماء رسول الله ﷺ

وكان للحبيب ﷺ إماء كثيرات منهن:

- ✽ بركة أم أيمن وأم أسامة بن زيد... فازت بحضانة النبي ﷺ مع والدته آمنة
- ✽ كان قد زارها أبو بكر وعمر بعد وفاة رسول الله ﷺ فبكت أمامهما فقالا لها: أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ فقالت: بلى ولكنى أبكى لأن الوحي قد انقطع من السماء فجعلنا يبيكان رضى الله عنهم أجمعين.
- ✽ خولة خادمة<sup>(١)</sup> رسول الله ﷺ.
- ✽ رضوى بنت كعب.
- ✽ ريحانة بنت شمعون القرظية أو النضرية.
- ✽ سانية مولاة رسول الله ﷺ.
- ✽ سلمى أم رافع امرأة أبي رافع.
- ✽ ميمونة بنت سعد... روى عنها أصحاب الكتب الستة.
- ✽ عنقودة أم مليح الحبشية جارية عائشة كان اسمها عنبه فسماها رسول الله ﷺ عنقودة.

- ✽ أم عايش بعثها رسول الله ﷺ مع ابنته تخدمها حين زوجه عثمان رضى الله عنه.
- ✽ ميمونة بنت أبي عسيب راوية حديث: «صَعِيَ يَدُكَ الْيُمْنَى عَلَى فُؤَادِكَ فَاْمَسَحِيهِ ، وَقُولِي : بِسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ دَاوِنِي بِدَوَائِكَ ، وَاشْفِنِي بِشِفَائِكَ ، وَأَغْنِنِي بِغِنَاكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ» حيث طلبت دعوة من رسول الله ﷺ يسكن بها قلبها وتطمئن بها نفسها، فقال لها رسول الله ﷺ: «قولي» الحديث...
- ✽ هؤلاء مواليه وهم خدمه... أما مواليه وخدمه من الأحرار<sup>(٢)</sup> فأفضل

(١) ويقال خادم وهو أفصح... وخادمة أقرب إلى فهم الناس اليوم.

(٢) من أشهر من خدم رسول الله ﷺ من الأحرار أنس بن مالك الأنصاري قال: خدمت رسول الله ﷺ

الصحابة كأبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد خدمه واعتز بخدمته... فلذا من خدمه من أصحابه لا يقلون عن عدد الموالى من خدمه بل هم أكثر<sup>(١)</sup>. فصلّ اللهم على نبيك و صفيك وخيرتك من خلقك محمد وعلى آله وصحبه ومواليه ومن آمن به واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

## كِتَابُهُ صلى الله عليه وسلم

إن من صفات الكمال المحمدى الأمية إذ بها نُعت في الكتب الأولى. ومعناها:

أنه لا يقرأ في كتاب ولا يكتبه، إذ لو كان كذلك لارتاب المبطلون فكانت الأمية صفة كمال له دون غيره من سائر الناس.

ومن هنا كان لا بد من كُتَاب يكتبون له صلى الله عليه وسلم الوحي النازل إليه من ربه تعالى وغير الوحي مما لا بد من كتابته كالوثائق والعهود السياسية وكمراسلة الملوك والرؤساء، لإبلاغ دعوة الله عز وجل...

وللحبيب صلى الله عليه وسلم كُتَاب كثيرون هذا طرفٌ منهم:

✽ أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

✽ عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

✽ عثمان بن عفان رضي الله عنه.

✽ علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

✽ خالد بن سعيد رضي الله عنه.

✽ أبان بن سعيد رضي الله عنه.

≡ عشر سنوات فما قال لي: أفّ قط وما قال لي في شيء فعلته لِمَ فعلته ولا في شيء تركته لِمَ تركته؟ وذلك لكمال خلقه صلى الله عليه وسلم.

(١) اختلف في عدد الصحابة... والرّاجح أنهم أكثر من ١٢٠ ألفاً.

- ✽ العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه .
- ✽ أبي بن كعب رضي الله عنه وهو أول من كتب له بالمدينة.
- ✽ زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وقد أمره أن يتعلم العبرانية<sup>(١)</sup> فتعلمها كتابة وقراءة في نصف شهر لا غير.
- ✽ عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه ... ثم ارتد وعاد إلى الإسلام يوم الفتح وحسن إسلامه.
- ✽ حنظلة الأسدي رضي الله عنه .
- ✽ الزبير بن العوام رضي الله عنه حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته.
- ✽ خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه صاحب المواقف البطولية في الجهاد.
- ✽ ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه .
- ✽ عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
- ✽ عبد الله بن أرقم بن أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه .
- ✽ عبد الله بن زيد بن عبد ربه صاحب رؤيا الأذان رضي الله عنه .
- ✽ محمد بن سلمة الأنصاري رضي الله عنه .
- ✽ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وكان يكتب بين يدي رسول الله ﷺ .
- ✽ المغيرة بن شعبة الثقفي رضي الله عنه راوى حديث المسح على الخفين<sup>(٢)</sup> .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) لغة اليهود الدينية والسياسية.

(٢) زاد المعاد للإمام ابن القيم - نقلاً من «هذا الحبيب ﷺ يا محب» للشيخ أبي بكر الجزائري (ص ٤٨٧ : ٤٩٢) بتصرف.

## فصل فى مؤذنيه ﷺ

وكانوا أربعة: اثنان بالمدينة: بلالُ بنُ رباح، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ، وعمرو بن أم مكتوم القرشى العامرى الأعمى.. وبقباء سعد القرظ مولى عمار بن ياسر، وبمكة أبو محذورة واسمه أوس بن مغيرة الجمحى، وكان أبو محذورة منهم يُرَجِّع الأذان، ويُنشئ الإقامة، وبلال لا يُرجع، ويفرد الإقامة، فأخذ الشافعى رَحِمَهُ اللهُ وأهل مكة بأذان أبى محذورة، وإقامة بلال، وأخذ أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ وأهل العراق بأذان بلال، وإقامة أبى محذورة، وأخذ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ وأهل الحديث وأهل المدينة بأذان بلال وإقامته، وخالف مالك رَحِمَهُ اللهُ فى الموضوعين: إعادة التكبير، وتثنية لفظ الإقامة، فإنه لا يكررها.

## حرسه ﷺ

فمنهم سعدُ بن معاذ، حرسه يوم بدر حين نام فى العريش، ومحمد ابن مسلمة حرسه يوم أحد، والزبير بن العوام حرسه يوم الخندق. ومنهم عبَّاد بن بشر، وهو الذى كان على حرسه. وجرسه جماعة آخرون غير هؤلاء، فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> خرج على الناس فأخبرهم بها، وصرف الحرس<sup>(٢)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

(٢) رواه الترمذى، عن عائشة قالت: كان النبى ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: «أبها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله» وأخرجه الطبرى، صححه الحاكم، ووافقه الذهبى، وحسنه الحافظ فى «الفتح» (٦٠/٦)، وقال: اختلف فى وصله وإرساله.



## فصل : فيمن كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ

على بن أبي طالب، والزيير بن العوام، والمقداد بن عمرو، ومحمد ابن مسلمة، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، والضحاك بن سفيان الكلابي. وكان قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري منه ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير<sup>(١)</sup>.. ووقف المغيرة بن شعبة على رأسه بالسيف يوم الحديبية.

## فصل : فيمن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه

### ومن كان يأذن عليه

كان بلال على نفقاته، ومُعيقب ابن أبي فاطمة الدوسي على خاتمه، وابن مسعود على سواكه ونعله، وأذن عليه رباح الأسود وأنسة مولياه، وأنس بن مالك، وأبو موسى الأشعري.

## فصل : في شعرائه وخطبائه ﷺ

كان من شعرائه الذين يذُبُّون عن الإسلام: كعب بن مالك، وعبدُ الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وكان أشدهم على الكفار حسان بن ثابت وكعب ابن مالك يُعيرهم بالكفر والشرك.. وكان خطيبه ثابت بن قيس ابن شماس<sup>(٢)</sup>.

## فصل : في حداته الذين كانوا يحدون بين يديه ﷺ في السفر

منهم عبدُ الله بن رواحة، وأنجشة، وعامر بن الأكوع وعمه سلمة بن الأكوع... وفي «صحيح مسلم»: كان لرسول الله ﷺ حدٌ حسنُ الصوت، فقال له رسولُ الله ﷺ: «رُوَيْدًا يَا أَنْجَشَةُ، لَا تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح: رواه البخارى (٧١٥٥) كتاب الأحكام.

(٢) ابن زهير بن مالك الأنصارى الخزرجى خطيب الأنصار، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وقتل

يوم اليمامة في خلافة أبي بكر شهيدًا. «أسد الغابة» (١/ ٢٧٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢١١) كتاب الأدب - ومسلم (٢٣٢٣) كتاب الفضائل.

وفي رواية: «رَفَقًا بِالْقَوَارِيرِ» يعنى ضعفة النساء<sup>(١)</sup>.

## أَسْمَاءُ خَيْلِهِ ﷺ

إن تسمية الدواب من إنسان وحيوان وغيرهما أمر مُقرر في الشرع والعقل.. إذ لا نعرف الذات إلا بسمّة أي علامة تدل عليها، ومن ذلك كان تسمية الأشياء. وللحبيب ﷺ خيل يركبها للجهاد عليها لا للفخر والمباهاة؛ إذ ذلك شأن أبناء الدنيا. وأما الحبيب ﷺ فقد كان أرقى البشر فكراً وأرجحهم عقلاً وأصفاهم ذهنًا وأطهرهم روحًا وأزكاهم<sup>(٢)</sup> نفسًا، فكيف يكون للدنيا ابنًا وهي بئست الأم... ومن خيول النبي ﷺ التي عُرفت بأسمائها ما يلي:

✽ السكبُ: وهو أول فرس ملكه، وغزا غزوة أحد عليه، وسُمى بالسكب لأنه كثير الجرى.

✽ ملاح.

✽ المُرْتَجَز.

✽ اللحيْف: أهداه إليه ربيع بن أبي البراء.

✽ الظرب: أهداه إليه فروة بن عمرو الجذامي.

✽ الورد: أهداه إليه تميم الدارى فوهبه ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

✽ اللزاز: أهداه إليه المقوقس كما أهدى إليه مارية والبغلة «دُلْدُل».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) زاد المعاد (١/١٢٤ - ١٢٩) بتصرف.

(٢) لا فرق بين الروح والنفس إلا تلوين العبارة للبيان.



## أسماء بغال الحبيب ﷺ

لقد كان للنبي ﷺ بغلتان الأولى دُلْدُل وهى بغلة بيضاء أهداها إليه المقوقس ملك القبط، وهى أول بغلة رُؤيت فى الإسلام.. والثانية «فضه» أهداها إليه قهروة بن عمرو فوهبها ﷺ إلى أبى بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ... وكان له حمار واحد يُقال له يَعْفور أو عفير أهداه إليه المقوقس ملك القبط.

## أسماء إبله ولقاحه ومناجحه ﷺ

أما الركائب من الإبل فلم يكن له ﷺ سوى القصوى ويقال لها العضباء والجدعى أيضا أخذها من أبى بكر بأربعمائة درهم. وهاجر عليها من مكة إلى المدينة، وبقيت معه مدة طويلة. وأما اللقاح فكان له عشرون لقحة ترعى بالغابة وهى التى أغار عليها العرنيون ومنهن الحسناء والسمرء والعريس والسعدية والبغوم<sup>(١)</sup>، واليسيرة والريا، ومهرة، والشقراء كان يأتى لبنها أهله كل ليلة. وأما المناجح<sup>(٢)</sup> فقد كان له ﷺ سبع مناجح من الغنم وهى. عجوة، وزمزم، وسقيا، وبركة، وورسة، وأطلال، وأطراف. كما له سبع أعنز كان يرعاهن أيمن ابن أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ.

## أسماء سلاح الحبيب ﷺ

من أشهر سلاحه ﷺ سيفه «ذو الفقار» الذى غنمه يوم بدر، وكان لمنبه بن الحجاج.. وغانم من بنى قينقاع ثلاثة أسياف، هى القلى، والبتار، والخيف، وكان له سيف يُدعى المعزدم وآخر يسمى رسوب... وكان له بمكة سيفان قديم

(١) البغام: صوت الإبل.

(٢) جمع منيحة: الشاة تُعطى لأجل لبنها.

بهما المدينة وحمل أحدهما معه إلى بدر وهو القضب.

وأما الرماح والقسي فقد كان له ﷺ ثلاثة رماح، وثلاث قسي إحداها تسمى الروحاء والثانية البيضاء والثالثة الصفراء.

وأما الدروع فقد كان له ثلاثة دروع الأولى تُسمى الفضة غنمها من بنى قينقاع والثانية تُسمى ذات الفضول، كانت عليه يوم أُحد مع الفضة والثالثة الصعدية. وكان له تُرسٌ واحد فيه تمثال رأس كبش فكرهه لذلك فأصبح وقد أذهب الله تعالى عنه، وكان له قضيب يُسمى الممشوق.

هذا ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى نظرًا إلى ما صحَّ من قول عليٍّ وخبر الصحابة أن النبي ﷺ مات ولم يترك دينارًا ولا درهمًا، وأن درعه مرهونة في ثلاثين صاعًا من شعير: أن جميع ما ذكر من العبيد والإماء والحيوان والسلاح قد أنجز التصدُّق به قبل موته، وهو كذلك، وكيف لا وقد قال: «إِنَّا معاشر الأنبياء لا نُورثُ ما تركناه صدقةً»<sup>(١)(٢)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) (هذا الحبيب ﷺ يا محب) (ص ٤٩٢-٤٩٤) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٥٧) (٤٩) كتاب الجهاد والسير.





صلى الله  
عليه  
وسلم

# الصفات الخلقية للحبيب





## الصفات الخلقية للحبيب ﷺ

✽ كان رسول الله ﷺ أزهر اللون (أبيض مستنير مائل إلى الحمرة) واسع الجبين، أدعج العينين (الدعج شدة سواد العينين مع سعتهما).  
وقيل: أكحل، أهدب الأشفار (طويل الأشفار) مفلج الأسنان كث اللحية تملأ صدره، عظيم المنكبين، رحب الكفين والقدمين، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد.. رجل الشعر (في شعره حجونة أى تثن قليل) يضرب شعره إلى منكيه، إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من ثناياه.

ضخم الرأس والكراديس في وجهه تدوير، ذا مشربة (وهى الشعر الدقيق من الصدر إلى الشرة كالقضيبي) إذا مشى تقلع كأنما ينحط في صيب (أى يمشى بقوة، والصبب الحدور)، يتلأأ وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الصوت، سهل الخدين، ضليع الفم، سواء البطن والصدر، أشهر المنكبين والذراعين وأعلى الصدر طويل الزندين، رحب الراحة، منهوس العقبين (أى قليل لحم العقب) بين كتفيه خاتم النبوة كزر الحجلة، وكبيضة الحمامة، وكان إذا مشى كأنما تطوى له الأرض ويجدون في لحاقه وهو غير مكترث، وكان يسدل شعر رأسه ثم فرقه، وكان يرجله ويسرح لحيته، ويكتحل بالإثمءد كل ليلة في كل عين ثلاثة أطراف عند النوم<sup>(١)</sup>.

✽ فهذا وصف مجمل للنبي ﷺ يحتاج إلى تفصيل .. وستعائش بقلوبنا من خلال تلك السطور مع تفاصيل وصف النبي ﷺ كأننا نراه بأعيننا - بأبى هو وأمى ﷺ -.

(١) تهذيب الأسماء واللغات / للنووى (١/٢٥، ٢٦).

## وصف أم معبد الخزاعية للنبي ﷺ

﴿عَنْ جِزَامِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ هِشَامِ بْنِ حُبَيْشِ بْنِ حُوَيْلِدٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَدَلِيلُهُمَا اللَّيْثِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ مَرُّوا عَلَى خَيْمَتِي أُمِّ مَعْبَدِ الْخِزَاعِيَّةِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً بَرْزَةً <sup>(١)</sup> جَلْدَةً <sup>(٢)</sup> تَحْتَبِي <sup>(٣)</sup> بِفِنَاءِ الْخَيْمَةِ، ثُمَّ تَسْقَى وَتَطْعَمُ مَنْ مَرَّ بِهَا.

فَسَأَلُوهَا لَحْمًا وَتَمْرًا لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْتَتِينَ <sup>(٤)</sup>، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي كَسْرِ الْخَيْمَةِ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ؟» قَالَتْ: شَاةٌ خَلَفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ، قَالَ: «هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنِ؟» قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبُّهَا؟» قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلُبُّهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى، وَدَعَا لَهَا فِي شَاتَيْهَا، فَتَفَاجَّتْ <sup>(٥)</sup> عَلَيْهِ وَدَرَّتْ، فَاجْتَرَّتْ فَدَعَا بِإِنَاءٍ يَرْبِضُ <sup>(٦)</sup> الرَّهْطُ فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا <sup>(٧)</sup> حَتَّى عَلَاهُ الْبِهَاءُ <sup>(٨)</sup>، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوَيْتُ وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا وَشَرِبَ آخِرَهُمْ حَتَّى أَرَاضُوا <sup>(٩)</sup>، ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ الثَّانِيَةَ عَلَى هِدَّةٍ حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا، ثُمَّ بَايَعَهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا، فَقَلَّ مَا لَبِثْتُ حَتَّى جَاءَهَا زَوْجُهَا

(١) امرأة برزة: هي المرأة الطاعنة في السن التي تبرز للرجال ولا تحتجب عنهم.

(٢) جلدة: قوية.

(٣) تحتبي: الاحتباء هو تشبيك أصابع اليدين ووضعها على الركبتين.

(٤) مُرْمِلِينَ مُسْتَتِينَ: أي أنهم دخلوا سنة الجذب والقحط.

(٥) تفاجت: فرجت رجلها للحلب.

(٦) يربض الرهط: يبالغ في ريهم ويقلمهم حتى يلصقهم بالأرض.

(٧) الثَّجُّ: السائل.

(٨) البهء: رغو الحليب.

(٩) أراضوا: كرروا الشرب حتى بالغوا في الري.

أَبُو مَعْبِدٍ لَيْسُوقَ أَعْتَرَا عِجَافًا يَتَسَاوَكُنَ هُزَالًا مُخُهَنَّ قَلِيلٌ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو مَعْبِدٍ اللَّبْنَ أَعَجَبَهُ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا يَا أُمَّ مَعْبِدٍ وَالشَّاءُ عَازِبٌ حَائِلٌ<sup>(١)</sup>، وَلَا حَلُوبَ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبِدٍ؟

قَالَتْ: رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ<sup>(٢)</sup>، أَبْلَجَ الْوَجْهِ<sup>(٣)</sup>، حَسَنَ الْخَلْقِ، لَمْ تَعْبُهُ ثَجَلَةٌ<sup>(٤)</sup>، وَلَمْ تُزْرِهِ صَعْلَةٌ<sup>(٥)</sup>، وَسِيمٌ<sup>(٦)</sup> قَسِيمٌ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ<sup>(٧)</sup>، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطْفٌ<sup>(٨)</sup>، وَفِي صَوْتِهِ صَهْلٌ<sup>(٩)</sup>، وَفِي عُنُقِهِ سَطْعٌ<sup>(١٠)</sup>، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ<sup>(١١)</sup>، أَرْجٌ أَقْرُنٌ<sup>(١٢)</sup>، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلَاهُ الْبِهَاءُ<sup>(١٣)</sup>، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلُوُ الْمَنْطِقِ فَضْلًا، لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ<sup>(١٤)</sup>، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ، يَتَحَدَّرْنَ رُبْعَةً لَا تَشْنَاهُ مِنْ طُولٍ<sup>(١٥)</sup>، وَلَا

(١) عازب: بعيدة عن المرعى، وحائل: لم تحمل.

(٢) ظاهر الوضاعة: حسن الوجه.

(٣) أبلج الوجه: مُشرق الوجه.

(٤) ثجلة: عظم البطن.

(٥) الصعلة: صغر الرأس.

(٦) الوسيم: الجميل الخلقة.

(٧) الدعج: شدة سواد العين.

(٨) الوطف: طول أشفار العيون.

(٩) صَهْلٌ: ليس بحاد الصوت.

(١٠) سَطْعٌ: إشراق وطول.

(١١) كثاثة: دقة نبات شعر اللحية مع استدارة فيها.

(١٢) أَرْجٌ أَقْرُنٌ: دقة شعر الحاجبين مع طول فيهما واتصال ما بينهما من شعر.

(١٣) البهَاءُ: حسن المظهر.

(١٤) فَضْلًا لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ: كلامه بين وواضح ليس كثيرًا، وليس قليلًا.

(١٥) لَا تَشْنَاهُ مِنْ طُولٍ: ليس طويلاً طولاً مفرداً.

تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصْرِ<sup>(١)</sup>، غُضِنَ بَيْنَ غُضْنَيْنِ، فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا وَأَحْسَنُهُمْ، قَدْرًا لَهُ رُفَقَاءُ يَحْفُونُ<sup>(٢)</sup> بِهِ، إِنْ قَالَ: سَمِعُوا الْقَوْلِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ<sup>(٣)</sup> مَحْشُودٌ<sup>(٤)</sup> لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ.

قَالَ أَبُو مَعْبِدٍ: هَذَا وَاللَّهِ صَاحِبُ فُرَيْشِ الَّذِي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذُكِرَ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَضَحِبَهُ، وَلَا فَعَلَنْ إِنْ وَجَدْتُ إِلَيْ ذَلِكَ سَبِيلًا<sup>(٥)</sup>.

✽ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ تَلْكَمُ الْمَرْأَةِ أَنْ تَصِفَ النَّبِيَّ ﷺ هَذَا الْوَصْفَ الْعَجِيبَ الدَّقِيقَ مَعَ أَنَّهَا مَا رَأَتْهُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً.

### كَانَ وَجْهُهُ ﷺ أَجْمَلَ مِنَ الْقَمَرِ

عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَةٍ أَحْسَنَ فِي حُلَّةِ حَمْرَاءٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... شَعْرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبِيهِ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ<sup>(٦)</sup>.

✽ وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ»<sup>(٧)</sup>.

✽ وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سُئِلَ الْبَرَاءُ: أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ السِّيفِ؟ قَالَ: لَا.. بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ»<sup>(٨)</sup>.

(١) لَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصْرٍ: لَا يُحْتَقِرُ لِقِصْرِهِ الشَّدِيدِ.

(٢) يَحْفُونُ بِهِ: يَحِيطُونَ بِهِ.

(٣) مَحْفُودٌ: مَخْدُومٌ.

(٤) مَحْشُودٌ: مَحْفُوفٌ بِهِ وَمَحَاطٌ بِهِ.

(٥) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ: (٣/٩، ١٠) وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَخْرُجْهُ وَوَأَفَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

(٦) صَحِيحٌ: رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٧) كِتَابُ الْفَضَائِلِ.

(٧) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٤٩) كِتَابُ الْمَنَاقِبِ - وَمُسْلِمٌ (٢٣٣٧) كِتَابُ الْفَضَائِلِ.

(٨) صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٥٢) كِتَابُ الْمَنَاقِبِ.

✽ وعن سماك أنه سمع جابر بن سمرة قال له رجل: أكان رسول الله ﷺ وَجْهَهُ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قال جابر: لَا بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُسْتَدِيرًا <sup>(١)</sup>.

✽ وعن جابر بن سمرة، قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ (يعنى مَقْمَرَةً) وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَى الْقَمَرِ فَلَهُوَ كَانَ أَحْسَنَ فِي عَيْنِي مِنَ الْقَمَرِ <sup>(٢)</sup>.

✽ وكان وجهه ﷺ مستديرًا... ففي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة أنه قال: كان وجهه مثل الشمس والقمر وكان مستديرًا <sup>(٣)</sup>.

✽ وكان الحزن أو السرور يظهران على وجه النبي ﷺ.

فعن أنس أنه قال: كان إذا كره شيئاً رَوَى ذلك على وجهه <sup>(٤)</sup>.

### لون النبي ﷺ

عن علي رضي الله عنه أنه وصف لون النبي ﷺ فقال: كَانَ أبيضَ مُشْرَبًا بِيَاضِهِ بِحُمْرَةٍ، وَكَانَ أَسْوَدَ الْحَدَقَةِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ <sup>(٥)</sup>.

✽ وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال في وصف لون النبي ﷺ: كان أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ <sup>(٦)</sup>.

بِقَوْلِهِ: إِذَا مَشَى تَكْفَأَ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤٤) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه الترمذی، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في مختصر الشمائل (٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤٤) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه الطبرانی في الأوسط، وصححه الألبانی في صحيح الجامع (٤٧٧٨).

(٥) صحيح: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وصححه الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٤٦٢١).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣٠) كتاب الفضائل.

## صفة فم النبي ﷺ وعقبه

✽ عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم<sup>(١)</sup>، أشكل العين<sup>(٢)</sup> منهوس العيين<sup>(٣)</sup> قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: «عظيم الفم»، قال قلت: ما أشكل العين؟ قال: «طويل شق العين»، قال قلت: ما منهوس العقب؟ قال: «قليل لحم العقب»<sup>(٤)</sup>.

## صفة شعر رسول الله ﷺ

✽ عن قتادة. قال: قلت لأنس بن مالك: كيف كان شعر رسول الله ﷺ؟ قال: كان شعراً رجلاً<sup>(٥)</sup>. ليس بالجعد ولا السبط. بين أذنيه وعاتقه<sup>(٦)</sup>.

✽ وعن أنس، أن رسول الله ﷺ كان يضرب شعره منكبته<sup>(٧)</sup>.

✽ وعن أنس قال: كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه<sup>(٨)</sup>.

✽ وعن ابن عباس قال: كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رءوسهم. وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب

(١) ضليع الفم: عظيم الفم، كذا قاله الأكثرون وهو الأظهر... قالوا: والعرب تمدح بذلك، وتذم بصغر

الفم، وهو معنى قول ثعلب في «ضليع الفم»: واسع الفم، وقال شمر: عظيم الأسنان.

(٢) جاء تمة الحديث قال شعبة: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم، قال قلت: ما أشكل

العين؟ قال: طويل شق العين. قال قلت: ما منهوس العقب؟ قال: «قليل لحم العقب».

قال القاضي: «هذا وهم من سماك باتفاق العلماء، وغلط ظاهر، وصوابه ما اتفق عليه العلماء، ونقله

أبو عبيد وجميع أصحاب الغريب: أن الشكلة حمرة في بياض العينين وهو محمود».

(٣) معناه قليل لحم العقب. كما قال.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣٩) كتاب الفضائل.

(٥) رجل الشعر: لا شديد الجعودة، ولا شديد السبوطه، بل بينهما.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣٨) كتاب الفضائل.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٠٣) كتاب اللباس - ومسلم (٢٣٣٨) كتاب الفضائل.

(٨) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣٨) (٩٦) كتاب الفضائل.





فيما لم يُؤمر به. فسدل رسول الله ﷺ ناصيته. ثم فرَّق بعدُ<sup>(١)</sup>.  
قال القاضي: سدُّ الشعر إرساله، قال: والمراد به هنا عند العلماء إرساله  
على الجبين واتخاذَه كالقصة.

✽ والمراد هنا أن النبي ﷺ كان في أول البعثة يرى المشركين يفرقون  
رؤوسهم فكان النبي ﷺ يسدل شعره ليخالف المشركين.. ولأن أهل الكتاب  
كانوا يسدلون.. وكان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب في بعض الأشياء التي  
لم يأتها فيها أمر من الله بمخالفتهم. فلما قضى النبي ﷺ على الشرك ودخل  
الناس في دين الله أفواجًا أراد النبي ﷺ أن يخالف أهل الكتاب ففرق رأسه.

### شيب النبي ﷺ وما جاء في خضابه

✽ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، أنه قال: سمعت أنس بن مالك يقول:  
توفي رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. قال ربيعة:  
فرايت شعراً من شعر رسول الله ﷺ فإذا هو أحمر، فسألت فقيل: أحمر من  
الطيب<sup>(٢)</sup> - أي من العطر -.

✽ وعن ابن سيرين قال: سألت أنس بن مالك هل كان رسول الله ﷺ  
خضب؟ فقال: «لَمْ يَلْغُ الْخِضَابَ كَانَ فِي لِحْيَتِهِ شَعْرَاتٌ بِيضٌ» قَالَ قُلْتُ لَهُ:  
أَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَخْضِبُ؟ قَالَ فَقَالَ: نَعَمْ، بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ<sup>(٣)</sup>.

### صفة لحيته ﷺ

✽ روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه وصف لحية النبي ﷺ فقال:  
كان كثير شعر اللحية<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩١٧) كتاب اللباس - ومسلم (٢٣٣٦) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٥٤٧) كتاب المناقب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤١) (١٠١) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤٤) (١٠٩) كتاب الفضائل.

✽ وعن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الهامة عظيم اللحية <sup>(١)</sup>.  
 ✽ فكان النبي صلى الله عليه وسلم صاحب لحية ضخمة حتى إن الذي يرى النبي صلى الله عليه وسلم من ظهره كان يعرف كلامه من اضطراب لحيته.. وذلك لضخامتها.

### صفة كفيه صلى الله عليه وسلم وقدميه وذراعيه وساقيه وصدرة

✽ روى البخارى عن أنس رضي الله عنه أنه قال في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم: كان ضخم اليدين والقدمين <sup>(٢)</sup>.

✽ وعن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: كان ضخم الهامة عظيم اللحية <sup>(٣)</sup>.  
 ✽ وروى أحمد أن أبا هريرة رضي الله عنه قال في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: كان شَبَحَ الذراعين <sup>(٤)</sup> بعيد ما بين المنكبين، أهدب أشفار العينين <sup>(٥)</sup>.

### طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم ... ولين كفه صلى الله عليه وسلم

✽ روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال: ما شممتُ مسكًا ولا عنبرًا ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا مسستُ شيئًا قط حرييرًا ولا ديباجًا ألين مسًّا من رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup>.

✽ وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون، كأنَّ عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، ولا مسستُ ديباجَةً، ولا حريرةً ألين من كفِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. ولا شممتُ مسكَةً ولا عنبرَةً أطيبَ من رائحةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup>.

(١) حسن: رواه البيهقي، وأحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٢٠).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٩٠٧) كتاب اللباس.

(٣) حسن: رواه البيهقي، وأحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٢٠).

(٤) شبح الذراعين: عريض الذراعين.

(٥) حسن: رواه أحمد، والبيهقي، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٨١٦).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣٠) (٨١) كتاب الفضائل.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣٠) (٨٢) كتاب الفضائل.

✽ وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَلِدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدِّي أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّهَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ <sup>(١)</sup>.

### كانوا يعطرون العطر بعرق النبي ﷺ

✽ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلِيْتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟» قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجَعَلُهُ فِي طِينِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيْبِ - الطَّيْبِ: العطر - <sup>(٢)</sup>.

✽ وفي رواية أنه قال: ففزع النبي ﷺ فقال: «مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا، قَالَ: «أَصَبْتِ» <sup>(٣)</sup>.

### صفة خاتم النبوة

✽ عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان خاتم النبوة في ظهره بَضْعَةً نَاشِزَةً <sup>(٤)</sup>.

✽ وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت خاتمًا في ظهر رسول الله ﷺ كَأَنَّهُ بَيْضَةٌ حَمَامٍ <sup>(٥)</sup>.

### النبي ﷺ يشاق إليكم

قال ﷺ: «وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي» <sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٩) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣١) (٨٣) كتاب الفضائل.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣١) (٨٤) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه الترمذي في الشمائل، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٠٧).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤٤) (١١٠) كتاب الفضائل.

(٦) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٠٨)، وأصله في صحيح مسلم.

وقال ﷺ: « طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمَّنَ بِي ، ثُمَّ طُوبَى ، ثُمَّ طُوبَى ، ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ  
 آمَنَ بِي وَلَمْ يَرِنِي » .

وقال ﷺ: « طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمَّنَ بِي مَرَّةً وَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرِنِي وَأَمَّنَ بِي سَبْعَ  
 مَرَّاتٍ » <sup>(١)</sup> .

فيا ليتنا نعلم قدر النبي ﷺ ونشاق إليه كما يشاق هو إلينا ونحبه كما يحبنا.  
 \* بل إن النبي ﷺ ينتظرنا على الحوض يوم القيامة ليرى الذين اتبعوه  
 وعاشوا على سنته وشرعه ومحبهه ليسقيهم من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا  
 يظمأون بعدها أبداً.

\* بل وحتى عند دخول الجنة يعلم النبي ﷺ أن الله ﷻ جعل له من أمته  
 سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإذا بالحبيب ﷺ يستزيد  
 ربنا ﷻ ويطلب منه المزيد ممن يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٢٣)، (٣٩٢٤).



صلى الله  
عليه  
وسلم

# مختصر سيرة الرسول





## مختصر سيرة الرسول ﷺ (١)

✽ وسأذكر في هذا الفصل سردًا مختصرًا جدًا لسيرة الرسول ﷺ. وقبل أن أبدأ في سرد سيرته ﷺ باختصار فسوف أذكر لكم نبذة مختصرة عن صفة النبي ﷺ في التوراة وتبشير اليهود به.

### صفة النبي ﷺ في التوراة وتبشير اليهود به

✽ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ فَقَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِصِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ»<sup>(٢)</sup>، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ<sup>(٣)</sup>، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ<sup>(٤)</sup> بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا<sup>(٥)</sup>.

✽ وعن كعب الأخبار قال: «إِنِّي أَجِدُ فِي التَّوْرَةِ مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لَا فِظٌّ وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَّابٌ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، أُمَّتُهُ الْحَمَادُونَ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَيَكْبُرُونَ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، يَأْتِرُونَ إِلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيَوْضُّونَ أَطْرَافَهُمْ، صَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَصَفُّهُمْ

(١) بتصرف من كتاب (سيرة الرسول ﷺ) وكتاب (غزوات الرسول ﷺ) للمصنف - فمن أراد الوقوف على سيرة الرسول ﷺ كاملة فليرجع إلى هذين المرجعين المذكورين.

(٢) حرزًا للأميين: حافظًا لهم.

(٣) السخَّاب: رفع الصوت بالخصام.

(٤) حتى يقيم به الملة العوجاء: ملة إبراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٢١٢٥) كتاب البيوع.

فِي الْقِتَالِ سَوَاءٌ، مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ، لَهُمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمَهَا جِرُهُ بِطَابَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ»<sup>(١)</sup>.

### إخبار الكهان عن بعثة النبي ﷺ

❁ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لِشَيْءٍ قَطُّ يَقُولُ: إِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذَا إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ.

بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ، إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ، فَقَالَ: لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي، أَوْ إِنْ هَذَا عَلَى دِينِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ: لَقَدْ كَانَ كَاهِنَهُمْ - عَلَى الرَّجُلِ - فَدَعِيَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ اسْتُقْبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، قَالَ: فَإِنِّي أَعَزُّمُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي، قَالَ: كُنْتُ كَاهِنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جَنِيَّتِكَ؟ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا فِي السُّوقِ، جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الْفَرَغَ، فَقَالَتْ: أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَابْنِاسَهَا؟ وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسَهَا<sup>(٢)</sup>

وَلِحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ<sup>(٣)</sup>، وَأَخْلَاسَهَا

قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ .. بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعَجَلٍ فَدَبَّحَهُ، فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ، لَمْ أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ يَقُولُ: يَا جَلِيحُ، أَمْرٌ نَجِيحُ، رَجُلٌ فَصِيحُ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَوَثَبَ الْقَوْمُ، قُلْتُ: لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا، ثُمَّ نَادَى: يَا جَلِيحُ، أَمْرٌ نَجِيحُ، رَجُلٌ فَصِيحُ، يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقُمْتُ، فَمَا نَشِبْنَا أَنْ قِيلَ: هَذَا نَبِيٌّ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة: (١/٤ - ٥).

(٢) يأسها من بعد إنكاسها: يأسها من الاستماع أو استراق السمع بعد أن كانت ألفتها، فانقلبت عن الاستراق وقد يشت من السماع.

(٣) القلاص: جمع قلوص: وهي الفتية من النياق.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٣٨٦٦) كتاب مناقب الأنصار - جليح: الوقح المكافح بالعداوة.





❁ وعن جابر رضي الله عنه قال: «إن أول خبر قَدِم علينا عن رسول الله ﷺ أن امرأة كان لها تابع<sup>(١)</sup> قال: فأناها في صورة طير، فوقع على جذع لهم، قال فقالت: ألا تنزل فنُخبرك وتخبرنا، قال: إنه قد خرج رجل بمكة حرم علينا الزنا، ومنع منا القرار<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

### حالة المجتمع الجاهلي قبل بعثة الحبيب ﷺ

لقد اجتمعت كلمة المؤرخين عامة على أن العالم الإنساني قاطبة، والعالم العربي بصورة خاصة كان يعيش في دياجير ظلام الظلم والجهل، وظلمات الطغيان والاستبداد، تتنازعه الإمبراطوريتان الفارسية شرقاً، والرومانية غرباً. ويؤكد هذه الحقيقة قول الحبيب محمد ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»<sup>(٤)</sup>. فالأحوال مُتردية ساقطة هابطة في العالم الإنساني بأسره، لا سيما في العالم العربي حيث الفساد في كل جوانب الحياة السياسية منها والاقتصادية، والاجتماعية والدينية.. الكل سواء<sup>(٥)</sup>.

❁ وقد كانت مكة على عهد البعثة تموج بحركة عاصفة من الشهوات والمآثم، وكان الرجال يحيون فيها أمثلة قوية لنضج الأهواء وشلل الأفكار، أو نمائها في ظل الهوى الجامح ولخدمته وحده.

كُفِّرَ بالله واليوم الآخر.. إقبال على نعيم الدنيا للتشبع منه... رغبة عميقة في السيادة والعلو ونفاذ الكلمة... عصيات طائشة تُسالم وتحارب من أجل ذلك، تقاليد متوارثة توجه نشاط الفرد المادي والأدبي... من الخطأ أن تحسب مكة يومئذ قرية منقطعة عن العمران في صحراء موحشة، لا تحس من الدنيا إلا

(١) التابع: صاحب من الجن.

(٢) القرار: الاستقرار.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: (٣/٣٥٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) هذا الحبيب ﷺ يا محب (ص: ٢٣).

الضرورات التي تمسك عليها الرمق، كلا. إنما شبت حتى بطرت، وتنازعت الكبرياء حتى تطاحت عليها، وكثُر فيها مَنْ تغلغل الإلحاد في أغوار نفسه حتى عزَّ إخراجُه منه. فهم من بين عمِّ عن الصواب أو جاحدٍ له، وفي هذا المجتمع الذي لم ينل حظًّا يُذكر من الحضارة العقلية، بلغ غرور الفرد مداه، ووُجد مَنْ يسابق فرعون عُتوه وطمغواه.

قال عمرو بن هشام (أبو جهل) مُعللاً كفره برسالة محمد ﷺ: زاحمنا بنى عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا: منا نبى يُوحى إليه، والله لا نُؤمن به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه، وزعموا أن الوليد بن المغيرة قال لرسول الله ﷺ: «لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك، لأنى أكبر منك سنًا وأكثر منك مالاً»<sup>(١)</sup>.

❁ وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها في قصة الهجرة إلى الحبشة ومحاورة جعفر رضي الله عنه للنجاشي وقوله:

« أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِّنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَصِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ ، وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِّدَهُ ، وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ<sup>(٢)</sup> مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ ، وَالِدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ »<sup>(٣)</sup>.

(١) فقه السيرة (ص: ٢٥-٢٦).

(٢) نخلع: نترك.

(٣) قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٤-٢٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسمع - فالحديث بهذا صحيح.

✽ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ، فَأَقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٤٠) (٢).

فلما اكتظت الأرض بالمفاسد والضلالات زاد التطُّع إلى مَقْدِمِ هذا المُصلح المرتقب، وكان هناك رجال ممن ينكرون الجهالة السائدة يستشرفون للمنصب الجليل، ويتمنون لو اختيروا له، منهم أمية بن أبي الصلت الذي جعل شعره بالتحديث عن الله وما يجب له من محامد، حتى قال رسول الله ﷺ فيه: «كَادَ أُمِيَّةٌ أَنْ يُسَلِّمَ» (٣).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْئًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «هِيَهْ» فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيَهْ» ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيَهْ» حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ (٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٤٠).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٥٢٤) كتاب المناقب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٤٧) كتاب الأدب - ومسلم (٢٢٥٦) كتاب الشعر. وأوله: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةٌ لَيْسَ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ».

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٢٥٥) كتاب الشعر... وقال النووى: ومقصود الحديث أن النبى ﷺ

استحسن شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث.. ففيه جواز إنشاد الشعر الذى لا فحش فيه سواء شعر الجاهلية وغيره، وأن المذموم من الشعر الذى لا فحش فيه إنما هو الإكثار منه وكونه غالبًا على الإنسان فأما يسيره فلا بأس بإنشاده وسماعه وحفظه - شرح النووى على صحيح مسلم هامش (١٨/١٥).

## العادات السيئة فى المجتمع الجاهلى

من جملة العادات السيئة التى هبطت بالمجتمع العربى قبل الإسلام هى:

(١) **القمار المعروف بالميسر**: وهذه عادة سكان المدن فى الجزيرة كمكة والطائف وصنعاء وهجر ويثرب ودومة الجندل وغيرها.. وقد حرمه الإسلام بآية سورة المائدة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾<sup>(١)</sup>.

(٢) **شرب الخمر**: والاجتماع عليها والمباهاة بتعتيقها وغلاء ثمنها، وكان هذا عادة أهل المدن من أغنياء، وكبراء وأدباء وشعراء.. ولما كانت هذه العادة متأصلة فيهم متمكنة من نفوسهم حرمها الله تعالى عليهم بالتدرج شيئاً فشيئاً، وذلك من رحمة الله تعالى بعباده.. فله الحمد وله المنة.

(٣) **نكاح الاستبضاع**: وهو أن تحيض امرأة الرجل منهم فتطهر فيطلب لها أشرف الرجال وخيارهم نسباً وأدباً ليطؤها من أجل أن تنجب ولدًا يرث صفات الكمال التى حملها أولئك الواطئون لها.

(٤) **وأد البنات**: وهى أن يدفن الرجل ابنته بعد ولادتها حية فى التراب خوف العار... وجاء فى القرآن الكريم التنديد بهذا العمل وتقبيحه وذلك بذكر توبيخ فاعله يوم القيامة... قال تعالى فى سورة التكوير: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿١﴾﴾<sup>(٢)</sup>؟.

(٥) **قتل الأولاد مطلقاً ذكوراً كانوا أو إناثاً**: وذلك عند وجود فقر وحالة مجاعة، أو لمجرد توقع فقر شديد عندما تلوح فى الأفق آثاره لوجود محل وقحط بانقطاع المطر أو قلته. فحرم الإسلام هذه العادة السيئة القبيحة بقوله

(١) سورة المائدة: الآية: (٩٠).

(٢) سورة التكوير: الآيتان: (٨، ٩).



تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾<sup>(٢)</sup>. والإملاق شدة الفقر.

(٦) **تبرج النساء**: بخروج المرأة كاشفة عن محاسنها مازة بالرجال الأجانب متغنجة<sup>(٣)</sup> في مشيتها متكسرة كأنها تعرض نفسها وتُغرى بها غيرها.

(٧) **اتخاذ الحرائر من النساء الأخدان من الرجال**: وذلك بالاتصال بهم وتبادل الحب معهم في السر وهم أجنب عنهن، فحرم الإسلام هذه العادة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وحرم على الرجال ذلك بقوله: ﴿وَلَا تُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

(٨) **إعلان الإماء عن البغي بهن**: وذلك بأن تجعل إحداهن راية حمراء على باب منزلها لتُعرف أنها بغي ويغشاها الرجال وتأخذ على ذلك أجراً أى مالاً مقابل الاستبضاع.

(٩) **العصبية القبلية**: وهى مبدأ: « انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » ف جاء الإسلام فأمر بنصرة الأخ المسلم قريباً كان أو بعيداً... إذ الأخوة المُعتَبَرة هنا هى أخوة الإسلام. ونُصرتَه إذا كان مظلوماً بدفع الظلم عنه، ونُصرتَه إذا كان ظالماً بمنعه من الظلم وحجزه عنه.. قال رسول الله ﷺ فى رواية البخارى: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» ف قيل: يا رَسولَ اللهِ، أنصُرُهُ إذا كان مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذا كان ظالِمًا كيف أنصُرُهُ؟ قال: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ».

(١٠) **شن الغارات والحروب على بعضهم البعض للسلب والنهب**: ... فالقبيلة القوية تُغير على الضعيفة لتسلبها مالها؛ إذ لم يكن لهم حكم ولا شرع يرجعون

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥١).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٣١).

(٣) تغنجت المرأة: تدللت على زوجها بملاحة، كأنها تخالفه وليس بها خلاف.

(٤) سورة النساء: الآية: (٢٥).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٥).

إليه في أغلب الأوقات وفي أكثر البلاد.

ومن أشهر حروبهم حربُ داحس والغبراء التي وقعت بين عبس من جهة وذيان وفزارة من جهة أخرى. وحرب البسوس حتى قيل: أشأم من حرب البسوس التي دامت كذا سنة وكانت بين بكر وتغلب.. وحرب بُعات التي وقعت بين الأوس والخزرج بالمدينة النبوية قبيل الإسلام.

وحرب الفجار التي دارت بين قيس عيلان من جهة وبين كنانة وقريش من جهة مقابلة... وسُميت حرب الفجار لأنها وقعت في الأشهر الحُرْم.

(١١) **عدم الامتهان تكبراً وأنفةً**: إذ كانوا لا يمتهنون الحدادة والحياكة

والحجامة ولا الفلاحة، وإنما يسندون هذه المهن لإمائهم وعبيدهم.

أما الأحرار فحسبهم التجارة وركوب الخيل وشن الغارات وإنشاد الشعر والمفاخرات بالأحساب والأنساب.

هذه معظم العادات السيئة التي كانت في المجتمع العربي قبل الإسلام وهي كما مرّت تُحيل المجتمع إلى مجتمعٍ ساقط هابط لا سعادة فيه ولا هناء<sup>(١)</sup>.

### النكاح في الجاهلية

✽ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها كنكاح اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها.

ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها<sup>(٢)</sup>: أرسلني إلى فلانٍ فاستبضعي<sup>(٣)</sup> منه... ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما

(١) هذا الحبيب يا محب (ص: ٣٠-٣٢) / الشيخ أبو بكر الجزائري.

(٢) الطمث: الحيض.

(٣) الاستبضاع: طلب الجماع حتى تحمل منه.



يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد... فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.  
 ونكاح آخر: يجتمع الرهط<sup>(١)</sup> ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم  
 يُصيبها<sup>(٢)</sup>، فإذا حملت، ووضعت، ومرَّ ليالٍ بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم،  
 فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها.  
 تقول لهم: قد عرفتم الذى كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان...  
 تُسمى مَنْ أَحَبَّتْ باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.  
 والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمنع مَنْ  
 جاءها<sup>(٣)</sup>، وهنَّ البغايا كُنَّ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا، فمن أرادهنَّ  
 دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جُمعوا لها، ودَعَوْا لهم  
 القافة<sup>(٤)</sup>، ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون، فالتاطه<sup>(٥)</sup> به، ودُعِيَ ابنه، لا يمتنع من  
 ذلك. فلما بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس  
 اليوم<sup>(٦)</sup>.

### العادات الحسنة في المجتمع الجاهلى

ومع تلك الجاهلية التى كان يعيش فيها المشركون إلا أنه كانت هناك باقة  
 عطرة من العادات الحسنة نُجملها فيما يلى:

(١) **الصدق**: والمراد به صدق الحديث وهو خُلُق كريم عُرف به العرب فى  
 الجاهلية قبل الإسلام فزاده الإسلام تقريرًا وتمتينًا.

(١) الرهط: الجماعة دون العشرة.

(٢) يصبها: يجامعها.

(٣) جاءها: دخل عليها.

(٤) القافة: جمع القائف وهو الذى يعرف شبه الولد بالوالد بالأثار الخفية.

(٥) التاطه: استلحقه بنسبه.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٥١٢٧) كتاب النكاح.

(٢) **قِرَى الضيف** وهو إطعامه، وهو من الكرم الذى يُحَمَّد صاحبه عليه، ويُحمد له ويُثنى به عليه فجاء الإسلام بتقريره وتأكيده إذ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيفَهُ».

(٣) **الوفاء بالعهود** وعدم نكثها مهما كلفت من ثمن وهو خلق سام شريف وجاء الإسلام بتقريره وتأكيده... قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ في بيان صفات المؤمنين من سورة البقرة [١٧٧].

(٤) **احترام الجوار** وتقرير مبدأ الحماية لمن طلبها، وعدم خفره مهما كانت الأحوال... وفي الحديث: «قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ».

وأجار المسلمون أبا العاص بن الربيع وهو مشرك حتى دخل المدينة واستردَّ ودائعهُ وأمواله وعاد إلى مكة ثم أسلم بعد.

(٥) **الصبر والتحمل** حتى قالوا: «تجوع الحرة ولا تأكل بشديها».

وجاء الإسلام فزاد هذا الخلق قوة ومثانة. وفي القرآن: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾<sup>(١)</sup>، وفي الحديث: «مَنْ صَبَرَ ظَفَرَ».

(٦) **الشجاعة والنجدة والأنفة** وعدم قبول الذل والمهانة وهى خلال امتياز بها العرب نساءً ورجالاً، وفي أشعارهم وأقاصيصهم شواهد ذلك.

(٧) **احترام الحرم والأشهر الحرم**، بعدم القتال فيها إلا من ضرورة، وتأمين الوافدين إلى الحرم، ولو كانوا ذوى سوابق فى الشر.

(٨) **تحريمهم نكاح الأمهات والبنات.**

(٩) **اغتسالهم من الجنابة.**

(١٠) **المدائمة على المضمضة والاستنشاق.**

(١١) **السواك والاستنجاء، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط.**



(١٢) الختان للأطفال. والخفاض للبنات.

(١٣) قطعهم يد السارق اليمنى.

(١٤) الحج والعمرة.

فهذه جملة من العادات الحسنة الحميدة التي عُرف بها العرب في الجاهلية قبل الإسلام. وإنما وإن لم تكن عامة في كل فرد فإنها الطابع العام على غالبيتهم... ولولا إرادة الاختصار، وثقة القارئ فيما أقدمه له لذكرت شواهد ذلك من كلامهم ووقائعهم نظمًا ونثرًا... وحسبنا من ذلك أن أبا سفيان بن حرب لما حضر عند هرقل ملك الروم بالشام وسأله عن النبي ﷺ لم يكتمه شيئًا مما سأله عنه، مع العلم بأنه ما زال مشركًا وفي حربٍ مع الإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup>.

### قصة حفر زمزم

✽ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال لي: احفر طيبة<sup>(٢)</sup>. قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني. قال: فلما كان الغد رجعت إلي مضجعي، فتمت فيه، فجاءني فقال: احفر برة<sup>(٣)</sup>، قال: قلت وما برة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلي مضجعي، فتمت فيه: فجاءني فقال: احفر المذنونة<sup>(٤)</sup>. قال: قلت: وما المذنونة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلي مضجعي، فتمت فيه: فجاءني فقال: احفر زمزم<sup>(٥)</sup>. قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف<sup>(٦)</sup> أبدًا ولا تدم، تسقى الحجيج الأعظم، وهي

(١) هذا الحبيب رضي الله عنه يا محب (ص: ٣٢-٣٤).

(٢) طيبة: مشتقة من الطيب، وبه سُميت المدينة المنورة.

(٣) برة: مشتقة من البر، والبر: هو الخير والطهارة.

(٤) المذنونة: الغالية النفيسة التي يُضن بمثلها، أي يُبخل بمثلها.

(٥) زمزم: أصل الزمزمة كلام بصوت لا يُفهم، فشبه صوت الماء منها بالزمزمة.

(٦) لا تنزف: أي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها.

بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم<sup>(١)</sup>، عند قرية النمل<sup>(٢)</sup>.

قال: فلما بيّن شأنها، ودلّ على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمعوله<sup>(٣)</sup> ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، وليس معه يومئذ ولدٌ غيره، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطي<sup>(٤)</sup> كبرّ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر أينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصتُ به دونكم، وأعطيته من بينكم. قالوا له: فأنصفنا، فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه.

قالوا: كاهنة بنى سعد بن هذيم، قال: نعم، وكانت بأشرف الشام.

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أمية، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز، حتى إذا كانوا ببعضها نفذ ماء عبد المطلب وأصحابه، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من كانوا معهم فأبوا عليهم، وقالوا: إننا بمفازة<sup>(٥)</sup> وإننا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم. فقال عبد المطلب: إنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه، حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً... فضيعة رجلٍ واحدٍ أيسر من ضيعة الركب جميعه. فقالوا: نعم ما أمرت به.

(١) الغراب الأعصم: الذى فى ساقه بياض.

(٢) قرية النمل: المكان الذى يجتمع فيه النمل.

(٣) المعول: الفأس.

(٤) الطي: حافة البئر.

(٥) المفازة: جمعها مفاوز: القفار، وسميت مفازة على جهة التفاؤل وقيل هى مشتقة من فوز الرجل إذا

فحفر كل رجل لنفسه حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً. ثم إنَّ عبد المطلب قال لأصحابه: والله إنَّ إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا ضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا.. لَعَجْزٌ، فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتحلوا. فارتحلوا حتى إذا بعث<sup>(١)</sup> عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت حُفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكبر أصحابه، ثم نزل فشرّب وشرب أصحابه، واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم، ثم دعا قبائل قريش - وهم ينظرون إليهم في جميع هذه الأحوال - فقال: هَلُمُّوا إِلَى الْمَاءِ فَقَدْ سَقَانَا اللَّهُ، فجاءوا فشرّبوا، واستسقوا كلهم، ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا، والله ما نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً.

فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلّوا بينه وبين زمزم». قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم<sup>(٢)</sup>.

### قصة نذر عبد المطلب بأن يذبح أحد أبنائه

✽ قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر - حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم - لئن وُلد له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرنَّ أحدهم لله عند الكعبة. فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه، ثم اتنوني، ففعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على هُبَلٍ في جوف الكعبة... وكان هُبَلٌ - اسم الصنم - على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يُجمع

(١) بعث راحلته: أقامها من بروكها.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام: (١/١٤٢-١٤٥).

فيها ما يُهدَى للكعبة.

فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره الذى نذر، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه.

قال ابن إسحاق: وكان عبد الله أحب ولد عبد المطلب إليه، وهو أبو رسول الله ﷺ... فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله... ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة<sup>(١)</sup>، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديةها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه؛ فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه... لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه. فما بقاء الناس على هذا؟

وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل، وانطلق به إلى الحجاز، فإن به عرّافة لها تابع، فسلها، ثم أنت على رأس أمرك... إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه فرج قبيلته.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها - فيما يزعمون - بخيبر، فركبوا حتى جاءوها فسألوها، وقصّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله، فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها، فقالت لهم: قد جاءنى الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، وكانت كذلك.. قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح: فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم.

(١) الشفرة: السكين.

فخرجوا حتى قَدِموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله؛ ثم قربوا عبد الله وعشرًا من الإبل... وعبد المطلب قائم عند هُبل يدعو الله ﷻ... ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل؛ فبلغت الإبل عشرين.

- إلى أن قال :- وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل مائة، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل... فقالت قريش ومَن حضر: قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب، فزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات؛ فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبد المطلب قائم يدعو، فضربوا فخرج القدح على الإبل؛ ثم عادوا الثالثة، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القدح على الإبل، فنُحرت ثم تُركت لا يُصد عنها إنسان ولا يُمنع<sup>(١)</sup>.

قال الطبري في تاريخه: حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال أخبرنا ابن وهب، قال أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أنه أخبره أن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمرٍ إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقَدِمَت المدينة لتستفتي عن نذرها فجاءت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال لها عبد الله بن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم... فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك. فجاءت عبد الله بن عباس فاستفتته فقال: أمر الله بوفاء النذر، والنذر دين ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم. وقد كان عبد المطلب بن هاشم نذر إن توافق له عشرة رهط أن ينحر أحدهم. فلما توافق له عشرة أقرع بينهم أيهم ينحر، فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحبّ الناس إلى عبد المطلب: فقال عبد

(١) السيرة النبوية/ لابن هشام (١/١٣٦-١٣٩) بتصرف.

المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت القرعة على المائة من الإبل.

فقال ابن عباس للمرأة فأرى أن تنحري مائة من الإبل مكان ابنك .  
فبلغ الحديث مروان وهو أمير المدينة، فقال: ما أرى ابن عمر ولا ابن عباس أصابا الفتيا... إنه لا نذر في معصية الله، استغفرى الله وتوبى إلى الله وتصدقنى واعملى ما استطعت من الخير، فأما أن تنحري ابنك فقد نهاك الله عن ذلك... فسّر الناس بذلك وأعجبهم قول مروان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم يزالوا يفتون بلا نذر في معصية الله<sup>(١)</sup>.

### حادثة الفيل إرهابة لبعثة النبي ﷺ

✽ قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۚ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۚ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝﴾<sup>(٢)</sup>.

✽ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: هذه من النعم التي امتنَّ اللهُ بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله وأرغم أنفهم، وخيب سعيهم، وأضلَّ عملهم، وردَّهم بشرَّ خيبة، وكانوا قومًا نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاب والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام وُلد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدرة يقول: لم ينصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن

(١) تاريخ الطبري (٢٣٩/٢٣٩، ٢٤٠). قال عادل عبد الغفور في دراسة مرويات العهد المكي: وهذا إسناد

صحيح رجاله كلهم ثقات - صفحة ٩٤ من طبعة الآلة الكاتبة.

(٢) سورة الفيل.

صيانة للبيت العتيق، الذي سنشرفه ونُوقره ببعثة النبي الأُمى محمد صلوات الله وسلامه عليه ... خاتم الأنبياء<sup>(١)</sup>.

## زواج عبد الله بن عبد المطلب من أمنة بنت وهب

### ورؤيا أمنة أم النبي ﷺ

✽ كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه إليه، ولما نجا من الذبح وفداه عبد المطلب بمائة من الإبل، زوجه أبوه من أشرف نساء مكة نسبًا، وهي أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

ولم يلبث أبوه أن توفي بعد أن حملت به أمنة ودُفن بالمدينة عند أخواله بنى عدى بن النجار... فإنه كان ذهب بتجارة إلى الشام فأدرسته منيته بالمدينة وهو راجع، وترك هذه النسمة الطاهرة، وكان القدر يقول له: قد انتهت مهمتك في الحياة... وهذا الجنين الطاهر يتولى الله ﷻ بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

ولم يكن زواج عبد الله من أمنة هو بداية أمر النبي... قيل للنبي ﷺ ما أول بدء أمرك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبُشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قُصورُ الشام»<sup>(٢)</sup>.

### ميلاد المصطفى ﷺ ونشأته

✽ في يوم الاثنين ليلتين خلتا من ربيع الأول، وقيل: ثمانية، وقيل: عشرة، وقيل: ثنتي عشرة - وعليه الأكثر - وذلك عام الفيل ظهرت تباشير الصباح ووُلد المصطفى ﷺ.

(١) تفسير القرآن لابن كثير (٤/٥٤٨-٥٤٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٤٥).

وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بنى هاشم، وهى التى سُميت بعد ذلك بدار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف... وهى الآن مكتبة عامة. وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه، وأول من أرضعته ثوية أمة عمه أبى لهب.

ثم استرضع ﷺ في بنى سعد بن بكر... وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون أنجب للولد، وكانوا يقولون إن المربى في المدينة يكون كليل الذهن فاتر العزيمة، فجاءت نسوة من بنى سعد ابن بكر يطلبن أطفالاً يرضعنهم، فكان الرضيع المحمود من نصيب حليلة السعدية. وحصل له ﷺ وهو في بادية بنى سعد بن بكر حادثة شق الصدر<sup>(١)</sup>.

روى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: «هذا حظ الشيطان منك»، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعنى ظئره (أى المُرْضعة) - فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»<sup>(٢)</sup>. ثم أشفقت عليه مرضعته فأعادته إلى أمه... وتوجهت به أمه إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار، وبينما هى عائدة أدركتها منيتها في الطريق، فماتت بالأبواء، ودُفنت هناك. فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب.

وتوفى عبد المطلب وكان عمر النبي ﷺ ثمانى سنوات، فكفله شقيق أبيه (أبو طالب)، وكان به رحيمًا، وكان مُقلِّدًا في الرزق، فعمل النبي ﷺ برعى الغنم مساعدة منه لعمه.

(١) رواه أحمد، والحاكم، بسند حسن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٢) (٢٦١) كتاب الإيمان - ولقد تكرر حادثة شق الصدر في قصة الإسراء.





فلما استوى وبلغ أشدّه وليس له كثير مال استأجرته خديجة ابنة خويلد إلى سوق حباشة - وهو سوق بتهامة - واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش، فقال رسول الله ﷺ وهو يحدث عنها: «ما رأيت من صاحبة أجيرٍ خيراً من خديجة».

ولقد حفظ الله تعالى نبيه ﷺ من أدناس الجاهلية.. فمن ذلك أنه ﷺ كان لا يأكل ما ذُبح على النُّصب (الذبائح التي تُذبح للأصنام)، بل لقد صانه الله عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام... بل ولقد حفظه الله تعالى من أن تبدو عورته أو أن يظهر عرياناً أو أن يوافق المشركين في وقوفهم بغير عرفة (يوم عرفة)، بل كان النبي ﷺ يقف بعرفة في ذلك اليوم.

### زواجه ﷺ من خديجة ﷺ

✽ قال ابن إسحاق: كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرفٍ ومال، تستأجر الرجال في مالها وتُضاربهم إياه بشيءٍ تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا... فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرًا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار فقبله رسول الله ﷺ وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها (ميسرة) حتى قَدِم الشام<sup>(١)</sup>.

ولما رجع إلى مكة ورأت خديجة في مالها من البركة ما لم ترَ قبل هذا وأُخبرت بشمائله الكريمة وجدت ضالتها المنشودة فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت مُنَّبّه... وذهبت نفيسة إليه فتأخذه أن يتزوج خديجة، فرضى بذلك، وكلم أعمامه فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوها إليه، وعلى إثر ذلك تم الزواج.

(١) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (١/٢١٢).

## بناء الكعبة وقضية التحكيم

لما أوشكت الكعبة على الانهيار، وذلك بسبب حريق أصابها أو سيل جارف، وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات - على الراجح - فلم تجد قريش بُدًا من إعادة بنائها مرة أخرى وبدؤوا في جمع الأموال.

وقصّرت بقريش النفقة الطيبة؛ لأنهم شرطوا على أنفسهم أن لا يدخل في بنائها إلا نفقة طيبة، ولا يدخلها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة لأحد.

ولقد شارك النبي ﷺ في بناء الكعبة، فكان ينقل الحجارة مع عمه العباس. وبينما كان الناس يتعاونون في البناء حتى وصلوا إلى الحجر الأسود، واختلفت القبائل فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود... فَقَالَ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ نَضَعُهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: نَحْنُ نَضَعُهُ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكْمًا، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ.. فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: «أَتَاكُمْ الْأَمِينُ»، فَقَالُوا لَهُ، فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بَطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ، فَوَضَعَهُ هُوَ ﷺ<sup>(١)</sup>.

## شمس النبوة تشرق على دنيا الناس

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَنْزَوُدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَنْزَوُدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ

(١) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص ٤٥)، وصححه الأرناؤوط.

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③. فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمَلُونِي زَمَلُونِي» فزَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى آتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ تَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى - ابْنِ عَمِّ خَدِيجَةَ - وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُوْدِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيَ ④.

### مرحلة الإسرار بالدعوة المباركة

ابتدأت هذه الفترة المباركة من نزول قول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ③﴾ ①. وقوله ﷻ: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ③﴾. وقوله ﷻ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ④﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ⑤ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ⑥﴾ ④.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣) كتاب بدء الوحي - ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

(٢) سورة المدثر: الآيات: (١-٣).

(٣) سورة الحجر: الآية: (٩٤).

(٤) سورة الشعراء: الآيات: (٢١٤-٢١٦).

وأكد العلماء على أن مدة هذه الفترة كانت ثلاث سنوات، فقد اجتهد النبي ﷺ في هذه الفترة في دعوة مَنْ يغلب على ظنه أنه سيدخل في هذا الدين، وسوف يكتم أمره... وهذا من باب السياسة الشرعية والنظر المصلحي للدعوة، فيجب الإصرار بالدعوة إذا كان الجهر يضر بها.

❁ ولقد مرت الدعوة المباركة بأربعة مراحل:

١- الدعوة سرًا واستمرت ثلاث سنوات.

٢- الدعوة جهراً وباللسان فقط دون قتال واستمرت إلى الهجرة.

٣- الدعوة جهراً مع قتال المعتدين والبادئين بالقتال، واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية.

٤- الدعوة جهراً مع قتال كل مَنْ وقف في سبيل الدعوة أو امتنع عن الدخول في الإسلام... وتلك هي التي استقر عليها أمر الشريعة الإسلامية.

### مرحلة الجهر بالدعوة المباركة

عن أبي هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.

وكان عدد من آمن بالدعوة المباركة نيفاً وأربعين بين رجل وامرأة، وأسلم في هذه الفترة المباركة أسد الله وأسد رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة.. وكذلك الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله: وبإسلام عمر وحمزة ﷺ دخلت الدعوة في طورٍ جديد، فجاهر الرسول ﷺ وصدع بما يأمره به ربه، فأقض هذا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٥٣) كتاب الوصايا - ومسلم (٢٠٤) كتاب الإيمان.

الموقف الجديد مضاجع المشركين وأفزعهم .. وزادهم هولاً وفرعاً تزايد عدد المسلمين وإعلانهم عن إسلامهم وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم .. الأمر الذى جعل رجالات قريش يساومون رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وظل النبي ﷺ خلال الفترة المكية يُربى أصحابه على التوحيد الخالص وعلى الصبر على الإيذاء، ومجاهدة النفس بكثرة الصيام والقيام وتلاوة القرآن .. وهى بنفسها التى يحتاج إليها شباب الصحوة فى تلك الأيام.

فالكل يحتاج أن يتربى على العقيدة الصحيحة، وعلى أن يُحول إيمانه إلى واقع عملى منظور يراه الناس فيرون الإسلام من خلاله... فالإسلام فى أشد الحاجة لأن نشهد له شهادة عملية كما شهدنا له من قبل شهادة قولية... وبذلك يتحقق النصر والتمكين للإسلام عندما يتحول كل فردٍ فى الأمة إلى قرآنٍ يمشى بين الناس.

### إسلام حمزة بن عبد المطلب ﷺ

رُوى فى سبب إسلامه ﷺ أن جارية عيّرتة بإيذاء أبى جهل لابن أخيه ﷺ، فتوجّه إليه وغاضبه وسبّه، وقال: كيف تسب محمداً وأنا على دينه، فشجّه شجة مُنكرة، فكان إسلامه فى بداية الأمر أنفة، ثم شرح الله صدره بنور اليقين، حتى صار من أفاضل المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فالدين دين الله، وهو الذى يتولى حفظه ونُصرتة.

### الهجرة الأولى إلى الحبشة

ولما اشتد أذى المشركين على أصحاب النبي ﷺ أذن لهم الحبيب ﷺ بالهجرة إلى الحبشة لكى تغسل شلالات الحبشة جراحات المسلمين التى

(١) هذا الحبيب ﷺ يا محب (ص ٩٨).

(٢) رواها ابن إسحاق (١/ ٣٠٤) ونقلها ابن كثير فى البداية والنهاية (٣/ ٣٣).

كانت تنزف من سياط المشركين.. وكانت الهجرة في شهر رجب سنة خمس من البعثة وكانوا اثني عشر رجلاً وأربع نسوة.. وكان رئيسهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعه السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

### إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» <sup>(١)</sup>.

وكان إسلام عمر رضي الله عنه بعد هجرة الحبشة الأولى، ورجَّح بعض العلماء أن هذا كان من أسباب عودة المهاجرين الهجرة الأولى إلى مكة.

ومن أسباب إسلامه (دعوة النبي صلى الله عليه وآله)... عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ». قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ <sup>(٢)</sup>.

### هجرة الحبشة الثانية

كانت الأخبار التي وصلت إلى المهاجرين الكرام رضي الله عنهم تفيد أن الاضطهاد الواقع على المسلمين بمكة قد خفَّت وطأته، واشتدت عليهم الغربة) فعادوا فلم يجدوا الأخبار التي وصلتهم صادقة، وكان الأمر أشد على المسلمين، فلم يجد النبي صلى الله عليه وآله بُدًّا من أن يشير عليهم بالهجرة مرة ثانية.

ونزلوا في رحاب (النجاشي) ملك الحبشة فأكرمهم أيما إكرام. وأبى أن يُسلمهم لقريش عندما ذهب عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص يطلبان من النجاشي أن يسلمهم إليهما.

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٨٦٣) كتاب مناقب الأنصار.

(٢) حسن: رواه الترمذى، وابن حبان، وحسنه الألبانى فى صحيح موارد الظمان (١٨٢٧)، صحيح السيرة

(ص ١٩٣)، وحسنه فى الصحيحة (٣٢٢٥) بلفظ مقارب.

## المقاطعة العامة وميثاق الظلم والعدوان

روى ابن إسحاق: أن قريشاً لما رأت أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا فيه أمنًا وقرارًا، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ، وبحمزة حتى عازوا قريشًا... فكان هو وحمزة مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفسو في القبائل... فأجمعوا رأيهم واتفق رأيهم على قتل رسول الله ﷺ، وقالوا: قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا، فقالوا القومه: خذوا مناديةً مُضاعفةً وليقتله رجل من غير قريش وتريحون أنفسكم، فأبى قومه - بنو هاشم - ذلك، وظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف.

فلما عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد منعه قومه، فأجمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشعب، وأجمعوا واتتمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على أن لا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحًا، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يُسلموا رسول الله ﷺ للقتل... فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة ثم تعاهدوا وتعاهدوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم، وقطعوا عنهم الأسواق، ولم يتركوا طعامًا ولا إدامًا ولا بيعًا إلا بادروا إليه واشتروه دونهم.

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنى المطلب إلى أبى طالب، فدخلوا معه في شعبه «مؤمنهم وكافرهم». فالمؤمن دينًا والكافر حميةً.

وخرج من بنى هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهرهم.

قال ابن إسحاق وغيره: فأقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى جهدوا، لا يصل إليهم شيء إلا سرًا مستخفيًا به من أراد صلتهم من قريش.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ثم سعى في نقض تلك الصحيفة أقوام من قريش، فكان القائم في أمر ذلك هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث... مشى في ذلك إلى مطعم بن عدى وجماعة من قريش فأجابوه إلى ذلك، وأخبر رسول الله ﷺ قومه أن الله قد أرسل على تلك الصحيفة (الأرضة) فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله عزَّ وجلَّ، فكان كذلك، ثم رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة، وحصل الصلح برغم من أبي جهل عمرو بن هشام<sup>(١)</sup>.

## عام الحزن

ثم مات أبو طالب عم الرسول ﷺ في السنة العاشرة من البعثة، وكان في حياته شديد الدفاع عن ابن أخيه رسول الله ﷺ، وكانت قريش لا تستطيع أن تنال النبي بأذى في نفسه طيلة حياة أبي طالب احتراماً له وهيبة.. فلما مات أبو طالب، جرئت قريش على تشديد الأذى على النبي ﷺ، ولذلك كانت وفاته مبعث حزن عميق للنبي ﷺ... وقد حرص النبي ﷺ أن يقول أبو طالب كلمة الإسلام وهو على فراش الموت، فأبى خشية أن يلحقه العار من قومه.

وماتت خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في تلك السنة نفسها، وقد كانت خديجة تُخفف عن الرسول همومه وأحزانه لما يلقاه من عداء قريش، فلما ماتت حزن عليها حزناً شديداً... وسمي ذلك العام الذي مات فيه عمه أبو طالب وزوجه خديجة: «عام الحزن»<sup>(٢)</sup>.

## خروج النبي ﷺ لدعوة أهل الطائف

وخرج الحبيب ﷺ لدعوة أهل الطائف، ولكي يلتمس النصرة بعد أن اشتد أذى قريش له بعد وفاة عمه أبي طالب.. لكنهم ردَّوه ردًّا غير جميل.

(١) الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ للحافظ ابن كثير (٩٠-٩١).

(٢) السيرة النبوية (دروس وعبر) د. مصطفى السباعي.



فمن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟» - جبلين بين مكة والطائف - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً» <sup>(١)</sup>.

## الإسراء والمعراج

كان مكافأة ربانية على ما لاقاه الحبيب صلى الله عليه وسلم من أتراح وآلام وأحزان... إذ كان بعد حصارٍ دام ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، وما لاقاه في أثنائه من جوع وحرمان، إنه كان بعد فقد الناصر الحميم، وفقد خديجة أم المؤمنين... إنه كان بعد خيبة الأمل في ثقيف، وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبدها. بعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبيبه فرفعه إليه، وقربه وأدناه، وخلع عليه من حُلل الرضا ما أنساه كل ما كان قد لاقاه من حزن وألم ونصب وتعب، وما قد يلاقيه في سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته... فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ذكر الله الذاكرون وما غفل عن ذكره الغافلون <sup>(٢)</sup>.

ولقد كان الإسراء بالجسد والروح معاً (خلاقاً لما يظنه البعض أن الإسراء كان بالروح فقط).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق - ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد.

(٢) هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب / لأبي بكر الجزائري (ص ١٣٥).

## بيعة العقبة الأولى

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: ثم إن رسول الله ﷺ لقي عند العقبة في الموسم ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زُرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رثاب، فدعاهم رسول الله ﷺ فأسلموا.

ثم رجعوا إلى المدينة فدعواهم إلى الإسلام، ففشا الإسلام فيها حتى لم يبقَ دار إلا وقد دخلها الإسلام... فلما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلاً، الستة الأول خلا جابر بن عبد الله<sup>(١)</sup>.. ومعهم ستة آخرون.

## بيعة العقبة الثانية

روى ابن إسحاق وعنه أحمد وغيره من حديث كعب بن مالك في قصة العقبة الثانية قال: «فَمِنَّمَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشُّعْبِ عِنْدَ الْعُقْبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا: نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ (أُمُّ عُمَارَةَ) إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتِ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِيمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشُّعْبِ نَتَنَظَّرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمِيذِ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمِيذِ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ، وَيَتَوَثَّقَ لَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَا مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزِّ مَنْ قَوْمِهِ، وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْإِنْحِيَاظَ إِلَيْكُمْ وَاللِّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرُونَ أَنْكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٥) - خلا: أى فيما عدا.

الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده. قَالَ: فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ، وَوَلِّرْبِكَ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَتَكَلَّمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَا الْقُرْآنَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَرَغَبَ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: «أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ» قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ ابْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَرْزَنَا، فَبَايَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلَقَةِ، وَرِثَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ، وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرَّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْيَهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ، وَتَدْعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «بِلِ الدَّمِ الدَّمُ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي أَحَارِبُ مِنْ حَارِبْتُمْ، وَأَسَالِمُ مِنْ سَالِمْتُمْ»<sup>(١)</sup>.

### هجرة النبي ﷺ

علمت قريش بإسلام فريق من أهل يثرب، فاشتد أذاها للمؤمنين بمكة، فأمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فهاجروا مُستخفين، إلا عمر رضي الله عنه، فإنه أعلم مشركي قريش بهجرته، وقال لهم: مَنْ أَرَادَ أَنْ تَشْكُلَهُ أُمُّهُ فَلْيَلْحَقْ بِي غَدًا بِيَطْنَ هَذَا الْوَادِي، فَلَمْ يَخْرُجْ لَهُ أَحَدٌ.

قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤدَّنَ له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبِسَ أو فُتِنَ... إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. وكان أبو بكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له رسول الله ﷺ: «لَا تَعْجَلْ لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبًا».... فيطمع أبو بكر أن يكونه.

(١) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (٣/ ١٨٩)، والحديث رواه أحمد، وابن حبان، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

قال الشيخ الغزالي: واجتمع طواغيت مكة في دار الندوة ليتخذوا قرارًا حاسمًا في هذا الأمر، فرأى بعضهم أن توضع القيود في يد محمد ﷺ ويُشدُّ وثاقه ويُرمى به في السجن لا يصله منهم إلا الطعام ويُترك على ذلك حتى يموت، ورأى آخر أن يُنْفَى من مكة فلا يدخلها وتنفض قريش يديها من أمره، وقد استُبعد هذان الاقتراحان لعدم جدواهما، واستقر الرأي على الاقتراح الذي أبداه أبو جهل. قال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل بطنٍ من قريش شابًا نسبيًا وسطًا فتيةً، ثم نعطي كل فتى سيفًا صارمًا، ثم يضربونه جميعًا ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، ولا أظن أن بنى هاشم يقوون على حرب قريش كافة... فإذا لم يبقَ أمامهم إلا الدية أدناها<sup>(١)</sup>.

وهكذا اجتمع الفتيان الموكلون بقتل الرسول ﷺ على بابه ليلة الهجرة ينتظرون خروجه ليقتلوه.

فلم ينم الرسول ﷺ تلك الليلة في فراشه، وإنما طلب من عليّ ﷺ أن ينام مكانه، وأمره إذا أصبح أن يردَّ الودائع التي كان أودعها كفار قريش عنده إلى أصحابها، وغادر الرسول ﷺ بيته دون أن يشاهده الموكلون بقتله، وذهب إلى بيت أبي بكر، وكان قد هيا من قبلُ راحلتين له وللرسول ﷺ، فعزما على الخروج، واستأجر أبو بكر (عبد الله بن أريقط الديلي)، وكان مُشركًا ليدلّهما على طريق المدينة، على أن يتجنب الطريق المعروفة إلى طريقٍ أخرى لا يهتدى إليها كفار قريش.

وخرج رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر يوم الخميس أول يوم من ربيع الأول لسنة ثلاثٍ وخمسين من مولده (عليه الصلاة والسلام)، ولم يعلم بأمر هجرته إلا عليّ ﷺ، وآل أبي بكر ﷺ.. وعملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر في تهيئة الزاد لهما، وقطعت أسماء قطعة من نطاقها - وهو ما يُشد به الوسط - فربطت به علي

(١) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (٢/ ٢٢١).

فم الجراب - وعاء الطعام - فسُميت لذلك: ذات النطاقين، واتجها مع دليلهما عن طريق اليمن حتى وصلا إلى «غار ثور» فكمنا فيه ثلاث ليالٍ بييت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف «حاذق» لقن «سريع الفهم»، فيخرج من عندهما بالسحر، ويصبح مع قريش بمكة كأنه كان نائمًا فيها، فلا يسمع من قريش أمرًا يُبيتونه من المكروه لهما إلا وعاه حتى يأتيهما في المساء بخبره.

قامت قيامة قريش لنجاة الرسول ﷺ من القتل، وخرجوا يطلبونه في طريق مكة المعتاد، فلم يجدوه، واتجهوا إلى طريق اليمن، ووقفوا عند فم «غار ثور»، وأبو بكر رضي الله عنه يرى أقدامهم وهم واقفون على فم الغار، فيرتعد خوفًا على حياة الرسول ﷺ ويقول له: والله يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موطن قدمه لرآنا، فيطمئنه الرسول ﷺ بقوله: «يا أبا بكرٍ ما ظنك باثنينِ اللهِ ثالثُهُما؟».

أرسلت قريش في القبائل تطمع كل من عثر على الرسول ﷺ وصاحبه، أو قتله، أو أسره، في دفع مائة من الإبل.... فانتدب لذلك سراقة بن مالك بن جعشم، وأخذ على نفسه أن يتفقدهما ليظفر وحده بالجائزة.

بعد أن انقطع طلب رسول الله ﷺ وصاحبه، خرجا من الغار مع دليلهما وأخذا طريق السواحل - ساحل البحر الأحمر - وقطعا مسافة بعيدة أدركهما من بعدها سراقة، فلما اقترب منهما، ساخت قوائم فرسه في الرمل فلم تقدر على السير، وحاول ثلاث مرات أن يحملها على السير جهة الرسول ﷺ فتأبى... عندئذ أيقن أنه أمام رسول كريم، فطلب من الرسول ﷺ أن يعده إن نصره، فوعده بسواري كسرى يلبسهما، ثم عاد سراقة إلى مكة، فتظاهر بأنه لم يعثر على أحد.

وصل الرسول ﷺ وصاحبه المدينة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وبعد أن طال انتظار أصحابه له،... يخرجون كل صباح إلى مشارف المدينة، فلا يرجعون إلا حين تحمى الشمس وقت الظهيرة... فلما رأوه فرحوا به فرحًا عظيمًا.

كان الرسول ﷺ وهو في طريقه إلى المدينة قد وصل إلى «قباء» وهي قرية جنوب المدينة على بُعد ميلين منها، فأسس فيها أول مسجد بُنى في الإسلام، وأقام فيها أربعة أيام، ثم سار صباح الجمعة إلى المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، فبنى مسجدًا هناك، وأقام أول جمعة في الإسلام، وأول خطبة خطبها في الإسلام، ثم سار إلى المدينة<sup>(١)</sup>.

وكان أول ما بدأ به رسول الله ﷺ في بناء دولته الإسلامية المجيدة، بناء مسجده النبوي، الذي لا تُشد الرحال إلا إليه، أو المسجد الحرام، أو المسجد الأقصى، وهذا يبين لنا أهمية المسجد في الإسلام.

وكان المسجد النبوي هو الجامعة التي تخرّج منها الأبطال الذين فتحوا قلوب العباد والبلاد بدعوة الإسلام.. فلم تكن وظيفة المسجد مجرد مكان للصلوات الخمس، ولكنه كان مدرسة النبوة، ومنارة العلم.. كان المسجد هو البوتقة التي انصهرت فيها قلوب الصحابة وذاب فيها ما كان فيها من عصبية وتكبر وتمرد.. وكان المسجد كير القلوب الذي أخرج ما فيها من شرك وحقد وحسد، حتى صار الصحابة أبرّ الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا.

واكتملت رسالة المسجد بمشروعية الأذان في السنة الأولى من الهجرة... وكانت الصلاة ركعتين في الصباح وركعتين في المساء قبل الإسراء والمعراج، ثم صارت ركعتين في كل صلاة من الصلوات الخمس، ثم فرضت الصلوات الخمس في رحلة الإسراء والمعراج بعد تخفيفها من خمسين صلاة إلى خمس صلوات بأجر خمسين صلاة.

ثم بنى النبي ﷺ حُجرات الطاهرات العفيفات أمهات المؤمنين على يسار المسجد النبوي، وبنى النبي ﷺ في آخر السنة الأولى من الهجرة على أحب نسائه إليه الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها، وكان سنّها تسع سنوات، وبعد أن

(١) السيرة النبوية - دروس وعبر / للدكتور مصطفى السباعي (ص ٣٧: ٣٩) بتصرف.

بنى النبي ﷺ مسجده آخى بين المهاجرين والأنصار، وذلك لتقوية الجبهة الداخلية وزيادة ترابطها، وحتى يواسى الأنصار إخوانهم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم لنصرة دين الله وإعزاز شرعه... ومدح الله ﷻ والأنصار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾﴾<sup>(١)</sup>.

✽ قال صفى الرحمن المباركفوري: بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ووثق من رسوخ قواعد المجتمع الإسلامى الجديد بإقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية بين المسلمين، رأى أن يقوم بتنظيم علاقاته بغير المسلمين، وكان همُّه في ذلك هو توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء، مع تنظيم المنطقة في وفاقٍ واحد، فسنَّ في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تُعهد في عالم ملئ بالتعصب والتغالى<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: ووادع رسول الله ﷺ من بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وبادر خبرهم وعالمهم (عبد الله بن سلام) فدخل في الإسلام وأبى عامتهم إلا الكفر.

وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وحاربه الثلاثة فمنَّ على بنى قينقاع، وأجلى بنى النضير، وقتل بنى قريظة وسبى ذريتهم، ونزلت سورة الحشر في بنى النضير، وسورة الأحزاب في بنى قريظة<sup>(٣)</sup>.

ومن أهم أحداث هذه السنة الأولى من هجرة النبي ﷺ وبعد أن صارت للإسلام شوكة ودولة، أن الله تعالى أذن لنبيه ﷺ وللمؤمنين بالقتال.

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

(٢) الرحيق المختوم (٢٢٥-٢٢٦) باختصار.

(٣) زاد المعاد (٣/٦٥).

## إشارة لطيفة في تحويل القبلة

وفي شهر شعبان ٢هـ / فبراير ٦٢٤م - أمر الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، وأفاد ذلك أن الضعفاء والمنافقين من اليهود الذين كانوا قد دخلوا في صفوف المسلمين لإثارة البلبلة انكشفوا عن المسلمين ورجعوا إلى ما كانوا عليه... وهكذا تطهرت صفوف المسلمين من الكثير من أهل الغدر والخيانة.

وفي تحويل القبلة إشارة لطيفة إلى بداية دور جديد لا ينتهى إلا بعد احتلال المسلمين هذه القبلة،.. أو ليس من العجب أن تكون قبلة قوم بيد أعدائهم، وإن كانت بأيديهم فلا بد من تخليصها يوماً<sup>(١)</sup>.

## غزوة بدر الكبرى

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: فلما كان في رمضان من هذه السنة (أى الثانية من الهجرة) بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر العير المقبلة من الشام لقريش صحبة أبى سفيان، وهى العير التى خرجوا فى طلبها لما خرجت من مكة، وكانوا نحو أربعين رجلاً، وفيها أموال عظيمة لقريش، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس للخروج إليها، وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالاً بليغاً؛ لأنه خرج مسرعاً فى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرس للزبير بن العوم، وفرس للمقداد ابن الأسود الكندى، وكان معهم سبعون بغيراً يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بغيراً.

وأما أبو سفيان فإنه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده إياه فاستأجر ضمضم ابن عمرو الغفارى إلى مكة مُستصرخاً لقريش بالنفير إلى غيرهم ليمنعوه من

(١) الرحيق المختوم / لصفى الرحمن المباركفورى (٢٣٨).



محمد ﷺ وأصحابه .. وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج فلم يتخلف من أشرفهم سوى أبي لهب فإنه عوّض عنه رجلاً كان له عليه دينٌ، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بنى عدى، فلم يخرج معهم منهم أحد.... وخرجوا من ديارهم، كما قال تعالى: ﴿بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّائِسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> (٢).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فَأَنْزَلَ اللهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَطْرًا وَاحِدًا، فَكَانَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَبِالْأَشَدِّ مَنَعَهُمْ مِنَ التَّقَدُّمِ، وَكَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَلًّا طَهَّرَهُمْ بِهِ، وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ رَجَسَ الشَّيْطَانِ، وَوَطَأَ بِهِ الْأَرْضَ وَصَلَبَ بِهِ الرَّمْلَ، وَثَبَّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ، وَمَهَّدَ بِهِ الْمَنْزَلَ، وَرَبَطَ بِهِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَسَبَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْمَاءِ فَنَزَلُوا عَلَيْهِ شَطْرَ اللَّيْلِ، وَصَنَعُوا الْحِيَاضَ، ثُمَّ غَوَّرُوا مَا عَدَاهَا مِنَ الْمِيَاهِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْحِيَاضِ، وَبُنِيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَرِيشٌ يَكُونُ فِيهَا عَلَى تَلٍّ يُشْرَفُ عَلَى الْمَعْرَكَةِ فِي مَوْضِعِ الْمَعْرَكَةِ، وَجَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ: هَذَا مَصْرِعُ فُلَانٍ، وَهَذَا مَصْرِعُ فُلَانٍ، وَهَذَا مَصْرِعُ فُلَانٍ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَمَا تَعَدَّى أَحَدٌ مِنْهُمْ مَوْضِعَ إِشَارَتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وقد بدأ القتال بمبارزات فردية، حيث تقدم عتبة بن ربيعة وتبعه ابنه الوليد وأخوه شيبة طالبين المبارزة، فانتدب لهم شباب من الأنصار فرفضوا مبارزتهم طالبين مبارزة بنى قومهم، فأمر الرسول ﷺ حمزة وعليًا وعبيدة بن الحارث بمبارزتهم، وقد تمكن حمزة من قتل عتبة، ثم قتل (عليُّ) شيبَةَ، وأما عبيدة فقد تصدَّى للوليد وجرح كُلاًّ منهما صاحبه، فعاونه عليُّ وحمزة، فقتلوا الوليد، واحتملا عبيدة إلى معسكر المسلمين<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأنفال: الآية: (٤٧).

(٢) زاد المعاد (٣/١٧٤) بتصرف.

(٣) زاد المعاد (٣/١٧٥-١٧٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٢١).

وقد أثرت نتيجة المبارزة في معسكر قريش وبدؤوا الهجوم، فأمر النبي ﷺ أصحابه بنضح المشركين بالنبل إذا اقتربوا منهم، حرصاً على الإفادة من النبال بأقصى ما يُستطاع فقال: « إِذَا أَكْتَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ »<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: ثم حمى الوطيس واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهاال ومناشدة ربه عَزَّوَجَلَّ حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فردّه عليه الصديق وقال: بعض مناشدتك ربك، فإنه مُنْجَزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ.

وجاء النصر وأنزل الله جنده وأيد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسراً وقتلاً فقتلوا منهم سبعين وأسرُوا سبعين<sup>(٢)</sup>.

وقد دلّت أدلة الكتاب والسنة على نزول الملائكة يوم بدر وقاتلهم مع المسلمين... قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ١ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وجاءت بعد غزوة بدر عدة غزوات كغزوة بنى سليم والسويق وذى أمر وبحران وإجلاء يهود بنى قينقاع.. ثم جاءت غزوة أحد.

## غزوة أحد

فبعد أن أُصيبت قريش في عظمائها، وأئمة الكفر فيها يوم بدر وقلوبهم تغلى حقدًا وحنقًا وغيظًا على المسلمين، فعبأت قوتها، واستعانت بحلفائها، وخرجت في ثلاثة آلاف مقاتل، ووافت مشارف المدينة بعد سنة وشهر تقريبًا

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٩٨٤) كتاب المغازى.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير.

(٣) سورة الأنفال: الآيتان: (٩-١٠).



من غزوة بدر - في منتصف شوال من السنة الثالثة من الهجرة على الراجح. ولما علم النبي ﷺ بمسيرهم، استشار أصحابه، فلما شاور النبي ﷺ أصحابه أشار عليه الشباب ومن حُرْم من شهود بدر وغلبه الشوق إلى الجهاد وملاقة العدو بالخروج إليهم... وكان من رأيه ﷺ ورأى الشيوخ وكذلك عبد الله بن أبي ابن سلول المُكوث في المدينة ومقاتلتهم إذا دخلوها في الأزقة ومن أسطح البيوت.

فخرج النبي ﷺ لملاقة قريش، وبينما هو في الطريق انسحب من الجيش عبد الله بن أبي رأس النفاق بثلاث الجيش - ثلاثمائة مقاتل - وكانت هذه أول فائدة من فوائد هذه الغزوة، وهي تمييز المنافقين، والفصل بينهم وبين المؤمنين الصادقين، وكان عدد جيش المسلمين بعد رجوع عبد الله بن أبي بثلاث الجيش سبعمائة مقاتل... وأوقف النبي ﷺ عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة يحمون ظهورهم وأمرهم أن لا يفارقوا أماكنهم.

ثم ابتدأ القتال، ونصر الله المسلمين على أعدائهم، فقتلوا منهم عددًا، ثم ولّوا الأدبار، فانغمس المسلمون في أخذ الغنائم التي وجدوها في معسكر المشركين، ورأى ذلك من وراءهم من الرماة فقالوا: ماذا نفعل وقد نصر الله رسوله؟ ثم فكروا في ترك أماكنهم لينالهم نصيب من الغنائم، فذكّرهم رئيسهم عبد الله بن جبير بوصية الرسول، فأجابوا بأن الحرب قد انتهت، ولا حاجة للبقاء حيث هم، فأبى عبد الله ومعه عشرة آخرون أن يغادروا أماكنهم، ورأى خالد بن الوليد، (وكان قائد ميمنة المشركين) خلو ظهر المسلمين من الرماة، ففكر عليهم من خلفهم، فما شعر المسلمون إلا والسيوف تناوشهم من هنا وهناك، فاضطرب حبلهم، وأشيع أن الرسول قد قُتل، ففرّ بعضهم عائداً إلى المدينة، واستطاع المشركون أن يصلوا إلى الرسول، فأصابته حجارته حتى

وقع وأغمى عليه، فُشِّحَ وجهه وخُدشت ركبته، وجُرحت شفته السفلى، وكسرت الخوذة على رأسه، ودخلت حلقتان من حلقات المغفر في وجنته، وتكاثر المشركون على الرسول يريدون قتله، فثبت ﷺ، وثبت معه نفر من المؤمنين، منهم: أبو دجانة، تترس على الرسول ليحميه من نبال المشركين، فكان النبل يقع على ظهره... ومنهم سعد بن أبي وقاص، رمى يومئذ نحو ألف سهم... ومنهم طلحة بن عبيد الله الذي كان من أشد الناس دفاعاً عن النبي ﷺ، ومنهم: نسيبة أم عمارة الأنصارية، تركت سقاء الجرحى، وأخذت تقاتل بالسيف، وترمى بالنبل، دفاعاً عن رسول الله حتى أصيبت في عنقها، فجُرحت جرحاً عميقاً، وكان معها زوجها وابناها، فقال لهم الرسول ﷺ: «بارك الله عليكم أهل بيت»، فقالت له نسيبة: ادعُ الله أن نرافقك في الجنة، فقال: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة»، فقالت ﷺ بعد ذلك: ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا. وقد قال ﷺ في حقها: «ما التفتُ يميناً وشمالاً يوم أحد، إلا ورأيتها تقاتل دوني»، وقد جُرحت يومئذ اثني عشر جرحاً، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف.

وقد حاول في ساعة الشدة أن يصل (أبي بن خلف) إلى الرسول ﷺ ليقته، وأقسم أن لا يرجع عن ذلك، فأخذ ﷺ حربة ممن كانوا معه، فسددتها في نحره، فكانت سبب هلاكه... وهو الوحيد الذي قتله ﷺ في جميع معاركه الحربية.

وبعد أن اشتد الكرب والغم بالمؤمنين ومحّص الله قلوبهم، وابتلى ما في صدورهم، واتخذ ما شاء من الشهداء، أنزل عليهم أمناً ونعاساً أصاب الصادقين منهم، فخفف عنهم مصابهم وربط به على قلوبهم، وأما أصحاب الريب والشكوك والظنون السيئة، فقد أهمتهم أنفسهم، وتلاعبت بهم الشياطين.

ولما تركت قريش ساحة القتال اشتغل النبي ﷺ بدفن الشهداء وأمر بدفنهم

في دمائهم وثيابهم ولم يُغسلوا ولم يُصلَّ عليهم وأمر بدفنهم في أماكن استشهداهم... عن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم أحد جاءت عمتي بأبي لتدفنه في مقابرنا، فنادى منادى رسول الله ﷺ: رُدُّوا القتلى إلى مضاجعهم. وكان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: « أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ » فإن أُشير إلى أحدهما قَدَّمه في اللحد، وقال: « أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>.

وقد حنَّ إليهم رسول الله ﷺ فصلى عليهم قبل وفاته، فكان كالمودع لهم... عن عقبه أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلواته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: « إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ »<sup>(٢)</sup>. وكان من بين شهداء غزوة أحد: حمزة (أسد الله وأسود رسول الله ﷺ) وأنس بن النضر، وعبد الله بن حرام، واليمان والد حذيفة، وعمرو ابن الجموح، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير.. رضى الله عنهم جميعاً.

### خروج النبي ﷺ إلى حمراء الأسد

أشفق النبي ﷺ من أن يعود جيش أبي سفيان إلى المدينة، ونما إلى علمه أنه يفكر في ذلك، فدعا الصحابة رضي الله عنهم إلى الخروج فلم يستسلموا للأحزان على الشهداء، ولا للجراح التي بهم، وخرجوا مع رسول الله ﷺ، واشترط رسول الله ﷺ أن لا يخرج معه إلا من خرج معه بالأمس، فخرجوا حتى بلغوا حمراء الأسد - وهي على بُعد ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة - قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٤٣) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٠٨٥) كتاب المغازى - فَرَطُ لَكُمْ: أى سابقكم.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾<sup>(١)</sup>.

✽ ثم جاءت بعد ذلك حادثة يوم الرجيع التي قُتل فيها جماعة من أصحاب النبي ﷺ وكان من بينهم خبيب بن عدي، وعاصم بن ثابت رضي الله عنه جميعاً.  
✽ وكانت على إثرها حادثة بئر معونة التي قُتل فيها سبعون صحابياً من خيرة الأصحاب نتيجة الغدر والخيانة.

✽ ثم أجلى النبي ﷺ يهود بنى النضير بعد أن حاولوا قتله بإلقاء صخرة عليه.. ولكن الخبر جاء من السماء إلى النبي ﷺ فقام ورجع إلى المدينة وخرج إليهم حتى أجلاهم.. فمنهم من خرج إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.  
ثم جاءت بعد ذلك غزوة بدر الآخرة وغزوة دومة الجندل.

### غزوة الأحزاب (الخنديق)

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: وكان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد، وعلموا بميعاد أبي سفيان لغزو المسلمين، فخرج لذلك ثم رجع للعام المقبل، خرج أشرافهم كسلام بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع وغيرهم إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ ويؤلبونهم، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم، فاستجابوا لهم، ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك، فاستجاب لهم من استجاب، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف، ووافتهم بنو سليم بمر الظهران، وخرجت بنو أسد وفزارة، وأشجع وبنو مرة، وجاءت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن، وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٧٢).

(٢) زاد المعاد (٣) / ٢٧٠-٢٧١.



ولما استشار النبي ﷺ الصحابة الكرام أشاروا عليه بعمل خندق في الجهة الشمالية بين حرّة الواقم وحرّة الوبرة، ولم تكن العرب تعرف ذلك فاستحسن النبي ﷺ هذه الفكرة، وشرع أصحابه الكرام في حفر الخندق، وكان النبي ﷺ يشاركهم في ذلك، ويخفف عنهم مشقة الحفر، وكانوا في غاية الجهد والجوع والبرد.

قال ابن عبد البر: فلما فرغ رسول الله ﷺ أقبلت قريش في نحو عشرة آلاف بمن معهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان بمن معها من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى نزلوا بظهر سلع (اسم جبل) في ثلاثة آلاف، وضربوا عسكرهم والخندق بينهم وبين المشركين، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم<sup>(١)</sup>.

واشتد الخطب على المؤمنين حينما غدرت يهود بني قريظة ونكثوا عهدهم كعادة اليهود في كل زمان ومكان... وكان موقعهم يُمكنهم من إيقاع ضربة بالمسلمين من الخلف.

وقد فوجئت قريش برؤية الخندق، واحتراروا في كيفية اقتحامه، إذ كلما همُّوا بذلك أمطرهم المسلمون بالسهم... واشتد الحصار، وطال أربعة وعشرين ليلة، لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبال... وقال قتادة: إن الحصار دام شهراً، وقال موسى بن عقبة: دام عشرين ليلة.

ثم جاء نعيم بن مسعود بن عامر إلى الرسول، فأخبره أنه قد أسلم، وأن قومه لا يعلمون بإسلامه، وأنه صديق لبني قريظة يأتمنونه ويثقون به، وقال للرسول: مُرني بما شئت، فقال له الرسول: « إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَحَدِّدْ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدَعَةٌ » فاستعمل نعيم دهاءه حتى فرّق بين قريش

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير (١٧١).

وحلفائها، وبين بنى قريظة، وأوقع في نفوس كل من الفريقين الشك في الآخر، وأرسل الله على الأحزاب ريحاً شديدة في ليلة شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفى قدورهم وتمزق خيامهم، فامتلات نفوس الأحزاب بالرعب ورحلوا في تلك الليلة، فلما أصبح الصباح نظر المسلمون فلم يروا أحداً.

وقد أشارت الآيات إلى أن الله ﷻ أرسل عليهم ﴿رِيحًا وَجُنُودًا﴾<sup>(١)</sup> أى ملائكة، وقال النبي ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادًا بِالدَّبُورِ...» فالله ﷻ هو الذى أعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده...

وصفوة الكلام أن يُقال فى سبب هزيمة الأحزاب أن الله ﷻ استجاب لدعاء رسوله ﷺ وهو ما رواه البخارى عن عبد الله بن أبى أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللَّهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ، اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْ لَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وكانت هذه الغزوة نهاية غزو الكفار للمدينة... فعن سليمان بن صرد قال: سمعت النبي ﷺ يقول حين أُجلى الأحزاب عنه: «الآن نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»<sup>(٣)</sup>.

## غزوة بنى قريظة

ولا شك أن سبب هذه الغزوة هو ما تقدم فى قصة الخندق من نقض عهدهم مع رسول الله ﷺ، ومعاونتهم الأحزاب على حربه.

رأى رسول الله ﷺ أن يؤدب هؤلاء الخائنين الغادرين، ويطهر منهم المدينة مقر جهاده ودعوته حتى لا تواتيهم الظروف مرة أخرى، فينقضوا على جيرانهم

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤١١٥) كتاب المغازى - ومسلم (١٧٤٢) كتاب الجهاد.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤١١٠) كتاب المغازى.



المسلمين، ويبدوهم كما في طبيعة الغدر اليهودي اللئيم.  
ثم أخذ المسلمون في حصارهم خمسًا وعشرين ليلة، فلما ضاق بهم الأمر،  
نزلوا على حكم الرسول ﷺ، فحكّم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس، وكان بنو  
قريظة حلفاء الأوس... فحكّم سعد بأن تقتل مقاتلتهم، وأن تُسبى ذراريهم، وأن  
تُقسم أموالهم، فنفذ الرسول ﷺ حكمه، وقال له: لقد حكمت فيهم بحكم الله من  
فوق سبع سماوات... وبذلك قضى على مؤامرات اليهود ودسائسهم وتآمرهم  
على رسول الله ﷺ ودعوته قضاءً مُبرماً في المدينة وما حولها.

✽ ثم أعقب ذلك أحداث: مثل قتل أبي رافع بن أبي الحقيق الذي كان ممن  
ألب الأحزاب على رسول الله ﷺ... وجاءت غزوة بنى لحيان وسرية نجد  
وفيهما قصة (ثمامة) الذي أسلم بعد ما رأى من رحمة النبي ﷺ ما رأى..  
وجاءت غزوة المريسيع (بنى المصطلق) ثم حادثة الإفك التي برأ الله فيها أمنا  
عائشة رضي الله عنها من فوق سبع سماوات واطر براءتها في كتابه.

## صلح الحديبية

وقعت في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، وكان من أمرها أن رسول  
الله ﷺ رأى في منامه أنه دخل البيت هو وصحابته آمنين مُحلّقين رؤوسهم  
ومقصرين لا يخافون شيئاً، فأمر الناس أن يتجهزوا للخروج إلى مكة معتمرين،  
لا يريد حرباً لقريش ولا قتالاً، وعلى الرغم من ذلك أبت قريش أن يدخل النبي  
ﷺ وأصحابه، ثم بعثوا عروة بن مسعود الثقفي ليتحدث إلى الرسول بهذا الشأن،  
وبعد حديث وأخذ ورد بين عروة وبعض الصحابة عاد إلى قريش وحدثهم عما  
رأى من حب الصحابة لرسول الله ﷺ، وهيبته لهم، ورغبتهم في الصلح معه، فأبوا  
ذلك، ثم بعث الرسول ﷺ عثمان بن عفان إلى أهل مكة ليؤكد لهم الغرض من  
مجىء الرسول وصحابته... وأبطأ عثمان، فأشيع بين المسلمين أنه قد قُتل،

فقال الرسول عندئذ: «لا نبرح حتى نناجز القوم» - نقاتلهم - ودعا المسلمين إلى البيعة على الجهاد، والشهادة في سبيل الله، فبايعوه تحت الشجرة هناك من أشجار الطلح على عدم الفرار، وأنه إما الصلح، وإما الشهادة... ولما علمت قريش بأمر البيعة، خافوا ورأوا الصلح معه ﷺ على أن يرجع في هذا العام ويعود من قابل فيقيم ثلاثاً معه سلاح الراكب: الرماح والسيوف في أغمادها، وأرسلت قريش لذلك شهيل بن عمرو ليتن هذا الصلح،... وأخيراً تم الصلح، على ما رغبت قريش، وعلى وضع الحرب بين الفريقين عشر سنين، وأن من أتى من عند محمد ﷺ إلى مكة لم يردّوه، وأن من أتى محمداً من مكة ردّه إليهم.

وقد ظهرت فيما بعد فوائد هذه الشروط التي صعبت على المسلمين، ورضى بها الرسول، لبعده نظره ورُجحان عقله، وإمداد الوحي له بالسداد في الرأي والعمل.

هذا وقد سمي الله هذه الغزوة فتحاً مبيئاً، حيث قال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝﴾<sup>(١)(٢)</sup>.

ولعل هذه إشارة إلى فتح مكة الذي كان ثمرة من ثمرات صلح الحديبية... وجاءت بعد ذلك غزوة ذي القرد، ثم فتح خيبر.

## غزوة خيبر

وسببها: أن النبي ﷺ بعد أن أمن جانب قريش بالصلح الذي تم في الحديبية، قرر تصفية مشكلة التجمعات اليهودية فيما حول المدينة بعد أن صفى اليهود من المدينة نفسها... وقد كان لليهود في خيبر حصون منيعة.

(١) سورة الفتح: الآيات: (١-٣).

(٢) السيرة النبوية دروس وعبر / د. مصطفى السباعي.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطيننَّ هذه الرأيةَ غدًا رجلاً يفتحُ الله على يديه، يُحبُّ اللهَ ورَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ عَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟». فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «فَارْسِلُوا إِلَيْهِ». فَأَتَى بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّأِيَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفِذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»<sup>(١)</sup>.

وابتدأت المعارك... يفتح المسلمون منها حصنًا بعد حصن.. إلا الحصنين الأخيرين، فقد رغب أهلها في الصلح على حقن دماء المقاتلة، وترك الذرية، والخروج من أرض خيبر بذرايرهم، وأن لا يصحب أحدٌ منهم إلا ثوبًا واحدًا، فصالحهم على ذلك.

ولما فتح الله ﷻ على المسلمين الحصن ذكر لرسول الله ﷺ صفية بنت حُيَيِّ بن أخطب، وقد قُتل زوجها فاصطفاها لنفسه، وعرض عليها الإسلام فأسلمت فوهبها نفسها.. أي جعل مهرها عتقها، وتزوجها بين خيبر والمدينة، حيث خلت من زوجها. وفي تلك الغزوة أُهديت إلى رسول الله ﷺ الشاة المسمومة فنجاه الله ﷻ من تلك المؤامرة.

## غزوة مؤتة

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام، وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان، وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢١٠) كتاب المغازى - ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

الأزدى بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم أو بُصري، فعرض له شرحيل بن عمرو الغساني فأوثقه رباطاً ثم قَدَّمه فُضرب عنقه، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر، فبعث البعوث واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ»<sup>(١)</sup>.

وكان عدد أصحاب النبي ﷺ ثلاثة آلاف وعدد الكفار مائتي ألف (مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة).

فلما بلغ ذلك المسلمين قاموا (بمعان) ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا، وإما أن يأمرنا بأمره فمضى له... فشجّع (عبد الله بن رواحة) الناس وقال: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون (الشهادة)، وما نقاتل الناس بعددٍ ولا قوة ولا كثرة، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين: إما ظهور وإما شهادة.

ثم التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرسٍ له شقراء فعقرها فقاتل القوم حتى قُتل، وكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام<sup>(٢)</sup>. فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل، فأخذ الراية ثابت بن أرقم أخو ابن عجلان، وقال: يا أيها الناس اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف<sup>(٣)</sup>.

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٨١) ... والحديث رواه البخاري (٤٢٦١) كتاب المغازي.

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات: مجمع الزوائد (٦/ ١٠٧-١٠٩).

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات. مجمع الزوائد (٦/ ١٥٩-١٦٠).



يأتيهم خبرهم: فقال ﷺ: «أَخَذَ الرَّأْيَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرُ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، -وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ الرَّأْيَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>.

وعاد خالد بن الوليد رضي الله عنه بالجيش بعد أن أوقع الخسائر الفادحة في جيش الروم، ولا شك أن النجاة بهذا الجيش الذي لا يتجاوز الثلاثة آلاف من جيش الكفار الذي بلغ مائتي ألف نجاح عظيم، ولذلك سمى النبي ذلك فتحًا، ووصف خالدًا بأنه سيف من سيوف الله.

## فتح مكة

وكانت في رمضان للسنة الثامنة من الهجرة، وسببها أن صلح الحديبية أباح لكل قبيلة عربية أن تدخل في عقد رسول الله ﷺ إن شاءت، أو تدخل في عقد قريش، فارتضت بنو بكر أن تدخل في عقد قريش، وارتضت خزاعة أن تدخل في عقد رسول الله ﷺ. وفي تلك السنة (الثامنة) اعتدت بنو بكر على خزاعة، فقتلت منها نحو عشرين رجلاً، وأمدت قريش بنى بكر بالمال والسلاح، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب غضبًا شديدًا، وتجهز لقتال قريش، إلا أنه لم يُرد أن يخبر الناس عن وجهته لئلا تستعد قريش، فُتُستباح حُرمة البلد الحرام، وتمتلئ أرجاؤه بأشلاء القتلى، ولكن حاطب بن أبي بلتعة البدرى أرسل كتابًا سرّيًا إلى مكة يخبرهم فيه بتوجيه الرسول إليهم، فأطلع الله رسوله ﷺ على أمر الكتاب، فأرسل بعض أصحابه إلى المرأة التي تحمله ليفتشوها، فعثروا على الكتاب، فدعا الرسول ﷺ حاطبًا، فقال له: «ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول الله، أما والله، إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت، ولا بدّلت، ولكني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة. وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦٢) كتاب المغازى.

عليهم، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال له رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

ثم سار الرسول ﷺ من المدينة لعشرٍ مضين من رمضان، وفي الطريق أفطر، وأفطر الناس معه لما لقوا من الجهد والمشقة في سفرهم، وكان عددهم حين خروجهم من المدينة عشرة آلاف، ثم انضم إليهم في الطريق عدد من قبائل العرب، وفي «مرّ الظهران» عثر حرس رسول الله ﷺ على أبي سفيان واثنين معه، فأسروهم وجاؤوا بهم إلى النبي ﷺ، فأسلم أبو سفيان، وجاء العباس عم النبي ﷺ فأسلم في الطريق، ثم وصل الجيش مكة، فأعلن منادى الرسول ﷺ: «مَنْ دَخَلَ دَارَهُ وَأَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ، فَهُوَ آمِنٌ»، واستثنى من ذلك خمسة عشر رجلاً عظمت جريرتهم في حق الإسلام ورسوله ﷺ... ثم دخل رسول الله ﷺ مكة وهو راكب راحلته، ثم طاف الرسول بالبيت، وأزال ما حولها من أصنام.. بلغت ثلاثمائة وستين<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأمر رسول الله ﷺ بلائاً أن يصعد فيؤذن على الكعبة، ثم دخل رسول الله ﷺ دار أم هانئ بنت أبي طالب فاغتسل وصلى ثمان ركعات في بيتها، وكانت ضُحى فظنَّها مَنْ ظنها صلاة الضحى، وإنما هذه صلاة الفتح. وأجارت أم هانئ حموين لها فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ أَجْرْنَا مَنْ أَجْرَتْ يَا أُمَّ هَانِئٍ»<sup>(٢)</sup>.

ولما استقر الفتح، أمّن رسول الله ﷺ الناس كلهم إلا تسعة نفر، فإنه أمر بقتلهم، وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة<sup>(٣)</sup>.

(١) السيرة النبوية دروس وعبر / د. مصطفى السباعي (ص: ٦١-٦٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٧) كتاب الصلاة - ومسلم (٣٣٦) كتاب الحيض.

(٣) زاد المعاد (٣/٤١١).

ثم اجتمع الناس حول الصفا ليباعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، فجلس إليهم الرسول ﷺ على الصفا، وأخذ بيعتهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا... بايع الرجال أولاً، ثم النساء، ولم يصفاح واحدة منهن. وتحقق بذلك موعود الله ﷻ لرسوله الكريم ﷺ، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وسقطت الجاهلية والوثنية، وفرح المؤمنون بنصر الله، وأعزَّ الله دينه ورسوله وعباده المؤمنين.

ولما فتح الله تعالى على رسوله مكة بعث رسول الله ﷺ السرايا حول مكة يدعون الناس إلى الإسلام.

## غزوة حنين

وكانت في العاشر من شوال للسنة الثامنة من الهجرة بعد فتح مكة بعام، وسببها أن الله لما فتح مكة لرسوله ظن زعماء هوازن وثقيف أن رسول الله ﷺ سيتوجه إليهم بعد الانتهاء من أمر مكة، فعزموا على أن يبدؤوه بالقتال، فأمروا عليهم مالك بن عوف، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة، فأمرهم أن يسوقوا معهم إلى المعركة أموالهم ونساءهم وأبنائهم ومواشيهم ليكون ذلك أدعى إلى ثباتهم في القتال، وقد بلغت عدة المقاتلين منهم في هذه المعركة المرتقبة ما بين عشرين ألفاً إلى ثلاثين، فأعلن رسول الله ﷺ عزمه على الخروج لقتالهم، فخرج كل من كان بمكة... أصحابه الذين قدموا معه في المعركة، ومن انضم إليهم بعد ذلك ممن أسلم حديثاً، وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان في وادي حنين خرجت عليهم هوازن وحلفاؤها في غيش الصبح، فحمل عليهم المسلمون، فانكمشوا وانهمزوا، فانشغل المسلمون بجمع الغنائم فاستقبلهم المشركون بالسهام فانفرط عقدهم، وفرَّ أهل مكة والمسلمون الجدد، وبقي رسول الله ﷺ ثابتاً على بغلته يقول: «أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبِ»، وكان قد أشيع بين

المسلمين أن النبي ﷺ قد قُتل، فألقى كثيرٌ منهم سلاحه يائسًا، ولكن نفرًا من المهاجرين والأنصار ثبتوا حوله، وأخذ العباس - وكان جهوري الصوت - ينادى في المسلمين: إن رسول الله ﷺ لا يزال حيًّا، فعاد إليه من كان مُدبرًا، وتكاثر المؤمنون حتى استطاعوا أن يتصرفوا كرة أخرى، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون... وبلغت غنائم العدو مبلغًا كبيرًا، فرَّقه أولاً على المؤلفه قلوبهم من حديثي الإسلام، ولم يُعطِ منها الأنصار شيئًا اعتمادًا على إيمانهم وصدق إسلامهم.

وقد نزل من القرآن في هذه المعركة: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّحِينَ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وكانت هذه الغزوة آخر معركة ذات شأن بين الإسلام والمشركين... لم يلبث العرب من بعدها أن كسروا الأصنام، ودخلوا في دين الإسلام.

## غزوة تبوك

وتُسمَّى غزوة العُسرة، وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة، وسببها أن الروم قد جمعت جُموعًا كثيرة بالشام.. وكان قصد هرقل من ذلك الهجوم على المدينة والقضاء على الدولة الناشئة في جزيرة العرب التي أخذت أخبارها وأخبار انتصاراتها تثير جنح هرقل وخوفه، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج، وكان الوقت وقت عُسٍ شديد وحرٍّ شديد، فانتدب المؤمنون الصادقون عن طيب نفس، وتخلف ثلاثة منهم وهم من صادقي الإيمان... وندب الرسول ﷺ الأغنياء

(١) سورة التوبة: الآيتان: (٢٥-٢٦).





لتجهيز جيش العسرة، فجاؤوا بأموالٍ كثيرة.

وسار رسول الله ﷺ بالناس ومعه ثلاثون ألف مقاتل، ومن الخيل عشرة آلاف، وكان هذا أعظم ما رأته العرب حتى ذلك، ثم واصل سيره حتى بلغ تبوك، فأقام فيها نحوًا من عشرين ليلة، ولم يلقَ فيها كيدًا، ولم يدخل حربًا. وكانت هذه آخر غزواته ﷺ<sup>(١)</sup>.

## عام الوفود

عقب الهزيمة التي مُنيت بها الروم في شمال جزيرة العرب، حيث فرُّوا أمام جحافل الإسلام، وقد مرَّ النبي ﷺ بهذا الجيش العظيم الذي رجَّح بعضهم أن تعداده كان ثلاثين ألفًا... ولا طاقة للعرب في قتال جيش يمثل هذا العدد، وقد ظهر من شجاعتهم وجهادهم وجلادهم ما ظهر، وكانت الفئة القليلة منهم تهزم جيوش الكفر المتكاثرة، فأقبلت الوفود تتّرى في العام التاسع من الهجرة إلى مدينة النبي ﷺ، حتى سُمِّي هذا العام عام الوفود<sup>(٢)</sup>.

## حجة الوداع

كانت حجة الوداع هي الحجة الوحيدة التي أدّاها رسول الله ﷺ بعد البعثة، ولما تسامع الناس أن رسول الله ﷺ سيحج في تلك السنة، توافدوا إلى الحج من مختلف أنحاء الجزيرة العربية... وقد خطب رسول الله ﷺ خطبته الشهيرة التي ينبغي أن يحفظها كل طالب علم، لما تضمنته من إعلان المبادئ العامة للإسلام، وهي آخر خطبته ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وإن أول ما يُلفت النظر في حجة الوداع هذا الجمهور الضخم من الذين

(١) السيرة النبوية / للدكتور مصطفى السباعي (ص: ٦٣: ٦٤) بتصرف.

(٢) وقفات تربوية / للدكتور أحمد فريد (ص: ٣٨٧).

(٣) الخطبة رواها مسلم عن جابر (١٢١٨) كتاب الحج.

حضرُوا مع الرسول ﷺ من مختلف أنحاء الجزيرة العربية، مؤمنين به، مصدقين برسالته، مطيعين لأمره، وقد كانوا جميعاً قبل ثلاثٍ وعشرين سنة فحسب على الوثنية والشرك، ينكرون مبادئ رسالته، ويعجبون من دعوته إلى التوحيد، وينفرون من تنديده بأبائهم الوثنيين، وتسفيهه لأحلامهم... بل كان كثيرٌ منهم قد ناصبوه العدا، وتربصوا به الشر، وبيتوا على قتله، وألبوا عليه الجموع، وجالدوه بالسيوف والرماح... فكيف تم هذا الانقلاب العجيب في مثل هذه المدة القصيرة، وكيف استطاع ﷺ أن يُحوّل هذه الجموع من وثنيها وجاهليتها وترديها وتفرّقها إلى توحيد الله وعلم ذاته وصفاته، واجتماع الكلمة، ووحدة الهدف والغاية؟

إن هو إلا صدق الرسالة، وتأييد السماء، ونصرة الله، ومعجزة الدين الشامل الكامل الذي أتم الله به نعمته على عباده، وختم به رسالاته للناس وأراد أن ينهى به شقاء أمة كانت تائهة في دروب الحياة مُستدلّة للأهواء والعصبيات، وأن يدلها على طريق الهداية، ويفتح أعينها لأشعة الشمس، ويقلدها قيادة الأمم، ويحول بها مجرى التاريخ، ويُمحي بها مهانة الإنسان، ويورثها الحكمة والكتاب هُدى وذكرى لأولى الألباب<sup>(١)</sup>.

### وفاة الرسول ﷺ

إن الأحداث العظيمة يسبقها من الإرهاصات والعلامات التي تشير إلى قرب وقوعها... وقد تم للمسلمين فتح مكة أم القرى في السنة الثامنة من الهجرة المباركة، وفي السنة التاسعة أقبلت الوفود تُقرّب بالإسلام أو تعطي الجزية عن يد وهم صاغرون، وأرهب جيش العُسرة الذي خرج به النبي ﷺ جحافل الروم

(١) السيرة النبوية / للدكتور مصطفى السباعي (ص: ١٠١ - ١٠٢) بتصرف.

حتى فرّوا من مواجهته، ودانت جزيرة العرب بالإسلام، وكان ذلك بعد عشر سنين من جهاد النبي ﷺ المتواصل وصحابته الكرام ﷺ... فكل العلامات تشير إلى انتهاء مهمة رسول الله ﷺ، فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وكشف الغمة، وأصبح الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فكان النبي ﷺ يُعرّض بقرب أجله:

❁ فمن ذلك ما رواه أحمد عن معاذ قال: لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوصِيهِ وَمُعَاذُ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ: «يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أَوْ قَبْرِي». فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِبِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا»<sup>(١)</sup>.

❁ ومن ذلك أنه ﷺ كان يعتكف كل سنة عشرًا في رمضان، فاعتكف في السنة الأخيرة عشرين ليلة، وكان جبريل يعارضه القرآن مرة في رمضان فعارضه في السنة الأخيرة مرتين.

❁ وخرج النبي ﷺ للحج في السنة العاشرة، وقال: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا وَطَفِقَ يودع الناس»<sup>(٢)</sup>.  
ونزل عليه بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن هذه الإشارات القوية ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ وقال: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدَ مَا عِنْدَ اللَّهِ» قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خَيْرٍ

(١) صحيح: رواه أحمد عن معاذ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢٩٧) كتاب الحج.

(٣) سورة المائدة: الآية: (٣).

فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا...»<sup>(١)</sup>.

✽ وتروى لنا أمنا عائشة رضي الله عنها كيف بدأت شكوى رسول الله ﷺ قالت: رَجَعَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جِنَازَةِ مَنْ بَقِيَ، فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجْدُ صُدَاعًا وَأَنَا أَقُولُ: «وَأَرَأَيْتَهُ، قَالَ: «بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ وَأَرَأَيْتَهُ»، قَالَ: «وَمَا ضَرَّكَ لَوْ مَتَّ قَبْلِي فَعَسَلْتِكِ وَكَفَّنْتِكِ وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَّنْتِكِ؟»، فَقُلْتُ: لَكَأَنِّي بِكَ وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَرَجَعْتَ إِلَيَّ بَيْتِي فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكِ، قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ بُدِيَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: كان ابتداء مرضه في أواخر شهر صفر، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا في المشهور.

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وذكر الخطابي أنه ابتداء يوم الاثنين، وقيل يوم السبت. وكانت وفاته يوم الاثنين بلا خلاف من ربيع الأول، وكاد يكون إجماعًا وكان له رضي الله عنه ثلاثة وستون عامًا.

فلما كان الخميس قبل خمسة أيام من الوفاة النبوية اشتد الوجع برسول الله ﷺ فأمرهم بأن يُحضرُوا أدوات الكتابة حتى يكتب لهم كتابًا لا يختلفوا بعده، فأشفق بعضهم على النبي رضي الله عنه وقال: كتاب الله حسبنا، فتنازعوا فأمرهم بالخروج عنه<sup>(٣)</sup>.

ولقد أوصى النبي رضي الله عنه بإخراج المشركين من جزيرة العرب، وأوصى بإجازة الوفد، كما كان يجيزهم رضي الله عنه، وأوصى بثلاثة فَنَسِيهَا الرَّاوي.

وقال العلماء: لعله أوصى بإنفاذ جيش أسامة.

وأوصى بأن تُغلق الأبواب المفتوحة على المسجد إلا باب أبي بكر رضي الله عنه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٦) كتاب الصلاة - ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) حسن: رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني في «أحكام الجنائز» (٥٠)، «الإرواء» (٧٠٠).

(٣) فتح الباري (٧/٧٣٦).



فقال ﷺ: « لا تُبْقَيْنَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْحَةً إِلَّا خَوْحَةً أَبِي بَكْرٍ »<sup>(١)</sup>. وهذه من الإشارات لاستخلافه ﷺ.

ومن هذه الإشارات حرصه ﷺ وتأكيده بأن يصلى أبو بكر ﷺ بالناس. وأوصى النبي ﷺ بالأنصار خيراً. وأوصى ﷺ بتعظيم الرب عز وجل في الركوع والاجتهاد في الدعاء في السجود، كما أوصى ﷺ بالصلاة.

ومن ذلك أنه ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور... فعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يُلقى على وجهه طرف خميصة، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه وهو يقول: « لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ». تقول عائشة: يحذر مثل الذي صنعوا<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ: وكأنه ﷺ عَلِمَ أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يُعظَّم قبره، كما فعل مَنْ مضى... فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم مَنْ يفعل فعلهم<sup>(٣)</sup>.

### اللحظات الأخيرة من حياة النبي ﷺ

وخرج النبي ﷺ في صبح اليوم الذي لحق فيه بالرقيق الأعلى ينظر إلى ثمرة جهاده وصبره، فألقى على أصحابه الذين أحبوه وأحبهم نظرة وداع، فكادوا يُفتنون من الفرحة به ﷺ ظناً منهم أنه ﷺ قد عوفي من مرضه، ولم يظنوا أنه ينظر إليهم نظرة الوداع حتى يلتقى بهم على حوضه، وفي جنة الله عز وجل، ولو علموا ذلك لتفطرت قلوبهم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ عبد الرحمن ويده سواك، وأنا مُسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك. فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه:

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٦) كتاب الصلاة - ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٥) كتاب الصلاة - ومسلم (٥٣١) كتاب المساجد.

(٣) فتح الباري (١/٦٣٤).

«أن نعم» فتناولته، فاشتد عليه، قلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه: «أن نعم» فليّته، فأمره وبين يديه ركوة أو علبه فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ﷺ ومالت يده»<sup>(١)</sup>.

وكان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ: «اللهم الرفيق الأعلى».

وعن أنس قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه، فقال لها: «ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم»، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا»<sup>(٣)</sup>.

وقال الحافظ ابن رجب رحمته الله: لما توفى ﷺ اضطرب المسلمون فمنهم من دُهِش فحولط، ومنهم من أُقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال: إنما بُعث إليه»<sup>(٤)</sup>.

### موقف الصديق رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ مات، وأبو بكر بالسُّنح -تعنى بالعالية- فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسى إلا ذاك، وليبعثه الله فيقطعن أيدي رجالٍ وأرجلهم ... فجاء

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٤٤٩) كتاب المغازى.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٤٦٢) كتاب المغازى.

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى مختصر الشمائل (٣٢٩).

(٤) لطائف المعارف (١١٣-١١٤) باختصار.



أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقَبَلَهُ فقال: بأبي أنت طِبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ فَحَمَدَ اللَّهُ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾<sup>(١)</sup>، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾<sup>(٢)</sup> قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ.

### تجهيز جسد النبي ﷺ

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَدْرِي أُنْجَرِدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نَجَرِدُ مَوْتَانَا، أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَقْنَهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ - لَا يُدْرَى مَنْ هُوَ: أَنْ اغْسَلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابَهُ، فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يَصْبُونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ، وَيَدْلِكُونَ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَهُ إِلَّا نِسَاؤُهُ<sup>(٣)</sup>. وَكُنْ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ سَحُولِيَّةٍ بِيضَاءَ.

وقد أجمع أهل العلم أنه ﷺ توفي عن ثلاثة وستين عامًا قضى منها أربعين قبل البعثة وثلاثة عشر عامًا بعد البعثة بمكة وعشر سنين في المدينة بعد الهجرة،

(١) سورة الزمر: الآية: (٣٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

(٣) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، وقال محقق الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: إسناده قوى وحسنه الألباني في الأحكام (٤٩).

وكانت وفاته في ربيع من السنة الحادية عشرة من الهجرة ... وما ترك دينارًا ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلا بغلته التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة .... فصلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





# من معجزات النبي ﷺ



## من معجزات النبي ﷺ

✽ لا بد أن نعلم أولاً أن هناك فرقاً بين المعجزة والإرهاصة والكرامة والمعونة والإهانة والاستدراج.

### (١) المعجزة :

فالمعجزة هي أمرٌ خارقٌ للعادة يُجرّبه الله على أيدي الأنبياء والمرسلين وهي تقترن برسالتهم... كانشقاق القمر لرسول الله ﷺ.. وقلب العصا إلى حية لموسى ﷺ وغير ذلك.

ولقد أيد الله أنبياءه ورسله بالمعجزات التي لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها ليعلموا أن هذا لا يكون إلا بتأييدٍ من الحق (جل جلاله) الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كُن فيكون.

وكانت كل معجزة تتناسب مع أحوال الناس.

فإنه لما كان السحر مُتفشياً في قوم فرعون أكرم الله نبيه موسى ﷺ بمعجزة تفوق هذا السحر فإذا بعصاه تلقف ما يأفكون.

ولما كان الناس في عهد عيسى ﷺ على درجة عالية من الطب أكرم الله نبيه عيسى ﷺ بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله.

ولما كان العرب في أرض الجزيرة على درجة عالية من البلاغة والفصاحة أكرم الله نبيه محمداً ﷺ بمعجزة القرآن الذي تحدّى الله به الجن والإنس على أن يأتوا بسورة من مثله.

ونحن إذا تكلمنا عن تلك المعجزات فإن ذلك يجعل الإيمان يزداد في قلوبنا.. وإن كنا - والله الحمد - نؤمن بالله عزّ وجلّ وبرسالته نبينا ﷺ وإن لم يكن له

معجزة واحدة فنحن نعلم أنه رسول الله ﷺ وأنه سيد الأولين والآخرين وأنه أكرم الناس على الله (جل وعلا).

### (٢) الإرهاص:

ومن الأمور الخارقة للعادة وإن لم يكن معجزة لفقد شروط المعجزة: الإرهاص... وهو ما يظهر للنبي قبل بعثته من أمور عجيبة لا تظهر لسائر البشر كقصة ولادته ﷺ وما وقع من الله في إهلاك الفيل وأهله.

### (٣) الكرامة:

ثم نأتى لأمر آخر خارق للعادة وإن لم يكن من المعجزات لافتقار شروطها... وهى الكرامة.

الكرامة: أمر خارق للعادة تظهر على يد مؤمن ملتزم لمتابعة نبي مكلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم... فما يجرى على يد الأولياء من خوارق وعجائب تُسمى كرامات وقد تُسمى الكرامة آية لأنها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولي، لأن كل كرامة لولي هي معجزة لنيبه.

والولي: هو العارف بالله تعالى وبصفاته.. المواظب على طاعته لله، المجتنب معصيته... وسمى الولي بهذا لأن الله تولى أمره فلم يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة... والله تعالى يتولى عباده دائماً.

✽ وهناك بعض المواقف التي تدل على الكرامة:

روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى الأعداء من مسافة شهر فقال: «يا سارية الجبل»<sup>(١)</sup> فسمع سارية قائد جيش المسلمين صوته فانحاز بالناس إلى الجبل وقاتلوا العدو فنصرهم الله تعالى... فتلك كرامة لعمر أن رأى من تلك المسافة... كذلك لسارية أن سمع من المسافة نفسها.

(١) سارية: قائد جيش المسلمين.

روى أن عبد الله بن شقيق كان إذا مرت عليه سحابة يقول لها: أقسمت عليك بالله إلا أمطرتِ فتمطر في الحال.

هذا قليل القليل من كثير من كرامات الصحابة والأولياء.

#### (٤) المعونة:

ومن الأمور الخارقة للعادة أيضًا: المعونة.

فهناك أمر قد لا يظن الإنسان الصالح وجوده أو حدوثه ثم يقع له حسب رغبته أو حسب ما ينجيه ... كمن كان في صحراء وظهر له الأسد فوجد شجرة في مكان لا توجد في مثله الأشجار فتسلقها ونجى من الأسد.

#### (٥) الإهانة:

ومن الأمور الخارقة للعادة: الإهانة - أعاذنا الله من كل سوء - وهى أمر خارق للعادة يُظهره الله على يد كاذب يدعى النبوة على عكس مراده ... كما وقع لمسيلمة الكذاب عندما تفل في عين رجل - عوراء - لتصح فعميت الاثنتان أخزاه الله ولعنه.

#### (٦) الاستدراج:

ثم نأتى إلى آخر الأمور الخارقة للعادة: الاستدراج وهو أمر خارق للعادة يُظهره الله على يد مُدَّعى الألوهية كما يقع للمسيح الدجال عندما يقتل شخصًا ثم يُحييه ولكن بعد ذلك يأخذه الله أخذ عزيزٍ مُقتدر<sup>(١)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بعض الإرهاصات قبل بعثة النبي ﷺ

✽ هناك بعض الإرهاصات التي حدثت للنبي ﷺ قبل بعثته.

فمن بين تلك الإرهاصات ما حدث يوم مولده ﷺ.

فلقد رأت أمه يوم مولده نورًا يخرج منها أضواءت منه قصور الشام.

قال رسول الله ﷺ: «أَنَا دَعْوَةٌ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ

يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ»<sup>(١)</sup>.

ودعوة إبراهيم عليه السلام هي قوله: «رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»<sup>(٢)</sup>.

وبشري عيسى. كما أشار إليه قوله ﷺ حاكياً عن المسيح عليه السلام:

«وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ رَاحِمٌ»<sup>(٣)</sup>.

وقوله: «وَرَأَتْ أُمِّي كَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ».

قال ابن رجب: «وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من

النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها،...

كما قال تعالى: «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ»<sup>(٤)</sup> يَهْدِي بِهِ اللَّهُ

مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ

وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»<sup>(٤)</sup>.

✽ وكان من بين الإرهاصات التي حدثت قبل بعثة النبي ﷺ: قصة

أصحاب الفيل.. فقد جاء أبرهة وجنوده لهدم الكعبة وذلك في نفس العام الذي

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٢٩).

(٣) سورة الصف: الآية: (٦).

(٤) سورة المائدة: الآيتان: (١٥-١٦).

وُلد فيه النبي ﷺ فصَدَّهم الله عن البيت وأرسل الله عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف... مع كل طائر منهم ثلاثة حجارة يحملها... حجرٌ في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا أهلكته. فخرجوا هاربين مرعوبين يبحثون عن الطريق ويسألون عن نُفيل بن حبيب؛ ليدلهم على الطريق إلى اليمن.

✽ وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به تسقط أنامله أنملة.. كلما سقطت أنملة، اتبعتها منه مِدَّة تسيل قيحًا ودمًا حتى وصلوا به إلى صنعاء، فانصدع صدره عن قلبه حتى مات.

✽ وهذا كله جزاء من تعرض لهدم بيت الله الحرام.

فلقد حمى الله بيته الحرام؛ لأنه سيكون قبلة لسيد ولد آدم محمد بن عبد الله الذي وُلد في نفس العام (عام الفيل).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ ١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ ٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۚ ٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۚ ٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝﴾<sup>(١)</sup>.

## حادثة شق الصدر

ومن بين الإرهاصات التي حدثت قبل بعثة النبي ﷺ (حادثة شق الصدر). ففي يوم من الأيام خرج النبي ﷺ ومعه أخوه من الرضاعة - ابن حليمة السعدية - وذهبا ليلعبا سويًا ونسيا أن يأخذا طعامًا فقال النبي ﷺ لأخيه: اذهب وائتنا بالزاد.

فذهب وأتى بالزاد... وبينما هما يلعبان إذ أقبل رجلان عليها ثياب بيض فأخذا النبي ﷺ فأضجعا وشقًا بطنه... يقول النبي ﷺ: «فَشَقَّا بَطْنِي، ثُمَّ

اسْتَحْرَجَا قَلْبِي ، فَشَقَّاهُ فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ :  
 ائْتِنِي بِمَاءٍ ثَلْجٍ ، فَنَسَلَا بِهِ جَوْفِي ، ثُمَّ قَالَ : ائْتِنِي بِمَاءٍ بَرْدٍ فَنَسَلَا بِهِ قَلْبِي ، ثُمَّ قَالَ :  
 ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ<sup>(١)</sup> فَذَرَاها فِي قَلْبِي ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : حُصَّه ، فَحَاصَّه ،  
 وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ ، وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ  
 أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ... قال النبي ﷺ : «فَإِذَا أَنَا أَنْظَرُ إِلَى الأَلْفِ فَوْقِي ، أَشْفِقُ أَنْ يَخْرُرَ  
 عَلَيَّ<sup>(٢)</sup> بَعْضُهُمْ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وَزِنْتُ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ ، ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي»<sup>(٣)</sup>.

✽ فلما رأى ذلك أخوه فزع وخاف خوفاً شديداً وعاد إلى أمه حليلة  
 مسرعاً وقد تغير لونه.

فقال له أمه: مالك يا بُني.

فحكى لها كل ما رآه... فخرجت حليلة هي وزوجها وهما في غاية الخوف  
 على محمد ﷺ فوجداه قائماً قد تغير لونه فلما رأهما أجهش بالبكاء.. فأخذته  
 حليلة في حضنها وسألته: ما الذي حدث لك؟ فحكى لها كل ما حدث.

فقال زوجها: والله إنى أخشى أن يكون قد أُصيب بمكروهٍ فهيا لنرده إلى  
 أهله قبل أن يحدث له شيء فيظن الناس أننا قد أهملنا رعايته.

فذهبا به إلى أمه آمنة... فلما رأتهما آمنة تعجبت وقالت: ما الذي أتى بكما  
 قبل أن أطلبه منكما وقد كنتما حريصين كل الحرص على بقاءه عندكما.

فقال حليلة: لا شيء سوى أنه قد أتم فترة الرضاعة منذ زمن فأحبينا أن  
 نرده إليكم قبل أن يُصاب بمكروه.

فقال: إنه قد حدث شيء ولا بد أن تخبريني يا حليلة.

فأخبرتها حليلة بما حدث... فتبسمت أم النبي ﷺ وقالت: كلا والله، لا

(١) السكينة: الطمأنينة والوقار.

(٢) يخر: يسقط.

(٣) حسن: رواه الدارمي، وأحمد، وحسنه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٧٣).





يصنع الله ذلك له، إن لابني شأنًا... أفلا أخبركما خبره، إني حملت به، فوالله ما حملت حملاً قط كان أخف عليّ منه، ولا أيسر منه، ثم رأيت حين حملته خرج مني نور أضاء منه أعناق الإبل ببصري ثم وضعته حين وضعته، فوالله ما وقع كما يقع الصبيان... لقد وقع معتمداً بيديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فقبضته وانطلقنا.

### قصة السحابة التي أظلته ﷺ

ومن بين الإرهاصات التي حدثت قبل بعثة النبي ﷺ (السحابة التي أظلته)... وها هي قصة السحابة:

لقد كان أبو طالب يحب النبي ﷺ أكثر من حبه لأولاده وكان لا يُطيق فراقه لحظة واحدة.

وفي يوم من الأيام أراد أبو طالب أن يخرج إلى الشام في تجارة له فلم يستطع أن يسافر وحده ويترك محمداً ﷺ... فأخذه معه في رحلته إلى الشام.

وكان في الطريق تنتشر صوامع الرهبان الذين كانوا يعرفون صفة نبي آخر الزمان فقد قرءوا صفته في التوراة والإنجيل.

وكان من بين هؤلاء الرهبان رجل اسمه (بحيرا) وكان رجلاً صالحاً يعرف صفة النبي ﷺ.

ونظر بحيرا إلى القافلة التي قَدِمَ فيها أبو طالب ومحمد ﷺ فإذا به يرى عَمامة<sup>(١)</sup> في السماء تُظلل محمداً ﷺ وتسير معه أينما سار... وهذه علامة من علامات نبي آخر الزمان، وأراد «بحيرا» التأكد من هذا النبي، والنظر في وجهه، فصنع طعاماً، ودعا القافلة جميعاً للأكل، فقالوا:

- يا بحيرا كنا نمر عليك فلم تصنع لنا طعاماً، فلماذا هذه المرة؟!

(١) سحابة.

- قال: بل أنتم ضيوفي، فلتأتوا جميعاً ولا يتخلف منكم أحد.  
وجاءوا جميعاً إلا رسول الله ﷺ فنظر بحيرا فلم يجده، فقال: هل جئتم  
جميعاً؟

قالوا: نعم، إلا غلاماً صغيراً، اسمه محمد جعلناه في رحالنا.  
فقال: إذن، ليذهب أحدكم وليأتني به.  
وحضر محمد ﷺ، وجلس للطعام مع قومه فلما فرغ القوم من الطعام،  
وبقى بحيرا ومحمد ﷺ وحدهما.

قال بحيرا: يا غلام أستحلفك باللات والعزى، أن تُجيبني عما أسألك عنه  
قال: لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله إني لأكرههُمَا.  
فقال: إذن أسألك بالله.

قال: اسأل عما بدا لك.  
فراح بحيرا يسأله عن أمور نومه، وطعامه، حتى كشف عنه كتفه؛ فرأى خاتم  
النُّبوة على كتفه، وهو بعض شعراتٍ بين كتفيه، ثم انصرف رسول الله ﷺ.  
فقال بحيرا لأبي طالب: من هذا الغلام؟ فقال: ابني.

قال بحيرا: لا، ما هو بابنك، ولكن ينبغي أن يكون أبواه قد ماتا.  
قال أبو طالب: نعم، مات أبوه وأمه حُبلى<sup>(١)</sup>، وماتت أمه.  
فقال بحيرا: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلدك، واحذر عليه اليهود، فلو  
عرفوه فسوف يقتلوه.

وعاد أبو طالب إلى مكة.  
وقد تأكد أن لابن أخيه شأنًا بين الناس جميعاً، وما زالت كلمات بحيرا في  
أذنه: «احذر عليه اليهود»<sup>(٢)</sup>.

(١) حُبلى: أى حامل.

(٢) حياة محمد ﷺ للأطفال / أ. حامد أحمد (ص: ٣٨-٤٠).

## الحجر يسلم على النبي ﷺ

وكان من بين الإرهاصات التي حدثت قبل بعثة النبي ﷺ (تسليم الحجر عليه) فقد كان النبي ﷺ يمر في مكانٍ بمكة فيسمع صوت الحجر وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله.

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» (١).

## معجزة القرآن الكريم أعظم المعجزات

إن من فضائل رسولنا محمد ﷺ أن الله تعالى قد أيده بالمعجزات الباهرة، تأييداً منه سبحانه لعبده ورسوله محمد ﷺ، وبرهاناً على صدقه، ودليلاً على علو شأنه ورفعة مكانته عند ربه... وأعظم آية أعطاها الله ﷻ لرسوله ﷺ هي القرآن الكريم، ولهذا يقول ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَمِنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْ حَاهُ اللَّهُ ﷻ إِلَيَّ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

✽ قال الإمام ابن حجر رحمه الله:

قوله: «وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْ حَاهُ اللَّهُ ﷻ إِلَيَّ» أي أن معجزتي التي تحديت بها هي الوحي الذي أنزل عليّ وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أُوتى مَنْ تَقَدَّمَ، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أُعطي معجزة خاصة به لم يُعطها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشياً عند فرعون فجاءه موسى ﷺ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٨١) كتاب فضائل القرآن - ومسلم (١٥٢) كتاب الإيمان.

بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره... وكذلك إحياء عيسى عليه السلام الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه... ولهذا لما كان العرب الذين بُعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدرُوا على ذلك.

وقيل: المراد أن القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة، بخلاف غيره من المعجزات فإنها لا تخلو عن مثل.

وقيل: المراد أن كل نبي أُعطى من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله صورة أو حقيقة... والقرآن لم يؤتَ أحدٌ قبله مثله، فلهذا أردفه بقوله: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعًا».

وقيل: المراد أن الذي أُوتيته لا يتطرق إليه تخيل، وإنما هو كلام مُعجز لا يقدر أحدٌ أن يأتي بما يتخيل منه التشبيه به، بخلاف غيره فإنه قد يقع في معجزاتهم ما يقدر الساحر أن يخيل شبهه فيحتاج مَنْ يميز بينهما إلى نظر، والنظر عُرضة للخطأ، فقد يخطئ الناظر فيظن تساويهما.

وقيل: المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا مَنْ حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات... فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون دليلاً على صحة دعواه، وهذا أقوى الاحتمالات، وتكميله في الذي بعده.

وقيل: المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تُشاهد بالأبصار كناقاة صالح وعصا موسى،... ومعجزة القرآن تُشاهد بالبصيرة فيكون مَنْ يتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يُشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مُشاهده، والذي

يُشَاهِدُ بَعِينَ الْعَقْلِ بَاقٍ يَشَاهِدُهُ كُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَ الْأَوَّلِ مُسْتَمِرًّا.  
قلت: ويمكن نَظْمُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ كُلِّهَا فِي كَلَامٍ وَاحِدٍ؛ فَإِنْ مُحْصَلُهَا لَا يَنَافِي  
بَعْضُهُ بَعْضًا<sup>(١)</sup>.

## إِعْجَازُ الْقُرْآنِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ

❁ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُهُمْ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: حَسَنُ تَأْلِيفِهِ وَالتَّمَامُ مَعِ الْإِيجَازِ وَالبَلَاغَةِ.

ثَانِيهَا: صُورَةُ سِيَاقِهِ وَأَسْلُوبِهِ الْمُخَالَفِ لِأَسَالِيبِ كَلَامِ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا حَتَّى حَارَتْ فِيهِ عَقُولُهُمْ وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الْإِتْيَانِ بِشَيْءٍ مِثْلِهِ مَعَ تَوْفُرِ دَوَاعِيهِمْ عَلَى تَحْصِيلِ ذَلِكَ وَتَقْرِيعِهِ لَهُمْ عَلَى الْعِجْزِ عَنْهُ.

ثَالِثُهَا: مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْبَارِ عَمَّا مَضَى مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالشَّرَائِعِ الدَّائِرَةِ مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ بَعْضُهُ إِلَّا النَّادِرُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

رَابِعُهَا: الْإِخْبَارُ بِمَا سَيَأْتِي مِنَ الْكَوَائِنِ الَّتِي وَقَعَ بَعْضُهَا فِي الْعَصْرِ النَّبَوِيِّ وَبَعْضُهَا بَعْدَهُ ... فَهَذَا الْقُرْآنُ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْهُدَى مَا يَكْفِي لِهَدَايَةِ الْكُونَ كُلِّهِ، بَلْ وَأَكْثَرَ مِنْ هَذَا.

❁ فِيهِ الْهُدَى الَّذِي يُوَصِّلُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي لَا يَرْجُو إِلَّا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (١) ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

❁ أَخْرَجَنَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَدَلَّنَا عَلَى كُلِّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الْجَنَّةِ وَحَذَرْنَا مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ يُوْرِدُ النَّارَ.

(١) فتح الباري (٨/٦٢٣).

(٢) سورة البقرة - الآيات: (١-٢).

✽ جعل الله فيه الموعظة الداعية إلى اكتساب كل فضيلة والزاجرة عن كل رذيلة.. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾<sup>(١)</sup>.

✽ تعلّمنا من خلال آياته نعمة التوحيد ومغبة الإشراك.

✽ جعل الله فيه الشفاء لكل الأمراض القلبية والنفسية والعقلية... ففيه الشفاء من الكفر والشرك والكبر والحسد والبخل والظلم والخوف والقلق... فقال تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

✽ وعظنا الله بآيات القرآن فجعل القلوب رقيقة وجعلها تستقبل الحق والهدى وتبتعد عن الضلال والباطل بكل ما فيه.

✽ جعل الله فيه الروح التي تتوقف عليها حياة الإنسان... فالقرآن هو الروح اللازمة للحياة الفاضلة الكريمة.

إن الناس بدون أن تسرى فيهم الروح القرآنية أموات حقا، لا ينتفعون بوجودهم، ولا بحياتهم المادية.

قال تعالى في هذا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

✽ وهو النور الكاشف لجميع الظلمات القلبية، والمبدد لسائر الجهالات النفسية، والمبين لسائر الحقائق والأسرار الكونية... قال تعالى في تقرير نورانيته: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا

(١) سورة يونس: الآية: (٥٧).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٨٢).

(٣) سورة الشورى: الآية: (٥٢).

مُبِينًا ﴿٧٦﴾<sup>(١)</sup>.

❁ وفيه البشري بخير الدنيا والآخرة وسعادتهما.

قال تعالى في ذلك: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٨﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

❁ الحق الإلهي الثابت في نفسه، المحقق المثبت لغيره من كل ما هو حق، فكل حق القرآن يؤيده، والقرآن يقرره... قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٤)</sup>.

أى مُتَلَبِّسًا به مشتملاً عليه، مؤيداً له، ومقرراً.

❁ الذكر الإلهي الذي تحيا عليه القلوب، وتطيب بتلاوته الأرواح، وتركوا بالعمل به النفوس. الذكر المكسب للشرف، والموصل لحضرة القدس، والرافع إلى ملائ الأختيار... قال تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿٥﴾﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال في الحديث عنه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْعَلُونَ ﴿١١﴾﴾<sup>(٦)</sup>.

❁ الخير العام لكل إنسان، وجان، وحيوان... فما من كائن في هذه الحياة إلا وناله من خيرية القرآن<sup>(٧)</sup>.

❁ الإعجاز العلمي الذي احتوى عليه القرآن:

القرآن لا تنقضي عجائبه... فكلما مرَّ الزمن اكتشفت البشرية وجهًا جديدًا

(١) سورة النساء: الآية: (١٧٤).

(٢) سورة النحل: الآية: (٨٩).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (١٠٥).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٤٨).

(٥) سورة ص: الآية: (١).

(٦) سورة الزخرف: الآية: (٤٤).

(٧) عقيدة المؤمن / الشيخ أبو بكر الجزائري (ص: ٢٥٣-٢٥٤) بتصرف.

من إعجازه... فما إن دخل الناس في عصر العلوم الكونية حتى وجدوا في كتاب الله نبأ صدق ما وعدهم في قوله تعالى: ﴿سُنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾<sup>(١)</sup>.

وإذا بالوعد يتحقق.

### ✽ حفظه من التغيير والتبديل:

ومن العلامات الإلهية في القرآن كونه محفوظاً من التغيير والتبديل، مع مرور الأزمنة المتطاولة على نزوله، وكثرة المعادين والحاقدين والخصوم المتربصين به وبأهله، ومع ذلك لم تنله يد التغيير والتبديل، وما حصل من محاولات التحريف باءت جميعها بالفشل.

فهو محفوظ على مستوى الحرف الواحد بل على مستوى حركة الحرف الواحد... وإنك لتسمع القرآن اليوم يُذاع من إذاعات العالم المختلفة ومن الدول المعادية للإسلام<sup>(٢)</sup>، فإذا هو القرآن المعروف الذي أنزل على محمد ﷺ.

وهذا كله تصديق لوعد الله سبحانه الذي تكفل بحفظه فقال سبحانه: ﴿إِنَّا فَخَّرْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

### ✽ علومه الواسعة:

اشتمل القرآن على علوم ومعارف تهدي البشر إلى طريق الحق والصواب والسعادة في جميع شؤونهم في حياتهم الدنيا والآخرة، وتجنبهم الشر بحذافيره، في كل زمانٍ ومكان، وقد بلغت هذه العلوم من دقة المعلومات، وصحة الأخبار، ونبالة القصد، ونصاعة الحجّة، وحُسن الأثر، وعموم النفع مبلغاً

(١) سورة فصلت الآية: (٥٣).

(٢) تذيع هذه الدول القرآن تأليفاً لقلوب عامة المسلمين.

(٣) سورة الحجر: الآية: (٩).





يستحيل على محمد ﷺ - وهو رجل أمي نشأ بين أميين - أن يأتي بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعاً من علماء وأدباء وفلاسفة وأخلاقيين أن يأتوا بمثلها من تلقاء أنفسهم ولو تظاهروا على ذلك<sup>(١)</sup>، فالعلوم التي في القرآن تدل كل عاقل ومنصف على أنه من عند الله، ولا يمكن أن تكون من عند غيره... ونضرب لك ثلاثة أمثلة مما احتوى عليه من العلوم:

### ✽ إخباره بالغيب الماضي والحاضر والمستقبل:

فمن إخباره بالغيب الماضي: إخباره بقصص الأمم السابقة التي لم يشهدها محمد ﷺ أو قومه... مثل قصة نبي الله نوح ﷺ مع أمته التي كانت من أقدم الأمم على الأرض.

وأخبر الله سبحانه نبيه في القرآن بعد أن ذكر قصة نوح ﷺ مع قومه في سورة هود أن هذه القصة من أخبار الغيب التي لم يكن محمد ﷺ يعلمها ولا قومه، وإنما ساقها الله للعبرة ولتسليته نبيه محمد ﷺ... قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولو أن الكفار في عهد النبي ﷺ كانوا يعلمون شيئاً من ذلك لكانت فرصة لتكذيب النبي ﷺ، ولكنهم لا ذوا بالصمت.

وكما أخبر القرآن بالغيب الماضي فقد أخبر ببعض الحوادث التي لم يشهدها رسول الله ﷺ - وهي في زمنه فكانت غيباً بالنسبة له - فأطلع الله عليها، ومن ذلك:

أن النبي ﷺ أسرَّ إلى بعض أزواجه أنه قد حرم على نفسه شرب العسل الذي عند بعض نسائه، لما ظن أن فيه رائحة غير مُستحسنة، وأمرها ألا تخبر بذلك أحداً،

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن/ للزرقاني (٢/٣٦٦).

(٢) سورة هود: الآية: (٤٩).

فأخبرت بعض نسائه بذلك، فأطلعه الله سبحانه على ذلك وأخبرها به... فسألته  
عَمَّنْ أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ الْغَيْبِ فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ  
وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup> عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ<sup>(٢)</sup> فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ  
مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ<sup>(٣)</sup>﴾.

وهناك نوع آخر من الغيب كشفه الوحي لرسول الله ﷺ وهو الغيب  
الممكنون في المستقبل الذي لا سبيل لأحدٍ من البشر أن يعرفه... ومن أمثلته ما  
وعد الله به المؤمنين من الاستخلاف في الأرض مع أنهم كانوا قلة  
مستضعفة،... قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ  
الَّذِي أَرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا<sup>(٤)</sup>﴾.

وقد تحقق ذلك الوعد... فخلال قرن من الزمان انتصر المؤمنون على  
الدولتين العظيمتين في ذلك الوقت وفتحوا الأرض شرقاً وغرباً ودانت لهم  
شعوبها بالإسلام ودخلوا في دين الله أفواجا.

ومن أمثلة الإخبار بغيب المستقبل أن يقرر القرآن أن أشخاصاً معينين  
بأسمائهم لن يُسلموا وأنهم سيموتون على الكفر، وكان بإمكانهم أن يكذبوا  
القرآن ولو تظاهروا بالإسلام تظاهراً، ولكنهم لم يخرجوا عما قرره القرآن في  
حقهم، بالرغم من إسلام الأعداد الكثيرة ممن كانوا أشد الناس عداوةً له.  
ومن ذلك ما ذكره سبحانه عن أبي لهب أنه من أهل النار.

(١) أطلعه الله عليه.

(٢) يعنى: ذكر لها بعض ما أخبرت به، وسكت عن البعض الآخر تكريماً.

(٣) سورة التحريم: الآية: (٣).

(٤) سورة النور: الآية: (٥٥).

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤﴾<sup>(١)</sup> وكذلك إخباره عن الوليد بن المغيرة أنه سيصلى النار... قال تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرًا ۝٦٦﴾<sup>(٢)</sup> وكان الأمر كذلك فمات أبو لهب كافرًا، ومات الوليد كافرًا.. إلى غير ذلك من الأمثلة<sup>(٣)</sup>.

✽ تحدى الكافرين أن يأتوا بمثله :

قال تعالى مبيّنًا عجز الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثل القرآن الكريم: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾<sup>(٤)</sup>.

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فقال سبحانه:

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرْنَا قُلُوبًا فَتَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٣﴾<sup>(٥)</sup>.

ثم تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله فلم يقدروا، وأخبرهم أنهم لن يفعلوا، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٣ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ النَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝١٤﴾<sup>(٦)</sup>.

ولو كان القرآن من كلام الرسول ﷺ لما جزم بعدم استطاعة أحد أن يأتي بمثله.

(١) سورة المسد: الآيات: (١: ٤).

(٢) سورة المدثر: الآية: (٢٦).

(٣) انظر مزيدًا من الأمثلة على إخبار القرآن بالغيب في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٧٠ - ٧٩).

(٤) سورة الإسراء - الآية: (٨٨).

(٥) سورة هود - الآية: (١٣).

(٦) سورة البقرة - الآيتان: (٢٣: ٢٤).

وتحقق هذا الجزم بعد ذلك دليلٌ على أن القرآن كلام الله المعجز<sup>(١)</sup>.

### انشقاق القمر

لقد كان كفار قريش يرفضون دعوة النبي ﷺ ويتعتون في طلب المعجزات ظناً منهم أن النبي ﷺ سيعجز عن ذلك فيكون ذلك سبباً في عدم إسلامهم.

❁ وفي يوم من الأيام عرض عليهم النبي ﷺ الإسلام فطلبوا منه أن يُريهم معجزة تدل على صدقه في أنه نبى حتى يؤمنوا.. فسألهم النبي ﷺ عما يريدون فقالوا: لئن شققت لنا القمر نصفين لنؤمنن معك.

❁ فقام النبي ﷺ يسأل ربه عز وجل أن يشق لهم القمر نصفين.

فانشق القمر نصفين فقاموا وقالوا: سحرنا محمد..

❁ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين<sup>(٢)</sup>.

### حراسة النبي ﷺ بالملائكة

ولقد كانت الملائكة تحرس النبي ﷺ... حتى أنه لما جاء أبو جهل وأراد أن يؤذى النبي ﷺ رجع مفزوعاً مما رآه.

فقال النبي ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَضْوًا عَضْوًا».

❁ وها هو أبو هريرة رضي الله عنه يحكى لنا هذه القصة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعْفَرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِن رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّانٌ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَّأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجَّهْتُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ<sup>(٣)</sup> عَلَى عَقْبَيْهِ وَيَتَّقِي

(١) يتصرف من كتاب (بينات الرسول ومعجزاته) / للشيخ عبد المجيد الزنداني (حفظه الله).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٦٧) كتاب التفسير - ومسلم (٢٨٠٢) كتاب صفات المنافقين.

(٣) النكوص: الرجوع إلى الخلف.

بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهُوَ لَا وَأَجْنِحَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا!!»<sup>(١)</sup>.

## معجزة الإسراء والمعراج

وهذه المعجزة كانت أيضًا من أعظم معجزات النبي ﷺ.

فهل يستطيع أحدنا يا أحبابي أن يتصور كيف أن أحدًا من البشر يقطع المسافة من المسجد الحرام (في مكة) إلى المسجد الأقصى (في فلسطين) ثم يصعد إلى السماوات السبع ويصل إلى سدرة المُنْتَهَى ... ويعود مرة أخرى في جزءٍ يسير من الليل؟!!!!.

إنه أمر يفوق خيال البشر.

ولكن إذا علمنا أن كل هذا كان بأمر الله وقدرته فإنه يزول العجب وتزول الحيرة لأننا نعلم أن الله على كل شيء قدير.

ولذلك بدأ الله سورة الإسراء بكلمة (سبحان) التي تهيئ الإنسان إلى أن الذي سيأتي بعد هذه الكلمة أمر عجيب يفوق خيال البشر... قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِيْتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾<sup>(٢)</sup>.

فالذي أسرى بالنبي ﷺ هو الله الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

✽ فتعالوا بنا لنرى كيف كانت معجزة الإسراء والمعراج.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أبيضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبُغْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُتَهَمِي طَرَفِهِ»، قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرِبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ»، قَالَ: «ثُمَّ دَخَلْتُ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفات المنافقين.

(٢) سورة الإسراء: الآية: (١).

الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَبَجَّأَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ،  
 وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: اخْتَرْتِ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى  
 السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:  
 مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي،  
 وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنْ  
 أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ  
 بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْحَالَةَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ  
عليه السلام، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ عليه السلام، قِيلَ: وَقَدْ  
 بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عليه السلام، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ  
 الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ  
عليه السلام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ عليه السلام، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ  
 إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ  
**عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾<sup>(١)</sup>، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ  
 جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ  
 بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِبَهَارُونَ عليه السلام، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ،  
 ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ،  
 قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا  
 أَنَا بِمُوسَى عليه السلام، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ  
 جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ عليه السلام، قِيلَ:  
 وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى  
 الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ

بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، وَإِذَا وَرَفُّهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ»، قَالَ: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا - أَى: يَصِفَهَا - مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ»، قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، حَفَّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، قَالَ: «فَلَمْ أَرَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى ﷺ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً»، قَالَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»<sup>(١)(٢)</sup>.

### قريش تكذب النبي ﷺ

ولما عاد النبي ﷺ إلى مكة وحكى لبعض أصحابه عن تلك الرحلة وصل الخبر لكفار قريش فسخروا من النبي ﷺ وقالوا له: أتزعم أنك أسرى بك من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عدت مرة أخرى في جزء يسير من الليل.

فقال النبي ﷺ: «نعم».

فقال أحدهم: فهل تستطيع أن تصف لنا المسجد الأقصى؟

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٩) كتاب الصلاة - رواه مسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.

(٢) (رسالة محمد ﷺ) الشيخ جمال عبد الرحمن (ص ١٣٩، ١٤٠) بتصرف.

فوافق النبي ﷺ على ذلك.. وبدأ يصف لهم المسجد لكنه لم يستطع أن يُكمل الوصف لأنه رأى المسجد ليلاً ولم يكن قد رأى كل شيء بوضوح... فأمر الله الملائكة فجاءت بالمسجد الأقصى حتى وضعت أمام النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ ينظر إليه ويصفه لكفار قريش وهم يتعجبون من دقة الوصف رغم أنهم يعلمون أن النبي ﷺ لم يذهب إلى هناك.

### الله يعمى أبصار المشركين عن رؤية النبي ﷺ ليلة الهجرة

وفي ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يراقبونه حتى إذا نام انقضوا عليه وقتلوه جميعاً.

فلما رأى النبي ﷺ مكانهم أمر على بن أبي طالب أن ينام مكانه وأخبره بأنه لن يحدث له مكروه ولن يصيبه أذى.

ثم أمر علياً بأن يرد كل الودائع والأمانات التي عنده لأصحابها.

❁ ويا له من أمرٍ عجيب فقد كانت قريش تحارب النبي ﷺ، وتحارب دعوته، وتريد أن تقتله... لكن الواحد منهم إذا كان عنده شيءٌ ثمين يريد أن يحفظه فإنه كان يتركه وديعة عند رسول الله ﷺ.

❁ وهنا ألقى الله النوم على هؤلاء المتآمرين فناموا.. ثم خرج النبي ﷺ أمامهم بعد أن أخذ حفنة من التراب ووضعها فوق رؤوسهم، وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١).

ثم ذهب رسول الله ﷺ إلى دار أبي بكر الذي جهَّز نفسه للهجرة مع رسول الله ﷺ.

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمداً.

(١) سورة يس: الآية: (٩).



قال: خيِّبكم الله، قد والله، خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟  
قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون علياً على الفراش.

فظنوا أن النبي ﷺ ما زال نائماً مكانه... فدخلوا وكشفوا الغطاء فوجدوا على بن أبي طالب فسألوه عن مكان النبي ﷺ فقال: لا أدري.. قد تركنى هنا لأرد إليكم أماناتكم.

فقالوا: لقد صدقنا هذا الرجل الذي أخبرنا بخروج محمد ﷺ.

### تأييد الله لرسوله ﷺ أثناء هجرته

خرج النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق ﷺ مهاجرين إلى المدينة النبوية، واختفيا في غار ثور ثلاثة أيام، وصعد المشركون إلى الغار بحثاً عن النبي ﷺ وأبي بكر، فحمى الله نبيه وأبا بكر منهما.

قال أبو بكر: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»<sup>(١)</sup>.

### قصته ﷺ مع سراقته وفرسه

كانت قريش قد أعلنت عن جائزة كبيرة مقدارها مائة ناقة لمن يأتي برسول الله ﷺ وأبي بكر أو يدل عليهما... وكانت هذه الجائزة كبيرة جداً ولذلك طمع كثير من المشركين في أن يعرفوا مكان النبي ﷺ حتى يفوزوا بهذه الجائزة.

وكان من بين هؤلاء الناس الذين كانوا يسعون للفوز بهذه الجائزة رجل اسمه (سراق بن مالك) الذي ما إن سمع بتلك الجائزة حتى أخذ يبحث عن النبي ﷺ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣) كتاب فضائل الصحابة - ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

في كل مكان حتى لحق برسول الله ﷺ وأبى بكر فلما اقترب منهما غاصت أقدام فرسه في الأرض فنادى على رسول الله ﷺ وطلب منه الأمان فأعطاه النبي ﷺ الأمان... لكنه أراد أن يغدر بالنبي ﷺ فغاصت أقدام فرسه مرة أخرى في الأرض فنادى على رسول الله ﷺ وطلب منه الأمان فأعطاه النبي ﷺ الأمان.

فلما أراد الغدر للمرة الثالثة غاصت أقدام فرسه في الأرض فعلم أن هذا الرجل هو رسول الله ﷺ وأن الله عز وجل هو الذى يحميه ويدافع عنه.. فأقبل على النبي ﷺ وأسلم فبشره النبي ﷺ بأنه سيلبس (سوارى كبرى). وقد حدث هذا بالفعل في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

### قصته مع شاة أم معبد

وفي الطريق عطش النبي ﷺ هو وأبو بكر فنزلا على امرأة تسمى (أم معبد الخزاعية) وكانت تعيش في خيمة على الطريق من مكة إلى المدينة... فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يجدوا عندها شيئًا من ذلك. وكان أهل هذا المكان يعانون في هذا الوقت من القحط والجذب... فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة قد جفَّ ضرعها وأوشكت على الموت فقال لها النبي ﷺ: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟».

قالت: إنها شاة ضعيفة.

فقال لها: «هل بها من لبن؟؟».

فقالت: ليس بها لبن.

فقال لها: «هل تأذنين لى أن أحلبها؟».

فقالت له: بأبى أنت وأمى إن رأيت بها لبنًا فاحلبها. فأذنت للنبي ﷺ فمسح

النبي ﷺ ضرعها وسمى الله ودعا فامتلاً ضرعها باللبن.. فدعا بإناء فحلب فيه اللبن ثم سقاها حتى رويت وسقى من معه ثم شرب آخرهم.. ثم حلبها مرة أخرى وترك الإناء عندها.

## معجزات في غزوة بدر<sup>(١)</sup>

بعد أن أخرج الكفار المسلمين من ديارهم وأموالهم، كانت وقعة بدر أول لقاء مسلح كبير بين الكفر والإيمان.

ولما كان الجيشان غير متكافئين، واللقاء حتمى بينهما، أيد الله جيش الإسلام والنبوة بآيات خارقة للسنن المعروفة، ومن ذلك:

### [ أ ] إنزال المطر عليهم :

حيث أنزل الله سبحانه من السماء ماءً كان رحمةً على المؤمنين . قال تعالى: ﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝۱۱ ﴾<sup>(٢)</sup>، فذكر سبحانه أنه أنزل المطر على المؤمنين لأربعة أسباب: للتطهير من الحدث، ولإذهاب وسوسة الشيطان، ولتثبيت القلوب، ولتليد الأرض الرملية في بدر لتثبت عليها أقدام المؤمنين في سيرهم.

### [ ب ] تقليل عدد كل فريق في نظر الفريق الآخر :

ومن آيات الله في هذه المعركة أن جعل كل فريق يرى عدد الفريق الآخر قليلاً، وذلك لحكمة أرادها الله تعالى وهي أن تتم هذه المعركة ويتصر الحق على الباطل.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝۱۲ ﴾<sup>(٣)</sup>.

### [ ج ] إنزال الملائكة للقتال مع المؤمنين :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نظر إلى المشركين يوم بدر وهم ألف،

(١) بتصرف من كتاب (بينات الرسول ومعجزاته) / للشيخ عبد المجيد الزنداني (حفظه الله).

(٢) سورة الأنفال - الآية: (١١).

(٣) سورة الأنفال - الآية: (٤٤).

وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فدعا الله سبحانه - ماداً يديه مُستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه - أن ينصره على المشركين قائلاً: «اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد بعد اليوم أبداً»، وأتاه أبو بكر وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سيُنجز لك ما وعدك، فأنزل الله سبحانه قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿١﴾﴾<sup>(٢)(١)</sup>.

## [د] إلقاء النعاس على المؤمنين:

كان الصحابة على وجل من قلتهم وكثرة عدوهم، فألقى الله عليهم النعاس أمانةً منه... قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾<sup>(٣)</sup> وكذلك حصل في معركة أحد... فقد قال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدي مراراً، يسقط وآخذه<sup>(٤)</sup>.

## ✽ قتال الملائكة مع النبي ﷺ في معركة أحد:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثيابٌ بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد... يعني: جبريل وميكائيل عليهما السلام<sup>(٥)</sup>.

## ✽ نصره الله لرسوله ﷺ بالريح والملائكة في غزوة الأحزاب:

تجمع الأحزاب من الكفار لقتال النبي ﷺ، وكان عددهم نحواً من عشرة آلاف، وتمالؤوا مع اليهود القاطنين في شرق المدينة على حرب النبي ﷺ.

(١) سورة الأنفال الآية: (٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩١٥) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير.

(٣) سورة الأنفال الآية: (١١).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٤٠٦٨) كتاب المغازى.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٥٤) كتاب المغازى - ومسلم (٢٣٠٦) كتاب الفضائل.

وأصحابه، واشتد الحال على المسلمين الذين حفروا خندقاً بينهم وبين الكفار، واستمر الكفار قريباً من شهر وهم يحاصرون المدينة.

فدعا النبي ﷺ ربه أن ينصره على المُتَمَلِّئِينَ عَلَى الْإِسْلَامِ فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعِ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

فاستجاب الله دعاء رسوله ﷺ وأرسل على الأحزاب ريحاً شديداً أفضت مضاجعهم، وجنوداً زلزلتهم مع ما ألقى الله بينهم من التخاذل فأجمعوا أمرهم على الرحيل وترك المدينة النبوية.

### ✽ جبريل وميكائيل (عليهما السلام) يقاتلان دفاعاً عن النبي ﷺ:

وفي يوم غزوة أحد حدثت معجزة عجيبة فقد أرسل الله جبريل وميكائيل (عليهما السلام) يقاتلان دفاعاً عن النبي ﷺ.

وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلاان يقاتلان عنه عليهما ثيابٌ بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد<sup>(٢)</sup>.

### ✽ معجزة الرسول ﷺ في حفر الخندق:

وبدأ الصحابة في حفر الخندق وكان النبي ﷺ يشاركهم في الحفر. وفي أثناء الحفر كانت هناك صخرة قوية لم يستطع الصحابة أن يحفروها فذهبوا إلى النبي ﷺ ليخبروه بذلك فما كان من النبي ﷺ إلا أنه ذهب معهم إلى مكان الصخرة القوية وأخذ المعول ونزل إليها وقال: «بسم الله» ثم ضرب الصخرة ضربة قوية فكسر ثلثها وهو يقول:

«اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لِأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ».. ثُمَّ صَرَبَ الصَّخْرَةَ ضَرْبَةً ثَانِيَةً فَكَسَرَ الثُّلُثَ الثَّانِي وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٣٣) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (١٧٤٢) كتاب الجهاد والسير.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٥٤) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (٢٣٠٦) كتاب الفضائل.

مَفَاتِيحَ فَارِسَ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا بُصْرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضِ .»

ثُمَّ ضَرَبَ الصَّخْرَةَ ضَرْبَةً ثَالِثَةً فَكَسَرَ مَا تَبَقِيَ مِنْهَا وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ  
أَعْطَيْتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا بُصْرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا»<sup>(١)</sup> .

❁ **تَكَثِيرُ الطَّعَامِ فِي بَيْتِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ :**

وَفِي أَثْنَاءِ الْحَفْرِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يِعَانُونَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ فَنَظَرَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ  
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى آثَارَ الْجُوعِ بَادِيَةً عَلَى وَجْهِهِ ﷺ فَذَهَبَ جَابِرٌ إِلَى  
زَوْجَتِهِ وَأَمَرَهَا أَنْ تَذْبَحَ شَاةً وَأَنْ تُعَدَّ الطَّعَامَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَطَاعَتْهُ وَقَالَتْ لَهُ:  
لَا تَفْضَحْنِي أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ الطَّعَامَ لَا يَكْفِي إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاثْنَيْنِ  
مِنْ أَصْحَابِهِ .

فَذَهَبَ جَابِرٌ وَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ سِرًّا: قَدْ أَعَدَدْنَا لَكَ طَعَامًا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَنَادَى عَلَى كُلِّ الصَّحَابَةِ وَقَالَ لَهُمْ: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنْ جَابِرًا  
قَدْ صَنَعَ لَكُمْ طَعَامًا - وَكَانُوا أَلْفَ رَجُلٍ - .»

فَوَقَفَ جَابِرٌ يَفْكَرُ: كَيْفَ سَيَأْكُلُ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ طَعَامٍ لَا يَكْفِي إِلَّا لِثَلَاثَةٍ .

فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ لَهُ: «لَا تَخْبِزَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ» .

فَذَهَبَ جَابِرٌ وَمَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْبَيْتِ .. فَلَمَّا رَأَتْ زَوْجَةَ جَابِرِ بْنِ  
النَّبِيِّ ﷺ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ الْجَيْشُ كُلَّهُ أَخَذَتْ تَوْنِبَ زَوْجَتِهَا جَابِرًا .. فَقَالَ لَهَا: لَقَدْ  
دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا عِنْدَنَا مِنَ الطَّعَامِ .

فَقَالَتْ: لَا عَلَيْكَ .. مَا دَامَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الَّذِي دَعَاهُمْ .

فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَبَصَقَ عَلَى الْعَجِينِ وَسَمَّى بِاسْمِ اللَّهِ وَبَارَكَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:  
«الآنَ اخْبِزُوا عَجِينَكُمْ»<sup>(٢)</sup> .

(١) صحيح: أخرجه أحمد، والنسائي في الكبرى، وأبو يعلى، وقال الحافظ في الفتح (٧/٣٩٧): إسناده

صحيح.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤١٠٢) كتاب المغازي - ومسلم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة.

فأعدوا الطعام ... وأخذ جابر يدعو الصحابة عشراً عشراً.. فيأكلون وما يزال الطعام كما هو... حتى أكل ألف رجل ولم ينقص من الطعام شىء... وأكل النبي ﷺ ثم أعطى الطعام لجابر وأمره أن يأكل هو وزوجته وأن يهدوا لجيرانهم... كل ذلك وما زال الطعام كما هو ببركة النبي ﷺ.

### ❁ البرد يذهب عن حذيفة بدعاء النبي ﷺ :

وفي غزوة الخندق (الأحزاب) أراد النبي ﷺ أن يبعث واحداً من أصحابه ليدخل معسكر العدو ليأتيه بخبرهم... وكان البرد قد بلغ مبلغاً عظيماً.

عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ، عَنِ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُدَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذْتَنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَّتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَّتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَسَكَّتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «قُمْ يَا حُدَيْفَةُ، فَأَتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تدعهم عليّ»، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمّام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «ولا تدعهم عليّ»، ولو رميته لأصبته.. فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمّام، فلما أتيت فأخبرته بخبر القوم، وفرغت فررت، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحتُ قال: «قُمْ يَا نَوْمَانُ»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٨) كتاب الجهاد والسير.

## معجزات النبي ﷺ في الحديبية

بُعث الرسول ﷺ في بيئة صحراوية جافة، وكان هو وأصحابه يخرجون كثيراً للغزوات دفاعاً عن الدين، وكانوا يتعرضون لقلّة الماء أو فقده فيعطشون ويحتاجون الماء أيضاً للطهارة للعبادة... فكان الله سبحانه يُرى الصحابة خوارق تكثير الماء القليل على يد النبي ﷺ.

❖ وما هي تلك الصور كما وردت في الأحاديث النبوية الصحيحة:

عن جابر رضي الله عنه قال: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ<sup>(١)</sup> فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ؟» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ، إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ، قَالَ: «فَوَضَّعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعَيْونِ». قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَّانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً<sup>(٢)</sup>.

### ❖ ذراع الشاة تخبر النبي ﷺ بأنها مسمومة:

ولما اطمأن رسول الله ﷺ بخير بعد فتحها أهدت له زينب بنت الحارث - امرأة سلام بن مشكم - شاة مسمومة.

وقد سألت: أي عضو من الشاة أحبُّ إلى رسول الله ﷺ؟ ف قيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمّت سائر الشاة ثم جاءت بها... فأما النبي ﷺ فأكل منها شيئاً فلم يسغها... وأما بشر بن البراء بن معرور فأساغها، وقال النبي ﷺ: «إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت»<sup>(٣)</sup>.

(١) ركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٥٧٦) كتاب المناقب.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٧٠/١٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٨/١١)، وصححه العلامة

الألباني في فقه السيرة (٣٤٧/١) - وأصله في الصحيحين.



## النبي ﷺ يخبر بموت القادة الثلاثة في سرية مؤتة

لما أرسل النبي ﷺ جيشًا إلى سرية مؤتة وأمر عليهم ثلاثة وهم: زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وكانت مؤتة على مسافة بعيدة من المدينة.

فلما قُتل الثلاثة وقف النبي ﷺ يخبر أصحابه بخبر موتهم دون أن يخبره أحد من البشر.. فقد أخبره جبريل عليه السلام بذلك.

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سَيْوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>.

## تكثر الطعام في تبوك

بُعث النبي ﷺ في بيئة قليلة الغذاء والماء، وكان هو وأصحابه يتعرضون لحالات من الشدة يقل فيها الطعام والماء أو يكاد ينعدم، فكان مما أيده الله به من المعجزات تكثير القليل من الطعام والماء على يديه، فيتغلب هو وأصحابه بقدرة الله تعالى بهذه المعجزات والخوارق على ظروف البيئة الصحراوية القاسية، التي يحتاجون فيها للطعام والشراب، إلى جانب حاجتهم للماء من أجل الطهارة للعبادة.. وأصبح ذلك من معجزاته التي رآها العشرات والمئات بل والآلاف من أصحابه، وتناقلها الناس في عهده ثم نُقلت إلينا بأصح طرق الرواية،... وإليك طرفًا من هذه المعجزات.

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦٢) كتاب المغازي.

## ✽ خوارق ازدياد الطعام :

فمن معجزاته ﷺ الخارقة للعادة، أن يكثر الله الطعام القليل الذي لا يكفى إلا الأفراد، فإذا به بعد نزول البركة فيه بفضل دعائه (صلى الله عليه وآله وسلم) يكفى العشرات أو المئات أو الآلاف وقد وقع ذلك في مواقف متعددة.

ومن خوارق تكثير الطعام ليكفى الآلاف من أتباعه ﷺ ما حدث في غزوة تبوك، حيث أصاب المسلمين فيها مجاعة، فقال الصحابة:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَتَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا<sup>(١)</sup>، فَأَكَلْنَا وَادَهْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْعَلُوا»، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَدَعَا بِنَطْعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَّةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يُسِيرُ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ»، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وَعَاءً إِلَّا مَلَأُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ»<sup>(٣)(٤)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) نواضحنا: الناضح هو الدابة التي يستقى عليها والمقصود هنا الإبل.

(٢) قال النووي: فيه محذوف تقديره يجعل في ذلك بركة أو خيراً أو نحو ذلك - شرح صحيح مسلم (١٧٢/١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧) كتاب الإيمان.

(٤) بينات الرسول ومعجزاته / للشيخ عبد المجيد الزنداني (ص: ٢٦٨، ٢٧٠).



## بركة النبي ﷺ

### كانت سبباً في عتق سلمان الفارسي ﷺ

لما كاتب سلمان الفارسي ﷺ ذلك الرجل الذي كان يملكه على أن يدفع له ثلاثمائة ودية (شتلة) وأربعين أوقية من الذهب .. أخذ النبي ﷺ يدعو أصحابه ليساعدوا سلمان حتى يصبح حرًا.

فجاء هذا بثلاثين ودية (شتلة) وهذا بعشرين .. وهذا .. وهذا .. حتى جمع ثلاثمائة ودية.

فطلب منه النبي ﷺ أن يحفر لهم ولا يضع أى واحدة حتى يضعها النبي ﷺ بيده... فحفر لها وجاء النبي ﷺ ووضعهم جميعاً فما مات أى ودية (شتلة) ثم أعطاه النبي ﷺ قطعة من الذهب في حجم البيضة ليؤدى أربعين أوقية من الذهب ويصبح حرًا.. فتبسم سلمان وقال له: يا رسول الله ماذا تصنع تلك القطعة الصغيرة من الذهب؟.

فقال له ﷺ: «خذها فإن الله سيؤدى بها عنك»<sup>(١)</sup>.

فأخذها سلمان فوزنها لهم فبلغت أربعين أوقية ذهب رغم صغر حجمها فأعتق سلمان الفارسي وأصبح حرًا بفضل الله أولاً ثم ببركة النبي ﷺ.

### الجمال يسجد للحبيب ﷺ

وفي يوم من الأيام كان هناك أهل بيت من الأنصار عندهم جمل يسقون عليه أرضهم فأصبح الجمل مفترسًا لا يتقاد لهم فذهبوا إلى النبي ﷺ يشكون إليه

(١) حسن: رواه أحمد، وابن سعد في «الطبقات»، وحسنه الألباني في الصحيحة (٨٩٤)، وصحيح السيرة

حالمهم وأنهم قد أُجذبت أرضهم بسبب ذلك الجمل.

❁ وها هي القصة كاملة نذكرها من خلال هذا الحديث:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ أَهْلُ بَيْتِ مِنَ الْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونُ عَلَيْهِ (أى: يسقون عليه)، وَإِنَّ الْجَمَلَ اسْتُصِيبَ عَلَيْهِمْ، فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نَسْنَى عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ اسْتُصِيبَ عَلَيْنَا، وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ، وَقَدْ عَطِشَ الزَّرْعُ وَالنَّخْلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا» فَقَامُوا، فَدَخَلَ الْحَائِطَ .. وَالْجَمَلُ فِي نَاحِيَتِهِ، فَمَشَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَحْوَهُ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلْبِ<sup>(١)</sup>، وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ، فَقَالَ: «لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ». فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ، حَتَّى أَدَخَلَهُ فِي الْعَمَلِ. فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ بَهِيمَةٌ لَا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ وَنَحْنُ نَعْقِلُ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ، فَقَالَ: «لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، لِأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرُؤُوسِهَا، مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ مِنْ قَدَمِهِ إِلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ قُرْحَةٌ تَنْبَحِسُ بِالْقَيْحِ وَالصِّدِيدِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْهُ تَلْحُسُهُ مَا أَدَّتْ حَقَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

### الوحش يُوقر النبي صلى الله عليه وسلم وَيَحْتَرِمُهُ

كان هناك حيوان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فكان ذلك الوحش يلعب ويجرى في البيت إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم... فإذا عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى البيت لم يتحرك وسكن في مكانه.

(١) أى: الكلب المفترس.

(٢) رواه أحمد، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٦/١٤٩): إسناده جيد.

ففي الحديث الذي رواه أحمد بإسناد حسن من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان لآل رسول الله ﷺ وحش<sup>(١)</sup> فكان إذا خرج رسول الله ﷺ اشتد ولعب في البيت فإذا دخل رسول الله ﷺ سكن فلم يتحرك كراهية أن يؤذيه.

### كان النبي ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه

وكان من معجزات النبي ﷺ أنه يرى من خلفه كما يرى من أمامه. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، أَلَا تُحَسِّنُ صَلَاتِكَ؟ أَلَا يَنْظُرُ الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ... إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أَبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ»<sup>(٢)</sup>.

### الطعام والحصى يسبح في يد النبي ﷺ

لقد كان الصحابة يسمعون صوت الطعام وهو يسبح في يد النبي ﷺ. وكانوا أيضًا يسمعون صوت تسبيح الحصى في يد النبي ﷺ. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ الْمَاءُ، فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ» فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهْوَرِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ» فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ<sup>(٣)</sup>.

❁ وفي رواية أنه قال: «كنا نسمع صوت تسبيح الحصى في يد النبي ﷺ».

(١) الوحش: هو حيوان البر الوحشي مثل الحمار الوحشي والبقر الوحشي.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٢٣) كتاب الصلاة.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٥٧٩) كتاب المناقب.

## شهادة الشجر برسالة النبي ﷺ وطاعته لأمره

ولقد حدثت معجزات عجيبة للنبي ﷺ مع الشجر وسأذكر لكم بعض تلك المعجزات.

### ✽ شجرة تخبر النبي ﷺ باستماع الجن إليه :

ففى الليلة التى ذهب فيها الجن ليستمع إلى القرآن من فم النبي ﷺ... كانت تلك الشجرة هى التى أخبرت النبي ﷺ بذلك.

ففى الحديث الذى رواه البخارى، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن الذى أخبر رسول الله ﷺ باستماع الجن إليه هى شجرة... فقد ساق البخارى بإسناده إلى معن بن عبد الرحمن، قال: سمعتُ أباي، قال: سألتُ مسروقاً: «مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْجَنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ؟»، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُوكَ - يَعْنِي: عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ - أَنَّهُ «آذَنَتْ بِهِمْ شَجَرَةٌ».

### ✽ شجرة تشهد للنبي ﷺ بالرسالة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ تُرِيدُ؟» قَالَ: إِلَى أَهْلِي قَالَ: «هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟» قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» فَقَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَيَّ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «هَذِهِ الشَّجَرَةُ» فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُذُ الْأَرْضِ خَذًا <sup>(١)</sup> حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبِتِهَا وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنْ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَكَ <sup>(٢)</sup>.

(١) أى: تشق الأرض شقاً.

(٢) رواه البيهقي فى الدلائل (١٥/٦) والحاكم (٦٢/٢) وقال ابن كثير: إسناده جيد.

## ✽ النبي ﷺ يأمر غصنا فيطيع أمره:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ: «إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِدْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «ارْجِعْ فَعَادًا»، فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ <sup>(١)</sup>.

## ✽ حنين الجذع شوقاً للنبي ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - أَوْ رَجُلٌ - يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنبْرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنبْرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، يَتْنُ أَنْيْنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكِّنُ. قَالَ <sup>(٢)</sup>: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَيَّ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذُّكْرِ عِنْدَهَا» <sup>(٣)</sup>.

## النبي ﷺ له قوة أربعين رجلاً من أهل الجنة

ولقد كان النبي ﷺ يمتلك قوة كبيرة.. فقد كان للنبي ﷺ قوة أربعين رجلاً من أهل الجنة... يعني قوة (٤٠٠٠) رجل من أهل الدنيا.

✽ ففي الحديث الذي رواه البخاري أن أنس بن مالك قال لقتادة: كنا نتحدث أن النبي ﷺ أعطى قوة ثلاثين <sup>(٤)</sup>.

- وفي صفة الجنة لأبي نُعيم: أن أنس بن مالك قال لقتادة: كنا نتحدث أن النبي ﷺ أعطى قوة أربعين من رجال أهل الجنة.

✽ ولعل سائلاً يسأل ويقول: وكم تبلغ قوة الرجل من أهل الجنة؟

(١) صحيح: رواه الترمذي، وصححه العلامة الألباني في صحيح المشكاة (٥٩٢٦ - التحقيق الثاني).

(٢) أشار الحافظ ابن حجر رحمته الله إلى أن قائل (كانت تبكي).. هو رسول الله ﷺ.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٥٨٤) كتاب المناقب.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٦٨) كتاب الغسل.



والجواب: أن قوة الرجل من أهل الجنة بمائة رجل من أهل الدنيا.  
والدليل على ذلك قول النبي ﷺ:

«إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجَمَاعِ، حَاجَةٌ أَحَدِهِمْ عَرَقُ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ، فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمَرَ»<sup>(١)</sup>.  
✽ وعلى هذا يكون حساب قوة نبينا ﷺ بأربعة آلاف رجل.

### الأرض تلفظ من أراد أن يخدع النبي ﷺ

روى أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، وَلَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ، فَأَعْجَبُوا بِهِ وَرَفَعُوهُ، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ!! فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلٌ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعَمَّقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلٌ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ خَارِجَ الْقَبْرِ!! فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعَمَّقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ، وَتَرَكَوهُ مَبُودًا<sup>(٢)</sup>.

### استجابة الله ﷻ لدعائه ﷺ

لقد كان النبي ﷺ مؤيدًا من السماء... فهو سيد الأولين والآخرين، وهو حبيب الرحمن - جل وعلا-.

وها نحن نعيش مع بعض دعوات النبي ﷺ التي استجيبت في الحال أو حتى بعد ذلك بزمان - مع العلم بأن هناك أدعية أدخرها الله ﷻ لحبيبه ﷺ ليوم القيامة-.

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٢٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦١٧) كتاب المناقب - ومسلم (٢٧٨١) كتاب صفات المنافقين.



## استجابة دعائه ﷺ فيما دعا فيه :

لقد كان رسول الله ﷺ مستجاب الدعوة فيما يدعو فيه ربه من قضاء الحوائج وتفريج الكرب وشفاء المرض وتحقيق المطالب وحلول البركة، حتى تواتر هذا الأمر عنه، فكان ذلك شاهداً من حاله بتصديق الله له بإجابة دعائه: وحوادث إجابة دعائه ﷺ كثيرة:

❁ منها: أنه لما قدم المدينة كانت من أوبأ أرض الله كما قالت عائشة رضي الله عنها فدعا الله أن ينقل حُمى المدينة إلى الجحفة<sup>(١)</sup> وأن يجعل المدينة صحيحة فكان ذلك<sup>(٢)</sup>.

❁ ودعا الله لأم أبي هريرة أن تُسلم، فلما رجع أبو هريرة إلى البيت أعلنت إسلامها<sup>(٣)</sup>.

ودعا لعبد الله بن عباس بالفقه في الدين<sup>(٤)</sup>، فأصبح أحد علماء الأمة، حتى لُقّب بحبر الأمة وترجمان القرآن.

❁ ودعا لأنس بن مالك بالمال والولد والبركة في ذلك، فكان من أكثر الأنصار مالاً وولداً<sup>(٥)</sup>.

❁ ودعا للسائب بن يزيد بالبركة، فبلغ أربعاً وتسعين سنة وهو جلدٌ معتدل يتمتع بسمعه وبصره<sup>(٦)</sup>.

❁ ودعا لقبيلة دوس بالهداية<sup>(٧)</sup>، فهداهم الله بعد أن أبوا الإسلام.

(١) الجحفة: قرية بين مكة والمدينة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٧٢) كتاب الدعوات - ومسلم (١٣٧٦) كتاب الحج.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٤٩١) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٣) كتاب الوضوء - ومسلم (٢٤٧٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٨٢) كتاب الصوم - ومسلم (٦٦٠) كتاب المساجد.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٠) كتاب الوضوء - ومسلم (٢٣٤٥) كتاب الفضائل.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٣٧) كتاب الجهاد - ومسلم (٢٥٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

❁ واشتكى إليه جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه لا يثبت على فرسه، فدعا الله له فلم يسقط عن فرسٍ بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

❁ واشتكى إليه على بن أبي طالب رضي الله عنه ضعف الخبرة في القضاء، فدعا له بالبصيرة في القضاء، قال عليٌّ: فما شككت في قضاءٍ بعد هذا<sup>(٢)</sup>.

❁ واستأذنه شاب في الزنا فصرفه عن ذلك بأسلوبٍ حكيمٍ رحيمٍ ثم دعا له بتحسين فرجه فكان ذلك الفتى لا يلتفت إلى شيء<sup>(٣)</sup>.

❁ ودعا لسعد بن أبي وقاص أن يكون مُستجاب الدعاء.. فكان بعد ذلك إذا دعا استجاب الله دعاءه<sup>(٤)</sup>.

❁ ودعا لأبي هريرة ألا ينسى أى حديث حفظه من النبي صلى الله عليه وسلم فكان أبو هريرة لا ينسى حديثاً سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم أبداً<sup>(٥)</sup>.

❁ ودعا الله عز وجل أن يعز الإسلام إما بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام (أبو جهل) فاستجاب الله له وهدى عمر بن الخطاب في اليوم الثاني<sup>(٦)</sup>.

❁ ودعا لقبيلة ثقيف بالهداية<sup>(٧)</sup>، فأقبلوا مهتدين بعد أن حاربوا المسلمين.

❁ ودعا لأصحابه يوم بدر بالرزق ففتح الله عليهم بعد ذلك<sup>(٨)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٢٠) كتاب الجهاد - ومسلم (٢٤٧٦) (١٣٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) رواه أحمد (٦٨/٢).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد، والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣٧٠).

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الترمذى.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٥٤) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ومسلم (٢٤٩٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٦) صحيح: رواه الترمذى وابن حبان، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٥٢٢٣).

(٧) مصنف ابن أبى شيبة.

(٨) رواه الحاكم.

✽ ودعا لأم المؤمنين أم سلمة بأن يُذهب الله غيرتها<sup>(١)</sup>، فاستجاب الله سبحانه له<sup>(٢)</sup>.

### ✽ استجابة دعائه على من دعا عليهم:

وقد حصل ذلك في حوادث متعددة... فمن ذلك أنه دعا على الكفار حين رأى منهم إديباراً عن الحق، فقال: اللهم سبعُ كسبع يوسف، فأخذتهم سنةٌ حصدت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع<sup>(٣)</sup>.

✽ ودعا على سبعة من قريش كانوا يهزءون به والإسلام... فقال عبد الله ابن مسعود إنه رآهم صرعى في قليب بدر<sup>(٤)</sup>.

✽ ودعا على عامر بن الطفيل<sup>(٥)</sup> عندما هدد بغزو المدينة، فأصابته غدة<sup>(٦)</sup> ومات على ظهر فرسه<sup>(٧)</sup>.

✽ ودعا على رجل تكبر وأبى أن يأكل بيمينه زاعماً أنه لا يستطيع، فقال: لا استطعت!! فما رفعها إلى فيه<sup>(٨)</sup>.

وكان ابن أبي لهب يسب النبي ﷺ فدعا عليه النبي ﷺ قائلاً: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك، فخرج إلى الشام تاجرًا فنزل منزلاً فقال: إنى أخاف دعوة محمد، فطمأنه رفاقه وناموا حوله وجعلوه وسطهم، فجاء الأسد ودخل إليه

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى.

(٢) رواه أبو يعلى.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٠٧) كتاب الاستسقاء - ومسلم (٢٧٩٨) كتاب صفات المنافقين.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٠) كتاب الوضوء - ومسلم (١٧٩٤) كتاب الجهاد.

(٥) المستدرک (٩٢ / ٤).

(٦) الغدة: العقدة في الجسم يطيف بها الشحم.

(٧) صحيح: رواه البخاري (٤٠٩١) كتاب المغازی.

(٨) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢١) كتاب الأشربة.

قاصداً إياه فافترسه<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك من دعواته ﷺ على من دعا عليهم<sup>(٢)</sup>، .... وإجابة دعواته على من كفر به شهادة من الله على صدق رسالته، وعلى أن الكفر به جريمة يستحق صاحبها العقوبة.

### استجابة دعائه في الاستسقاء

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وَجَاهَ الْمِنْبَرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكْتَ الْمَوَاشِي، وَأَنْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُعِيشُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» قَالَ أَنَسُ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَرْعَةً<sup>(٣)</sup> وَلَا شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ<sup>(٤)</sup> مِنْ بَيْتٍ، وَلَا دَارٍ قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ الثُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتْ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكْتَ الْأَمْوَالُ وَأَنْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوِّلِنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ<sup>(٥)</sup> وَالْجِبَالِ وَالْأَجَامِ<sup>(٦)</sup> وَالظُّرَابِ<sup>(٧)</sup> وَالْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَأَنْقَطَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ<sup>(٨)</sup>.

(١) المستدرک (٢/ ٥٨٨).

(٢) دلائل النبوة/ لسعيد باشنفر (١/ ٣٥٥) (٢/ ٣٩٧).

(٣) ولا قرعة: القرعة هي قطعة من الغيم.

(٤) سلع: جبل في المدينة.

(٥) الآكام: جمع أكمة وهي الراعية.

(٦) الأجام: جمع أجم وهو الحصن.

(٧) الظراب: الجبال الصغار.

(٨) متفق عليه: رواه البخاري (١٠١٣) كتاب الاستسقاء - ومسلم (٨٩٧) كتاب صلاة الاستسقاء.

## إخباره ﷺ ببعض الأمور المستقبلية التي أطلعها الله عليها

إن معرفة الغيب على إطلاقه لا يكون إلا لله ﷻ.

قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٦٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدِ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٦٨﴾﴾<sup>(١)</sup>.

ولقد أطلع الله ﷻ نبينا ﷺ على الكثير والكثير... حتى إن الحبيب ﷺ أخبر أمته بعلامات الساعة الصغرى والكبرى.

ووقع كل ما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ ما عدا تلك العلامات التي لم يأت موعدها ظهورها.

ومن ذلك أن النبي ﷺ عندما صعد أحدًا (جبل أحد) ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: « اثْبُتْ أَحَدٌ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ »<sup>(٢)</sup>. وبالفعل قُتل عمر وعثمان رضي الله عنهما ورزقهما الله الشهادة.

بل لقد ذكر النبي ﷺ المبشرين بالجنة من أصحابه رضي الله عنهم وكلهم ماتوا على التوحيد ولم يرتد واحد منهم.

ومن هذا الباب ما أخبر به النبي ﷺ عندما قال: « إِذَا هَلَكَ كِسْرَىٰ فَلَا كِسْرَىٰ بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ »<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا الباب قول النبي ﷺ: « إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ »<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الجن: الآيات: (٢٦-٢٨).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٢٠) كتاب فرض الخمس - ومسلم (٢٩١٨) كتاب الفتن.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٤٦) كتاب الإيمان.

وأخبر أيضًا ﷺ بعد ذلك بنصرة الإسلام وبأن الإسلام سينتشر في الكون كله وستدين الأرض كلها لله عز وجل فقال ﷺ في حديث خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ لَيُتَمَنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاِكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعِجِلُونَ»<sup>(١)</sup>.

ولو استطر دنا في الأمثلة لطال الحديث عن ذلك، ولكن حسبنا ما ذكرناه..

### معجزات شفاء المرضى وخوارقها

كان أصحاب النبي ﷺ يتعرضون لأنواع من المرض والجراح أثناء غزواتهم، فبأية بعضهم فيدعو الله لهم، فيكرمه الله بشفاء من دعا له على الفور أمام أعين المشاهدين... وقد سجلت السنة الصحيحة عددًا من هذه المعجزات، نذكر منها ما يلي:

#### (١) شفاء على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من رمده في غزوة خيبر:

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَنَّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «فَارْسُلُوا إِلَيْهِ»، فَأَتِي بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: «انْفِذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦١٢) كتاب الإكراه، (٣٩٤٣) كتاب الإكراه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢١٠) كتاب المغازى - ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) شفاء ساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه :

عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلْمَةَ، فَقُلْتُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ، مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ النَّاسُ: أُصِيبَ سَلْمَةُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ «فَنَفَثَ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ، فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ»<sup>(١)</sup>.

(٣) شفاء ساق عبد الله بن عتيك رضي الله عنه :

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعِ الْيَهُودِيِّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، (وذكر قصة قتله) ثم قال عبد الله بن عتيك: فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي، وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ، فَأَنْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ، فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ: أَقَتَلْتُهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدَّيْكَ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقَالَ: أَنَعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: النَّجَاءُ، فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ، فَاَنْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ» فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَانَهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ<sup>(٢)</sup>.

(٤) ظهور أثر بركته في مسحه رأس حنظلة بن حذيم رضي الله عنه :

مسح النبي ﷺ رأس حنظلة بن حذيم وقال: بارك الله فيك أو بورك فيه، فكان حنظلة بعد ذلك إذا أتى بإنسان متورم الوجه أو بهيمة واردة الضرع، يتفل على يديه، ثم يضع يده على رأسه على الموضع الذي مسحه رسول الله ﷺ، ثم

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٠٦) كتاب المغازي.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٠٣٩) كتاب المغازي.

يمسح مكان الورم فيذهب الورم<sup>(١)</sup>.

هذا وقد علم النبي ﷺ الصحابة والمسلمين من بعدهم أدعية يدعون بها لكشف المرض فيجدون الشفاء المستمر، وهذا موجود إلى يومنا هذا.

### (٥) شفاء عين أبي قتادة رضي الله عنه:

عن قتادة بن النعمان، أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ، فقال: «لا»، فدعاه، فغمز حدقته براحته، فكان لا يدرى أى عينه أصيبت.

## خاتم النبوة

ويلحق بالخوارق ما وُجد من علامة على ظهره الشريف ﷺ تدل على نبوته، وقد كان أهل الكتاب يعلمون هذه العلامة، وذكر أحد علمائهم ذلك لسلمان الفارسي رضي الله عنه ليعرف بها رسول الله ﷺ، ولما ذهب سلمان إلى المدينة النبوية تحقق من ذلك فرأى الخاتم، ورأى الخاتم أيضاً جماعة من الصحابة.

فعن السائب بن يزيد يقول: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ «فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَاتِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ، مِثْلَ زُرِّ الْحَجَلَةِ<sup>(٢)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) رواه أحمد في مسنده (٦٧/٥) وقال في مجمع الزوائد (٢١١/٤) ورجاله ثقات، وصححه الألباني في

الصحیحة تحت حدیث (٢٩٥٥)، وقال: وهذا إسناد ثلاثي صحيح.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠) كتاب الوضوء - ومسلم (٢٣٤٥) كتاب الفضائل.





# تعظيم أمر سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم



## تعظيم أمر سنة الحبيب ﷺ (١)

(١) السنة والقرآن بمنزلة واحدة:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤) ﴿٢﴾.

(٢) السنة محفوظة إلى يوم القيامة:

عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمةً بأمر الله، لا يضُرُّهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» (٣).

- يُؤخذ من الحديث، أن الله ﷻ قد تكفل بحفظ السنة كما تكفل بحفظ الذكر الحكيم... ولا يضيرنا أن هناك بعض الأحاديث المختلفة المنسوبة إلى الرسول ﷺ ما دام أن هناك رجالاً قد قيدهم الله لتنقية هذه الأحاديث، ومعرفة الصحيح منها والضعيف والموضوع.

والشاهد من الحديث: أن الله قد تكفل بحفظ السنة من جهتين:

الجهة الأولى: أن هذه الطائفة التي ستبقى على الحق حتى يأتي أمر الله، هي في أشد الحاجة إلى السنة الصحيحة... فبدون السنة لا تستطيع أي فئة أن تثبت على الحق.

الجهة الثانية: أن ضياع السنة - ونعوذ بالله من وقوع ذلك - لو حدث فهو دليل على أن الأمة ليس فيها طائفة قائمة بأمر الله، تحفظ السنة في قلوبها وتطبقها في أعمالها.

(١) بتصرف من كتاب (شمائل الرسول ﷺ) الجزء الثاني / الشيخ أحمد عبد الفتاح الزواوي.

(٢) سورة النجم: الآيتان: (٣-٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٤١) كتاب المناقب - ومسلم (١٩٢٠) كتاب الإمارة.

(٢) السنة تبيان للقرآن:

أبان الشافعي - رحمه الله تعالى - عن هذا الأمر أوضح بيانٍ فقال: قال الله - تبارك وتعالى - ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>، ثم بين على لسان رسوله ﷺ عدد ما فرض من الصلوات ومواقيتها وسُننها، وعدد الزكاة ومواقيتها، وكيف عمل الحج والعمرة.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

من مظاهر تعظيم سنة المصطفى ﷺ أن الله - سبحانه وتعالى - قد جعلها تبياناً لكلامه العزيز، وهو القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(٤) نفى الهوى عن كل ما جاء بالسنة:

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾<sup>(٥)</sup>.

تلك الآيات الكريمات من أبلغ الثناء على النبي ﷺ وعلى كل ما جاء به من السنة النبوية الشريفة المطهرة... قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى: (أى ما ضلَّ محمدٌ ﷺ عن الحق وما حاد عنه... والغى ضد الرشد.. أى ما صار غاويًا وقيل: أى ما تكلم بالباطل)<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة النساء: الآية: (١٠٣).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٤٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٦).

(٤) سورة النحل: الآية: (٤٤).

(٥) سورة النجم: الآيتان: (١-٤).

(٦) انظر «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/٨٤).

وقال شيخ الإسلام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (رأس الأدب مع الرسول ﷺ : كمال التسليم له، والانقياد لأمره وتلقّي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يُحمّله مُعارضةً بخيالٍ باطل يُسميه معقولاً، أو يُحمّله شُبْهةً أو شكّاً، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم ... فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وحّد المرسل - سبحانه وتعالى - بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل)<sup>(١)</sup>.

### (٥) تسمية السنة حكمة :

من دلائل عظيم أمر سنة النبي ﷺ أن سماها الله ﷻ **وَكَلِمًا حَكِيمَةً**. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>، والحكمة من أجمل وأتم الصفات التي يمكن أن تُسمّى بها الأشياء لكثرة وكمال معانيها، فالحكمة لها معانٍ كثيرة، ومنها: هي القول المأثور وهي الحصافة، وهي جودة الرأي، وهي كمال القوة النظرية.

وقد فسر العلماء المراد من الحكمة التي تُعطَف على الكتاب في آيات القرآن الكريم بمعانٍ كثيرة ولكنها متشابهة تدور كلها حول السنة وما علّمه النبي ﷺ لأصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ... فقد قال ابن كثير - رحمه الله تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هو القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(٣)</sup> وهي السنة).

والذي يبين بجلاء عظيم أمر السنة ومكانتها في هذا الدين أن إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَام** دعا ربه أن يبعث في هذه الأمة رسولاً يعلمها الكتاب والحكمة ... قال الله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ

(١) انظر «مدارج السالكين» (٢/١١٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١١٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٣١).

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾<sup>(١)</sup> .  
(٦) السنة شرط في قبول العمل :

اتفق العلماء على وجوب توفر شرطين في العمل حتى يكون مقبولاً عند الله تعالى: الأول: الإخلاص لله تعالى. والثاني: موافقته هدى النبي ﷺ وسنته.... فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »<sup>(٢)</sup> .

أقول: لو أننا تمسكنا بهذا الحديث، وعملنا به، لحفظنا للإسلام جماله، وللشرع بهاءه، وللسنة حلاوتها، ولو أننا تحاكمنا إليه إذا اختلفنا، لما وصل الحال بنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من التحزب والتفرق والتطاحن والتشردم، كيف لا، والنبي ﷺ قد ترك لنا قاعدة عظيمة في بيان متى تصح العبادة ومتى تفسد، ومتى يقبلها الله عز وجل، ومتى يردّها في وجه صاحبها.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وهذا الحديث معدودٌ من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده، فإن معناه: مَنْ اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يُلتفت إليه... وقال أيضاً رحمه الله الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير مُعتد به... وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات)<sup>(٣)</sup> .

(٧) الوعيد الشديد لمن كذب على صاحبها ﷺ :

إن من كمال تعظيم سنته ﷺ وتام ذلك، هو البُعد كل البعد عن الكذب على صاحب السنة الغراء والحرص كل الحرص على نشر سنته ﷺ وتبليغها

(١) سورة البقرة: الآية (١٢٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٩٧) كتاب الصلح - ومسلم (١٧١٨) كتاب الأفضية.

(٣) انظر «فتح الباري» (٣٠٢/٥).

على أكمل وجه حيث قال ﷺ: «أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ»<sup>(١)</sup>. وقوله: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»<sup>(٢)</sup>.

وعن المغيرة رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَيَّ أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

وقد عظم الله - سبحانه وتعالى - أمر الكذب على النبي ﷺ غاية التعظيم وذلك بتشديد عقوبته والتفريق بين الكذب عليه والكذب على غيره من البشر، ذلك أن الكذب على النبي ﷺ إنما هو كذب على الله عز وجل... فالنبي ﷺ إنما هو مُبَلِّغٌ عن ربه... قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>.

#### (٨) سوء عاقبة من كذب على النبي ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ... فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعَمَّقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ خَارِجَ الْقَبْرِ.. فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعَمَّقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ<sup>(٥)</sup>.

هذا شاهد عظيم على سوء عاقبة من كذب على النبي ﷺ... شاهد يقشعر

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٥) كتاب العلم - ومسلم (١٦٧٩) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص.

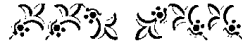
(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٤٦١) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٩١) كتاب الجنائز - ومسلم (٤) كتاب المقدمة.

(٤) سورة النجم: الآية: (٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦١٧) كتاب المناقب - ومسلم (٢٧٨١) كتاب صفات المنافقين.

منه البدن وينفطر له القلب ... ومَن مَنَّا يسمع ويتدبر هذا الحديث ولا يخاف  
من أدنى الكذب على الرسول ﷺ .







# بعض مظاهر العناية الإلهية

بأزواج النبي ﷺ



## بعض مظاهر العناية الإلهية

## بأزواج النبي ﷺ (١)

✽ أولاً: تربيتهن على أحسن الأقوال والأفعال والأخلاق:

لم يقتصر اعتناء الله - سبحانه وتعالى - بالنبي ﷺ وحده، ولكن شمل هذا الاعتناء الإلهي أزواجه الطاهرات الميامين، فأمرهن بأفضل الأقوال والأفعال، وشرفهن على النساء جميعاً لمنزلتهن وقربهن من خير الخلق نبينا محمد ﷺ. وها هي بعض مظاهر العناية الإلهية بأزواج النبي ﷺ:

## (١) وجوب الزهد في الدنيا:

لما اجتمع نساء النبي ﷺ عليه وطلبن منه زيادة النفقة والكسوة، أنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٦٨﴾﴾<sup>(١)</sup> ليعلمهن أن زوجات النبي ﷺ لا يليق بهن التعلق بشيء من الدنيا أو التشوف إليها، وكفاهن ما هن فيه من القرب من رسول الله ﷺ، وسماع القرآن والحكمة النبوية.

## (٢) حثهن على اختيار الله ورسوله والدار الآخرة:

من دلائل حب الله لأمهات المؤمنين (رضى الله عنهن) أن رغبهن أعظم الترغيب في اختيار الله ورسوله والدار الآخرة... فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>. فمن مظاهر الترغيب في الآية:

✽ تصدير جواب الشرط بـ «إن» لإفادة توكيد الأجر للمحسنات.

(١) بتصرف من كتاب (شمائل الرسول ﷺ) الجزء الثاني - الشيخ أحمد عبد الفتاح الزواوي.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٨٢).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٢٩).

﴿ نَصَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنْ الذِّي أَعَدَّ الْأَجْرَ هُوَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ، لِقَوْلِهِ: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ ﴾ وكفى بذلك تنويهاً لكريم الأجر وعظيم قدر مَنْ أَعَدَّ لَهُ الْأَجْرَ .

﴿ وَصَفَ مَنْ اخْتَارَتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ بِأَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْإِحْسَانُ ﴾ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ ﴾ .

﴿ تَخْصِيصِ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ لِمَنْ اخْتَارَتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ دُونَ سِوَاهُمَا . قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ ﴾ إِشْعَارًا بِأَنَّ هَذَا الْأَجْرَ لَنْ يَشَارِكُهُنَّ فِيهِ أَحَدٌ أَبَدًا .

﴿ وَصَفَ الْأَجْرَ الْمُرْتَبَ عَلَى اخْتِيَارِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِ ( الْعَظِيمِ ) ... وَلِكَ أَخِي الْقَارِي أَنْ تَخِيلَ مِقْدَارَ هَذَا الْأَجْرِ فَهُوَ عَظِيمٌ فِي قَدْرِهِ ، عَظِيمٌ فِي وَصْفِهِ ، وَيَكْفِي أَنْ الذِّي أَعَدَّهُ هُوَ الْعَظِيمُ ، وَقَدْ وَصَفَهُ بِالْعَظِيمِ . ( ٢ ) تَضْعِيفِ الْعَذَابِ لِمَنْ ارْتَكَبَتْ شَيْئًا ( حَاشَا لِلَّهِ ) :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَنْسَاءَ اللَّيْلِ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ ( ٣٠ ) ( ١ ) .

وهذا أيضًا من أوجه التأديب الرباني لأمهات المؤمنين، ليزداد حذرهن من الفواحش، وليشعرن أن أعراضهن ليست كأعراض غيرهن من النساء.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ( فلما كانت محلتهن رفيعةً ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مُغلَّظًا صيانةً لجنابهن وحجابهن الرفيع ) . انتهى ( ٢ ) .

ويختلف نظر المؤمن والمنافق لهذه الآية ... فأما المؤمن فيرى فيها عظيم قدر أعراض أمهات المؤمنين، وأن الله أراد بهذه الآية إظهار شرفهن وفضلهن،

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٠).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٨٣).

وأما المناق فيرى أن فعل الشرط دليل على إمكانية وقوعه!!.. وآيات القرآن الكريم ترد عليه،... قال تعالى: ﴿لَيْنُ أَشْرَكَتْ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> فهل يتصور أحد أن يقع الشرك من النبي ﷺ .

(٤) مضاعفة الأجر للقانتات منهن (وهن جميعاً كذلك) :

لما حذرهن الله - سبحانه وتعالى - من الوقوع في الفواحش بمضاعفة العذاب، كان من المناسب أن يُرغِبُنَّ في طاعة الله ورسوله بمضاعفة الأجر، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> .

قال: (أى في الجنة فإنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش)<sup>(٣)</sup> .

(٥) عدم تسويتهن ببقية النساء :

قال تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾<sup>(٤)</sup> ، وهذا تشريف عظيم لأمهات المؤمنين رضى الله عنهن حيث أثبت الله أنهن باستكمال التقوى لن يساويهن أحد من نساء الأمة... وفي الآية أيضا أبلغ الحث لهن بتقوى الله ﷻ لضمان بلوغ هذه المنزلة العالية الرفيعة التي لن تبلغها امرأة من نساء الأمة.

(٦) أمرهن بأحسن الأفعال والأقوال والأخلاق :

أما أحسن الأفعال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، وتبليغ الكتاب والسنة، والتزام الحجاب والعفة.

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٥).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣١).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٨٣).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٣٢).

وأحسن الأقوال: أن يكون كل كلامهن معروفًا.

وأما أحسن الأخلاق: عدم الخضوع بالقول (أى التكسّر فيه) والقرار في البيت.

(٧) إرادة الله كمال طهرهن وعفتهن:

وهي إرادة خاصة بأهل البيت... ودليله من الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾<sup>(١)</sup> وهذه الإرادة الخاصة تدل على عظيم اعتناء الله - سبحانه وتعالى - بأمهات المؤمنين وزيادة شرفهن على كل أفراد الأمة.

(٨) تذكيرهن بشرف بيوتهن:

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهي أعظم منة امتن الله بها على نساء النبي ﷺ بعد زواجهن منه ﷺ، أن جعل بيوتهن محلاً لتلاوة القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة... وإذا كان واجباً على كل مسلم أن يسعى إلى حلق العلم والذكر فأعتقد أن نساء النبي ﷺ غير مكلفات بذلك؛ لأن العلم والذكر قد جاء إلى بيوتهن وبذلك قد كفاهن الله مؤونة السعي إليهما، وهذا مما يزيد في شرفهن وفضلهن.

(٩) إعلامهن بلطف الله بهن:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>؛ قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : (أى بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة وبخبرته بكن وأنكن أهل لذلك أعطاك ذلك وخصصكن بذلك)<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن جرير: (أى ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات

الله والحكمة - وهي السنة - خبيراً بكن إذ اختاركن لرسوله ﷺ)<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٤).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٣٤).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٨٧).

(٥) انظر تفسير ابن جرير (٩/٢٢).

من كل ما تقدم نعلم المنزلة العالية الرفيعة لأمهات المؤمنين، حيث لم يدع الله - سبحانه وتعالى - معروفاً إلا حثهن عليه ورغبهن فيه، ولم يترك مُحَرَّمًا إلا حذرهن منه، كما لم يترك شرفاً ولا فضلاً إلا وأثبتته لهن بأكمل وأوفر ما يكون، وما كان ذلك إلا لقربهن واقترانهن بالنبي ﷺ .

### ❁ ثانياً: جعلهن قدوة لغيرهن:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ آدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٥٩﴾ (٥٩)

هذه الآية دليل على أن أزواج النبي ﷺ هن قدوة لغيرهن من نساء الأمة جميعاً، في الامتثال لأوامر الله تعالى. وجميع الآيات القرآنية التي توجه خطاب الأمر أو النهي إلى أزواج النبي ﷺ يدخل فيه قطعاً نساء الأمة، إلا ما ورد الدليل بتخصيصهن بهذا الأمر دون غيرهن.

### ❁ من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: نساء النبي ﷺ وبناته هن أفضل نساء الأمة إطلاقاً، ودليله أن الله - سبحانه وتعالى - أمر النبي ﷺ أن يوجه الخطاب أولاً لهن ثم يأتي من بعد ذلك نساء الأمة، وما كان ذلك إلا لشرفهن رضي الله عنهن جميعاً.

الفائدة الثانية: على الداعية أن يبدأ بأهل بيته أولاً ثم بالأبعد فالأبعد، وأن أهل بيت الداعية هم محط أنظار عامة الناس، فهم يحكمون على صدق الداعية بالنظر إلى أحوال أهله.

ويتفرع عليه أن أهل الداعية عليهم مسئولية عظيمة في تصديق الناس للداعية أو تكذيبه فعليهن أن يتقين الله في ذلك.

الفائدة الثالثة: قد يُؤخذ من الآية أن أزواج النبي ﷺ أعظم شرفاً من بناته؛ لذلك بدأ الله بهن الأمر بالحجاب، وقد يُقوَّى ذلك أن أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين ولم يثبت ذلك الحكم لبناته رضى الله عنهن جميعاً.

### ❁ ثانياً: إزام الأمة توقيرهن:

قال تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.  
هذا الحكم من أجل صور تكريم وتشريف أزواج النبي ﷺ بأن جعلهن الله - تبارك وتعالى - بمنزلة أمهات المؤمنين.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (شَرَّفَ اللهُ تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين أى فى وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحُرمة النكاح على الرجال وحجبهن (رضى الله عنهن) بخلاف الأمهات، وقيل: لما كانت شفقتهن عليهم كشفقة الأمهات أنزلن منزلة الأمهات)<sup>(٢)</sup>.

كما قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أى فى الحُرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع ... انتهى<sup>(٣)</sup>.

### ❁ رابعاً: تحريم النظر إليهن بالكلية:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَّعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَظْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾<sup>(٤)</sup>.

هذا أدب آخر علّمه الله - سبحانه وتعالى - للمؤمنين عند مخاطبتهن أمهات المؤمنين رضى الله عنهن حيث نهاهم الله أن يسألهن المتاع - وهو ما

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٢٣).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٦٩).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).



احتيج إليه من أواني المنزل أو غيره وسائر المرافق من أمور الدنيا والآخرة - إلا من رواء ستر... وهذا الأدب إذا انضم إلى آداب دخول بيوت النبي ﷺ تم عقد الآداب المرعية في التعامل مع بيوت النبي ﷺ وأهل بيته الشريقات العفيفات، فأية واحدة علمت الصحابة ما ينبغي لهم أن يفعلوه إذا دُعوا إلى طعام أو إذا احتاجوا إلى متاع.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (في هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهم من وراء حجاب في حاجة تعرض أو مسألة يُستفتين فيها، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى بما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة بدنها وصوتها، فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة .. كشهادة عليها أو داء يكون بيدنها أو سؤالها عما يعرض وتعيّن عندها). انتهى (١).

#### ❁ خامساً: تحريم الزواج منهن:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (٢).

من أعظم مظاهر تعظيم أزواج النبي ﷺ، اللاتي هن أمهات المؤمنين، تحريم الزواج منهن بعد النبي ﷺ.

#### ❁ فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: تحريم فعل ما فيه أدنى إيذاء للنبي ﷺ، سواء كان هذا الإيذاء بسبب إضافة ما لا يليق إلى شخصه الكريم ﷺ، أو لشرعه المطهر، أو لسنته الشريفة، أو لأهل بيته الكرام الميامين، أو لأحدٍ من أصحابه .. فكل ذلك في الإيذاء سواء ... ودليله أن الآية نهت عن مطلق إيذاء النبي ﷺ دون تقييد بإيذاء مباشر أو غير مباشر، أو إيذاءً صغيراً أو كبيراً، وذكرت الآية أن هذا الإيذاء

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٢٧).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).

- المطلق - هو أمرٌ عظيم عند الله.

الفائدة الثانية: في حكمة هذا التحريم الأبدى للزواج من أمهات المؤمنين، ذكر العلماء أسباباً لهذا التحريم، نُورد بعضها:

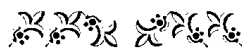
قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (اجتمع العلماء قاطبة على أن مَنْ تُوفى عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يَحْرُم على غيره تزوجها من بعده؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين)<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (حرم الله نكاح أزواجه ﷺ من بعده، وجعل لهن حكم أمهات المؤمنين، وهذا من خصائصه تمييزاً لشرفه وتنبهها على مرتبته ﷺ)، وأضاف قائلاً: (وإنما مُنع من التزوج بزوجاته لأنهن أزواجه في الجنة وأن المرأة في الجنة لآخر أزواجها)<sup>(٢)</sup>.

### ❁ سادساً: تبرئة أعراضهن:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

نزلت هذه الآيات الكريمة في تبرئة زوج النبي ﷺ، عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، مما خاض فيه طائفة من الصحابة والمنافقين من حديث الإفك.



(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/٥٠٧).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٢٩).

(٣) سورة النور: الآيات: (١١-١٤).



# مظاهر حب وإجلال

الصحابة للنبي  
صلى الله  
وسلم



## مظاهر حُب وإجلال

### الصحابة للنبي ﷺ (١)

#### (١) التصديق المطلق:

وذلك لأنهم يعلمون أن النبي ﷺ إنما يخبر عن رب العزة (جل وعلا) ولذا قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ (٢).

ولقد أخبر النبي ﷺ بأشياء كثيرة فوقعت كما أخبر... وكان الصحابة يرون ذلك أمام أعينهم.

ومن بين تلك الأشياء: قول النبي ﷺ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٣).  
ولقد وقع ما أخبر عنه النبي ﷺ تماما.

وقال ﷺ: « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: رَجَالٌ مَعَهُمْ سَيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ » أى: كذيل البقرة - يضربون بها الناس.

والصنف الثانى: « نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيَلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا » (٤)، هل رأى النبي ﷺ الكاسيات العاريات؟

لا... وها نحن نرى هذا الوصف النبوى الدقيق فى أيامنا كما أخبر الصادق المصطفى ﷺ: «نساء كاسيات عاريات» بمعنى أن المرأة كاسية ولكنها عارية؟

(١) بتصرف من كتاب (شمائل الرسول ﷺ) الجزء الثانى / الشيخ أحمد الزواوى.

(٢) سورة النجم: الآيات: (١-٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٢٠) كتاب فرض الخمس - ومسلم (٢٩١٨) كتاب الفتن.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

لأنها إما أن تلبس المرأة ثوبًا ضيقًا يُظهر مفاتن جسدها كأنها عارية بل تكون المرأة أشد فتنة من العارية.

وإما أن تلبس المرأة ثوبًا خفيفًا شفافًا يُظهر ثيابها الداخلية، فتظهر المرأة، وكأنها عارية.

## (٢) طاعتهم المطلقة له ﷺ :

عن كعب بن مالك رضي الله عنه: أَنَّهُ تَقَاَصَى ابْنُ أَبِي حَدَرِدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ <sup>(١)</sup> حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: «يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ» فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأشار إليه أن ضع الشَّطْرَ مِنْ دِينِكَ. قَالَ كَعْبٌ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُمْ فَاقْضِهِ» <sup>(٢)</sup>.

الشاهد في الحديث: أن النبي ﷺ قد أمر كعب أن يضع من دينه الشطر ففعل.

## ✽ بعض فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: قد يقع بين الصحابة رضي الله عنهم الخطأ، مثل ما حدث في هذا الحديث، من التخاصم على أداء الدين، ورفع الصوت في مسجد رسول الله ﷺ وعلى المُنصف أن يزن بين أعمالهم الصالحة التي كالجبال وبين زلاتهم التي تُعدُّ على أصابع اليد الواحدة.

الفائدة الثانية: طاعة الصحابة المطلقة لرسول الله ﷺ.

✽ مثال آخر: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ يَوْمَ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ فِي بَيْتِ أَبِي طَلْحَةَ، وَمَا شَرَابُهُمْ إِلَّا الْفَضِيخُ <sup>(٣)</sup> الْبُسْرُ وَالتَّمْرُ، فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي، فَقَالَ: اخْرُجْ فَانظُرْ... فَخَرَجْتُ، فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي: «أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ»،

(١) السجف: السَّتر.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٧١) كتاب الصلاة.

(٣) الفضیخ: خمر يُصنع من ثمر النخيل.

قَالَ: فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: أَخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا، فَهَرَقْتُهَا، فَقَالُوا - أَوْ قَالَ بَعْضُهُمْ: - قَتَلَ فُلَانٌ، قَتَلَ فُلَانٌ، وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ، - قَالَ: فَلَا أَدْرِي هُوَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ -، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (١) (٢).

❁ الشاهد في الحديث:

أن الصحابة رضي الله عنهم، وهم الذين اعتادوا شرب الخمر، وكانت عندهم بمثابة الماء، أول ما سمعوا منادياً ينادي: «إن الخمر قد حُرمت» انتهوا عنها. فائدة عظيمة: وهي أن الامتثال لأمر الله ورسوله ﷺ واجب على الفور، وليس على التراخي... وهذا الذي فهمه الصحابة وطبقوه في كل حياتهم، فما قال أحدٌ منهم: أذهب أثبت من رسول الله، ولم يقل آخر: أنتظر حتى أعرف الحكمة من تحريمه، ولم يقل أحد: إنني قد اعتدت عليها وأريد وقتاً لأنتهى عن شربها... وهل سمعتم أحداً يقول: هي مصدر رزقي، وعلى الرسول أن يجد لي مصدر رزق آخر حتى لا يموت أولادي جوعاً؟!.

هذا كله لم يحدث في الخمر ولا في غير الخمر.

(٢) كمال المتابعة:

ويتضح لنا كمال الاتباع، وليس مجرد المتابعة، من تتبّع الصحابة رضي الله عنهم أثر الرسول ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، لأقوال وأفعال النبي ﷺ على أكمل وجه كما سيتضح من الأمثلة التالية.

❁ المثال الأول: عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ، أَنَّهُ رَأَى بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ عَلَى الْمُنْبَرِ رَافِعًا يَدَيْهِ، فَقَالَ: «قَبَّحَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا

(١) سورة المائدة: الآية: (٩٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٨٠) كتاب الأشربة.

يَزِيدُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الْمُسَبَّحَةِ» (١).

الشاهد في الحديث:

أن عمارة بن رؤيبة دعا على بشر بن مروان بقوله (فَبَحَّ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ)، وما ذلك إلا أنه أشار بيده كلها خلافاً لفعل النبي ﷺ.

✽ إذا كان الصحابة (رضي الله عنهم) ينكرون على التابعين في أمور لا نعدُّها نحن شيئاً، وهى الإشارة باليد كلها في خطبة الجمعة، علمنا من ذلك مدى حرصهم ومتابعتهم لكل أمور السنة صغيرها وكبيرها على حدٍّ سواء .. يتفرع على ذلك أن نقف على الفارق العظيم بين عصرى الصحابة والتابعين، فما كان يفعله التابعون ولا يعدونه شيئاً من المخالفات، كان يعدُّه الصحابة أمراً يستحق فاعله أشدَّ الدعاء عليه .. ومما يؤكد ذلك ما رواه أنس (رضي الله عنه) قال: (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَيَّ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ» (٢)، وعلمنا من باب أولى الفارق بين عصر الصحابة والعصور المتأخرة التى تهاون الناس فيها بالسنة الشريفة.

✽ المثال الثانى: عن عبد الله بن سرجس قال: رَأَيْتُ الْأَصْلَحَ - يَعْنِي عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ - يُقْبَلُ الْحَجَرَ وَيَقُولُ: «وَاللَّهِ، إِنِّي لَا أَقْبَلُكَ، وَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، وَأَنَّكَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ» (٣).

✽ فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: عظيم اتباع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لسنة النبي ﷺ حيث كان يعتقد في نفسه أن الحجر الأسود لا يضر ولا ينفع، ويعلن على الملأ أنه ما قام بتقبيله - ولا يخفى ما فى التقبيل من تعظيم - إلا لرؤيته النبي ﷺ.

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٧٤) كتاب الجمعة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤٩٢) كتاب الرقاق.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٦١٠) كتاب الحج - ومسلم (١٢٧٠) كتاب الحج.



يُقبله، ولو لا ذلك ما قبله... ولا يستحي عمر رضي الله عنه مع ما عُرف عليه من القوة والشدة في الحق، أن يعلن ذلك، ولكن ليعلم الجميع أن القوة في الحق ما كان ليرفع بها عن اتباع سنة المصطفى ﷺ وإلا كانت قوة وشدة مذمومتين يُدخلان صاحبهما النار.

الفائدة الثانية: أدب الصحابة الجَم مع النبي ﷺ وسنته الشريفة، فهم كانوا يتبعونها اتباعاً مطلقاً، يُقبلون حجراً وهم لا يعلمون الحكمة من تقبيله، ويعلنون للملأ أنهم ما فعلوا ذلك إلا رغبة في الاتباع.

#### (٤) كراهة مخالفته ﷺ ولو في الهيئة :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرٍ سَوْءٍ، قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ ﷺ <sup>(١)</sup>.

#### ❁ بعض فوائد الحديث :

الفائدة الأولى: همة النبي ﷺ في العبادة والتي منها القيام الطويل جداً في صلاة الليل.

الفائدة الثانية: في مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

١- تشرُّفه ﷺ بالصلاة مع النبي ﷺ قيام الليل وليس معهما أحد، وكفى بذلك شرفاً وفضلاً.

٢- صبره على التعب الذي أصابه من طول القيام وتحامله على نفسه حتى أتم الصلاة قائماً.

٣- سمى الجلوس في الصلاة أمر سوء، بالرغم أن الجلوس في صلاة النافلة جائز شرعاً، حتى ولو لم يشعر المصلي بالتعب فما بالكم إذا شعر بالتعب

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٣٥) كتاب التهجيد - ومسلم (٧٧٣) كتاب صلاة المسافرين.

الشديد، ولكن الأمر السوء عنده ليس الجلوس ذاته ولكنه مخالفة هيئة النبي ﷺ ... وقد يكون سمًا سوءًا لأمرٍ آخر، هو أنه سيستريح بالجلوس ويذهب عنه التعب الذي يشعر به، والنبي ﷺ ما زال يتحمل تعب القيام.

٤ - لم يلتفت ﷺ إلى الأجر الزائد الذي سيناله إذا واصل القيام مع تعبته الشديد، أو الأجر الفائت بالجلوس، وإن كان هذا أمرًا عظيمًا عند الصحابة ﷺ ولكن الذي التفت إليه وشغله كثيرًا هو مخالفة هيئة النبي ﷺ.

ولا غرابة في ذلك؛ لأن الذي علمهم كيف يحصلون على أجر الصلاة والصوم وسائر العبادات، هو النبي ﷺ ويمكن أنه ﷺ لم يلتفت للأجر الفائت من الجلوس لاعتقاده أن سوء الأدب الذي سيلحقه من مخالفة هيئة النبي ﷺ أعظم خسارة من الأجر الفائت بتحمل طول القيام مع التعب الشديد.

أخى القارئ: إذا كانت مخالفة هيئة النبي ﷺ في القيام أو الجلوس - وهى أمر لا يؤخذ عليه المولى - سبحانه وتعالى - أمر سوء عند الصحابة فما بالكم بمخالفة أمره ونهيه ﷺ.

#### (٥) غضبهم الشديد ﷺ من معارضة سنة النبي ﷺ:

عن أبي قتادة قال: كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ مِنَّا وَفِينَا بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ». قَالَ: أَوْ قَالَ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ». فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوْ الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةٌ وَوَقَارًا لِلَّهِ وَمِنْهُ ضَعْفٌ. قَالَ: فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ، وَقَالَ: أَلَا أَرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَعَارِضُ فِيهِ؟ قَالَ: فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ. قَالَ: فَأَعَادَ بُشَيْرٌ.. فَغَضِبَ عِمْرَانُ. قَالَ: فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ: إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٧) كتاب الإيمان.

❁ بعض فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: تعظيم الصحابة ﷺ لسنة النبي ﷺ ووجه ذلك من الحديث:  
١- إنكارهم الشديد على كل من يأتي بمعارض للسنة، وهى ليست معارضة حقيقية، يقصد بها الطعن فى الحديث، ولكنها معارضة من حيث الظاهر، حيث استشكل فقط على التابعى بشير بن كعب حمل الحديث على عمومه.

٢- غضبهم الشديد لمن يأتي بمعارض لكلام النبي ﷺ... والدليل على أن هذا الغضب كان شديداً، أنه ظهر أثره على عيني عمران ﷺ حتى احمرتا.

الفائدة الثانية: بيان الاعتقاد الجازم للصحابة ﷺ أن السنة تكفيهم وأنها كلها حق، وأنها قد سلمت من كل نقصٍ وتنزهت عن كل خلل... ودليل ذلك من الحديث هذا الغضب والإنكار الذى صدر من عمران بن حصين ﷺ.

الفائدة الثالثة: بيان ما نحن عليه من تفريط وسوء أدب وتهاون شديد فى سنة النبي ﷺ... فمنا من يجادل فيها، إما حباً للجدل أو رغبة فى إظهار علمه، أو محاولة لتعجيز خصمه... ومنا من يعتقد أنه يسعه الخروج عنها أو أخذ ما يعجبه منها ورد ما لا يعجبه.

(٦) حب الصحابة له ﷺ أكثر من حبهم لأنفسهم:

عن زهرة بن معبد أنه سمع جده عبد الله بن هشام قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». قَالَ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»<sup>(١)</sup>.

الشاهد فى الحديث: قول عمر ﷺ فلأنت الآن - والله - أحبُّ إلىَّ من

نفسى.

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٦٣٢) كتاب الأيمان والنذور.

## (٧) إِيْثَارُهُمْ لَهُ ﷺ :

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِذَاتِ الرَّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

الشاهد في الحديث:

قول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ).

## (٨) تَعْظِيمُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِمَا يَجِبُهُ ﷺ :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ، لَا تُسَبُّ - قَالَ حُمَيْدٌ: أَوْ لَا تَكَادُ تُسَبُّ - فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»<sup>(٢)</sup>.

الشاهد في الحديث: قول الراوي (فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ).

## (٩) حُبُّهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِمَا يَجِبُهُ ﷺ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (إِنْ خِيَاظًا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَطْعَامٍ صَنَعَهُ. قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُبْزًا وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ<sup>(٣)</sup> وَقَدِيدٌ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَّبَعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالِي الْقَصْعَةِ قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ<sup>(٤)</sup>).

وفي رواية عند مسلم: «فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ الدُّبَّاءِ وَيُعْجِبُهُ»، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ جَعَلْتُ أَلْقِيهِ إِلَيْهِ وَلَا أَطْعَمُهُ، قَالَ: فَقَالَ أَنَسُ: «فَمَا زِلْتُ بَعْدُ يُعْجِبُنِي الدُّبَّاءُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) متفق عليه. رواه البخارى (٤١٣٦) كتاب المغازى - ومسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٨٧٢) كتاب الجهاد والسير.

(٣) الدباء: هو القرع واليقطين.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٧٩) كتاب الأطعمة - ومسلم (٢٠٤١) (١٤٤) كتاب الأشربة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٠٤١) (١٤٥) كتاب الأشربة.



✽ الشاهد في الحديث:

أن أنسًا رضي الله عنه لما رأى الرسول ﷺ يحب الدُّبَاءَ ويتبعه، وهو أمر لا يدخل في أمور الشرع، ولم يُؤمَر بالعمل به،... أقول: لما رأى أنسٌ ذلك، وقع في قلبه مباشرةً حُبُّ هذا الصنف من الطعام، وما كان يحبه ولا يشتهيهِ من قبل علمه أن الرسول يحبه... وهكذا إذا أحب أحدٌ أحدًا وقع في قلبه كل ما يحبه الطرف الآخر، من مأكَلٍ ومَشْرَبٍ وملبسٍ.

(١٠) حُب مرافقته والقرب منه ﷺ:

✽ المثال الأول: عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونِ الْأَوْدِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، أَذْهَبَ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَقُلْتُ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْكَ السَّلَامَ، ثُمَّ سَلَهَا أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِي، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَأُؤْتِرَنَّهُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قَالَ لَهُ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَذِنْتُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَضْجَعِ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلُّوْا، ثُمَّ قُلْتُ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنْتُ لِي، فَادْفِنُونِي، وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ... إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ تُؤَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ<sup>(١)</sup>.

الشاهد في الحديث: قول عمر رضي الله عنه: (ثُمَّ سَلَهَا، أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِي).

✽ بعض فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: مناقب عمر رضي الله عنه:

١- توقيره لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

٢- عظيم حُب عمر رضي الله عنه للرسول ﷺ مع غزير علمه، حيث ذكر أنه ما كان

شيء في الدنيا يهمله ويفكر فيه أعظم من مجاورته النبي ﷺ بعد موته... قال:

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٩٢) كتاب الجنائز.

(ما كان شيء أهم إليّ من ذلك المضجع)، وانظر إلى حرصه على هذا الجوار، أنه بادر ابنه السؤال لدى عودته من عند عائشة رضي الله عنها وما استطاع الانتظار حتى يعرض عليه ابنه الإجابة، يقول: (فلما أقبل قال له: ما لديك)، وهذا يدل على أن هذا الأمر كان يشغله جداً، وكان يخاف أن تأتي الإجابة بما لا يحب.

✽ المثال الثاني: فعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، قال: كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»<sup>(١)</sup>.

الشاهد في الحديث:

أن ربيعة بن كعب - وكُنِيته أبو فراس - طلب مرافقته في الجنة، وليس دخول الجنة فحسب، أي أن الصحابة كانوا يحبون مرافقته ليس في الدنيا فقط، بل في الآخرة، ويرون أن الجنة برفقة الرسول ﷺ تكون أسعد بكثير، وإلا لم يكن لطلبه المرافقة معنى.

### (١١) كراهيتهم ترك شيء فارقوا النبي ﷺ عليه :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ<sup>(٢)</sup>، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعَمَ الرَّجُلِ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يَفْتَسْ لَنَا كَنَفًا<sup>(٣)</sup> مِنْدُ أْتِينَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «الْقَنِي بِهِ»، فَلَقِيْتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قُلْتُ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَحْتِمُ؟»، قُلْتُ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ»، قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

(٢) أي زوجة ابنه.

(٣) أي شيئاً مستورا... وتقصد أنه لم يقربها للجماع.

ذَلِكَ، قَالَ: «أَفْطِرُ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا» قَالَ: قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ.. صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعٍ لَيَالٍ مَرَّةً» فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُحْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ... فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السَّبْعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرُؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ، لِيَكُونَ أَخْفَ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةً أَنْ يَتْرَكَ شَيْئًا، فَارَقَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ (١).

الشاهد في الحديث: قول الراوي: (كَرَاهِيَةً أَنْ يَتْرَكَ شَيْئًا، فَارَقَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ).

### ✽ بعض فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: لم يُعظم الصحابة النبي ﷺ فحسب بل عظموا كل شيء يخصه، وتعدى الأمر إلى أن عظموا كل ما التزموا به أمامه من العبادات أو الأعمال التي فارقهم - بموته ﷺ - وهم يحافظون عليها.

الفائدة الثانية: شفقة النبي ﷺ بأصحابه، حيث راجع الصحابي عبد الله بن عمرو رضي الله عنه في أمر زوجته حتى يعطيها حقها، كما راجعه في أمر عبادته حتى لا يشق على نفسه ويُجهدا مما قد يضطره إلى قطع تلك العبادة إذا كبر سنه، وهذا فيه بُعد نظرٍ جميل من النبي ﷺ.

الفائدة الثالثة: حياؤه ﷺ وحكمته... أما حياؤه فإنه ﷺ لم يصارح عبد الله بن عمرو رضي الله عنه بما بدر منه تجاه زوجته منذ زواجهما... وأما حكمته ﷺ فتتضح من معالجته لأصل المشكلة وهي تفرُّغ عبد الله بن عمرو للعبادة وانشغاله بها طوال ليله ونهاره.

الفائدة الرابعة: حب الصحابة رضي الله عنهم للعبادة... لقد ودُّوا لو استغرقت كل أوقاتهم، لولا أن النبي ﷺ كان يرشدهم دائمًا إلى القصد وإعطاء كل ذي حق حقه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٥٢) كتاب فضائل القرآن - ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

الفائدة الخامسة: حياء الصحابة رضي الله عنهم وتقديمهم التعريض على التصريح فيما يחדش الحياء، ولو كان المتحدثُ إليه من المحارم ... يتضح ذلك جلياً من قول زوجة عبد الله بن عمرو: (لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفْتَشْ لَنَا كَنَفًا). وهذا أمر نفتقده كثيراً في كلامنا اليوم، فنأتى بكلامٍ يחדش الحياء بمصلحة وبغير مصلحة، وفي جدنا وهزلنا.

### (١٢) عَظِيمٌ أَدْبَهُمْ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ (١)، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ» (٢).

وفي رواية قال معاذ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَخْبَرُ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا»، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَائِبًا.

الشاهد في الحديث:

أن النبي قد نادى معاذاً ثلاث مرات، وفي كل مرة يرد عليه معاذ ثم يسكت النبي ولا يتكلم بكلمة واحدة، فلا يقول معاذ للرسول في أي من مرات الثلاث: ناديتني يا رسول الله فماذا كنت تريد؟، أو يقول: يا رسول الله أنسيت ماذا كنت تريد أن تقول؟ أو أي كلمة مشابهة. ولكن يسكت .. والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينادي، فلا

(١) أي: الخشبة التي يستند إليها راكب البعير.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٦٧) كتاب اللباس - ومسلم (٣٠) كتاب الإيمان.





يملّ ولا يقول شيئاً، بين يدي النبي، وهذا أدب عظيم.

(١٢) تعظيمه ﷺ في نفوسهم:

تعظيم الرسول ﷺ ليس كلمات تُقال ولا قصصاً تُروى ولا تكون دعوى باللسان ولا هيأماً بالوجدان بل لا بد أن يُصاحب ذلك الاتباع لرسول الله ﷺ والسير على هُدهاء وتحقيق منهجه في الحياة العملية.

✽ الحديث الأول: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصَلِّحَ بَيْنَهُمْ، فَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ الْمُؤَدِّنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَتُصَلِّي لِلنَّاسِ فَأُقِيمُ؟ قَالَ: نَعَمْ فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِي الصَّفِّ، فَصَفَّقَ النَّاسُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ التَّفَّتَ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ أَمُكْتُ مَكَانَكَ»، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى اسْتَوَى فِي الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَثُبْتَ إِذْ أَمَرْتُكَ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرْتُمْ التَّصْفِيقَ؟ مَنْ رَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ، فَلْيَسْبِحْ فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ التَّفَّتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ»<sup>(١)</sup>.

الشاهد في الحديث: أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبى أن يصلى بين يدي النبي ﷺ.. وأبى أن يكون إماماً والرسول ﷺ مأموماً.

✽ الحديث الثاني: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عَلَى صَبِيِّ لَهَا، فَقَالَ لَهَا: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي»، فَقَالَتْ: وَمَا تُبَالِي بِمُصِيبَتِي فَلَمَّا ذَهَبَ، قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ، فَأَتَتْ بَابَهُ، فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَائِينَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٤) كتاب الأذان - ومسلم (٤٢١) كتاب الصلاة.

الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ»، أَوْ قَالَ: «عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ»<sup>(١)</sup>.

الشاهد في الحديث: قول الراوى عن حال المرأة، لما علمت أن الذى خاطبها هو الرسول ﷺ (فأخذها مثل الموت).

✽ الحديث الثالث: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّفْلِ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ، قَالَ: فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً، فَقَالَ: نَمَشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السُّفْلُ أَرْفَقُ»، فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعُلُوِّ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ، فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا فَإِذَا جِيَءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ، فَيَتَّبِعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثَوْمٌ، فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ يَأْكُلْ، فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَحْرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ»، قَالَ: فَإِنِّي أَكْرَهُهُ مَا تَكْرَهُهُ - أَوْ مَا كَرِهْتُمْ -، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوتَى<sup>(٢)</sup> أَي: يَأْتِيهِ الْوَحْيُ -.

الشاهد في الحديث: أن أبا أيوب الأنصارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبى أن يكون أعلى المنزل والنبى ﷺ فى أسفله.

✽ الحديث الرابع: عَنْ ابْنِ شُمَاسَةَ الْمُهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بَوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نَعِدُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقِ ثَلَاثٍ .. لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتَهُ، فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٥٢، ١٢٨٣) كتاب الجنائز - ومسلم (٩٢٦) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٥٣) (١٧١) كتاب الأشربة.

النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَكَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُعْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبُنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تَنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقَسِّمُ لِحْمَهَا، حَتَّى أَسْتَأْنَسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أَرَا جُعُ بِهِ رُسُلُ رَبِّي (١).

الشاهد في الحديث:

قول الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه: (وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ).

(١٤) تعظيم دعائه رضي الله عنه:

عن أبي سعيد بن المعلّى قال: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟» ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ»، قَالَ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ» (٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢١) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٠٠٦) كتاب فضائل القرآن.

الشاهد في الحديث: أن النبي ﷺ لما دعا الصحابي أبا سعيد بن المعلى وهو يصلي فلم يُجبه عاتبه النبي ﷺ واستدلّ بقوله تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

✽ بعض فوائد الحديث:

- ١- إجابة دعوته ﷺ فرض على الفور وليس على التراخي، ولو كانت على التراخي ما عاتب النبي ﷺ أبا سعيد رضي الله عنه لعدم إجابته وهو في الصلاة.
- ٢- مما يعظم أمر وجوب استجابة دعائه ﷺ ولو كان المرء في صلاة. أن هذا الأمر قد ورد في القرآن الكريم، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ استدل بالآية وهو أعلم الخلق بمراد الله.

(١٥) تبركهم به ﷺ:

✽ أولاً: تبركهم بفضله ووضوئه ﷺ:

عن أبي جحيفة قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ، فَأَتَى بَوْضُوءَ فَتَوَضَّأَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلٍ وَضُوءِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ رَكَعَتَيْنِ، وَالْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ وَقَالَ أَبُو مُوسَى: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ، وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: «اشْرَبَا مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَيَّ وَجُوهَكُمَا وَنُحُورَكُمَا»<sup>(٢)</sup>.

الشاهد في الحديث: قوله: فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به.

✽ بعض فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: ثبوت بركة فضل وضوء النبي ﷺ... وهو الماء المتبقى في

(١) سورة الأنفال: الآية: (٢٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٨٧) كتاب الوضوء.



الإناء بعد وضوئه أو الماء الذي سال من أعضاء وضوئه.

الفائدة الثانية: حب النبي ﷺ لأصحابه ﷺ وحرصه على تعليمهم ما يجلب لهم الخير، ويدفع عنهم الشر، بإذن الله تعالى.

الفائدة الثالثة: تعظيم الصحابة ﷺ لآثار النبي ﷺ وما كان ذلك إلا ليقينهم التام، الذي لا يخالطه أدنى شك، بصدق نبوته ﷺ، وحب الله - سبحانه وتعالى - له، مع تأييده بالمعجزات الباهرات.

❁ **ثانياً: تبركهم بفضلة الماء الذي شرب منه ﷺ:**

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاحُ، فَقَالَ لِلْغُلامِ: «أَتَأذُنِي لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟»، فَقَالَ الْغُلامُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أُؤَثِّرُ بِنَصِيْبِي مِنْكَ أَحَدًا، فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ <sup>(١)</sup>.

❁ **الشاهد في الحديث:**

قول الغلام للنبي ﷺ: (لا والله لا أوثر بنصيبى منك أحداً). الغلام كما ذكر في روايات في غير الصحيحين، هو: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومع شدة تعظيم هذا الغلام الفقيه للنبي ﷺ، واستئذان النبي منه، إلا أنه أبى أن يعطى فضلة النبي لأحدٍ، فهو يعلم ما فيها من البركة، وهذا يدل على فطنته وحرصه على الخير، ومعرفته قدر الرسول ... وكل ذلك مع كونه غلاماً.

❁ **وفى الحديث فوائد منها:**

الفائدة الأولى: أن الإيثار في الطاعات والخير، غير مطلوب شرعاً، فعلى الإنسان أن يقدم نفسه في أمور الخير.

الفائدة الثانية: إذا قال قائل: الغلام كان صغيراً فكيف نأخذ من فعله حكماً؟

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٥١) كتاب المظالم - ومسلم (٢٠٣٠) كتاب الأشربة.

قلت: عدم تعقيب النبي ﷺ على قول الغلام أو الإنكار عليه، دلنا على أن فعل الغلام هو الصواب، إذ لا يجوز في حقه ﷺ تأخير البيان عن وقت الحاجة.

الفائدة الثالثة: الذي يجلس عن اليمين هو الأولى، ولا يعطى لغيره إلا بإذنه، وهو مُخَيَّرٌ بالإذن من عدمه.

الفائدة الرابعة: تواضع النبي ﷺ مع الغلام، وحفظ حقه ... ويظهر ذلك في الاستئذان، ولو علم الغلام أن هذا الاستئذان ليس على باب، أى أنه بمثابة الأمر، لبادر إلى الطاعة والامتثال.

### ❁ ثانياً: تبركهم بشعره ﷺ:

❁ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «لَمَّا رَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْجَمْرَةَ - جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ - وَنَحَرَ نُسْكُهُ وَحَلَقَ نَآوِلَ الْحَالِقِ شِقَّهُ الْأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ نَآوَلَهُ الشَّقَّ الْأَيْسَرَ»، فَقَالَ: «احْلِقْ» فَحَلَقَهُ، فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ: «اقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

الشاهد في الحديث: قوله ﷺ: «اقسمه بين الناس».

### ❁ بعض فوائد الحديث:

#### ❁ الفائدة الأولى: الشمائل النبوية:

١ - بركة شعره ﷺ، ودليله أنه أعطى شعر شقّه الأيمن لأبي طلحة - زوج أم سليم والدة أنس رضاه - وأمر ﷺ أبا طلحة بتقسيم شعر شقّه الأيسر على الناس.

يتفرع على ذلك إثبات بركة النبي ﷺ في كل ما يخصه؛ إذ تم توزيع شعره بين الصحابة، رضي الله عنهم، بالشعرة والشعرتين، ولولا حدوث البركة بالشعرة الواحدة، ما كان هناك حكمة من وراء توزيعها على الصحابة.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٣٠٥) (٣٢٦) كتاب الحج.

ولك أخي القارئ أن تتصور الجهد الذي بذله أبو طلحة ليقسم شعر الشق الأيسر للنبي ﷺ بين الناس ومعلوم أن شعره ﷺ كان كثيفاً وطويلاً.

٢- عظيم اعتناء المولى - سبحانه وتعالى - بنبيه ﷺ إذ جعل في كل شيء اتصل به عظيم البركة، من الشعر واللباس والأظافر والعرق ومكان الصلاة وفضلة الماء والوضوء، وبصاقه بل ونخامته التي كان الصحابة ﷺ يتبادرونها فيمسحون بها وجوههم.

✽ الفائدة الثانية: بالغ حب الصحابة ﷺ للنبي ﷺ ويتبين ذلك من:

١- حرصهم على اقتناء شعر الرسول ﷺ حيث ورد عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه: (فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل). وما كان هذا إلا لتعظيم كل ما يتصل بالنبي ﷺ.

٢- رؤيتهم أن اقتناء شعرة واحدة من شعر رسول الله ﷺ أحب إليهم من الدنيا وما فيها... لما رواه البخاري: عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبِيدَةَ «عِنْدَنَا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَصْبِنَاهُ مِنْ قَبْلِ أَنْسٍ أَوْ مِنْ قَبْلِ أَهْلِ أَنْسٍ» فَقَالَ: لِأَنَّ تَكُونَ عِنْدِي شَعْرَةً مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

✽ الفائدة الثالثة: وهي منقبة عظيمة لأبي طلحة، حيث خصه النبي ﷺ وحده بشطر شعره الأيمن، وبقيهة الناس بالشطر الآخر.

✽ رابعاً: تبركهم بمكان صلاته ﷺ:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَكْرَتُ بَصْرِي، وَأَنَا أَصْلَى لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتِ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَاتَّخِذْهُ مُصَلِّيًّا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَأَفْعَلُ إِنْ

شَاءَ اللهُ» قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَذِنَتْ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ» قَالَ: فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ<sup>(١)</sup>.

الشاهد في الحديث: قول عتبان بن مالك رضي الله عنه: (وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلِّيً).

### ✽ بعض فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: عظيم بركة النبي ﷺ حيث لم تقتصر هذه البركة على ما خرج منه فحسب، مثل: العرق، والتفل، والمجّة، والريق، والشعر، والماء الذي خرج من بين أصابعه ﷺ بل تعدّت تلك البركة إلى المكان الذي لامسه والتصق جسده به، والمكان الذي تعبد فيه لله - سبحانه وتعالى -.

الفائدة الثانية: المكان الذي تعبد فيه النبي ﷺ هو أحب إلى الله من المكان الذي لم يتعبد فيه ﷺ.

الفائدة الثالثة: مشروعية أن يتحرى المسلم الأماكن التي ثبت أن النبي ﷺ تعبد فيها ويقصد الصلاة فيها طمعاً أن ينال بركة النبي ﷺ وينوي بذلك التقرب إلى الله ﷻ.

ومثاله الحجر الأسود الذي ثبت أن النبي ﷺ قبله، وكذا الأماكن التي ثبت أن النبي ﷺ صلى فيها بمسجده الشريف.

### خامساً: تبركهم ببيديه ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضُهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي»<sup>(٢)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢٥) كتاب الصلاة - ومسلم (٣٣) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٣٩) كتاب المغازى - ومسلم (٢١٩٢) كتاب السلام.





الشاهد في الحديث: قول عائشة رضي الله عنها: (وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَهٌ مِنْ يَدِي).

### ✽ بعض فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: عظيم بركة يد النبي ﷺ لقول عائشة رضي الله عنها: (وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَهٌ مِنْ يَدِي).

الفائدة الثانية: حرص النبي ﷺ على نفع أهله... لقول عائشة: (إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ). ويتفرع عليه مشروعية الرقية، وتكون بالقرآن، والأدعية المشروعة، الثابتة في السنة الصحيحة.

الفائدة الثالثة: في مناقب عائشة رضي الله عنها:

١- حبها للنبي ﷺ وتمنيها شفاؤه... ويدلنا على ذلك كثرة رقيتها له بالمعوذات... لقولها: (فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه).

٢- تعظيمها للنبي ﷺ حيث كانت تمسح جسده النبي ﷺ بيده هو، مع أنها هي التي كانت تقرأ المعوذات، وما كانت تفعل ذلك إلا لاعتقادها أن يده ﷺ أعظم بركة من يدها.

٣- حب النبي ﷺ لها رضي الله عنها، حيث كان يُمرِّضُ ﷺ في مرض موته في بيتها، وما كان ذلك إلا بأمره.

الفائدة الرابعة: قد تحدث الرقية، بشيءٍ مُعْظَمٍ، وهو القرآن الكريم، من قبل نفث زكي، وهو نفث عائشة رضي الله عنها وبإيدٍ عظيمة البركة، وهي يد النبي ﷺ ومع توفر كل تلك الأسباب المباركة، قد لا يحدث الشفاء لأن أجل الله - سبحانه وتعالى -، قد سبق بالموت، أو قد يتأجل الشفاء لحكمة يعلمها الله - تبارك وتعالى -، وفي كل الأحوال، قد ثبت الأجر، إن شاء الله، للراقي والمرقى، إذا ما تمت الرقية، بما يُشرع من الكتاب والسنة، وكانت من قلبٍ توفّر فيه حُسن

الإخلاص وتمام اليقين.

الفائدة الخامسة: لم تكن عائشة رضي الله عنها وحدها هي التي تبرك بيديه الشريفتين، بل كان ذلك نهج الصحابة رضي الله عنهم... فعن أبي جحيفة قال: قَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وَجُوهَهُمْ، قَالَ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ <sup>(١)</sup>.

❁ **سادسا : تبركهم بعرقه رضي الله عنه :**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا، وَكَيْسَتْ فِيهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأَتَيْتُ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَامَ فِي بَيْتِكَ، عَلَى فِرَاشِكَ، قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةٍ أُدِيمٍ، عَلَى الْفِرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا <sup>(٢)</sup> فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعَصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَجُو بَرَكَتَهُ لِصَبِيَانِنَا، قَالَ: «أَصَبْتِ» <sup>(٣)</sup>.

الشاهد في الحديث: قول أم سليم: (يا رسول الله نرجو بركته لصبيانا).

❁ **بعض فوائد الحديث :**

١ - عظيم بركة عرقه وشعره صلى الله عليه وسلم حيث ردَّ النبي صلى الله عليه وسلم على أم سليم رضي الله عنها لما قالت (يا رسول الله نرجو بركته لصبيانا). بقوله: «أصبت». أي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أقرَّ أم سليم، على كل ما فعلت، من عصر العرق الذي تصبب منه على قطعة الأديم التي كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام عليها، ووضع ذلك العرق في قوارير لحفظه.

٢ - طيب عرقه صلى الله عليه وسلم حيث كانت أم سليم رضي الله عنها تأخذ هذا العرق فتخلط به طيبها (عطرها).

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٥٥٣) كتاب المناقب.

(٢) العتيدة: وعاء يوضع فيه ما يشرف ويعظم من المتاع.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣١) (٨٤) كتاب الفضائل.

٣- ثبوت علو منزلة النبي ﷺ ومكانته الرفيعة عند ربه، حيث جعل الله - سبحانه وتعالى - شعره وعرقه يُستخدمان للاستطباب والتطيب.

٤- لم يكن هذا التعظيم لآثار النبي ﷺ من قبل أم سليم وحدها، بل كان من قبل أنس بن مالك رضي الله عنه؛ إذ أوصى عند موته أن يُجعل في حنوطه - وهو العطر الذي يُطيب به الميت - من الطيب الذي كان يُخلط به عرق رسول الله ﷺ.

فعند البخارى من حديث ثمامة: فَلَمَّا حَضَرَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ الْوَفَاةَ، أَوْصَى إِلَيَّ أَنْ يُجْعَلَ فِي حَنُوطِهِ مِنْ ذَلِكَ السُّكِّ، قَالَ: فَجُعِلَ فِي حَنُوطِهِ.

❁ **سابعاً: التبرك بأثر قدحه الذي شرب فيه ﷺ:**

عن أبى حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أَفْبَلِ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ حَتَّى جَلَسَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِنَا يَا سَهْلُ» فَخَرَجْتُ لَهُمْ بِهَذَا الْقَدَحِ فَأَسْقَيْتُهُمْ فِيهِ، فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ فَشَرِبْنَا مِنْهُ، قَالَ: ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَهَبَهُ لَهُ<sup>(١)</sup>.

في الحديث بيان ما كان عليه الصحابة والتابعون من تعظيم آثار النبي ﷺ والحرص على اقتنائها والتبرك بها... ويظهر ذلك من الأمور التالية:

١- احتفاظ سهل بن سعد رضي الله عنه بالقدرح الذي شرب فيه النبي ﷺ كل هذه المدة الطويلة، وما يتصور أن قدحاً يبقى مثل تلك الفترة الزمنية الطويلة إلا إذا حافظ عليه صاحبه أشد المحافظة.

٢- الظاهر من الحديث - والله أعلم - أن النبي ﷺ لم يشرب من هذا القدرح إلا مرة واحدة، عندما نزل سقيفة بنى ساعدة وهذا يدل على تعظيم الصحابة رضي الله عنهم لآثار النبي ﷺ والحرص على التبرك بها والمحافظة عليها بأقل مُماسة أو مُلامسة للنبي ﷺ... فهذا قدرح لم يشرب فيه النبي ﷺ إلا مرة واحدة ويكون كل ذلك الحرص عليه.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٣٧) كتاب الأشربة - ومسلم (٢٠٠٧) كتاب الأشربة.

٣- حرص الصحابة على إعلام التابعين بآثار النبي ﷺ بل وحرصهم أيضًا على أن ينال التابعون شرف ملامسة تلك الآثار وبركتها.

٤- حرص التابعين على اقتناء آثار النبي ﷺ... فهذا الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - يسأل سهلاً أن يهب له القدح الذي شرب فيه النبي ﷺ، وما فعل ذلك إلا حرصاً منه على أن ينال بركة ملامسة ما لامسه النبي ﷺ بيده وفمه.

٥- وإن تعجب أخى القارئ مما ذكر، فالعجب كل العجب هو اعتقاد الصحابة الجازم ومن تابعهم أن بركة النبي ﷺ التي حلت في القدح الذي شرب فيه مرة واحدة تبقى فيه فلا تذهب بكثرة الشاربين والملامسين لهذا القدح وبطول المدة التي تبقى فيها القدح.

وأختم بما قاله الإمام النووي - رَحِمَهُ اللهُ - (وفي الحديث التبرك بآثار النبي ﷺ وما مسّه أو لبسه أو كان منه فيه سبب، وهذا نحو ما أجمعوا عليه وأطبق السلف والخلف عليه من التبرك بالصلاة في مصلى رسول الله ﷺ وغير ذلك... ومن هذا إعطاؤه ﷺ أبا طلحة شعره ليقسمه بين الناس، وإعطاؤه ﷺ حقوه تُكفن فيه بنته رَضْوَةَ، وجَعْلُهُ الجريدتين على القبرين... وجمعت بنت ملحان عرقه ﷺ وتمسّحوا بوضوئه ﷺ ودلكوا وجوههم بنخامته، وأشباه هذه كثيرة مشهورة في الصحيح، وكل ذلك واضح لا شك فيه<sup>(١)</sup>).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم، (١٣/١٧٩).



# ثمرات رؤية النبي ﷺ



## ثمرات رؤية النبي ﷺ

وأما عن ثمرات رؤية النبي ﷺ فهي أعظم من أن تُحصَى... وهل هناك مسلم لا يشاق قلبه لرؤية النبي ﷺ.

✽ فقد كان الصحابي الذي رأى النبي ﷺ يسعد برؤيته ويزداد إيماناً بصحبته... ويتعلم كيف يزهد في الدنيا ويسلك طريق الآخرة ليفوز بجنة عرضها السماوات والأرض.

✽ بل إن من ثمرات رؤية النبي ﷺ في اليقظة أنه يُفتح بعد ذلك في الغزو لمن رآه... أي أن من بركة رؤية النبي ﷺ أنه إذا غزا جيشٌ مسلم لمحاربة الكافرين فإنه يُفتح عليهم إذا كان في الجيش المسلم رجلٌ رأى النبي ﷺ.

✽ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَأْتِي زَمَانٌ يَغْزُو فِتْنَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ، فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث يبين بجلاء - لمن تدبره وتمعن فيه - المكانة العالية الرفيعة للنبي ﷺ عند ربه، والتي لم ولن يصل إليها أحد من الأولين والآخرين، لا نبي مُرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ... فالحديث يخبر أن طائفةً من المؤمنين - بعد النبي ﷺ - تغزو في سبيل الله، فيُسألون هل فيكم من صحب النبي ﷺ؟ فإذا وُجد فيهم صحابي واحد يُفتح لهم ويغلبون عدوهم - بإذن الله - وهكذا يتكرر الأمر في عصر التابعين، وعصر تابعي التابعين.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٩٧) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (٢٥٣٢) كتاب فضائل الصحابة.



بعض فوائد الحديث :

الفائدة الأولى : فى فضائل النبى ﷺ :

- ١- إخباره ﷺ بوحي من ربه - تبارك وتعالى - أن الغزو فى سبيل الله لن يتوقف بموته ﷺ، بل سيستمر ... خاصة فى القرون الثلاثة المفضلة.
- ٢- إخباره ﷺ أن هذا الغزو سيكون فيه الغلبة والفتح للفئة المسلمة .. أى أنه ﷺ أخبر بوقوع المعارك ونتائجها.
- ٣- عظيم بركة رؤية النبى ﷺ وصحبته ... ويتضح ذلك من :
  - أ- الفتح والنصر يكون لوجود أحد رأى أو صحب النبى ﷺ ولو كانت هذه الصحبة للحظة واحدة أو تحققت الرؤية لفترة قصيرة ولم يحدث فيها سلام أو كلام... ودليله أن المنادى لم يشترط فترة معينة للرؤية أو الصحبة، فدل ذلك أن هذا الفتح يحدث لمن كان له أدنى رؤية أو صحبة للنبى ﷺ... فتدبر.
  - ب - لم تقتصر بركة الرؤية والفتح لمجرد الصحبة على عصر الصحابة بل امتد ذلك إلى ثلاثة عصور، أى أن فضل النبى ﷺ قد امتد، وبركته قد انتقلت من عصر إلى عصر ... فمن عظيم بركته ﷺ أن مَنْ رآه من عصر الصحابة تكون له بركة تنفع - بإذن الله - مَنْ يراه فى عصر التابعين وهكذا.
  - ج- بيان أن الصحبة وحدها مجردة لا يعدلها شىء أبداً من الطاعات الكبيرة والقربات الكثيرة ... ودليله أن المنادى لا يسأل عن عباد لهم طاعات معينة أو قربات مخصوصة يستحقون عليها الفتح، ولكن يسأل فقط عمَّن رأى أو صحب، فهذه الخصلة تكفى عما سواها، مع ملاحظة أنه قد يكون من الناس فى الغزو مَنْ له من الطاعات والقربات أكثر ممن له مجرد الرؤية، ولكن كما قلنا: الرؤية لا يعدلها شىء، فتقدّم على كل شىء.
  - د- لم يكن الفتح بسبب وجود فئة فى الغزو صحبت النبى ﷺ، إنما العجيب أن يكون الفتح والنصر وإكرام الجيش كله، لوجود ولو رجل واحد... وتدبر





أخى القارئ قوله ﷺ: «فيوجد الرجل فيفتح لهم به».

الفائدة الثانية: الحديث بشري سارة من النبي ﷺ لكل من غزا في سبيل الله ﷺ في تلك العصور الثلاثة المفضلة، كما أن فيه حثاً لهم على الغزو والجهاد.

الفائدة الثالثة: للصحابة والتابعين وتابعي التابعين ﷺ شرف عظيم يميزهم عن بقية الناس كلهم جميعاً، كما يؤخذ من الحديث فضل تلك الأزمان؛ لأن الزمن يشرف بمن يعيش فيه ويعمره بالطاعات والقربات.

## رؤية النبي ﷺ في المنام

عن أبي هريرة روى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقِظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»<sup>(١)</sup>.

✽ بعض فوائد الحديث:

✽ الفائدة الأولى: في فضائل النبي ﷺ:

١- رؤيته ﷺ في المنام لا تستوى مع رؤية غيره من البشر، حيث ذكر الإمام ابن حجر أن الشيخين رويًا: «فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي»<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي»<sup>(٣)</sup>.

أما غيره ﷺ فقد يتمثل به الشيطان في المنام.

٢- رؤيته ﷺ في المنام تنطوي على بشري عظيمة، وهي رؤيته في اليقظة، لقوله ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقِظَةِ» ولا شك أنها من المبشرات العظيمة التي تفرح القلوب وتثلج الصدور، كما أنها مبشرة ببشري أخرى لازمة وهي دخول الجنة، حيث لا مكان لرؤيته ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى إلا

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٩٩٣) كتاب التعبير.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٦٨) (١٣) كتاب الرؤيا.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٩٩٤) كتاب التعبير - ومسلم (٢٢٦٦) (١٠) كتاب الرؤيا.

في الجنة.

### ❁ الفائدة الثانية: كيف يعلم المسلم أن الذي رآه في المنام هو النبي ﷺ؟

ذكر الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ ما نَصَّهُ: «كان محمد - يعنى ابن سيرين - إذا قَصَّ عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال: صِفْ لى الذى رأيتَه، فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم تره»<sup>(١)</sup>. وسنده جيد. انتهى.

وهذا هو الصحيح - والله أعلم -؛ لأن قوله ﷺ: «ولا يتمثل الشيطان بى». أى: لا يأتى بصورتى التى يعرفها الناس، وهذا لا يمنع أن يأتى الشيطان ويقذف فى قلب الرأى أنه النبي ﷺ، ولكن بصورة تخالف الصورة التى يُعرف بها النبي ﷺ... فالحديث لا يمنع حدوث مثل هذا، بل أعتقد أنه يجب القول به، لأننا كثيراً ما نسمع من أصحاب البدع والأهواء أنهم رأوا النبي ﷺ وأمرهم بأشياء تخالف ما ورد بالكتاب والسنة، ولا تفسير لذلك - إن صدقوا فى دعواهم - أن الذى رأوه هو الشيطان، وأنه لم يأتِ بالهيئة المعروفة للنبي ﷺ.

### ❁ الفائدة الثالثة: ما هى فوائد رؤية النبي ﷺ فى المنام؟

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «ومن فوائد رؤيته ﷺ تسكين شوق الرأى لكونه صادقاً فى محبته ليعمل على مشاهدته، وإلى ذلك الإشارة بقوله: «فسيرانى فى اليقظة»، أى من رآنى رؤية، مُعظماً لحُرمتى ومشتاقاً إلى مشاهدتى وصل إلى رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه، ويجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى صورته وهو دينه وشريعته فيعبر بحسب ما يراه الرأى من زيادة ونقصان أو إساءة وإحسان».

### الفائدة الرابعة: فى الحديث دليل على أن الشيطان له قدرة على أن يتمثل فى أى

صورة أراد، ولكن الله - سبحانه وتعالى - لم يُمكنه من التصور فى صورة النبي ﷺ:

والحكمة من ذلك ذكرها الإمام النووى رَحِمَهُ اللهُ فقد قال ما نَصَّهُ: «قال

(١) انظر فتح البارى (١٦/٣٨٤).

القاضي: قال بعض العلماء: خصَّ الله تعالى النبي ﷺ بأن رؤية الناس إياه صحيحة، وكلها صدق، ومنع الشيطان أن يتصور في خلقته لئلا يكذب على لسانه في النوم، كما خرق الله تعالى العادة للأنبياء - عليهم السلام - بالمعجزة، وكما استحال أن يتصور الشيطان في صورته في اليقظة، ولو وقع لاشتبه الحق بالباطل، ولم يوثق بما جاء به مخافة من هذا التصور، فحماها<sup>(١)</sup> الله تعالى من الشيطان ونزغِه ووسوسته وإلقائه وكيدِه<sup>(٢)</sup>. انتهى.

### يتمنى المؤمن رؤية النبي ﷺ ولو بأهله وماله

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ »<sup>(٣)</sup>.

✽ بعض فوائد الحديث:

✽ الفائدة الأولى: في شمائل النبي ﷺ:

١ - بيان أن مجرد رؤية النبي ﷺ لها فضل عظيم، حيث ذكر الحديث أن رؤيته ﷺ ستكون أعز وأغلى عند بعض أمته من مالهم وأهلهم، بل يقدمون المال والأهل في سبيل تحقيق هذه الرؤية الغالية العزيرة.

قال ﷺ: « يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ».

٢ - بيان فضل النبي ﷺ ومكانته وشرفه عند الله عز وجل وعند أمته؛ لأننا نقول: إذا كانت رؤيته ﷺ منامًا أو يقظة ولأدنى زمن تتحقق فيه الرؤيا... تكون عند البعض بالمال والأهل فما بالنا بصحبته مع نُصرتِه وحبِه للصحابي وحب الصحابي له، وهي أمور أعظم قطعًا من مجرد الرؤية... فكم ينبغي أن يقدم المسلم لينال كل هذه الأمور مجتمعة؟!.

(١) أي: حمى صورته ﷺ.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٢٥/١٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٢) كتاب الجنة.

ويتفرع على هذا أن تصور عظيم قدر الفضل والمِنح والنعم التي تفضل الله بها على الصحابة، إذ اختصهم دون الخلق بصحبة نبيه ﷺ ونُصرتَه ورؤيته دوماً وفي كل الأوقات وعلى كل الأحوال، فلم يحظوا بالرؤية فقط التي تكون بالأهل والمال، ولكنهم تكلموا معه وتكلم معهم، وعلمهم ورباهم، وصلى بهم وسافر معهم ودعا لهم، ومات وهو راضٍ عنهم.. بل الأثمن والأغلى أن جُلهم قد لامست يده يدُ النبي ﷺ وبشَرته بشرةُ النبي ﷺ وهل بعد هذا الفضل من فضل؟! ومن جهة أخرى: يجب علينا أن نحب الصحابة رضي الله عنهم ونُجلهم ونكبرهم لما كان لهم من هذا الفضل الجزيل.

٣- في الحديث معجزتان من دلائل نبوته ﷺ.

الأولى: إخباره ﷺ بأمر من أمور الغيب - التي أطلعها الله عليها - وهو وجود مثل هذه الفئة من أمته ﷺ.

الثانية: وجود مثل هذه الفئة من أمة الإسلام، التي تحب النبي ﷺ مثل هذا الحب دون صحبة أو معاصرة أو حتى رؤية، بحيث يود الرجل منهم لو رأى النبي ﷺ ولو للحظة يقظة أو مناماً - مقابل أهله وماله... وهذا الأمر لو تدبره أصحاب العقول السوية لعلموا أنه من أعظم دلائل صدق نبوته ﷺ... فسبحان مَنْ لا يقدر على تهينة القلوب وتوفيقها لمثل هذا الحب إلا هو - تبارك وتعالى -.

٤- في الحديث دفع شبهات الكفار حول النبي ﷺ، والتي سجلها القرآن الكريم عنهم في أكثر من موضع، حيث قالوا - لعنة الله عليهم -: إنه ساحر. فنقول لهم: إذا كان النبي ﷺ - وحاشا لله - قد سحر أصحابه فأحبوه ونصروه وضحّوا معه بكل غالٍ ونفيس، فمَنْ هذا الذي سحر أتباعه ممن لم يروه ولم يرههم وقد أحبوه كل هذا الحب... وإذا كان أصحابه رضي الله عنهم قد أحبوا النبي ﷺ لأغراض دنيوية، أو لرؤيتهم المعجزات الحسية على يديه، فما بال أتباعه رضي الله عنهم الذين لم يروه قد أحبوه مثل هذا الحب، وقد تمنوا أن لو قدموا كل ما لديهم في

الدنيا - من المال والأهل - في سبيل رؤيته.

٥- بيان الحب الذي ينبغي أن يستقر في قلب المؤمن للنبي ﷺ، والذي بموجبه يرضى الله ﷻ على العبد.

ويتفرع عليه أن على كل مسلم أن يقارن حاله بحال الفئة التي ذكرت بالحديث... فإن وافق حاله حالها فليحمد الله ﷻ، وإلا فليفتش في نفسه ويجاهدها حتى يصل إلى تلك المرتبة العليا.

❁ **الفائدة الثانية: في الحديث لفت أنظار الصحابة رضوان الله عليهم لما هم فيه من نعمة، وحثهم على كثرة مصاحبته ﷺ ونصرتة وملازمته:**

يؤيد ذلك ما رواه مسلم: عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَأْتِينَ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ »<sup>(١)</sup>. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الْمَعْنَى فِيهِ عِنْدِي، لَأَنْ يَرَانِي مَعَهُمْ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَهُوَ عِنْدِي مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي شرح هذا الحديث ما نصَّه: «وتقدير الكلام: يأتي على أحدكم يوم لأن يراني فيه لحظة ثم لا يراني بعدها أحب إليه من أهله وماله جميعاً. ومقصود الحديث حثهم على ملازمة مجلسه الكريم ومشاهدته حَضْرًا وسفراً للتأدب بآدابه وتعلُّم الشرائع وحفظها ليلبغوها وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فرطوا فيه من مشاهدته وملازمته». انتهى<sup>(٢)</sup>.

❁ **الفائدة الثالثة: إثبات أنه ليس المقصود اتباع سنة النبي ﷺ الظاهرة والباطنة فقط:**

وإن كان هذا شيئاً عظيماً في حد ذاته، ولكن ينبغي أن يصحب ذلك حب

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٤) كتاب الفضائل.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١١٩/١٥).

النبي ﷺ بالقلب، وليس بالعقل وحده.

### ❁ الفائدة الرابعة: وهي متفرقات:

١- شوق المحب إلى رؤية محبوبه تُعد من أكبر العلامات الدالة على شدة الحب ... لأن النبي ﷺ استفتح الحديث بقوله: «من أشد أمتي لى حباً»، ثم ذكر صفتهم ودليل محبتهم بقوله: «يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»، ولذلك أقول: إن مَنْ ادَّعى الحب دون الشوق إلى الرؤية ففي دعواه شيء.

٢- في الحديث مشروعية الدعاء برؤية النبي ﷺ، لأنه لا يقدر أن يحقق أمانى العبد إلا الله - سبحانه وتعالى -.

٣- يتفاوت المسلمون تفاوتاً بيّناً في حب النبي ﷺ ... فأعظمهم حباً مَنْ يتمنى أن يرى النبي ﷺ بالمال والأهل ... وأدناهم منزلةً من لم يفكر في هذا الأمر ولم يشغل باله به.

٤- من الممكن أن يتولد حب الغير في قلب الإنسان من غير رؤية هذا المحبوب، وقد يصل هذا الحب إلى أعلى درجاته وهو تمنى الرؤية بالمال والأهل، ولكن لا يتأتى ذلك إلا بكثرة القراءة عن المحبوب والتشبه به واتباعه وكثرة ذكره، وتذكر ثواب ذلك في الدنيا والآخرة.

٥- في الحديث إشارة إلى مشروعية أن يقول المسلم بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى: - فداك أبى وأمى - (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) بتصرف من كتاب (شماثل الرسول ﷺ) للشيخ أحمد الزاوى.



توقير النبي ﷺ لإخوانه

من الأنبياء والمرسلين





## توقير النبي ﷺ لإخوانه

### من الأنبياء والمرسلين

✽ نحن نعلم يقيناً أن من أركان الإيمان (الإيمان بالرسول).

فإن الله ﷻ إنما أرسل الرسل جميعاً لغاية واحدة ألا وهي دعوة الناس إلى الإيمان بالله وإفراده بالتوحيد والعبادة.

فهم جميعاً كالبناء الواحد ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَائِيَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟! قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»<sup>(١)</sup>.

✽ ولذا فإن القرآن يأمرنا بأن نؤمن بجميع الأنبياء دون تفرقة بينهم.

قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولذا فإنه من كذب رسولاً واحداً فكأنما كذب كل الأنبياء والمرسلين.

لقول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، قال الأستاذ سيد قطب في الظلال تعليقا على هذه الآية: «وقوم نوح لم يكذبوا إلا نوحاً، ولكن الله سبحانه وتعالى يذكر أنهم كذبوا المرسلين،

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٣٥) كتاب المناقب - ومسلم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل.

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٣٦).

(٣) سورة الشعراء: الآية: (١٢٣).

(٤) سورة الشعراء: الآية: (١٠٥).

فالرسالة في أصلها واحدة، وهى دعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبودية له، فمن كذب بها فقد كذب بالمرسلين أجمعين،... فهذه دعوتهم أجمعين»<sup>(١)</sup>.

❁ ومن أجل ذلك نهى النبي ﷺ أمته عن أن تفاضل بين الأنبياء. فقال ﷺ: « لا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ »<sup>(٢)</sup>.

بل والأعجب من ذلك أنه لما حدث خلاف بين مسلم ويهودى حول المفاضلة بين الأنبياء فسمع النبي ﷺ كلامهما فغضب غضباً شديداً.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه فقال: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْزِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عليه السلام عَلَى الْبَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عليه السلام عَلَى الْبَشَرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحْوَسَبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي؟»<sup>(٣)</sup> وفي رواية: «وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»<sup>(٤)</sup>.

❁ بل ومن أكثر الأشياء التي توضح لنا مدى توقير النبي ﷺ لإخوانه من الأنبياء والمرسلين أن القرآن المكي كان يتحدث عن تكريم موسى وعيسى (عليهما السلام) كثيراً.. واستمر هذا التكريم في الفترة المدنية مع ما كان فيها من صراعات مع اليهود والنصارى ومحاربتهم للنبي ﷺ وللإسلام والمسلمين ومع ذلك تنزل الآيات القرآنية تكريماً لموسى وعيسى (عليهما السلام) كاثنتين

(١) الأستاذ سيد قطب/ في ظلال القرآن (٥/ ٣٥٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٩١٧) كتاب الديات.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤١٤) كتاب أحاديث الأنبياء- ومسلم (٢٣٧٣) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٤١٥) كتاب أحاديث الأنبياء.

من أولى العزم من الرسل... فيقول سبحانه في حقهما: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ٧﴾ (١).

✽ وهذا يوضح لنا مدى حب النبي ﷺ لإخوانه من الرسل بل ويوضح مدى أمانته ﷺ في تبليغ الوحي... فإننا إذا تصورنا أن سورة الأحزاب نزلت بعد خيانة يهود بنى قريظة للمسلمين ومع ذلك ينقل النبي ﷺ تكريم آيات القرآن لموسى وعيسى (عليهما السلام) رغم خيانة أقوامهم وأتباعهم.

✽ بل والأعجب من ذلك أن النبي ﷺ ينقل للأمة هذا القرآن بكل صدق وأمانة... وقد ذكر موسى (عليه السلام) في القرآن مائة وست وثلاثين مرة، وذكر عيسى (عليه السلام) في القرآن ستة وثلاثين مرة - جاء بلفظ عيسى خمسا وعشرين مرة ولفظ المسيح إحدى عشرة مرة -.

بينما جاء ذكر النبي ﷺ في القرآن خمس مرات فقط - منها أربع بلفظ محمد ﷺ ومرة واحدة باسم أحمد ﷺ -.

فهل رأيتم حبا مثل هذا الحب... وهل رأيتم أمانة مثل أمانة النبي ﷺ.

✽ وكان النبي ﷺ ينقل هذا الحب لأصحابه وأمه... فكان يعلمهم حب الأنبياء والمرسلين وتوقيرهم.

✽ فيقول ﷺ عندما علم ﷺ بأن اليهود يصومون يوم عاشوراء؛ احتفالاً بإنجاء الله سبحانه وتعالى لموسى (عليه السلام) وبنى إسرائيل من عدوهم: «أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ». فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ (٢).

✽ بل وحتى عندما كان النبي ﷺ يتمنى من نبي أن يفعل شيئا غير الذي فعله أو يقول كلمة غير التي قالها فإنه كان يُقدم أمنيته بالدعاء له.

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٠٤) كتاب الصوم - ومسلم (١١٣٠) كتاب الصيام.

فمثلاً: عندما قال لوط عليه السلام ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يَرَحِمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ»<sup>(٢)</sup>.  
- بل وعندما تمنى النبي صلى الله عليه وآله أن يصبر موسى عليه السلام في رحلته مع الخضر لنرى العجائب في تلك القصة قال صلى الله عليه وآله: «يَرَحِمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبِرَ حَتَّى يُقْصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»<sup>(٣)</sup>.

✽ بل إن حب النبي صلى الله عليه وآله لإخوانه من الأنبياء والمرسلين قد وصل إلى حب أتباعهم الذين ساروا على نهجهم وثبتوا على دينهم.  
فها هو ذا يمدح الراهب النصراني في قصة أصحاب الأخدود<sup>(٤)</sup>.  
وها هو ذا يمدح الأعمى من بنى إسرائيل الذي شكر نعمة الله تعالى<sup>(٥)</sup>، وها هو يمدح جريجاً<sup>(٦)</sup> ويذكر قصته للصحابة ولنا، وهو من عباد بنى إسرائيل، وهكذا.  
✽ هكذا لم يكن موقف النبي صلى الله عليه وآله من الرسل قد وقف عند الاعتراف بهم فحسب بل تجاوز ذلك إلى حبهم وتوقيرهم وذكرهم بكل خير والدفاع عنهم ونقل ذلك كله إلى الأمة الإسلامية.

## وفاء النبي صلى الله عليه وآله لإخوانه من الأنبياء

فنحن نعلم أن النبي صلى الله عليه وآله هو سيد الأوفياء.. فلقد كان وفيّاً مع كل الناس من حوله فما ظنك بوفائه مع صفوة خلق الله من الأنبياء والمرسلين (صلوات ربي

(١) سورة هود: الآية: (٨٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء - ومسلم (١٥١) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٢) كتاب العلم - ومسلم (٢٣٨٠) كتاب الفضائل.

(٤) حديث أصحاب الأخدود رواه مسلم عن صهيب (٣٠٠٥) كتاب الزهد والرقائق.

(٥) قصة الأقرع والأعمى والأبرص الذين ابتلاهم الله، رواها البخارى عن أبى هريرة: كتاب أحاديث

الأنبياء (٣٤٦٤) - ومسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٤).

(٦) قصة العابد (جريج) والطفل الذى تكلم فى المهد، رواها البخارى عن أبى هريرة: (٣٤٣٦) كتاب

أحاديث الأنبياء - ومسلم كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٥٠).

وسلامه عليهم).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُؤَسِّفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقَهُوا»<sup>(١)</sup>.

✽ بعض فوائد الحديث:

✽ ثناؤه على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث إنه لما سُئِلَ عن أكرم الناس، ذكر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من حيث كونه نبياً ابن نبي ابن نبي ابن نبي، فهو يوسف بن إسحاق بن يعقوب بن إبراهيم (عليهم جميعاً الصلاة والسلام).

✽ ثناؤه عَلَيْهِ السَّلَامُ على النبي الكريم، إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) حيث أثبت له الخلة، بقوله «ابن خليل الله»، وقد ثبتت هذه الخلة له في كتاب الله العزيز بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

✽ طهارة ونقاء قلبه عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنه ليس فيه أدنى حقد ولا حسد ولا غل، لإخوانه من الأنبياء (عليهم جميعاً الصلاة والسلام)، ودليله أنه كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يُكْثِرُ من ذكرهم، ويُعَدُّ محاسنهم ومآثرهم لِيُحِبَّ الناسَ فيهم، بل ويمدحهم بما يظن السامع أنهم جميعاً أفضل منه مكانة وأشدَّ قرباً إلى الله... فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول عن يوسف: إنه أكرم الناس.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٥٢) كتاب أحاديث الأنبياء - ومسلم (٢٣٧٨) كتاب الفضائل.

(٢) سورة النساء: الآية: (١٢٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٩) كتاب الفضائل.

وهذا من عظيم تواضعه ﷺ مع ما فيه من حسن الوفاء والثناء.

قال الإمام النووي: (قال العلماء: قال ﷺ هذا تواضعاً واحتراماً لإبراهيم عليه السلام لخلته وأبوتيه، وإلا فبيننا ﷺ أفضل؛... لقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»، ولم يقصد به الافتخار، ولا التناول على من تقدمه بل قاله بياناً لما أمر ببيانه وتبليغه ولهذا قال ﷺ: «ولا فخر».

### ❖ وفاؤه لأخيه سليمان (عليه السلام):

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعَنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ» ثُمَّ قَالَ «أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: «إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِ، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ.. وَاللَّهِ لَوْ لَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثِقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلِدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» (١).

❖ وفي الحديث:

❖ أن النبي ﷺ كان يود أن يوثق الشيطان الذي تفلت عليه (أى تعرض له في صلاته) في إحدى سواري المسجد ليلعب به الولدان، بعد أن مكَّنه الله - تعالى - منه حيث قال: «وَاللَّهِ لَوْ لَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثِقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلِدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، ولكنه ﷺ لم يفعل، تحقيقاً لرغبة أخيه سليمان عليه السلام بأن يكون له ملك لا ينافسه فيه أحد من العالمين بعده... قال تعالى، ذَاكِرًا دَعْوَةَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٢).

مع أن النبي ﷺ لوربط الشيطان، لأضيف هذا إلى شمائله... معجزة عظيمة وهي

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٤٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) سورة ص: الآية: (٣٥).

تسخير الجن، ولكنه ﷺ أثر أخاه سليمان على نفسه.

❁ وفأوه لأخيه داود (عليه السلام):

❁ كما أثنى ﷺ على أخيه داود (عليه السلام) أبلغ الثناء حيث أثبت أن صلاة وقيام داود كانت هي الأحب إلى الله - سبحانه وتعالى -.

روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال له: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ (عليه السلام)، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَتَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا»<sup>(١)</sup>.

❁ وموطن الثناء أن النبي ﷺ قد بين أن أحدًا لا يستطيع أن يتقرب إلى الله بصلاة أو صيام أفضل صورة مما كان يتقرب به نبي الله داود (عليه السلام).

فائدة: أعتقد أن النبي ﷺ ما صام صيام داود (عليه السلام) وهو صيام يوم وإفطار يوم، مع أنه أتقى الخلق إلى الله عز وجل حتى لا يشق على أمته ويخرجهم وحتى لا يجعلها سنة فيهم، كصيام الاثنين والخميس، ولكنه ﷺ علّمنا كيف نحوز أجر صيام الدهر كله.

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»<sup>(٢)</sup>.

صيام يومين

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٣١) كتاب التهجد - ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١١٦٤) كتاب الصيام.







# معاملات النبي صلى الله عليه وسلم

## مع كل من حوله





## معاملات النبي ﷺ مع كل من حوله

✽ وإذا أردنا أن نتحدث عن حُسن معاملة النبي ﷺ لكل مَنْ حوله فلا بد أن نبدأ بأولى الناس بتلك المعاملة الحسنة بعد الوالدين: ألا وهى الزوجة.

### النبي ﷺ أعظم زوج فى العالم

✽ لقد كان الرسول ﷺ أعظم زوج عرفته البشرية كلها... وأنا أعلم ما أقول جيداً فليست هذه الكلمات صورة بلاغية أرسمها لعظيم من العظماء، وإنما هى الحقيقة التى رأيناها فى سيرة المُعلِّم والمُربِّى الذى أرسله الله ﷻ رحمة للعالمين.

إن الباحث فى الحياة الزوجية عند النبي ﷺ يجد أنها تطبيق عملى دقيق لقوله تعالى: ﴿وَعَايَشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(١)</sup>.

### ✽ رحمة النبي ﷺ بالنساء:

لقد كان النبي ﷺ أرحم الناس بالنساء.. وكان يوصى بالنساء خيراً ويقول: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ»<sup>(٢)</sup>، و«اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»<sup>(٣)</sup>، ويقول: «إِنِّي أَحْرَجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الضَّعِيفِينَ: الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ»<sup>(٤)</sup>.

✽ وكان يعطى للكون كله دروساً عملية فى الإحسان إلى الزوجة والرفق بها.. كيف لا وهو الذى قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة النساء: الآية: (١٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٨٦) كتاب النكاح - ومسلم (١٤٦٨) كتاب الرضاع.

(٤) حسن: رواه الحاكم، والبيهقى، وأحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤٤٧).

(٥) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣١٤).

وقال ﷺ في خطبة حجة الوداع: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup> وفي رواية: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ»<sup>(٢)</sup> الحديث.

### ✽ النساء يشهدن برحمته ﷺ :

عَنْ أُمِّمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ التَّيْمِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةِ لُبَايِعِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْنَا لِنُبَايِعَكَ عَلَيَّ أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِيمَا اسْتَطَعْتَنَّ وَأَطَقْتَنَّ» قَالَتْ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، هَلُمَّ نُبَايِعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ، كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ» قَالَتْ: وَلَمْ يُصَافِحِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَّا امْرَأَةً<sup>(٣)</sup>.

✽ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ - وفي رواية: يسألنه، وَيَسْتَكْثِرُنَّهُ - عَالِيَةً أَصَوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بِنَ الْخَطَّابِ قُضِيَ بِيْتَدِرْنَ الْحِجَابَ<sup>(٤)</sup>، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ عُمَرُ وَ النَّبِيُّ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ<sup>(٥)</sup> بِأَبِي أَنْتِ وَأُمِّي، قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج.

(٢) حسن: رواه الترمذی، والنسائی، وابن ماجه، وحسنه الألبانی فی صحيح الجامع (٧٨٨٠).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذی، والنسائی، ومالك، وابن ماجه، وصححه الألبانی فی السلسلة الصحيحة (٥٢٩).

(٤) أى: يخبثن - وليس معناه أنهن كن يجلسن مع النبي ﷺ بغير حجاب.

(٥) قال الحافظ فی «الفتح»: «لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك، بل لازمه وهو السرور أو نفى ضد لازمه، وهو الحزن» اهـ.

الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبِنِي وَلَا تَهَبْنَ النَّبِيَّ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفْظُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاهُ<sup>(٢)</sup> يَا ابْنَ الْخَطَابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»<sup>(٣)</sup>.

### ✽ كان النبي ﷺ يغضب إذا سمع بامرأة يضربها زوجها:

وبلغت رحمة النبي ﷺ بالنساء مبلغًا عظيمًا حتى إنه كان يغضب غضبًا شديدًا إذا سمع بامرأة يضربها زوجها.

✽ عن أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن زمعة قال: وعظ النبي ﷺ في النساء فقال: «يَضْرِبُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ ضَرْبَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يُعَانِقُهَا آخِرَ اللَّيْلِ؟»<sup>(٥)</sup>.

### ✽ قبس من الهدى النبوى فى حسن المعاشرة:

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: «وكان من أخلاق النبي ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك

(١) نفى القرآن عن رسول الله ﷺ أن يكون الفظاظة والغلظة خلقًا لازمًا له ﷺ فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، غير أنه ﷺ قد يغضب لله في بعض الأحوال كإنكار المنكر مثلاً، وكان ﷺ لا يواجه أحدًا بما يكره إلا في حق من حقوق الله تعالى .. وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغ في الزجر عن المكروهات مطلقًا، وطلب المندوبات، فلماذا قال له النسوة ذلك - انظر «فتح الباري» (٤٧/٦).

(٢) بالكسر والتنوين، ومعناها: حدثنا ما شئت، وبغير التنوين: زدنا مما حدثتنا.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، و(٣٦٨٣) كتاب المناقب - ومسلم (٢٣٩٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٤٢) كتاب الأدب - ومسلم (٢٨٥٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، يتودد إليها بذلك. قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم، فسبقني، فقال: «هذه بتلك»... وكان ﷺ يجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعارٍ واحد، يضع عن كتفيه الرداء، وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك ﷺ... وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(١)</sup> اهـ.

✽ وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى رَكَعَتِي الْفَجْرِ، فَإِنْ كُنْتُ مُسْتَيْقِظَةً حَدَّثَنِي، وَإِلَّا اضْطَجَعَ حَتَّى يُؤْذَنَ بِالصَّلَاةِ<sup>(٢)</sup>.

وكانا يتبادلان السمر بالأحاديث الخفيفة، والقصص ذات الموعظة الحسنة، كما في حديث أبي زرع وأم زرع، حيث قال لها: «كُنْتُ لِكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأُمِّ زَرْعٍ»<sup>(٣)</sup>، فأظهر استعداده لتحمل النفقة، والعطف والمودة والإحسان، وحسن المعاشرة... وفي رواية بزيادة: «إلا أنه طلقها، وأنا لا أطلق»، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله بل أنت خير من أبي زرع»<sup>(٤)</sup>.

ومع انشغاله ﷺ بتبعات الدعوة الجسام، وبناء الأمة المسلمة كان لا يألو جهداً عن مطايبه أزواجه رضي الله عنهن.

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/٤٧٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٦٢) كتاب التهجد - ومسلم (٧٤٣) كتاب صلاة المسافرين.

(٣) أصل الحديث رواه البخارى (٥١٨٩) كتاب النكاح - ومسلم (٢٤٤٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) هذه الزيادة أخرجها النسائي في «عشرة النساء» (٢٥٦)، وانظر: «بغية الرائد» للقاضى عياض،

«مختصر الشمائل المحمدية» للألبانى هامش ص (١٣٤).



فكان ﷺ يُرْحَمُ اسم عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وربما خاطبها «يا عائش»، و«يا عويش»، و«يا حُميراء»، لِيَدْخُلَ السرور على قلبها.

وكان ﷺ يقول لها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي» قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي، قُلْتُ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ<sup>(١)</sup>.

### (١) تعامل النبي ﷺ مع زوجاته في الجانب الإنساني:

من مظاهر الخيرية عند رسول الله ﷺ حسن تعامله ﷺ مع زوجاته في جانبه الإنساني ... ويتضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

#### ✽ أولاً: دخوله عليهن ومؤانسته لهن:

وكان له ﷺ نظام في الدخول والخروج عليهن يعرفنه جميعاً: وكان يطوف عليهن كل صباح فيسلم عليهن ويدعو لهن.

عن ابن عباس قال: وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح جلس في مُصَلَّاهُ، وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس، ثم يدخل على نساءه امرأة امرأة يسلم عليهن، ويدعو لهن، فإذا كان يوم إحداهن، كان عندها<sup>(٢)</sup>.

وكان إذا انصرف من العصر دخل عليهن أيضاً ... عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: وكان إذا انصرف من العصر دخل على نساءه، فيدنو من إحداهن...<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «ويمكن الجمع بأن الذي كان يقع في أول النهار سلاماً ودعاءً محضاً، والذي في آخره معه جلوس واستئناس ومحادثة»<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٢٨) كتاب النكاح - ومسلم (٢٤٣٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) «فتح الباري» (٥٣/١٢)... وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٢١٦) كتاب النكاح.

(٤) «فتح الباري» (٥٣/١٢).

وقد كان - عليه الصلاة والسلام - يعدل بين نسائه، ولم يكن يُفضل واحدة منهن على غيرها فيما يملك العدل فيه ... ومن ذلك:

### ١- القَسْمُ الْعَادِلُ فِي الْمَبِيتِ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت لعروة: «يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُفْضِلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسْمِ، مِنْ مَكْنِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا، فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتُ عِنْدَهَا»<sup>(١)</sup>.

### ٢- الثَّرْعَةُ بَيْنَهُنَّ إِذَا أَرَادَ سَفْرًا:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفْرًا أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ<sup>(٢)</sup>.

### ❁ ثَانِيًا: تَصْرِيحُهُ بِحُبِّ أَهْلِهِ:

ومن مظاهر الخيرية في الحياة الزوجية للنبي ﷺ في جانبها الإنساني أنه كان يحب أهله ويُصرح بذلك:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَيضًا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ - أُخْتُ خَدِيجَةَ - عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ». قَالَتْ: فَغَرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذَكَّرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشُّدْقَيْنِ<sup>(٣)</sup>، هَلَكْتُ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا<sup>(٤)</sup>.

(١) حسن صحيح: رواه أبو داود، والبيهقي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٧٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٩٣) كتاب الهبة - ومسلم (٢٧٧٠) كتاب التوبة.

(٣) حمراء الشدقين: نسبتها إلى كبر السن، لأن من دخل في سن الشيخوخة مع قوة بدنه يغلب على لونه غالبًا الحمرة المائلة إلى السمرة - كذا قال القرطبي، كما في «فتح الباري» (١٤٠/٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢١) كتاب مناقب الأنصار - ومسلم (٢٤٣٧) كتاب فضائل الصحابة.

ولفظ مسلم: «فارتاع»، وليس: «فارتاع».



وفي رواية أحمد: فقال: « مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ بِخَيْرٍ مِنْهَا ، قَدْ آمَنْتَ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ بِخَيْرٍ مِنْهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النَّسَاءِ » (١).

ولم يمنعه حبه لعائشة أن يصرح بفضله خديجة ومكانها في قلبه، ولو في ذلك الموقف الذي ظهرت فيه غيرتها، بل لم يكتف حبه لها، وقد مضى على وفاتها أكثر من خمس سنين! فقال لعائشة: « إِنِّي قَدْ رَزِقْتُ حُبَّهَا » (٢) فما أعظم وفاءه!! وما أرحب قلبه!! وما أصدق لسانه!! وما أصرح وأفصح تعبيره ﷺ!!

### ❁ ثالثاً: وفاؤه بحقوق المعاشرة الزوجية الخاصة:

ومن مظاهر الخيرية في الحياة الزوجية للنبي ﷺ في جانبها الإنساني: وفاؤه ﷺ بحقوق المعاشرة الزوجية الخاصة.

وفي هذا الإطار نفهم قوله ﷺ عندما قال: « وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّتِي أَحَدْنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَرْزٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَائِكِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ » (٣).

وعن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، وله يومئذ تسع نسوة (٤).

❁ ومن الأمور التي كان يفعلها رسول الله ﷺ في حياته الزوجية، الملاطفة في الطعام والشراب:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَنَاوَلُهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ فِيٍّ، فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرَقَ - أَي: أَخَذَ

(١) رواه أحمد. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/١٢٨): «تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به».

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٥) (٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٠٦) كتاب الزكاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٤) كتاب الغسل - ومسلم (٣٠٩) كتاب الحيض.

اللحم من العرق أى: العظم الذى أخذ منه معظم اللحم وبقيت عليه بقية - وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَنَاوَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ فَيَّ»<sup>(١)</sup>.

❁ ومن الأمور التى كان يفعلها رسول الله ﷺ فى حياته الزوجية، القرب من زوجته:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره.. فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ وأَضَعَا رَأْسَهُ عَلَيَّ فَخِذِي قَدْ نَامَ<sup>(٢)</sup>.  
❁ ومن الأمور التى كان رسول الله ﷺ يفعلها فى حياته الزوجية الخاصة اغتساله ﷺ مع زوجاته:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَنَحْنُ جُنْبَانٍ<sup>(٣)</sup>.

## (٢) حرص النبي ﷺ على كل ما يدخل السعادة على زوجته :

ولقد كان النبي ﷺ حريصًا - كل الحرص - على كل ما يُدخل السعادة والسرور على أهل بيته طالما أن ذلك ليس فيه معصية للخالق - جل وعلا -  
ومن نماذج ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ<sup>(٤)</sup> عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبٌ يَلْعَبْنَ مَعِي، «فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعَنَّ<sup>(٥)</sup> مِنْهُ، فَيُسْرِبُهُنَّ<sup>(٦)</sup> إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي»<sup>(٧)(٨)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٠٠) كتاب الحيض

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤) كتاب التيمم - ومسلم (٣٦٧) كتاب الحيض.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٢١) كتاب الحيض.

(٤) البنات: أى: لعب على صورة البنات.

(٥) يتقمعن: أى يتغيبن منه، ويدخلن من وراء الستر حياءً وهيبةً منه ﷺ - وفي رواية: يتقمعن.

(٦) يُسْرِبُهُنَّ: يرسلهن.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٣٠) كتاب الأدب - ومسلم (٢٤٤٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٨) قال الحافظ ابن حجر: «واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب، من أجل لعب

## (٣) مزاحه ﷺ مع أزواجه :

كان لأهل بيت النبي ﷺ الحظ الأوفر من حُسن خلقه، والقدر المُعلَى من جميل عشرته؛ لكثرة مخالطتهم إياه، ولمدوامتهم على لُقياه، فكان خير الناس لأهلهم... فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي »<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة الجانب الترفيهي، إقراره ﷺ المزاح وتبسمه لهم:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِخَزِيرَةٍ قَدْ طَبَخْتُهَا لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ رضي الله عنها - وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَهَا -: كُلِّي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: لَتَأْكُلَنَّ أَوْ لَأَطَّخَنَّ وَجْهَكَ، فَأَبَتْ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ، فَطَلَيْتُ وَجْهَهَا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَضَعَ يَدَهُ لَهَا، وَقَالَ لَهَا: «الطَّخِي وَجْهَهَا»، فَلَطَخْتُ وَجْهِي فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ أَيضًا.. فَمَرَّ عُمَرُ فَنَادَى: يَا عَبْدَ اللَّهِ.. يَا عَبْدَ اللَّهِ.. فَظَنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ فَقَالَ لَهُمَا: «قَوْمًا فَاغْسِلَا وُجُوهَكُمَا»، وفي رواية: (فخفص لها ركبته لتستقيد مني، فتناولت من الصَّحْفَةِ شَيْئًا، فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي، ورسول الله ﷺ يضحك)<sup>(٢)</sup>.

## (٤) تواضعه ﷺ مع أزواجه :

وأما عن تواضعه ﷺ مع أزواجه فوالله لا أجد كلامًا يصف لكم مدى تواضع الحبيب المصطفى ﷺ مع أزواجه.. لكن حسبنا أن ندع كل موقف

<sup>=</sup> البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور.. «فتح الباري» (١٣/٦٤٨).

ويشار هنا إلى أن الإمام البخاري رحمته الله عَنَّا لِلْبَابِ الَّذِي أَخْرَجَ فِيهِ هَذَا الْحَدِيثَ بِقَوْلِهِ: بَابُ الْإِنْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ.

(١) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣١٤).

(٢) حسن: رواه أبو يعلى، وأبو بكر الشافعي في الفوائد، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣١٣١).

والخزير والخزيرة: لحم يُقَطَّعُ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ، فَإِذَا نَضِجَ دُرَّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ.

يتحدث عن تواضع النبي ﷺ.

عن عمر رضي الله عنه قال: «تَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي، فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَرْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعُنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: أُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: «قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ، وَخَسِرَ»<sup>(١)</sup> الحديث.

### ❁ رقة النبي ﷺ في معاملة زوجته وهي حائض :

فمن المعلوم أن الزوجة إذا كانت حائضًا فإنها تشعر أحيانًا بشيء من الضيق والحزن... فكان النبي ﷺ إذا علم أن زوجته حائضًا يغدق عليها من الحب والرحمة والمودة والحنان أكثر من أي وقتٍ آخر حتى لا تشعر بشيء من الحزن والكآبة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أشرب من الإناء وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع فيّ»، وفي رواية أبي داود والنسائي قالت: «كُنْتُ أَنْعَرِقُ الْعَرَقَ<sup>(٢)</sup> وَأَنَا حَائِضٌ، فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعُ فَمَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعْتُ فَمِي فِيهِ، وَكُنْتُ أَشْرَبُ مِنَ الْقَدَحِ فَأَنَاوَلَهُ إِيَّاهُ، فَيَضَعُ فَمَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ أَشْرَبُ».

### (٥) تعاون النبي ﷺ مع أزواجه :

#### ❁ أولاً : كان النبي ﷺ في مهنة أهل بيته :

من مظاهر الخيرية عند رسول الله ﷺ في تعامله مع زوجاته في جانبه التعاوني: أولاً: أنه كان يعاون أهله في المنزل، وهذا يدل على مشاركته ﷺ أهله في تدبير شؤون المنزل، مع كثرة الأعباء المُلْقاة على عاتقه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٩١) كتاب النكاح - ومسلم (١٤٧٩) (٣١) كتاب الطلاق.

(٢) العرق: العظم عليه بقية اللحم، وتعرّقه: إذا أكل ذلك اللحم الباقي عليه.

عَنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟  
قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةٍ<sup>(١)</sup> أَهْلِهِ - تعنى خدمة أهله - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ  
قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ»<sup>(٢)</sup>.

وعن عروة قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟»، قالت:  
«كَانَ يَخِيْطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ<sup>(٣)</sup> نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ الرَّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ»<sup>(٤)</sup>.  
وعنه أيضًا أنها قالت: «كَانَ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ: يَخْصِفُ النِّعْلَ،  
وَيَرْقَعُ الثَّوْبَ، وَيَخِيْطُ»<sup>(٥)</sup>.

وعن عمرة قالت: (قيل لعائشة: مَاذَا كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ؟  
قَالَتْ: كَانَ بَشْرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ)<sup>(٦)</sup>.

### ❁ ثانياً: التعاون على الخير:

لا بد ونحن نتحدث عن تعامل النبي ﷺ مع زوجاته في جانبه التعاوني أن  
نشير إلى أمر غاية في الأهمية ألا وهو التعاون على الخير فيما يرضى الله مصداقاً  
لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾<sup>(٧)</sup>.  
وأى تعاون أعظم من تعاون الزوجين على أمرٍ من أمور الآخرة، وهذا ما  
يعلمنا إياه رسول الله ﷺ.

(١) المهنة: بكسر الميم وفتحها الخدمة، والمراد أنه كان يعاونهن، ويعمل معهن.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٧٦) كتاب الأذان.

(٣) يخصف نعله: يخرزها.

(٤) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٤٩٣٧).

(٥) صحيح: رواه البخارى في «الأدب المفرد»، وصححه ابن حبان، والإمام أحمد بنحوه، وصححه

العلامة الألبانى رحمه الله في تخريج الأدب المفرد (٤١٩).

(٦) صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية، وأحمد، والبخارى في الأدب المفرد، وصححه الألبانى في صحيح

الجامع (٤٩٩٦).

(٧) سورة المائدة: الآية: (٢).

يدل على ذلك ما جاء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «لِيَتَّخِذَ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤَمِّنَةً تُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ»<sup>(١)</sup>.

بل إن النبي (عليه الصلاة والسلام) كان يطبق ذلك عملياً، ويضرب لنا أروع الأمثلة في تعاون الزوجين على الخير.... يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وتحدثنا أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عن موقف من هذه المواقف فتقول: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ فِرْعَا وَهُوَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَرْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّيْنَ - رَبِّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»<sup>(٣)</sup>.

### ❁ ثَالِثًا: التَّشَاوُرُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ:

ويدخل في باب التعاون أيضًا التشاور بين الزوجين في القضايا التي تُهمُّ الأسرة، أو تُهمُّ المجتمع، ذلك لأن الأمر بالشورى أمر عام يشمل جميع المجالات داخل الأسرة وخارجها، وفي الأمور الخاصة والعامّة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. وحسبنا في ذلك تلك المشورة المباركة التي قدمتها أم سلمة لرسول الله ﷺ يوم الحديبية:

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالوا: ...

فَلَمَّا فَرَغَ - أَيْ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ - أَيْ: كِتَابِ صَلْحِ الْحَدِيبِيَّةِ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٥٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٢٤) كتاب فضل ليلة القدر - ومسلم (١١٧٤) كتاب الاعتكاف.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٠٦٩) كتاب الفتن.

(٤) سورة الشورى: الآية: (٣٨).



أُمّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، أَخْرَجَ ثُمَّ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ: نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا... (١).

### (٦) تعامل النبي ﷺ مع زوجاته في الجانب الاقتصادي:

من مظاهر الخيرية عند رسول الله ﷺ حُسن تعامله مع أهله في الجوانب الاقتصادية، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

#### ✽ أولاً: من حيث السكن:

لقد أسكن رسول الله ﷺ أزواجه في الحجرات، وكان لكل زوجة حجرة خاصة بها... وقد جاء ذكر الحجرات في القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢).

#### ✽ ثانياً: من حيث الإحسان في النفقة:

ومن مظاهر الخيرية في الحياة الزوجية للنبي ﷺ أنه كان ﷺ كريماً في إنفاقه على أهله... وهذا أمر غير مُستغرب أبداً، لا سيما إذا علمنا من شمائله عليه الصلاة والسلام أنه كان أجود الناس (٣).

### (٧) تعامل النبي ﷺ مع زوجاته في الجانب الجمالي:

كان رسول الله ﷺ أجمل الناس، وكان ﷺ متجملاً وقد ظهر تجمُّله ﷺ في شؤونه كافة.

ونستطيع أن نتعرف على مفردات التجمُّل في حياة النبي ﷺ من جانبين،

هما:

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣١) كتاب الشروط.

(٢) سورة الحجرات: الآية: (٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦) كتاب بدء الوحي - ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

١- تَنْظَفُهُ. ٢- اهتمامه بمظهره الخارجى.

### ❁ أولاً: تَنْظَفُهُ ﷺ:

رعايته ﷺ لجميع وسائل التنظيف فى سائر أعضاء جسده أمر واضح غاية الوضوح فى سيرته ﷺ، بل إن النبى ﷺ رعى هذا الجانب رعاية خاصة عندما عدّه من خصال الفطرة التى كان يأمر بها. ومعنى الفطرة: أى: السُّنة القديمة التى اختارها الأنبياء، واتفقت عليها الشرائع، وكأنها أمرٌ جبلى فُطروا عليه ليكونوا على أكمل الصفات وأشرفها صورة<sup>(١)</sup>.

وخصال الفطرة كثيرة منها: ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ - وهى عُقد الأصابع التى فى ظهر الكف - وَإِعْفَاءُ اللَّحِيَّةِ، وَالسَّوَاكُ، وَالِاسْتِنْشَاقُ، وَتَنْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ - أى: الاستنجاء-»، قال مصعب - أحد رواة الحديث -: وَنَسِيْتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةُ<sup>(٢)</sup>.

ومنها: المحافظة على غسل الجمعة لقوله ﷺ: « إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْتِيَ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ »<sup>(٣)</sup>.

ومنها: المحافظة على نظافة الأسنان، فقد كان ﷺ شديد العناية بها... يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كُنَّا نَعِدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي »<sup>(٤)</sup>. وكان يقول: « السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرَضَاةٌ لِلرَّبِّ »<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر ما قيل عن الفطرة: «فتح البارى» (١٣/٣٣٦)، وقد اخترت أجمع ما قيل فيها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦١) كتاب الطهارة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٤٤) كتاب الجمعة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) صحيح: رواه أحمد، والنسائى، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٩٥).





والثابت عنه ﷺ أنه كان يستاك مفطراً وصائماً، وعند الانتباه من النوم، وعند الوضوء، وعند الصلاة، وعند دخول البيت، وغير ذلك.

### ❁ ثانياً: اهتمامه ﷺ بمظهره الخارجي:

كان رسول الله ﷺ يمتاز ببهاء طلعتة، وجمال هيئته، وأناقة ملبسه، وطيب رائحته، وترجيل شعره.

### ( ٨ ) تعامل النبي ﷺ مع زوجاته في الجانب الترفيهي:

ومن مظاهر الخيرية عند رسول الله ﷺ في تعامله مع زوجاته في جانبه الترفيهي أنه كان يأذن لهن باللغو المباح، ويتضح ذلك من خلال الفقرات الآتية:

### ❁ أولاً: إقراره النظر إلى اللغو المباح:

ويتضح ذلك من خلال المثالين الآتيين:

أ - إقراره ﷺ أهله على النظر إلى اللغو المباح يوم العيد:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «... وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ فِيهِ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ<sup>(١)</sup> وَالْحِرَابِ، فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: «تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟»<sup>(٢)</sup> فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدَى عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ»<sup>(٣)</sup> يَا بَنِي أَرْفَدَةَ»<sup>(٤)</sup> حَتَّى إِذَا مِلْتُ قَالَ: «حَسْبُكِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «فَاذْهَبِي»<sup>(٥)</sup>.

(١) الدرقي: جمع درقة، وهي ترس مصنوع من جلد.

(٢) جاء في رواية النسائي في «سننه الكبرى»: فقال لى النبي ﷺ: «يا حميراء، أتحبين أن تنظري إليهم؟» قلت: نعم. قال ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٥٠٠): إسناده صحيح، ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا.

فانظر - رحمك الله - إلى جميل دعائه لها بـ «يا حميراء» إيناساً لخاطرها، وملاطفة لها، وتمليحاً لخلقها، وانظر إلى سهولته ﷺ، وخفض جناحه لأهله، حتى يأخذوا حاجتهم مما يريدون دون أن يُعجلهم وإن أثقلوا عليه.

(٣) دونكم: بالنصب على الظرفية بمعنى الإغراء، وفيه: إذن وتنهض لهم، وتنشيط.

(٤) بنى أرفدة: قيل هو لقب للحبشة، وقيل: المعنى يا بنى الإمام، وجاء في رواية: فإنهم بنو أرفدة: كأنه يعنى أن هذا شأنهم وطريقتهم، وهو من الأمور المباحة فلا إنكار عليهم.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٩٥٠) كتاب العيدين - ومسلم (٨٩٢) (١٨) كتاب صلاة العيدين.

ب- ومن نماذج اللهو المباح: إقراره ﷺ أهله على النظر إلى اللهو المباح في غير يوم العيد:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ولما قدم وفد الحبشة على رسول الله ﷺ قاموا يلعبون في المسجد فرأيت رسول الله ﷺ يسْتُرْنِي بِرِدَائِهِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَسْأَلُ ... فَأَقْدَرُوا قَدَرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ ، الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ»<sup>(١)</sup>.

❁ **ثانياً: ومن الأمثلة على الجانب الترفيهي: إقراره ﷺ أهله على سماع الغناء المباح من الجارية يوم العيد:**

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ [في يوم فطر - أو أضحى -] <sup>(٢)</sup> وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ [من جوارى الأنصار] <sup>(٣)</sup> تُغْنِيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ <sup>(٤)</sup> ، [وليستا بمغنيتين] <sup>(٥)</sup> ، فَاضْطَجَعَ عَلَيَّ الْفِرَاشِ ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ <sup>(٦)</sup> ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ <sup>(٧)</sup> فَقَالَ: «دَعُهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا ، وَهَذَا عِيدُنَا» <sup>(٨)</sup> ، فَلَمَّا غَفَلَ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٩٠) كتاب النكاح - ومسلم (٨٩٢) (١٧) كتاب صلاة العيدين.

(٢) من رواية البخارى (٣٩٣١) كتاب مناقب الأنصار.

(٣) من رواية البخارى (٩٥٢) كتاب العيدين.

(٤) وفي رواية البخارى (٩٥٢) كتاب العيدين: تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بُعَاث.

وفي رواية أخرى (٩٨٧) كتاب العيدين: جاريَتان تُدْفِقَانِ وتضربان.

وفي رواية أخرى (٣٩٣١) كتاب مناقب الأنصار: وعندها قيتان تغنيان بما تعازفت الأنصار يوم بُعَاث.

ويوم بُعَاث يوم مشهور من أيام العرب كانت فيه مقتلة عظيمة انتصر فيها الأوس على الخزرج، وكان قبل الهجرة بثلاث سنين.

(٥) من رواية البخارى (٩٥٢) كتاب العيدين.

(٦) في رواية أخرى (٩٥٢) كتاب العيدين: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ! وذلك في يوم عيد.

وفي رواية أخرى (٣٩٣١) كتاب مناقب الأنصار: مزمار الشيطان مرتين!

(٧) في رواية البخارى (٩٨٧) كتاب العيدين، فكشف النبي ﷺ عن وجهه.

(٨) من رواية البخارى (٩٥٢) كتاب العيدين.



غَمَزْتُهُمَا فَاخْرَجْتَا<sup>(١)</sup>.

### ✽ ثالثاً: ممارسة الرياضة البدنية:

✽ وقد بلغ النبي ﷺ درجة عالية من التواضع لا تخطر على قلب بشر.

- فيها هو ﷺ يتبسط مع زوجته وحيبته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ويسابقها.

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَهِيَ جَارِيَةٌ، قَالَتْ: لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ، وَلَمْ أَبْدِنُ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى أَسَابِقُكَ»، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي، فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «تَقَدَّمُوا» ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى أَسَابِقُكَ» وَنَسِيتُ الَّذِي كَانَ، وَقَدْ حَمَلْتُ اللَّحْمَ، وَبَدَنْتُ، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَسَابِقُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؟ فَقَالَ: «لَتَفْعَلِينَ»، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: «هَذِهِ بِئِكَ السَّبَقَةُ»<sup>(٣)</sup>.

### ✽ رابعاً: وكان يصحبهن في سفره ويتبادلون أطراف الحديث:

ومن أمثلة الجانب الترفيهي: أنه ﷺ كان يصحب أهله في سفره، ويسير معهم

في الليل ويتبادلون أطراف الحديث.

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَطَارَتِ الْقُرْعَةُ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: أَلَا تَرَ كَيْنَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي وَأَرْكَبُ بَعِيرَكَ، تَنْظُرِينَ وَأَنْظُرِي؟ فَقَالَتْ: بَلَى، فَرَكِبْتُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيَّ جَمَلٍ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، حَتَّى نَزَلُوا، وَافْتَقَدْتُهُ عَائِشَةُ....»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح: رواه البخارى (٩٤٩) كتاب العيدين - وما كان مقوساً فهو من زيادتي على هذه الرواية،

ولكن جميع هذه الألفاظ من صحيح البخارى.

(٢) بَدَّنُ وَبَدَّنَ: بالتشديد بمعنى كبر وأسنَّ - وبالتخفيف من البدانة، وهى كثرة اللحم والسمنة، وهذا المعنى هو الأليق بالسياق، انظر «النهاية» (١٠٧/١).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٠٠٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢١١) كتاب النكاح - ومسلم (٢٤٤٥) كتاب فضائل الصحابة.

### ❁ خامساً : سماعه ﷺ الطرف والأخبار الاجتماعية منهن :

ومن مظاهر الخيرية عند رسول الله ﷺ في تعامله مع أزواجه في الجانب الترفيهي سماعه ﷺ من زوجته طُرف الأخبار:

يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ جلس يستمع إليها وهي تقص عليه خبر إحدى عشر امرأة عندما جلسن يصفن أزواجهن... كما في حديث أم زرع.

❁ كانت هذه نبذة يسيرة عن حياة النبي ﷺ مع أزواجه ورحمته بهن وحُسن عشرته معهن... فهو أعظم زوج عرفته البشرية كلها منذ خلق آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

### معاملات النبي ﷺ مع أولاده وأحفاده

جاء الإسلام بمعيارٍ حقيقى للعلاقة بين الأب وأبنائه.. هذا المعيار قائم على الرحمة، والرأفة، والشفقة، والتوجيه، والرعاية الصحيحة لهؤلاء الأبناء في كل شئون حياتهم.. فالأب هو الحصن الذى يأوى إليه الأبناء في كل وقت؛ ولذلك فإن القرآن قد خلد هذه العلاقة عندما ذكر نداء لقمان عليه السلام لابنه، والذى يفيض بكل معانى التربية، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾<sup>(١)</sup>.

ولننظر معاً إلى خصوصية العلاقة الرائعة بين الأب وابنته في موقف الرسول

<sup>=</sup> وقال الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث (١١ / ٢٢١): «كأن عائشة أجابت إلى ذلك لما شوقتها إليه من النظر إلى ما لم تكن هي تنظر، وهذا مشعر بأنهما لم يكونا حال السير متقاربتين بل كانت كل واحدة منهما من جهة كما جرت العادة من السير قطارين، وإلا فلو كانتا معاً لم تختص إحداهما بنظر ما لم تنظره الأخرى».

(١) سورة لقمان: الآية: (١٣).



ﷺ الذي ترويه عائشة رضي الله عنها قائلة: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ، لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشْيَتَهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ بِهَا، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسَّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ، بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ، لَمَّا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ، فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّانِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَأَخْبَرْتَنِي أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارِضُهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أُرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعَمَ السَّلْفُ أَنَا لِكَ... قَالَتْ: فَبَكَيتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّانِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضِينَ أَنْ تُكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ» قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ <sup>(١)</sup>.

هكذا كان تربية الرسول ﷺ لابنته.. تربية قائمة على الحب والعطف والحنان.

أما عند وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ، فقد تجلَّتْ عظمته ﷺ، وظهرت مشاعر الأب الجياشة تجاه ولده حين خاطبه قائلاً: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» <sup>(٢)</sup>.

وكان من شدة حبه ولهفته على أحفاده ما رواه عبد الله بن بريدة رضي الله عنه عن أبيه، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يخطب، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران، يعثران ويقومان، فنزل النبي ﷺ فأخذهما فوضعهما في حجره،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٢٣) كتاب المناقب - ومسلم (٢٤٥٠) (٩٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٠٣) كتاب الجنائز - ومسلم (٢٣١٥) كتاب الفضائل.

فقال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرِ». ثُمَّ أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ<sup>(٢)</sup>. وكذا كان حُبُّه كذلك لبقية أحفاده، فقد كان ﷺ يُصَلِّي وهو حاملُ أُمّامة بنت ابنته زينب رضي الله عنها فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها<sup>(٣)</sup>.

وها هو ذا ﷺ يخرج على المسلمين في إحدى صلاتي العشي - الظهر أو العصر - وهو حامل أحد ابنيه: الحسن أو الحسين رضي الله عنهما - كما روى ذلك عبد الله بن شدّاد عن أبيه أنه قال: - فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمنى، فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها، قال أبي<sup>(٤)</sup>: فرفعت رأسي من بين الناس، فإذا رسول الله ﷺ ساجد، وإذا الغلام راكب على ظهره فعدت فسجدت فلما انصرف رسول الله ﷺ، قال الناس: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أفشىء أمرت به؟ أو كان يُوحى إليك؟ قال: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجَلُهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»<sup>(٥)</sup>.

ولم تكن هذه المواقف عابرة في حياته ﷺ، ولكنها كانت صفة أصيلة من صفاته ﷺ؛ لذلك يُروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قبل الحسن بن علي رضي الله عنهما والأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً قط. فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ»<sup>(٦)</sup>.

ومع ذلك فلم يكن هذا الحب العظيم من النبي محمد ﷺ لأولاده وأحفاده يدفعه إلى الجور على المسلمين من أجلهم،.. فيُروى عن علي بن أبي طالب

(١) سورة التغابن: الآية: (١٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩٨١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٦) كتاب الصلاة - ومسلم (٥٤٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) هو شدّاد بن الهاد الليثي رضي الله عنه، وهو راوي الحديث، ورواه عنه ابنه عبد الله بن شدّاد.

(٥) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (ص ١٤٨).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٩٧) كتاب الأدب - ومسلم (٢٣١٨) كتاب الفضائل.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اشْتَكَّتْ مَا تَلَقَى مِنَ الرَّحَى فِي يَدِهَا، وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبِيًّا، فَاذْطَلَقَتْ، فَلَمْ تَجِدْهُ وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَتْهَا.. فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكُمْ خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، أَنْ تُكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»<sup>(١)</sup>.

هكذا كان يعلم النبي ﷺ أولاده... يعلمهم أنه لن يُحاييهم - رغم محبته الشديدة لهم - على حساب المسلمين، بل ويعلمهم - كذلك - أن يرتبطوا بالله عز وجل فهو خير مُعين على كل أعمالهم... فالاستعانة به وحده سبحانه وتعالى تُسعد الإنسان في حياته وآخرته.

هكذا كانت علاقة الأب ﷺ بأبنائه وأحفاده.. علاقة قائمة على المحبة والحنان.. تشعر الأسرة في ظلها بالألفة، فما أعظمك يا رسول الله من أب وجد!<sup>(٢)</sup>.

## هدى النبي ﷺ مع الصغار

فإن خير الهدى هدى محمد ﷺ.. ولقد كان النبي ﷺ رحيماً بالناس جميعاً فما ظنك برحمته بالصغار!؟

(١) كان النبي ﷺ يقبل الصغار:

فإنه يُستحب للوالدين تقبيل أبنائهما وبناتهما... وقد كان النبي ﷺ يُقبل ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي الصحيحين أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: تُقبلون الصبيان فما تُقبلهم؟! فقال النبي ﷺ: «أَوْ أَمْلِكُ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٦٢) كتاب النفقات - ومسلم (٢٧٢٧) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) يتصرف من كتاب (أسوة للعالمين) د. راغب السرجاني.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٨) كتاب الأدب - ومسلم (٢٣١٧) كتاب الفضائل.

## (٢) كان النبي يمازح الصغار:

كما في الصحيحين أن النبي ﷺ كان يقول لأخى أنس بن مالك: «يا أبا عمير، ما فعل النُّغَيْرُ؟»<sup>(١)</sup> ... النغير: الطائر الصغير.

وكان ﷺ يترك عائشة رضي الله عنها تلعب بالبنات - لصغر سنها -.

ففي الصحيحين أن عائشة قالت: كنت ألعب بالبنات - اللُّعب - عند النبي

ﷺ وكان لى صواحب يلعبن معى فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن منه - أى يخفن فيسربهن - يرسلهن - إلى فيلعبن معى<sup>(٢)</sup>.

✽ بل ها هو ﷺ يَمْجُجُ بالماء في وجه صبي مُداعِبًا له.

أخرج البخارى من حديث محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِى وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ.

وَفِعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَعِ مَحْمُودٍ إِذَا مَدَاعَبَهُ، أَوْ لِيَبَارِكَ عَلَيْهِ بِهَا كَمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ مَعَ أَوْلَادِ الصَّحَابَةِ.

## (٣) كان ﷺ قمة في الرحمة مع الأطفال:

✽ عند أبى يعلى بإسناد حسن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُصَلِّي فإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَمْنَعُوهُمَا أَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ دَعُوهُمَا ... فَإِذَا قَضَى الصَّلَاةَ وَضَعَهُمَا فِي حِجْرِهِ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبِّ هَذَيْنِ»<sup>(٣)</sup>.

ومن رحمته ﷺ بالصغار حمله لأمامة بنت ابنته في الصلاة.

(أخرج البخارى ومسلم) من حديث أبى قتادة الأنصارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا بِي

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٢٩) كتاب الأدب - ومسلم (٢١٥٠) كتاب الآداب.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٣٠) كتاب الأدب - ومسلم (٢٤٤٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) حسن: رواه ابن خزيمة، وأبو يعلى، وحسنه الألبانى رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣١٢).





العاصم بن ربيعة بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها<sup>(١)</sup>.  
وفي الصحيحين أنه ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فاتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»<sup>(٢)</sup>.  
(٤) كان ﷺ يسلم على الصبيان:

وهذا الفعل له أثر طيب على نفسية الطفل .. وفيه نشر للمودة والرحمة.  
ففي الصحيحين أن أنس بن مالك مر على صبيان، فسلم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعلهُ.

(٥) كان ﷺ يستأذن الصغار عند أخذ شيء من حقوقهم:

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ أتى بشراب، فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطى هؤلاء؟» فقال الغلام: لا والله، لا أوثر بنصيبي منك أحدا، قال: فتلّه رسول الله ﷺ في يده أي: وضعه في يده<sup>(٣)</sup>.  
(٦) كان ﷺ يعود الصبيان عند مرضهم:

فقد روى البخاري عن أنس أن غلاما ليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: «أسلم» فأسلم<sup>(٤)</sup>.

ولا شك أن زيارة الكبير للصغير لها أثر عظيم في تأليف قلبه.

(٧) كان ﷺ يمسح رؤوس الصغار:

فعن جابر بن سمرة، قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحدا واحدا، قال: وأما أنا فمسح خدي، قال: فوجدت ليدِه بردًا أو ريحا كأنما

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٦) كتاب الصلاة - ومسلم (٥٤٣) كتاب المساجد.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٩) كتاب الأذان - ومسلم (٤٧٠) (١٩٢) كتاب الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٥١) كتاب المظالم - ومسلم (٢٠٣٠) كتاب الأشربة.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٥٦٥٧) كتاب المرضى.

أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ»<sup>(١)</sup>. الجؤنة: ما يُعد فيه الطيب.

(٨) كَانَ ﷺ يَحْرُسُ عَلَى تَعْلِيمِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ:

ففى الصحيحين عن عمر بن أبى سلمة قال: كنت غلامًا فى حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش فى الصفحة فقال لى رسول الله ﷺ: « يَا غُلامُ سَمَّ اللهُ وَكُلَّ بِيَمِينِكَ وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ »<sup>(٢)</sup>.

(٩) وَكَانَ ﷺ يُحْسِنُ اسْتِقْبَالَهِمْ:

✽ روى مسلم عن عبد الله بن جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلِّقَى بِصِيبَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ، قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بى إِلَيْهِ، فَحَمَلَنى بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جىءَ بِأَحَدِ ابْنَى فَاطِمَةَ، فَأَرَدَفَهُ خَلْفَهُ، قَالَ: فَأَدْخَلْنَا الْمَدِينَةَ، ثَلَاثَةَ عَلى دَابَّةٍ<sup>(٣)</sup>.

(١٠) وَكَانَ ﷺ يُخَفِّفُ مِنْ مَعَاتِبِهِمْ:

فالطفل لا يحتمل العتاب والتوبيخ .. وليس معنى ذلك أن نترك عتابه تمامًا، وإنما علينا أن نكون فى غاية الرحمة عندما نعاتبه.

ففى الصحيحين عن أنس قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لى أف قط ولا قال لى لشيء صنعته: لِمَ فعلت كذا؟ أو لشيء تركته: هَلَّا فعلت كذا»<sup>(٤)</sup>.

وقد كان النبى ﷺ يعلمنا أن المرأة إذا أخطأت فى بعض الأشياء فإنه من المروءة أن تعاتبها على بعض الأخطاء وتعرض عن باقى الأخطاء فلقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٩) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٧٦) كتاب الأطعمة - ومسلم (٢٠٢٢) كتاب الأشربة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٤٢٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٨) كتاب الوصايا - ومسلم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل.

بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أُنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نُبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾<sup>(١)</sup> فقد عرفها النبي ﷺ بعض الأخطاء وأعرض عن البعض الآخر..  
فإن كان هذا بالنسبة للمرأة فما ظنك بالطفل؟!!

### حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نِعْمَةُ الْحُبِّ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الَّتِي بِهَا تَوَثَّقَتِ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْذُ بَدَايَةِ الدَّعْوَةِ... فَبِعَدَمِ كَانُوا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ مَتَبَاغِضِينَ مِتَقَاتِلِينَ، انْقَلَبُوا بِفَضْلِ اللَّهِ إِلَى إِخْوَةٍ مِتْحَابِينَ... قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِهِمْ: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِي إِخْوَانًا﴾<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ الْأَخُوَّةَ الصَّادِقَةَ دَلِيلًا عَلَى إِيْمَانِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

كَمَا مَدَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِتْحَابِينَ فِي اللَّهِ، وَكَشَفَ عَنْ عَظِيمِ ثَمَارِ هَذَا الْحُبِّ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ...» فَذَكَرَ مِنْهُمْ: «... وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ...»<sup>(٤)</sup>.

كَمَا ذَمَّ ﷺ التَّنَاحِرَ وَالتَّخَاصُمَ بَيْنَ الْأَصْحَابِ، فَقَالَ ﷺ: «لَا يَجُلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ: يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»<sup>(٥)</sup>.

وَفِي سِيرَتِهِ ﷺ نَجْدَهُ يَعَامِلُ أَصْحَابَهُ مِعَامِلَةً تَدُلُّ عَلَى حُبِّهِ لَهُمْ جَمِيعًا؛ وَكَأَنَّهُ ﷺ يَخْصُّ كُلَّ صَحَابِيٍّ بِحُبٍّ خَاصٍّ يَخْتَلِفُ عَنْ بَاقِي أَصْحَابِهِ؛ حَيْثُ نَجْدَهُ ﷺ يَصِفُ أَصْحَابَهُ بِصِفَاتٍ تُعَزِّزُ مِنَ الْأَلْفَةِ وَالتَّقَارُبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ... فَيَصِفُ الزُّبَيْرَ

(١) سورة التحريم: الآية: (٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٣) سورة الحجرات: الآية: (١٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان - ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٧٧) كتاب الأدب - ومسلم (٢٥٦٠) كتاب البر والصلة والآداب.

ابن العوام رضي الله عنه بأنه حواريه<sup>(١)</sup>، ويصف أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بأنهما وزيراه<sup>(٢)</sup>، وجعل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كاتم سره<sup>(٣)</sup>، ولقب أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه بأنه أمين الأمة<sup>(٤)</sup>.

كما نجده يشارك أصحابه في مآكلهم ومشربهم؛ تقوية لأواصر الصحبة والمحبة... فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنْتُ جَالِسًا فِي دَارِي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ يَدِي، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَى بَعْضَ حُجْرٍ نِسَائِهِ، فَدَخَلَ ثُمَّ أَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ الْحِجَابَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «هَلْ مِنْ عَدَاءٍ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأَتَى بِثَلَاثَةِ أَقْرَصَةٍ<sup>(٥)</sup>، فَوَضَعَنَ عَلَى نَبِيٍّ<sup>(٦)</sup>، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرْصًا، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخَذَ قُرْصًا آخَرَ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ أَخَذَ الثَّلَاثَ، فَكَسَرَهُ بِإِثْنَيْنِ، فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ مِنْ أَدَمٍ؟»<sup>(٧)</sup> قَالُوا: لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ حَلٍّ، قَالَ: «هَاتُوهُ، فَنِعَمَ الْأَدَمُ هُوَ»<sup>(٨)</sup>.

كما يشارك النبي ﷺ أصحابه كذلك في مزاحهم ولهوهم - ولم يكن مزاحه ﷺ إلا حقًا - فمزاح الأصحاب سبب من الأسباب الرئيسة في التلاحم والقرب، ومن هذه المواقف الرائعة التي أثرت عن رسول الله ﷺ ما رواه أنس رضي الله عنه

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٤٦) كتاب الجهاد والسير - مسلم (٢٤١٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) رواه الترمذى، قال النبي ﷺ: «... وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر» وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب. والحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ومسند ابن الجعد (٢٠٢٦).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٧٤٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٤٣٨٠) كتاب المغازى.

(٥) الأقرصة: جمع قرص، وهو الرغيف - انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة قرص (٧٠/٧).

(٦) نبى: كل ما ارتفع من الأرض، وفسروه بمائدة من الخوص - انظر: النووى: المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٨/١٤) وابن منظور: لسان العرب، مادة نبا (٣٠١/١٥).

(٧) الأدم: جمع الأدم وهو ما يؤكل بالخبز أى شىء كان - انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة آدم (٨/١٢).

(٨) صحيح: رواه مسلم (٢٠٥٢) كتاب الأشربة.

أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيَجْهَرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَّتَنَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ». وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسَلَنِي مَنْ هَذَا، فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ... وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ - أَوْ قَالَ: - لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ»<sup>(١)</sup>. هكذا كان يتعامل النبي ﷺ مع نفسية أصحابه فيُعلَى من شأنهم، فيسعد لسعادتهم ويحزن لحزنهم.

وفي أحلك لحظات المسلمين شدة وجدنا رسول الله ﷺ مع أصحابه كواحد منهم، يعاني مما يعانون، ويتألم مما يتألمون، ويلتمس أى شىء يكون سبباً في إشباعهم من الجوع، وإسعادهم من الحزن... فرغم جوع المسلمين في الخندق، ورغم قلة الطعام الذى أعده جابر بن عبد الله رضي الله عنه إلا أن رسول الله ﷺ لم يأكل دون إشراك أصحابه معه؛ حيث نادى في أصحابه قائلاً: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا<sup>(٢)</sup>، فَحَيَّ هَلَا بِكُمْ<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

كما نجده ﷺ يشارك أصحابه في أزماتهم ومصائبهم مشاركة فعالة بتبشيرهم تارة بثواب ونعيم الله في الآخرة، وبحلّ مشاكلهم حلاً عملياً تارة أخرى. فها هو ذا يبشر عبد الله بن جحش رضي الله عنه عندما شكاه له أن أبا سفيان قد أخذ دارهم في مكة بعد الهجرة وباعها، فقال له: «أَلَا تَرْضَى يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٢٠٤).

(٢) صنع سُورًا: أى طعاماً دعا الناس إليه - انظر ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (٧/٣٩٩)، وابن منظور: لسان العرب: مادة سور (٤/٣٨٤).

(٣) حى هلاً بكم: أى ابدأ بكم وعجل، وهى كلمة استدعاء فيها حث، أى هلمُّوا مُسرعين - انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (٧/٣٩٩)، وابن منظور: لسان العرب، مادة حيا (١٤/٢١١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٠١) (٤١٠٢) كتاب المغازى - ومسلم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة.

بَهَا دَارًا خَيْرًا مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟» قَالَ: بَلَى؛ قَالَ: «فَذَلِكَ لَكَ»<sup>(١)</sup>.

ويأتي صحابي آخر قد أُصيب في عهد الرسول ﷺ في ثمار اتباعها فكثرت دينه، فيقول ﷺ لأصحابه: «تصدقوا عليه». فتصدق الناس عليه، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال رسول الله ﷺ لغرمائه: «خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

فقد كان رسول الله ﷺ نعم الصاحب لأصحابه؛ يقف معهم في أفراحهم وأتراحهم، وفي قوتهم وضعفهم، فلم يتميز ﷺ عنهم بمزية، بل كان كواحدٍ منهم في المأكل والمشرب والملبس، وهو ما جعل كثيرًا من المشركين يتعجبون لهذه الرابطة القوية التي جمعتهم بأصحابه، فقال أبو سفيان ابن حرب قبل إسلامه: «مَا رَأَيْتُ مِنْ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا!!»<sup>(٣)(٤)</sup>.

### حسن معاملة النبي ﷺ لجنوده

الشخصية القيادية فطرة حباً لله بها أشخاصاً معينين، فكانوا قادةً أفذاذاً، وعلى رأس هؤلاء القادة الأفذاذ يأتي أنبياء الله، الذين قادوا الأمم والشعوب إلى طاعة الله عز وجل... وقد تناول القرآن قصصهم مع شعوبهم؛ لتكون نموذجاً ومثالاً يحتذى به كل قائد... لذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٥)</sup>، ثم سار النبي ﷺ على خطى هؤلاء الأنبياء، فكان أعظم قائد عرفته البشرية.

وإذا نظرنا إلى سيرته ﷺ نجده قائداً مُحَنَكًا - في كل أمور الحياة: إدارية،

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٣/٢٨)، والسهيلي: الروض الأنف (٤/١٦٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٥٦) كتاب المساقاة - وقد كفل الإسلام حق الدائنين كما أقر التشريع الإسلامي، انظر: الخطاب الرعيني / مواهب الجليل (٥/٧).

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية - (٢/١٧٢).

(٤) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين).

(٥) سورة يوسف: الآية: (١١١).

واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وعسكرية - يعرف جيداً قيمة جنوده وقدراتهم، فعمل ﷺ على غرس المبادئ الإسلامية الراسخة في قلوبهم، فكان أولها - وأهمها كذلك - غرس الثقة في الهدف الذي يعملون من أجله؛ وهو إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .. وكان ﷺ القدوة والمثل في ذلك فنجده ﷺ يقول لزعماء قريش عندما عرضوا عليه الدنيا: «مَا جِئْتُمْ بِمَا جِئْتُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالِكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَإِنْ تَقَبَّلُوا مِنِّي مَا جِئْتُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنْ تَرَدَّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ»<sup>(١)</sup>. فالهدف واضح في ذهنه ﷺ، وثقته كبيرة بنصر الله له رغم التكذيب والعناد الذي يلاقه.

ثم نجده ﷺ ينقل ثقته إلى أتباعه فيقول لخباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدما اشتكى من قسوة تعذيب قريش له: «... وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاکِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»<sup>(٢)</sup>.

ثم نجده ﷺ يضع كل رجل مناسب في مكانه المناسب .. فقد كان الرسول يعرف جيداً قدرات رجاله، فهم - في نظره - العناصر الرئيسة التي يعتمد عليها القائد، ومعرفته بهم تصنع بينهم وبينه انسجاماً متبادلاً، وتدفعهم لتقديم الجهود؛ بل والإبداع في عملهم ... فلننظر إلى سيرته ﷺ سنجدها خير شاهدٍ على ذلك، ففي غزوة بدر يُشير الحُباب بن المنذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو الخبير بالأمر العسكري - على رسول الله ﷺ بقوله: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَتَنْزِلُهُ ثُمَّ نُعَوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقَلْبِ<sup>(٣)</sup> ثُمَّ

(١) صحيح: رواه البخارى في خلق أفعال العباد (٨١)، وأسباب النزول للواحدي (١٩٨)، وابن هشام السيرة (٢/ ٣١٦)، .

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٦١٢) كتاب المناقب، (٦٩٤٣) كتاب الإكراه.

(٣) القلب، جمع قلب، وهو البئر - انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة قلب (١/ ٦٨٥).

بَنَى عَلَيْهِ حَوْضًا فَمَلَأُوهُ مَاءً، ثُمَّ نَقَاتِلِ الْقَوْمَ فَنَشْرَبْ وَلَا يَشْرَبُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أَشْرَتْ بِالرَّأْيِ»<sup>(١)</sup>.

ونجده ﷺ يعرف بوضوح إمكانات كل صاحب له ﷺ حتى لا يتردد في وصف كل واحدٍ منهم بوصفٍ يوضح تفوقه على أقرانه في مجالٍ مُعين، فأبو بكر ﷺ أرحم الأمة، وعمر بن الخطاب ﷺ الفاروق، وعثمان ابن عفان ﷺ أصدقهم حياءً، وعلي بن أبي طالب ﷺ أفضى الصحابة، وجعفر بن أبي طالب ﷺ أخير الناس للمسكين، وخالد بن الوليد ﷺ سيفٌ من سيوف الله، ومعاذ بن جبل ﷺ أعلمهم بالحلال والحرام، وزيد ابن ثابت ﷺ أعلمهم بالفرائض، وأبي بن كعب ﷺ أقرأ الأمة، وحمزة ابن عبد المطلب ﷺ أسد الله.

وكان رسول الله ﷺ قائداً فذاً في كل مجالٍ من مجالات الحياة، ومن أبرز هذه المجالات: المجال العسكري، وما حدث في غزوة بدر خير شاهدٍ على هذه العبقرية في القيادة... فقبل المعركة بدأ النبي ﷺ في تنظيم صفوف جنوده؛ ليكونوا على استعداد تام في مواجهة مشركي قريش... ولما ابتدأت المعركة بالمبارزة، اختار رسول الله ﷺ ثلاثة من جنده الأشداء في مواجهة خصومهم، وقد كان اختياره موفقاً لأبعد حدٍّ؛ لِعِلْمِهِ - وهو القائد - بحقيقة جنده وحالهم، فقال ﷺ: «قم يا عبدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي». فقتل الله عبته وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبدة، فسبب ذلك هزيمة نفسية للمشركين قبل لقاءهم الفعلي مع المسلمين، فقتل المسلمون منهم سبعين، وأسروا سبعين آخرين<sup>(٢)</sup>.

كما غرس فيهم - أيضاً - مبدأ (المبادرة والإبداع)، وتظهر هذه الصفة جلية

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (١/٦٢٠)، وابن كثير: السيرة النبوية (٢/٤٠٢) والسهيلي: الروض الأنف (٣/٦٢)، والطبري: تاريخ الأمم والملوك (٢/٢٩).

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية (٢/٤٢٣)، وابن سيد الناس: عيون الأثر (١/٣٧١)، والطبري: تاريخ الأمم والملوك (٢/٢٢).





واضحة في الأمور التي تحتاج إلى قرارٍ سريعٍ حاسمٍ، ونظرٍ ثاقبٍ، وقدّم ﷺ القدوة والمثل في ذلك... فلننظر إلى صلحه ﷺ مع مشركي قريش في الحديبية، فهو يدلُّ - ولا شكَّ - على حنكة وحسن سياسة من الرسول القائد؛ إذ كانت من النتائج المترتبة على هذا الصلح أن اعتُبر المسلمون في درجة مساوية لقريش، وهو أول اعتراف بالدولة الإسلامية من أشد أعدائها وأقواهم في الجزيرة العربية، بل وأدى - أيضًا - إلى محالفة مجموعة من القبائل لرسول الله ﷺ، ثم أدى كذلك إلى الاستقرار الأمني الذي أعان المسلمين على نشر دعوتهم ودينهم في القبائل والقرى المجاورة؛ فكان هذا الصلح دليلاً على عمق نظرته ﷺ<sup>(١)</sup>.

ولننظر إلى إبداعه ﷺ وهو يخطط للهجرة؛ بداية من اختياره للرفيق وهو خير أصحابه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم للطريق الذي يسلكه؛ حيث اختار ﷺ طريقاً غير معهود لقريش، وهو طريق السواحل، وكذلك مكثه في غارٍ بجبل ثور ثلاث ليالٍ؛ حتى تهدأ الأمور، ثم اختيار عبد الله بن أُريقط (المشرك) دليلاً، وإرساله عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه ليأتي بخبر قريش، وانتهاءً برعى عامر بن فهيرة للغنم حول الغار حتى يوفر الأمان، ثم تتجلى عظمته القيادية في توكله بعد ذلك على الله، واطمئنانه إلى معيته<sup>(٢)</sup>، فيقول لأبي بكر رضي الله عنه: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»<sup>(٣)</sup>.

ولم يعمل ﷺ على غرس هذه القيم والمبادئ بالكلمات الجوفاء، والأحاديث الرنانة، ولكنه كان قدوة ومثلاً في كل شيء، فكان ﷺ يؤثر في

(١) محمود شيت خطاب / الرسول القائد (ص ٢٨٨).

(٢) السهيلي: الروض الأنف (٢/ ٣١٥)، وابن كثير: البداية والنهاية (٣/ ١٧٩-١٨٢)، وابن قيم الجوزية: زاد المعاد (٣/ ٤٥)

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣) كتاب فضائل الصحابة - ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

الآخرين بأقواله وأفعاله في تواضعه وحلمه، ورحمته وصبره..

ففى غزوة الأحزاب نجده ﷺ يرفع معنويات جنوده، ويدخل السرور عليهم عندما يشاركهم بنفسه ﷺ فى حفر الخندق، وهو يرتجز بكلمات ابن رواحة - أثناء نقله ﷺ للتراب - وقد وارى التراب بياض بطنه ﷺ<sup>(١)</sup>، فكان لهذا التبسط والمرح منه ﷺ أثره فى التخفيف عن الصحابة مما يعانونه أثناء هذه الغزوة، كما كان له أثره فى بعث الهمة والنشاط، وإنجاز المهمة قبل وصول عدوهم، فكان بذلك خير قائد ﷺ.

كما غرس فيهم ﷺ مبدأ الحزم، وكان النبى ﷺ قمة فى هذه الصفة أيضًا؛ فلننظر إلى حزمه ﷺ عندما نادى فى صحابته بعد انتهاء غزوة الأحزاب: «أن لا يُصَلِّينَ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فى بَنى قُرَيْظَةَ»<sup>(٢)</sup>.

فكان قرارًا حازمًا من القائد ﷺ لجنوده، فخرج الجميع لمواجهة مَنْ خان العهد وتعاون مع الأعداء.

أما عدله مع جنوده فقد ضرب فيه ﷺ المثل الذى لا يُضاهى.

ففى غزوة بدر كان رسول الله ﷺ ينظم صفوف أصحابه وفى يده قذح يعدل به القوم، فمرَّ بسواد بن غزيرة (رضي الله عنه)<sup>(٣)</sup> وهو مُستتل<sup>(٤)</sup> من الصف، فطعنه فى بطنه بالقدح، وقال «استويَا سَوَادُ» فقال: يا رسول الله، أوجعتنى، وقد بعثك الله

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (١/٤٩٥)، وابن كثير: السيرة النبوية (٢/٣٠٦)، والسهيلي: الروض الأنف (٢/٣٣٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٩٤٦) كتاب الخوف - ومسلم (١٧٧٠) كتاب الجهاد والسير.

(٣) هو سواد بن غزيرة الأنصارى: شهد بدرًا والمشاهد بعدها، وهو الذى أسر خالد بن هشام المخزومى يوم بدر، وكان عامل رسول الله ﷺ على خيبر - انظر: ابن الأثير: أسد الغابة (٢/٥٦١)، وابن عبد البر: الاستيعاب (٣/٦٧٣).

(٤) استتلت: تقدّم - انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة نتل (١١/٦٤٤).

بالحق والعدل. فأقِدني<sup>(١)</sup>. فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه. وقال: «استقِد»<sup>(٢)</sup>. فاعتنقه فقبَّل بطنه، فقال ﷺ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ؟» قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمَسَّ جلدِي جلدك .. فدعاه رسول الله ﷺ بخير<sup>(٣)</sup>.

هكذا كانت تعاملات رسول الله ﷺ مع جنوده، فكان بحق قائدًا إنسانًا في كل موقف من مواقف حياته، وفي كل غزوة من غزواته ... فكانت تعاملاته هذه سمة قيادية جديدة تستمدُّ عونها وتوفيقها من الله؛ حتى يتأسى بها مَنْ يأتي بعده من القادة إلى يوم الدين<sup>(٤)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أقدني: أي مكنتني من القصاص لنفسى ... والقود: القصاص - انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة قود (٣/ ٣٧٠).

(٢) استقِد: أي اقتص مني - انظر المرجع السابق.

(٣) حسن: رواه ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢٦٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، وابن الأثير في أسد الغابة، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٣٥).

(٤) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين).





تعاملات النبي ﷺ

مع غير المسلمين





## تعاملات النبي ﷺ مع غير المسلمين

### كان حريصاً على هدايتهم

✽ لقد بعث الله رسوله محمداً ﷺ ليُخرج الناس من ظلمات الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان.... وكان النبي ﷺ يسلك في سبيل ذلك مسلماً كله رحمة ووسطية... فلقد كان يتمنى الهداية لهم من أعماق قلبه.

بل لقد كاد قلبه أن يتمزق حزناً عليهم بسبب إعراضهم عن طريق الحق والهداية... ولذا قال له (جل وعلا): ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (١).

✽ وعلى الرغم من قسوتهم وعنادهم إلا أن النبي ﷺ أبى أن يدعو عليهم... فلقد جاء رهطٌ من الصحابة بعدما نالوا قسطاً وافراً من العذاب على أيدي مشركي قريش فقالوا للنبي ﷺ: «ألا تدعو الله على المشركين». فقال ﷺ: «إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لِعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً» (٢).

✽ بل كان يدعو للمشركين بالهداية... ولم يكن دعاؤه لعامة المشركين فحسب بل كان يدعو لمن عاداه وآذاه.

✽ فهذا هو يدعو لأبي جهل ولعمر بن الخطاب قبل إسلامه ويقول: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» (٣).

(١) سورة الكهف: الآية: (٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٢٥).

❁ ومع كل هذا اللين وتلك الرحمة التي سلكها النبي ﷺ في دعوتهم إلا أنهم آذوا النبي ﷺ إيذاءً شديداً فقابل إيذاءهم بالصبر والعفو والتسامح عسى الله أن يفتح قلوبهم للحق.

- فلقد رموا النبي ﷺ بالسحر والجنون والكهانة وألقوا سلا الجزور على ظهره، وألقوا التراب فوق رأسه وطرده من مكة فخرج وهو يبكي ويقول: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت..» ودبروا عشر مؤامرات للقضاء على النبي ﷺ واتهموه في عرضه وفرضوا عليه حصاراً في شعب أبي طالب هو وأصحابه ثلاث سنوات حتى أكلوا ورق الشجر.

ومع كل هذا كان النبي ﷺ يرفع شعار: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

❁ وبعد وفاة عمه أبي طالب اشتد إيذاء المشركين له.

فيروى ابن هشام قائلاً: فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً... فلما دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: «لَا تَبْكِي يَا بِنْتِي فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعُ أَبَاكَ»<sup>(١)</sup>.

❁ ولما ذهب إلى أهل الطائف ليدعوهم إلى الله فأبوا أن يستجيبوا له وآذوه أشد الإيذاء ومع ذلك لم يدع عليهم بالهلاك بل رفض أن يقضى عليهم ملك الجبال.

فعندما قال له ملك الجبال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن هشام (السيرة النبوية) (٤١٦/١).

(٢) الأخشبين: جبلى مكة أبي قبيس ومقابلة فعيقان، سُميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما.

والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة، ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقاً واحداً.

انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (٣١٦/٦).



قال رسول الله ﷺ: « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحَدَّهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » (١).

❁ وكان إذا حاورهم فإنما كان يحاورهم بكل أدب ورحمة :

امتثالاً للمنهج القرآني الذي ورد في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ (٢) (٣)، فالرسول ﷺ يعلم على وجه اليقين أنه على الحق والهدى، ومع ذلك أمره الله في تحاوره مع المشركين أن يقول لهم: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾، إنها الأرضية المشتركة التي نقف عليها.. أحدنا على حقٍّ والآخر على باطل، فلنتناقش ولنتحاور حتى نصل إلى الحقيقة الغائبة؛ إنها طريقة الحوار المثلى، وغاية الأدب، ومنتهى سمو الأخلاق، ثم يُعلمه الله أن يخاطبهم في أدبٍ جَمِّ فيقول لهم: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾!.

فقد أمر الرسول ﷺ بأن ينسب (الجُرم) إلى نفسه، وهو عادة يأتي في الأخطاء والزلات، وينسب لفظ (العمل) لهم، وهو يحتمل الصلاح أو الفساد، ثم يُسلم الأمر كله بعد ذلك لله ﷻ، فيقول: إن الله ﷻ سيجمع بيننا جميعاً يوم القيامة، ويحكم بيننا بالحق الذي يراه، فنعرف ساعتها من الذي أصاب ومن الذي أخطأ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق - ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد.

(٢) سورة سبأ: الآيات: (٢٤-٢٦).

(٣) سورة سبأ مكية بإجماعهم، إلا آية واحدة اختلف فيها، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ﴾

[سبأ: ٦]، فقالت فرقة: هي مدنية، والمراد بالمؤمنين من أسلم بالمدينة؛ كعبد الله بن سلام وغيره.

انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٥٨).

وهذه - ولا شك - أرقى وسيلة ممكنة من وسائل التحاور، لا تحمل أى صورة من صور العصبية والتزمت، إنما فيها كل الأدب، وكل التقدير للطرف الآخر.

### كان لا يكره أحداً على الدخول فى الإسلام

✽ وأما مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى فقد كان النبي ﷺ لا يكره أحداً على الدخول فى الإسلام ممتثلاً قول ربه (جل وعلا): ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومما يؤكد هذه الحقيقة ما ورد فى سبب نزول الآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ<sup>(٣)</sup>، فقد جاء أنه كان لرجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف ابنان متصران قبل مبعث النبي ﷺ، ثم قَدِمَا المدينة فى نفر من النصارى يحملون الزيت، فلزمهما أبوهما، وقال: لا أدعكما حتى تُسَلِّمَا. فأبيا أن يُسَلِّمَا؛ فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أيدخل بعضى النار وأنا أنظر؟! فأنزل الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الآية، فخلَّى سبيلهما<sup>(٤)</sup>.

✽ وهكذا تمتعت الأقليات غير المسلمة فى أرض الجزيرة بالحرية الدينية وهى ما يُسَمَّى بحرية الاعتقاد.

✽ وكان للنبي ﷺ مع أهل الكتاب مواقف فى قمة الرحمة والعدل والإنصاف.

- فهى أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها تقول: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّى وهى مشركة فى عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها، فاستفتت رسول الله ﷺ

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٢) سورة يونس: الآية: (٩٩).

(٣) انظر: الواحدى النيسابورى: أسباب النزول (ص ٥٣)، والسيوطى: لباب النزول (ص ٣٧).

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ صَليهَا»<sup>(١)</sup>.

### ❁ واشترى ﷺ من اليهود ورهن درعه عند يهودى :

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: اشترى رسول الله ﷺ من يهودى طعامًا نسيئة ورهنه درعه<sup>(٢)</sup>... والنسيئة التأخير أى مع تأخير دفع الثمن إلى أجل. وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: توفي النبي ﷺ وَدِرْعُهُ مَرهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ<sup>(٣)</sup>.

### ❁ وأهداهم ﷺ وقبل هداياهم :

أهدت امرأة سلام بن مشكم للرسول لله ﷺ شاة مسمومة، وأكثرت من السم في ذراع الشاة لِمَا عرفته أن الرسول يُؤثرها، وقد تناول النبي ﷺ مضغًا منها فلاكها (مضغها) ثم لفظها وهو يقول: «إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لِيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ»، وكان معه بشر بن البراء فأساغ اللحم وازدرده، فجىء بالمرأة الجانية فاعترفت بما صنعت وقالت: بلغت من قومي ما لا يخفى عليك، فقلت: إن كان ملكًا استرحت منه، وإن كان نبيًّا فسيُخبر.. فتجاوز عنها النبي ﷺ، ثم مات بشر بعد ما سرى السم في جسمه فقيل: اقتص له منها.. وقيل بل أسلمت وعفا عنها<sup>(٤)</sup>.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجىء بها فقيل: ألا نقتلها؟ قال: «لا». فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٢٠) كتاب الهبة - ومسلم (١٠٠٣) كتاب الزكاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٩٦) كتاب البيوع - ومسلم (١٦٠٣) (١٢٤) كتاب البيوع.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩١٦) كتاب الجهاد - ومسلم (١٦٠٣) (١٢٦) كتاب البيوع.

(٤) صحيح: صححه الألبانى فى فقه السيرة للغزالي. وأصله فى الصحيحين.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦١٧) كتاب الهبة - ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

كما أهدى رسول الله ﷺ مَلِكَ أَيْلَةَ بُرْدًا،... وأيلة بلد معروف بين مصر والشام.  
 \* عن أبي حميد الساعدي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام تبوك حتى  
 جئنا وادي القرى، وإذا امرأة في حديقة لها، فقال رسول الله ﷺ: «اخرصوا».  
 قال: فخرص القوم وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسق وقال للمرأة: «أحصي  
 ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله» قال: فخرج حتى قدم تبوك، فقال  
 رسول الله ﷺ: «إِنهَا سَتَهَبُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُومُ مِنْكُمْ فِيهَا رَجُلٌ،  
 فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيُوثِقْ عِقَالَهُ» قال: قال أبو حميد: فَعَقَلْنَاهَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ  
 هَبَّتْ عَلَيْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ فِيهَا رَجُلٌ، فَأَلْقَتْهُ فِي جَبَلِي طَيِّبٍ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ  
 اللَّهِ ﷺ مَلِكُ أَيْلَةَ، فَأَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَغْلَةً يَبِيضَاءَ، فَكَسَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَحْرِهِ، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ وَأَقْبَلْنَا مَعَهُ<sup>(١)</sup>.

\* وَعَاهَدَهُمْ ﷺ وَحَرَّمَ خِيَانَةَ عَهْدِهِمْ:

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ  
 شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
 الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ  
 الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»<sup>(٣)</sup>.

\* بل وها هو يزور غلامًا يهوديًا كان مريضًا ويعرض عليه الإسلام فيسلم.  
 قال أنس رضي الله عنه: كان غلامٌ يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض؛ فأتاه النبي ﷺ  
 يعودُه؛ فقعَدَ عندَ رأسه؛ فقال له: «أَسْلِمَ». فنظر إلى أبيه وهو عنده؛ فقال له: أطلع

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ - ح ٣٧٠٠٦.

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣١٦٦) كتاب الجزية.

(٤) رسالة محمد ﷺ / للشَّيْخِ جَمَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (ص ١٠٤-١٠٦) بتصرف.

أبا القاسم. فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

✽ بل ها هو موقف في قمة الرحمة نسوقه للكون كله من حياة النبي ﷺ...  
فعن ابن أبي ليلي أن قيس بن سعدٍ وسهل بن حنيفٍ رضي الله عنهما كانا بالقادسية، فمَرَّتْ  
بهما جنازة فقاما فقيل لهما: إنها من أهل الأرض<sup>(٢)</sup>، فقالا: إن رسول الله ﷺ  
مَرَّتْ به جنازة فقام، فقيل: إنه يهودى فقال: «أليست نفسًا»<sup>(٣)</sup>.

✽ بل كان النبي ﷺ ينهى أمته عن ظلم أى إنسان ولو كان كافراً.

قال رضي الله عنه: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ»<sup>(٤)</sup>.

من ذلك ما رواه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثِينَ  
وَمِائَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟»، فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ  
أَوْ نَحْوَهُ، فَعَجِنَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ، مُشْعَانٌ (ثائر الرأس) طَوِيلٌ، بَغْنَمٍ  
يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً»، أَوْ قَالَ: «أَمْ هِبَةٌ؟»<sup>(٥)</sup>، قَالَ: لَا بَلْ بَيْعٌ،  
فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً، فَصْنَعَتْ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَوَادِ الْبَطْنِ<sup>(٦)</sup> أَنْ يُشَوَى... وَإِيمُ اللَّهِ،  
مَا فِي الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ إِلَّا قَدْ حَزَّ<sup>(٧)</sup> النَّبِيُّ ﷺ لَهُ حُرَّةٌ<sup>(٨)</sup> مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا، إِنْ كَانَ

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٥٦) كتاب الجنائز.

(٢) من أهل الأرض أى: من أهل الذمة، وقيل لأهل الذمة أهل الأرض لأن المسلمين لما فتحوا البلاد  
أفروهم على عمل الأرض وحمل الخراج. وقيل: معناه جنازة كافر من أهل تلك الأرض - انظر: ابن حجر

العسقلانى فتح البارى (٣/ ١٨٠)، والنووى: المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/ ٣٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٣١٢) كتاب الجنائز - ومسلم (٩٦١) كتاب الجنائز.

(٤) حسن: رواه أحمد، وأبو يعلى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٩).

(٥) وفيه جواز بيع الكافر وإثبات ملكه على ما فى يده، وجواز قبول الهدية منه - انظر: ابن حجر  
العسقلانى: فتح البارى (٤/ ٤١٠).

(٦) سواد البطن: هو الكبد أو كل ما فى البطن من كبد وغيرها - انظر المصدر السابق (٥/ ٢٣٢).

(٧) حَزَّ: قطع، وقيل: قطع بغير إبانة - انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة حزز (٥/ ٣٣٤).

(٨) الحزّة: هى القطعة من اللحم وغيره - انظر: النووى: المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج

شَاهِدًا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ<sup>(١)</sup>، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ، فَجَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ، فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ وَشَبِعْنَا، فَفَضَلَتِ الْقَصْعَتَانِ، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى الْبَعِيرِ<sup>(٢)</sup>.

- ولقد كان النبي ﷺ يستطيع هو وأصحابه أن يأخذوا الشاة من هذا الرجل المشرك بلا ثمن ... فقد كان عدد المسلمين كبيراً وكانوا في حاجة إلى تلك الشاة... وهذا الرجل كافر ولم يكن معه أحد... لكن النبي ﷺ يعطى الكون كله درساً في العدل حتى يعلموا أن الإسلام هو دين العدل والرحمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أعطاه إياه: هو من القلب وأصله أعطاه إياها.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦١٨) كتاب الهبة - ومسلم (٢٠٥٦) كتاب الأشربة.



أخلاق الرسول  
صلى الله  
عليه  
وسلم

في الحروب







## أخلاق الرسول ﷺ في الحروب

✽ إننا عندما نتحدث عن أخلاق الحروب فكأننا نتحدث عن قصة من قصص ألف ليلة وليلة... فإن الحرب هي عنوان للدمار والخراب والظلم والبغى فكيف يكون هناك مجال للأخلاق في الحروب.

لكن الواقع يشهد أن النبي ﷺ قد تعامل مع أعدائه في الحروب بأخلاقٍ لا تخطر على قلب بشر... فأخلاق النبي ﷺ لا تختفى أبداً في السلم أو في الحرب فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

حتى أن أحد أحبار اليهود (زيد بن سعنة) ذكر أن النبي ﷺ قد وُصف في التوراة بأنه يسبق حلمه جهله وأنه لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا.

### أخلاق النبي ﷺ قبل بدء الحرب

نحن نعلم كيف أن العالم قبل بعثة النبي ﷺ كان يعاني من ويلات الحروب.. وكانت الحروب تشتعل بين القبائل العربية لأتفه الأسباب وتستمر لسنواتٍ طويلة حتى تقضى على الأخضر واليابس... فأرسل الله (جل وعلا) رسوله ﷺ لينقل الناس من حالة الحرب والدمار إلى حالة السلم والأمن والإيمان.. بل وليعلمهم مكارم الأخلاق... فقد قال النبي ﷺ: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ »<sup>(١)</sup>.

### إنما جاء الإسلام بالسلام

إن الإسلام لا يزداد انتشاراً إلا في وقت السلام حيث تنهياً القلوب والعقول لقبول الحق.. ولهذا كان النبي ﷺ يميل دائماً إلى السلام وكان يبحث عن

(١) صحيح: رواه الحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٩).

الطرق السلمية في التعامل مع المخالفين له.

﴿فَهُوَ ﷺ﴾ يعلم يقينا أن تعدد الشعوب والأديان ليس مدعاة للحرب والخصومة وإنما هو مدعاة للتعارف ونشر الخير فيما بينهم وذلك لأن الله ﷻ قال في كتابه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿فَهُوَ ﷻ﴾ ولذا وردت كلمة السلم بمشتقاتها في القرآن مائة وأربعين مرة في حين أنه وردت كلمة الحرب بمشتقاتها في القرآن ست مرات حتى جاءت بعض الآيات تحض المسلمين على قبول السلم مع غير المسلمين إن أبدى هؤلاء الاستعداد والميل للصلح والسلام.

فيقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾<sup>(٢)</sup>، وهذه الآية الكريمة من كتاب الله ﷻ، تبرهن بشكل قاطع على حب المسلمين وإيثارهم لجانب السلم على الحرب.. فمتى مال الأعداء إلى السلم رضى المسلمون به، ما لم يكن من وراء هذا الأمر ضياع حقوق للمسلمين أو سلب لإرادتهم.

قال السدي وابن زيد: معنى الآية: إن دعوك إلى الصلح فأجبهم.

والآية التالية لهذه الآية تؤكد حرص الإسلام على تحقيق السلام، فلو أن الأعداء أظهروا السلم، وأبطنوا الخيانة؛ فلا عليك من نياتهم الفاسدة، واجنح للسلم... قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

أى أن الله يتولى كفايتك وحياطتك<sup>(٤)</sup>.

﴿فَهُوَ ﷻ﴾ فالمسلم بطبيعته الأخلاقية لا يحب الدماء والقتل ولذلك فهو لا يبدأ

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٦١).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٦٢).

(٤) راجع في هذا المعنى القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٤/٤٠٠).

أحدًا بالقتال بل يسعى ابتداءً لتجنب القتال وسفك الدماء.  
حتى إن النبي ﷺ كان يقول لأصحابه: «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية...»<sup>(١)</sup>.

ولذا قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول القرطبي رحمه الله: هذه الآية أول آية نزلت في الأمر بالقتال ولا خلاف في أن القتال كان محظورًا قبل الهجرة بقوله: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾<sup>(٤)</sup>، وما كان مثله مما نزل بمكة ... فلما هاجر إلى المدينة أُمر بالقتال.

ويجب التعليق هنا بأن الأمر بالقتال إنما جاء لمحاربة من يقاتلنا فقط، دون من سالمنا، وجاء التأكيد الشديد على ذلك المعنى بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، ثم التحذير للمؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فالله عز وجل لا يحب الاعتداء، ولو كان على غير المسلمين، وفي هذا تحجيم كبير لاستمرار القتال ... وهذا فيه من الرحمة بالإنسانية جميعًا ما فيه.  
ويقول سبحانه وتعالى في سورة التوبة: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَأَفَّةً كَمَا يُقْتِلُونَكُمْ كَأَفَّةً﴾<sup>(٥)</sup>.

فالقتال هنا مقيد، وبحسب قتالهم واجتماعهم لنا؛ يكون فرض اجتماعنا لهم<sup>(٦)(٧)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٦٦) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (١٧٤٢) كتاب الجهاد والسير.

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٩٠).

(٣) سورة فصلت: الآية: (٣٤).

(٤) سورة المائدة: الآية: (١٣).

(٥) سورة التوبة: الآية: (٣٦).

(٦) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٤/٤٧٤).

(٧) أخلاق الحروب في السنة النبوية / د. راغب السرجاني (ص ٧٢).

✽ ولذلك فنحن نلاحظ أن المسلمين لم يقاتلوا أحداً إلا إذا بدأهم بالقتال.. فالإذن بالقتال لم يأتِ إلا بعد أن بدأ المشركون بحرب المسلمين فكان لا بد للمسلمين من أن يدافعوا عن أنفسهم.... ولذا فإن علة القتال واضحة في الآية، وهي أن المسلمين ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حقّ..

✽ ولذلك لم يكن هدف المسلمين قتال أحد... بل كانوا يعرضون الإسلام بكل رحمة وأدب فإن لم يقبل الكفار ذلك عرضوا عليهم الجزية وذلك في مقابل حمايتهم والدفاع عنهم وتركهم وما يدينون.. فإن أبوا فالقتال ولم يبدأوا الكفار بقتال حتى يبدأ الكفار بقتالهم... وهذا ما كان يحدث في الفتوحات الإسلامية.

✽ ولذلك نجد أن المسلمين حاربوا الفرس والروم ولم يحاربوا أهل الحبشة مع أن حربهم أيسر من الفرس والروم... وذلك لأن أهل الحبشة لم يحاربوا المسلمين.. أما الفرس والروم فقد جمعوا للمسلمين وحاربوهم.

✽ فالمسلم لا يقاتل أحداً إلا لعله واضحة كالظلم أو اغتصاب حقوق المسلمين أو منع المسلمين من نشر دينهم أو نحو ذلك.

✽ فمن يستطيع أن يقول بعد ذلك أن المسلمين كانوا يحبون القتل وسفك الدماء.

### لماذا قاتل رسول الله ﷺ؟! (١)

تفاوتت دوافع القتال بين الأمم المختلفة؛ فقد يكون الباعث على القتال تسلطاً وفرضاً للقوة كما كان عند الإغريق والرومان، وقد يكون إغارات هوجاء

(١) بتصرف من كتاب (أخلاق الحروب في السنة النبوية) لأخي الحبيب الدكتور راغب السرجاني (حفظه الله).

للاستيلاء على الكلاً والماء كما كان عند العرب في الجاهلية ... وقد يكون عقيدة في ضمائر شعب آمن - زوراً وبهتاناً - بأنه فوق مستوى الشعوب كما هو عند اليهود ... وقد يكون ضرورة أملت لها السياسة بعد أن حرّمها الدين كما كان عند المسيحية.. إلى آخر هذه الدوافع<sup>(١)</sup>.

ولسنا نجد دافعاً من هذه الدوافع وراء القتال عند رسول الله ﷺ.

لقد جاء التشريع الإسلامي فهذب طباع الإنسان، وعدّل سلوكه، وأعطاه حق الدفاع عن نفسه، ومنعه من العدوان على حقوق الآخرين، وارتفع به عن مستوى الانتقام إلى مستوى العفو.. فقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٩﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

فمشروعية القتال في الإسلام غيرها في الأنظمة والقوانين، ومن شاء أن يدرس طبيعة الحروب الإسلامية؛ فليدرس طبيعة الإسلام ذاته حتى لا يطبق على هذه الحروب مقاييس غيرها من حروب التوسع والعدوان<sup>(٣)</sup>.

إن رؤية رسول الله ﷺ للدوافع التي ينبغي أن تقوم الحرب من أجلها واضحة وهي دوافع لا ينكرها منصف، ولا يعترض عليها محايد. وهذه الدوافع تشمل ردّ العدوان، والدفاع عن النفس والأهل والوطن والدين، وكذلك تأمين الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاول الكافرون أن يفتنهم عن دينهم، وأيضاً حماية الدعوة حتى تُبلِّغ للناس جميعاً، وأخيراً تأديب ناكثي العهد<sup>(٤)</sup>.

(١) الدكتور عبد اللطيف عامر / أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية (ص ٤٥).

(٢) سورة الشورى: الآيات: (٤٠-٤٣).

(٣) الدكتور عبد اللطيف عامر / أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، (ص ٤٥، ٤٦).

(٤) أنور الجندي / بماذا انتصر المسلمون؟ (ص ٥٧-٦٢) بتصرف.

وَمَنْ فِي الْعَالَمِ يَنْكُرُ مِثْلَ هَذِهِ الدَّوَاعِفِ لِلْقِتَالِ؟!!

ومع أن أهداف القتال في الإسلام كلها نبيلة إلا أن رسول الله ﷺ لم يكن متشوقاً أبداً لحرب الناس، ولا مشتاقاً لقتلهم، وذلك على الرغم من بدايتهم للعدوان، وعداوتهم الظاهرة للمسلمين، وكان من أظهر الدلالات على ذلك أنه كان يدعوهم إلى الإسلام قبل القتال. ولا ينبغي أن يفهم أحدٌ أنه يفعل ذلك ابتداءً، فيبدو وكأنه إكراه على اعتناق الإسلام، فقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك عند تعيين القتال فعلاً، فإذا حضر الفريقان إلى أرض القتال جعل للفريق المعادى فرصة أخيرة لتجنب إراقة الدماء، وهذه من أبلغ صور الرحمة، لأن الفريق المعادى مُستباح الدم الآن، والعفو عنه غير متوقع .. كما أن الرسول ﷺ كان يفعل ذلك والقوة في يده، ويستطيع بكلمة واحدة أن يُبِيدَ مَنْ أَمَامَهُ، ولكنَّه يرحمهم!

قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد تحت عنوان: الدعوة قبل القتال: «وكان ﷺ يأمر أمير سرّيته أن يدعو عدوه قبل القتال إما إلى الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين ليس لهم في الفىء نصيب .. أو بذل الجزية، فإن هم أجابوا إليه قبل منهم وإلا استعان بالله وقاتلهم»<sup>(١)</sup>.

وهذا الخلق الرائع من إنشاء الإسلام الذى لم يستبح الغدر بأحدٍ قبل إعلامه؛ فجعل الدعوة قبل القتال لازمة، وتلك قمة لم تَسْمُ إليها أمة قبل الإسلام أو بعده. فما زال أهل الأديان الأخرى يغدرون بعدوهم، ويتحينون فرصة؛ ليبيدوه ويستحلوا حرّماته، بينما لم يقاتل النبي ﷺ قوماً قط إلا بعد أن دعاهم إلى الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

(١) الإمام ابن القيم / زاد المعاد (٣/ ٩٠).

(٢) الدكتور عمر بن عبد العزيز قريشى / سماحة الإسلام، (ص ١٤٨).

وقد يقول قائل: طالما أن الرسول ﷺ ليس متشوقاً إلى المعارك والحروب فلماذا هذا العدد الكبير من الغزوات والسرايا في حياته؟! ونحن نقول نعم.. لقد غزا رسول الله ﷺ بنفسه الشريفة غزوات عديدة، وأرسل سرايا وبعوثاً كثيرة، ولكنه ﷺ لم يكن في جميع غزواته أو سراياه بادئاً بقتال، أو طالباً لدنيا، أو جامعاً لمال، أو راغباً في زعامة، أو موسعاً لحدود دولة أو مملكة؛ بل كل ذلك كان هداية للناس، وتحريراً للعقول، ورفعاً للظلم، وربطاً للناس برب العالمين بأعلى أساليب العفة والشرف والنُّبل، مما جعل هذه الغزوات أنموذجاً للتعامل الدولي في الحروب والأسارى<sup>(١)</sup>. وقد تنوع فيها أعداؤه وتعددت دياناتهم ومشاربهم... فمنهم الوثني، واليهودي، والنصراني.

### حروبه ﷺ مع المشركين

نحن نعلم جميعاً أن المشركين هم أكثر من أذى رسول الله ﷺ، والمسلمين، بل إنهم لم يكتفوا بالإيذاء فطردوا المسلمين من مكة التي هي وطنهم الذي وُلِدُوا وتربوا فيه، واستولوا على ممتلكاتهم من الأموال والبيوت، ومع هذا كله لم يفكر الرسول ﷺ طوال إقامته في مكة أن يعتدى على أحدٍ من المشركين مع ما كان له من عزة ومنعة... فهو ﷺ من أرقى عائلة في مكة، ومن أعز بطون قريش، وصاحب النسب والشرف، إلا أن له رسالة سامية يريد أن يؤديها، فكان ﷺ يتحمل الإيذاء إلى أبعد الحدود، ويحثُّ أصحابه على الصبر، وعدم مقابلة السيئة بمثلتها.

إلا أن قريشاً تمادت في غيِّها وضلالها وكبريائها فكان لا بد من وقفات حازمة ترد للمسلمين بعض حقوقهم المسلووبة وأموالهم المنهوبة، وهذا من دون شك أمر لا ينكره عاقل، ولا يعارضه صاحب رأى سديد.

(١) الدكتور فاروق حمادة / العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي (ص ١٧٢).

تأتى غزوة بدر الكبرى لتمثّل أولى الصدمات الحقيقية بين المشركين والمسلمين، وإذا تدارسنا أسباب هذه المعركة في هدوء وروية لوجدنا أن المسلمين قد دُفِعُوا إليها دفعًا، وأنه لم يكن في نيّتهم القتال، وإنما اضطّروهم المشركون من قريش إليه..

فأهل مكة الكافرون هم الذين بدؤوا بإيقاع الظلم على المسلمين، ولم يكن الظلم ظلمًا واحدًا، بل كان ظلمًا متعددًا مُرَكَّبًا... فظلم في الجسد بالتعذيب والحرق والإغراق والقتل أحيانًا، وظلم في المال بمصادرتة بدون وجه حق واغتصابه بالقوة، وظلم في الديار بالطرد منها وأخذها، بل بيعها وأكل ثمنها، وظلم في النفس والسمعة بالسبّ والقذف وتشويه السمعة، وظلم في الحرية بالحبس والعزل عن المجتمع.

فماذا يفعل المسلمون لرفع هذا الظلم؟!

لقد اضطّر المسلمون للهجرة وترك الديار والأموال والأهل وكل شيء، وكانت هجرتهم مرتين: إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ولم يتركهم كفار مكة يعيشون حياتهم في أمان هناك، بل طاردوهم وحاصروهم وراسلوا مشركي المدينة ويهودها لاستئصال المسلمين تمامًا من على وجه الأرض.

ماذا يجب أن يفعل المسلمون إزاء هذه الأفعال؟!

هل ينبغي على المسلمين أن يُسلّموا رقابهم ورقاب أولادهم لسيوف قريش؟ أم كان عليهم أن يحملوا متاعهم وعيالهم إلى بلدٍ آخر؟!

إن أى عاقل أو حر لن يجد أمامه سيلاً إلا المقاومة لدفع الشر، وقمع الفساد، وهذا ما فعله المسلمون.. ولما لم تكن لهم طاقة بغزو مكة، واسترداد ثرواتهم المنهوبة فكروا في مهاجمة قوافل مكة التجارية المارة على طريق المدينة.. لقد كانت محاولة لرفع - ولو جانبًا - من الظلم الواقع على كواهلهم منذ سنوات.



ثم إنها حالة حرب حقيقية، وليس هنا مجال لأن يقول أحدٌ إن المسلمين يُغيرون على الأمنين من قريش.. فهذه حرب مُعلنة بين دولة المدينة المسلمة ودولة مكة الكافرة، وكلا الطرفين يستحل دم ومال الآخر، وكلا الطرفين يضرب مصالح الآخر.. وهذا عُرفٌ في الحروب متعارف عليه في كل الأزمان والأماكن، وليس من ابتكار المسلمين، كما أن الإسلام دين واقعي، يرد القوة بالقوة، ويُشهر السيف في وجوه من أشهروا سيوفهم عليه.

إنهم يلومون المسلمين؛ لأنهم هاجموا قوافل قريش التي استولت على أموالهم وديارهم!

ألم يكن من الأجدر بهم أن يلوموا قريشًا التي سلبت المسلمين كل ما يملكون ظلمًا وعدوانًا؟

خرج المسلمون فعلاً لمهاجمة القافلة، ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أن يتمكن أبو سفيان قائد قافلة قريش من الهرب بها، وأرسل إلى مكة يستدعي النجدة، وجاءت قريش بألفٍ من الجنود لقتال المسلمين، وخرج على قيادة الجيش كل زعماء مكة تقريباً، وجعلوا على رأس الجيش أبا جهل، فرعون هذه الأمة. وفي الطريق علم المشركون بنجاة قافلتهم وأموالهم؛ فرأى عددٌ منهم الرجوع، وعدم الانسياق إلى الحرب؛ وكان منهم عتبة بن ربيعة والأخنس بن شريق<sup>(١)</sup>، وآخرون، لكن أبا جهل حمّس الناس، وصمم على البقاء بالجيش عند بدر ثلاث ليالٍ؛ ينحرون الإبل، ويشربون الخمر، وتغنى القيان حتى تظل العرب تهاب قريشًا.

وكما رأينا كان بإمكان جيش قريش أن يرجع وألا يحارب أو يدخل في قتال

(١) هو أبي بن شريق، ويُعرف بالأخنس بن شريق الثقفي، رجع بقومه عن بدر، فحفظها له قومه. أسلم فكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد حُنينًا، ومات في أول خلافة عمر. انظر: أسد الغابة (١/ ٨٠)، والإصابة، الترجمة (٦١).

مع المسلمين خاصة بعد نجاة القافلة، ولكن إصرار بعض قادتها على الحرب هو الذى ورطهم فى القتال .. ودارت معركة من أشرس المعارك فى تاريخ الإسلام انتهت بهزيمة ساحقة للمشركين، وقُتل سبعين من قادتهم، وأُسّر سبعين آخرين، وتحصيل قدر من الغنائم عوّض المسلمين عن بعض أموالهم المسلووبة.

ورغم ما أصاب قريشًا فى بدر؛ فإنها لم تتعظ، ولم تراجع عن غيها، بل تمادت فأوقفت التصرف فى قافلة أبى سفيان التى أفلتت فى بدر لتجهيز جيش بأموالها لحرب المسلمين ... ولم تكتفِ قريش بتجهيز الجيش من داخل مكة بل بدأت تستنفر القبائل المحيطة بها للمساعدة لها، وكوّنت قريش بالفعل جيشًا كبيرًا، وهنا اضطر المسلمون لخوض الحرب مرة أخرى؛ دفاعًا عن أنفسهم، وعن الدولة الإسلامية، فكانت معركة أحد... وجاءت قريش بجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وكان قائدهم أبى سفيان، ومعه: صفوان بن أمية، وعكرمة ابن أبى جهل، وخالد بن الوليد، وغيرهم، وكان معهم ثلاثة آلاف بعير؛ ومائتا فرس، وسبعمائة درع<sup>(١)</sup>، وأشعلت قريش حربًا إعلامية ضخمة تحفّز الناس على حرب المسلمين، وقاد هذه الحرب الإعلامية أبو عزة الجُمحى<sup>(٢)</sup>.

وخرج المسلمون للمشركين فى سبعمائة مقاتل، ودارت المعركة المشهورة التى انتهت بالمصاب الأليم الذى أصاب المسلمين، واستشهد من المسلمين سبعون على رأسهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وقامت قريش بالجريمة الشنعاء، إذ مثّلت بجثث الشهداء المسلمين، مُخَالِفَةً بذلك كل الأعراف والقيم، ووضع للجميع مدى الحقد والكراهية التى يحملها المشركون فى قلوبهم للمسلمين.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (٦١/٢) - ابن كثير: السيرة النبوية (٢١/٣).

(٢) هو الأسير الذى أطلقه النبى ﷺ منّا بغير فداء، وأخذ عليه عهدًا ألا يشارك المشركين، ولا يُحفز أحدًا على حرب المسلمين، وخالف العهد، وقام بتحفيّز بعض العرب فى قتال المسلمين - انظر: ابن هشام السيرة النبوية (٥٥/٤).

وكان من الممكن أن تكتفى قريش بهذه المعركة، وتكون في مقابل معركة بدر، لكن مشركى قريش أبوا إلا أن يستأصلوا المسلمين من المدينة بشكل نهائى، وجمعت قريش - وبمعاونة اليهود - عشرة آلاف مقاتل، وتحزّبوا جميعاً، وكان الهدف الأوحدهم هو إنهاء الوجود الإسلامى تماماً من المدينة، وتحركت هذه الحشود الهائلة لتحيط بالمدينة التى يقطنها المسلمون، واضطروا المسلمون لبذل جهود جبّارة لحماية أنفسهم من الشر المحدق بهم، فحفروا خندقاً حول المدينة، لئلا يستطيع الجيش المهاجم الدخول إليهم.. ومع هذا فقد حاول بعض المشركين اقتحام الخندق لقتال المسلمين، وكان لابد من مواجهة ذلك التحالف الضخم الآتى لاقتلاع دولة الإسلام، فكانت غزوة الأحزاب.

فهل يُلامُّ المسلمون على دفاعهم عن المدينة، وقاتلهم للمشركين، وقد جاء المشركون بهدف الاستئصال الجذرى لهم، وإبادتهم بشكل جماعى!!؟  
ثم بلغ الرسول ﷺ أن بنى المصطلق<sup>(١)</sup> يجمعون له<sup>(٢)</sup> ويعدون عدتهم لغزو المدينة المنورة، فكان لابد من تفادى ما حدث قريباً فى الأحزاب، وذلك بتوجيه ضربة قوية لبنى المصطلق، تُوقف تحركاتهم، وتحمى المدينة منهم.

وها هو رسول الله ﷺ يتجه إلى مكة يريد أداء العمرة، ولم يُرد القتال أبداً، ويثبت ذلك كلامه ﷺ يوم الحديبية: «وَاللّٰهُ لَا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ الْيَوْمَ إِلَىٰ خُطَّةٍ يَسْأَلُونِي فِيهَا صَلَاةَ الرَّحْمِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»<sup>(٣)</sup>.

(١) بنو المصطلق هم بطن من خزاعة، من القحطانية، وقد غزاهم النبى ﷺ، واشتهرت بغزوة بنى المصطلق التى تُعرف بالمريسيح - معجم قبائل العرب (٣/١١٠٤).

(٢) الطبرانى فى الكبير (١٥٨)، والبيهقى فى الكبرى (١٧٦٦٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (٦/٢٠٧): رجاله ثقات - وابن هشام: السيرة النبوية (٢/٢٩٠)، وسنده صحيح.

(٣) رواه أحمد (٨٩٣٠)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (٧/٣٨٧)، وقال الألبانى فى تعليقه على فقه السيرة للغزالي: صحيح.

ولقد استقبل رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو<sup>(١)</sup> مفاوض قريش، وكان ﷺ أرغب ما يكون في موادة القوم، مع كونه قادرًا على تحكيم السيف، وإنزال خصومه على منطقته الذي آثروه مُدَّ صَدُّوه عن البيت... وتكلم سهيلُ فأطال، وعرض الشروط التي يتم في نطاقها الصلح، ووافق عليها النبي ﷺ، ولم يبقَ إلا أن تُسجَلَ في وثيقة يمضيها الطرفان<sup>(٢)</sup>. ورغم ما في هذه الشروط من إجحافٍ ظاهرٍ اعترض عليه الصحابة، إلا أن النبي ﷺ آثر الموادة، لأنه ﷺ يريد تجنُّب القتال، وعدم الدخول في حروب..

وكان ينبغي بناءً على بنود الصلح أن يدخل مَنْ شاء في حلف النبي ﷺ أو في حلف قريش، وتُطبق عليه أحكام الصلح، وقد دخلت قبيلة خزاعة في حلف المسلمين، ودخلت بنو بكر في حلف قريش، ولكن بكرًا الموتورة من خزاعة بفعل ثأرٍ قديم بيّنت رجالاً من خزاعة، وقتلوهم؛ فلما استجار الخزاعيون بالحرم انتهكت بنو بكر حُرمة البيت، وقتلتهم بداخله، وقد شارك في ذلك العديد من فرسان قريش!

واستنجدت خزاعة بالنبي ﷺ، وكان حقًا عليه أن يفى بعهده وينصر حلفاءه، ويعاقب قريشًا التي نقضت العهد؛ فكان فتح مكة. فهل يُلام رسول الله ﷺ على حربه لمن نقض عهده، وقتل حلفاءه؟!

وبعد فتح مكة أكل الغلُّ قلوب قبيلة هوازن، فجمعوا الجموع لرسول الله ﷺ وظنُّوا أنهم قادرون على إطفاء نور الله ﷻ وإخماد جذوة الحق، ولكن

(١) سهيل بن عمرو، أحد أشراف قريش، أُسر يوم بدر كافرًا، وكان خطيب قريش، وأراد عمر نزع ثنيته إلا أن النبي ﷺ قال له: «دعه؛ فعسى أن يقوم مقامًا تحمده» وكان ذلك المقام المحمود هو أنه لما ماج أهل مكة عند وفاة النبي ﷺ، وارتد من ارتد من العرب، قام فيهم خطيبًا وأتى في خطبته بمثل ما جاء به الصديق ﷺ بالمدينة، فكان ذلك معنى قول رسول الله ﷺ لعمر - الإصابة (٣٥٦٩)، أسد الغابة (٢/٣٤٦)، صفة الصفوة (١/٧٣١).

(٢) الشيخ محمد الغزالي / فقه السيرة، (ص ٢٥٤).

الرسول ﷺ وصلته الأخبار فتجهز هو والمسلمون للقائهم، وخرجوا إليهم في سهل حنين، فكانت غزوة حنين.

هذه هي حروبه ﷺ مع المشركين ... ما كانت إلا اضطرارًا، وما بدأها أبدًا، ولكنهم دائمًا كانوا يبدوون، وما ظلمهم لحظة واحدة، ولكنهم كانوا دائمًا يظلمون ... وبرغم كل ذلك لم يكن متشفياً فيهم أبدًا، ولا حاقداً عليهم، بل كان يتحين الفرص للعفو، ويكثر من قبول الأعدار، ولا يجعل الحرب إلا آخر دواء.. ولم يكن هذه مرة أو مرتين في حياته، بل كان كذلك على الدوام، فأى حروبٍ مع المشركين - بعد أن شرحنا أسبابها - كان من الممكن أن يتجنبها؟ وأى المعارك كان من الممكن ألا يخوضها؟!

### حروبه ﷺ مع اليهود

ولم يختلف اليهود كثيرًا عن المشركين، فبعد أن عاهدهم رسول الله ﷺ ووفى بعهدهم، وأحسن معاملتهم، ما كان منهم إلا الإساءة، ونكران الجميل، ومحاولة تشكيك المسلمين فيما يعتقدونه من الحق... وقد صبر عليهم رسول الله ﷺ كثيرًا، وتغاضى عن الكثير من أخطائهم، ولم يعاقبهم عليها رغم فداحتها، إلا أن الأمر بلغ حدًا لا يُطاق، وأصبح من الحكمة بمكانٍ أن يتم اتخاذ موقفٍ حازمٍ إزاء ما يفعله اليهود، فلقد بدأت قبائلهم في نقص العهود الواحدة تلو الأخرى، فقام يهود بنى قينقاع بفعلٍ فاحشٍ تمالؤوا فيه على الاعتداء على شرف امرأة مسلمة، كانت تشتري من سوقهم بعض حاجتها، كما اجتمعوا على قتل رجلٍ مسلم<sup>(١)</sup>.

واليهود بهذا الفعل الفاحش، وهذه الجريمة النكراء، أصبحوا ناقضين لعهدهم مع رسول الله ﷺ، وقد قبل الرسول ﷺ بإجلالهم وهو على استطاعة

(١) ابن هشام / السيرة النبوية (٢/ ٤٧).

تامة أن يقتلهم جميعاً... وما فعله الرسول ﷺ من قبول الاكتفاء بإجلائهم عن المدينة يُعدُّ عفواً عظيماً عن أناسٍ يستحقون القتل لنقضهم العهد، واعتدائهم على حرمة المسلمين، وتمالئهم على ذلك.

ولم يؤاخذ الرسول ﷺ طوائف اليهود الأخرى بفعل إخوانهم من بنى قينقاع، مع أنه كان بالإمكان إجلاؤهم أيضاً، فجميعهم ينتسب إلى دينٍ واحد، لكن الرسول ﷺ أحسن إلى مَنْ بقى من طوائف اليهود، ومع ذلك قابل يهود بنى النضير هذا الإحسان بالإساءة، فحاولوا الغدر برسول الله ﷺ وقتله، فبينما كان يجلس بينهم، ذهب أحدهم ليلقى صخرة من أعلى على رسول الله ﷺ!!

إن الخيانة التي تسرى في دماء اليهود قد دفعتهم إلى هذه الجريمة التي لا عقاب لها إلا القتل جزاءً وفاقاً، ومع ذلك فقد حقن رسول الله ﷺ دماءهم - بعدما مكَّنه الله ﷻ بِرُؤُوسِهِمْ، وقذف في قلوبهم الرعب - وأجلاهم خارج المدينة... وتلك رحمة غير مسبوقه، ونادرة الحدوث من غير المسلمين في التاريخ البشري.

ولم يعاقب رسول الله ﷺ بنى قريظة مع بنى النضير، ولم يؤاخذهم بجرم إخوانهم الذين أرادوا قتله، فقد كانوا على عهد مع رسول الله ﷺ، أن يدافعوا مع المسلمين ضد أي عدوٍّ يهاجم المدينة، ولكن بنى قريظة خانوا المسلمين في أشد المواقف حرجاً، فقد راسلوا الأحزاب المتجمعة حول المدينة، والآتية من مكة وما حولها لغزو المدينة واستباحتها، وتأكد الرسول ﷺ من صحة هذا الأمر.. فعن سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup> رضي الله عنه في سياق قصة الأحزاب: فبينما هم

(١) سعيد بن المسيب القرشي، وُلد سنة ١٣هـ، سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته، حتى سُمي راوية عمر. توفي بالمدينة سنة ٩٤هـ - انظر: وفيات الأعيان (٢/٣٧٥). الأعلام (٣/١٠٢).



كذلك إذ جاءهم نعيم بن مسعود الأشجعي، وكان يأمنه الفريقان، كان موادعاً لهما، فقال: إني كنت عند عيينة بن حصن وأبي سفيان إذ جاءهم رسول بني قريظة: أن اثبتوا فإننا سنخالف المسلمين إلى بيضتهم<sup>(١)</sup>.. أي أن اليهود يعدون الأحزاب إن خرج المسلمون إلى قتالهم أن يعتدى اليهود على نساء المسلمين وذراريهم وأموالهم وهو معنى مخالفة المسلمين إلى بيضتهم.

فهي إذن خيانة عظمى من هذه الفئة التي كانت على عهد وميثاق مع الدولة الإسلامية، ثم هي في أحلك الظروف تنقض العهد، وتتعاون مع العدو المهاجم من خارج الدولة.. فسبب غزوهم هو نقضهم للعهد الذي كان بينهم وبين النبي ﷺ في أحلك الظروف وأصعبها على المسلمين، فهل يدعى أحدٌ بعد ذلك أن العقاب الذي أنزله النبي ﷺ بهم فيه شيء من الإجحاف أو الظلم؟ وماذا لو تم لهم ما أرادوا من غدر وخيانة للمسلمين؟ إن مصير المسلمين في هذه الحالة - من دون شك - هو القتل والتشريد وضياع المال والولد والأهل<sup>(٢)</sup>..

أما يهود خيبر؛ فقد تحالفوا مع من جاءهم من يهود بني النضير كحبي ابن أخطب، وكنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وخرج هؤلاء إلى قريش يدعونهم للتجمع والتحزب لاستئصال المسلمين في غزوة الأحزاب، ثم خرجوا إلى غطفان؛ فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وجعلوا لهم تمر خيبر سنة، إن هم نصرهم، وأخبروهم أن قريشاً قد تابعوهم على ذلك، واجتمعوا معهم فيه. ثم خرجت يهود إلى بنى سليم فوعدوهم المسير معهم إذا خرجت قريش.. لقد كانوا - إذن - العقل المدبر لتحالف الأحزاب ضد المسلمين.. وعندما فرغ رسول الله ﷺ من أمر قريش وأمن جانبها بصلح الحديبية تفرغ ليهود خيبر

(١) انظر مصنف عبد الرزاق (٩٧٣٧) ٥/٣٦٨، دلائل النبوة (٢/٥٠٤-٥٠٥)، وقال ابن كثير في البداية

٤/١٢٥-١٢٨: ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها، وبهذا يكون الحديث حسناً.

(٢) انظر ابن كثير السيرة النبوية (٤/١١٥، ١١٦).

وحاربهم.. فهل يُلام رسول الله ﷺ على حربه لمن حَزَب الأحزاب بغرض إبادة  
جماعية للمسلمين؟!

### حروبه ﷺ مع النصارى

لم يكن احتكاك النصارى بالمسلمين مبكرًا كما كان الحال مع المشركين  
واليهود، وذلك لندرة النصارى في منطقتي مكة والمدينة، ولكن مع ازدياد قوة  
المسلمين وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية شعرت القبائل النصرانية - والتي  
كانت متمركزة في الأساس في مناطق الشمال - بالقلق والريبة، مما دفعها إلى  
جمع الجموع لمهاجمة المسلمين، وذلك منعا لقوتهم من التزايد، ولنفوذهم  
من النمو.

وكان أول تجمع نصراني من هذا النوع من قبائل قضاة وغسان من أهل  
دومة الجندل، وكانت هذه القبائل تتعرض لقوافل المسلمين المارة بمناطقها،  
بل كان منهم من يريد غزو المدينة. أما الذي كان يُجرى هذه القبائل على هذا  
العمل الخطير فارتباطها الوثيق بالدولة الرومانية، والتي تُعدُّ القوة الأولى في  
العالم في ذلك الوقت... وكانت الدولة الرومانية لا ترضى - بلا شك - عن  
نمو أى قوة منافسة في المنطقة.

وما إن علم الرسول ﷺ أن هذا الجمع يريد أن يهاجم المدينة حتى خرج  
إليهم، وذلك في ربيع الأول سنة ٥ هـ، واستعمل على المدينة سباع ابن  
عرفطة<sup>(١)</sup>، وجاء الخبرُ أهل دومة الجندل ففرقوا، ونزل الرسول ﷺ بساحتهم  
فلم يجد فيها أحداً، فأقام بها أياماً، وبثَّ السرايا<sup>(٢)</sup>.

(١) سباع بن عرفطة الغفارى، ويقال له: الكنانى، من كبار الصحابة، استعمله النبي ﷺ على المدينة حين خرج  
إلى خيبر، وإلى دومة الجندل. انظر: الاستيعاب (٢/ ٢٤١)، أسد الغابة (٢/ ١٨٨)، الإصابة (٣٠٧٦).

(٢) ابن سعد: الطبقات (٢/ ٦٢)، ابن هشام (٣/ ٢٢٩)، البلاذرى: أنساب (١/ ٣٤١)، الطبرى: تاريخ  
الأمم والملوك (٢/ ٥٦٤)، ابن سيد الناس: عيون الأثر (٢/ ٨٣)، ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٢٥٥)،





ولما ظهرت تكتلات أخرى تهدف لمحاربة المدينة أرسل الرسول ﷺ سووية بقيادة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى قبيلة كلب النصرانية الواقعة بدومة الجندل، وذلك في شعبان سنة ٦ هـ، وقد أوصى رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بدعوتهم إلى الله تعالى.. ومن بين ما قال له: « **إِنْ اسْتَجَابُوا لَكَ فَتَزَوَّجْ ابْنَةَ مَلِكِهِمْ** »<sup>(١)</sup> - وذلك كسبًا لمودتهم وتعزيزًا للعلاقات معهم - فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل؛ فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانيًا وكان رأسهم، وأسلم معه ناسٌ كثير من قومه، وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ، وقدم بها إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نرى حرص الرسول ﷺ على التواد والتحاب مع مَنْ حوله، ودعوتهم إلى الله تعالى، والمحاولات المتكررة لإيصال الخير إليهم.

ثم حدثت أزمة شديدة عندما بعث رسول الله ﷺ وفدًا من الدعاة المسلمين إلى مشارف الشام يُعلمون الناس مبادئ الإسلام؛ فوثبت عليهم جموع العرب الموالين للروم فقتلتهم جميعًا في مكان يُسمى (ذات أطلاق)<sup>(٣)</sup>، وكانوا خمسة عشر داعميًا، واستطاع رئيسهم<sup>(٤)</sup> النجاة بأعجوبة..

وكذلك لما بعث الرسول ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بُصرى بكتاب؛ نزل مؤتة<sup>(٥)</sup> فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني - وكان الغساسنة

= المغلطاي: الإشارة (ص ٢٤٩)، المقريزي: إمتاع الأسماع (ص ١٩٤).

(١) البيهقي: دلائل النبوة - ابن سعد: الطبقات الكبرى - ابن حبان: الثقات - ابن القيم: زاد المعاد.

(٢) انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى (٢/٦٤-٦٥) بتصرف.

(٣) ذات أطلاق: مكان قرب دمشق الحالية.

(٤) كعب بن عمير الغفاري، بعثه رسول الله ﷺ مرة بعد مرة على السرايا، وقد بعثه ﷺ إلى ذات أطلاق، فأصيب أصحابه جميعًا حين قتلتهم قضاة، وسليم هو جريحًا - انظر: الاستيعاب (٣/٣٨٠)، أسد الغابة (٤/١٧٥)، والإصابة: الترجمة (٧٤٢٦).

(٥) قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وكانت تطبع السيوف، وهي الآن بلدة أردنية: معجم البلدان

الذين يدينون بالنصرانية ويتبعون الدولة البيزنطية - فقال: أين تريد؟ فقال: الشام، قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم. أنا رسول رسول الله ﷺ... فأمر به فأوثق رباطاً، ثم قدّمه فضرب عنقه صبراً. فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فاشتد عليه، وندب الناس فأخبرهم بمقتل الحارث ومَن قتله<sup>(١)</sup>.

ولم يكن أمام المسلمين إزاء هذه الحوادث إلا أن يردعوا الروم وأشياهم حتى لا يعاودوا ما فعلوه مرة أخرى. فأرسل النبي ﷺ حملة تأديبية من ثلاثة آلاف مقاتل أخذت طريقها إلى الشام، بيد أن الروم كانوا قد استعدوا بجيش كثيف للقاء هذه الكتيبة من المؤمنين، فجمعوا نحو مائتي ألفٍ من رجالهم، ومَن انضم إليهم من قبائل لخم وجذام والقين وبهراء وبلي.

ومع الفارق المهور بين أعداد المسلمين والرومان إلا أن المسلمين خاضوا هذه المعركة الشرسة، فقتل قادتُها الثلاثة على التعاقب؛ زيد بن حارثة، وجعفر ابن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وانسحب خالد بن الوليد بجيشه إلى المدينة.

وهنا يثور التساؤل: هل كان مطلوباً من المسلمين أن يصمتوا على قتل رسلهم، وإهانة كرامة دولتهم، حتى لا يُتَّهموا بأنهم يسعون إلى القتال دائماً؟! وبعد مؤتة بعام تجمّع الرومان ومَن شايعهم من قبائل العرب النصرانية (أمثال: لخم، وجذام، وعاملة، وغسان) مرّة أخرى في منطقة البلقاء (الأردن حالياً) يريدون دولة الإسلام، وعلم الرسول ﷺ أن هناك تجمعاتٍ للرومان ومَن حالفهم بهدف القضاء على المدينة المنورة.. فقرر أن يخرج إليهم في شمال الجزيرة العربية. وبالتالي خرج الرسول ﷺ بنفسه على رأس أعظم

= (٤/١٧٨)، والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية.

(١) ابن سعد: الطبقات - وابن سيد الناس: عيون الأثر - ومغلطاي: الإشارة - وابن القيم: زاد المعاد - وابن حجر في الفتح.

جيوشه، وأقرب خاصته؛ ليلقى أعتى قوة في العالم، وذلك حتى يحفظ دماء شعبه، فكانت غزوة تبوك<sup>(١)</sup> المشهورة، وألقى الله الرعب في قلوب قادة الروم وجنودهم، وأتباعهم من نصارى العرب؛ ففرّوا خائفين لا يلوون على شيء، وليس من الممكن أن يُطلب من المسلمين أن يُغمضوا أعينهم، ويتعاموا عن المؤامرات التي تُحاك ضدّهم.

هذه هي ملابسات الحروب التي خاضها الرسول ﷺ مع المشركين، ومع اليهود والنصارى، وقد ظهر لنا من خلالها أنه ﷺ لم يبدأ أحدًا فيها بعدوان، بل كان يرد بها عدوانًا واقعيًا، أو وشيك الوقوع؛ لأن الحرب في الإسلام ليست أول ما يلجأ إليه المسلمون لحل خلافاتهم مع أعدائهم، بل هي دومًا - كما بينا - آخر الدواء.

## أخلاق الرسول ﷺ أثناء الحرب

لقد سلك النبي ﷺ مسلكًا في الحروب لم تعرف البشرية ولن تعرف له مثيلًا في العدل والرحمة والأخلاق التي لا يعرفها البشر إلا في ظل هذا الدين العظيم.

❁ ففي الوقت الذي تُفاجئ الجيوش أعداءها بمبدأ المباغته والغدر في الحروب كان النبي ﷺ يقوم بدعوة عدوه إلى الإسلام فإن أبى كان يعرض عليه الجزية فإن أبى كان يحاربه ولكنه لا يبدأه بالحرب حتى يكون العدو هو البادئ... فهل هناك ظلم من المسلمين لأعدائهم؟!... فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ۤأَلَّا تَعْدِلُوۡا﴾<sup>(٢)</sup>. وقال كذلك: ﴿أَعْدِلُوۡا هُوَ

(١) تبوك: كانت منهلاً من أطراف الشام، وكانت من ديار قضاة تحت سلطة الروم، وقد أصبحت اليوم مدينة من مدن شمال الحجاز الرئيسية، وهي تبعد عن المدينة المنورة شمالاً (٧٧٨ كم) المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية (ص ٢٣٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٨).

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ (١)

✽ بل كانت الجيوش الغير مسلمة إذا تمكنت من أعدائها لا تبقى لهم كرامة وكانت تستبيح فعل كل شيء مع أعدائها... في الوقت الذي كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إذا تمكنوا من أعدائهم كانوا يُحسنون معاملتهم ولا يتجاوزون حدود ما أمرهم به الله (جل وعلا) أو أمرهم به رسول الله ﷺ... إنها حرب تحكمها الأخلاق.

✽ وكان من بين القيم الأخلاقية التي بثها النبي ﷺ في نفوس أصحابه وأُمَّته من بعدهم: هي عدم الاعتداء على المدنيين الذين لا يحاربون بل ولا يملكون القدرة على الحرب.

فقد كان النبي ﷺ يوصي أصحابه إذا أرسلهم إلى سرية قائلاً: «اغزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمَثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا» (٢)، وفي رواية: «أو امرأة، وَلَا كَبِيرًا فَإِنِّيَا، وَلَا مُنْعَزِلًا بِصَوْمَعَةٍ».

وعلى هذا جرى العمل في شريعة الإسلام،... وما أرحم ما وصى به أبو بكر الصديق رضي الله عنه أسامة بن زيد رضي الله عنه حين بعثه إلى الشام مقاتلاً، وذلك حين قال له: «إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ فَذَرَهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ..» (٣).

✽ بل كان النبي ﷺ يرحم من خرج مُستكرهاً على قتاله ﷺ.

روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأصحابه قبيل غزوة بدر: «إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رِجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كَرَهًا، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا،

(١) سورة المائدة: الآية: (٨).

(٢) أخرج الحديث بدون ذكر قصة أهل مؤتة الإمام مسلم في صحيحه (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٣) الموطأ برواية يحيى الليثي (٩٦٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٣٧٥)، والبيهقي في سننه الكبرى.

فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبُخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا» (١).

✽ بل لقد وصلت رحمته ﷺ بأعدائه في الحروب التي خاضها ضدهم أنه كان ينهى أصحابه عن التمثيل بأجساد المشركين.

فعن عبد الله بن زيد قال: «نهى النبي ﷺ عن النهبي (٢)، والمثلة» (٣).

وعلى الرغم من أن المشركين مثلوا بجسد حمزة عم النبي ﷺ ومع ذلك فإن النبي ﷺ نهى أصحابه عن المثلة... بل والأعجب من ذلك أنه لم يرد في تاريخ الإسلام أن المسلمين مثلوا بجسد واحد من أعدائهم.

ولقد جاء الوعيد لكل مَنْ مَثَّلَ بجسد أى إنسان مسلمًا كان أو كافرًا فقال النبي ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامٌ ضَلَالَةً، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ» (٤).

فها هو النبي ﷺ يساوى بين مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أو قَتَلَهُ نَبِيٌّ وبين مَنْ مَثَّلَ بجثة عدو.

- ومن هذا المنطلق فقد نهى النبي ﷺ عن القتل بالحرق حتى لو كان المقتول كافرًا.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه ما يؤيد ذلك فقال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعثٍ فقال إن وجدتم فلانًا وفلانًا (لرجلين من قريش) فأحرقوهما بالنار، ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج: «إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحَرِّقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (١/٦٢٨) - وابن كثير: السيرة النبوية (٢/٤٣٦).

(٢) النهبي: أخذ المرء ما ليس له جهارًا - والمثلة: التنكيل بالمقتول بقطع بعض أعضائه.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٤٧٤) كتاب المظالم.

(٤) حسن: رواه أحمد، والطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨١).

بِالنَّارِ، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا»<sup>(١)</sup>.

✽ بل كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بأن يحقنوا دماء أي رجل كافر أعلن إسلامه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ حتى ولو كانت جرائمه السابقة في حق المسلمين كثيرة.. ما دام أنه أصبح مسلماً.

روى الإمام مسلم أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ<sup>(٢)</sup>، وَإِنَّهُمْ اتَّقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ<sup>(٣)</sup> مِنْ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقْتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قَالَ - أَى الرَّاوى: وَكُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقْتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ - أَى دَعَا أُسَامَةَ - فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «لِمَ قَتَلْتُهُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَى لَهُ نَفْرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْتَلْتُهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

مع أن الواضح من القصة أن هذا الرجل الذى قتله أسامة لم يعلن إسلامه إلا تقيّة.. لأنه قتل عددًا من الصحابة وحارب أسامة بن زيد رضي الله عنه فلما سقط السيف من يده وأحس أن أسامة سيقتله قال: لا إله إلا الله.

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٠١٦) كتاب الجهاد والسير.

(٢) تذكر الروايات أن ذلك كان في سرية غالب بن عبد الله الليثي في رمضان سنة ٧ هـ إلى بنى عوَال وبنى عبد ابن ثعلبة بالميثعة. وقيل: إلى الحرقات من جهينة، في مائة وثلاثين رجلاً. انظر: عيون الأثر (٦٥١/٢).

(٣) قيل هو: نبيك بن مرداس.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٧٢) كتاب الديات - ومسلم (٩٧) كتاب الإيمان.

ومع ذلك كان النبي ﷺ يلتمس أى عذر من أجل أن يرحم من حوله. وفي موقف مشابه أنكر الرسول ﷺ على خالد بن الوليد مثل هذا الأمر... فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة<sup>(١)</sup>، فلم يُحسِنوا أن يقولوا أسلمنا، فقالوا: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل من أسيريه، فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيريه، فقلت: والله لا أقتل أسيرى، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيريه، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» مرتين<sup>(٢)</sup>.

لقد كان هذا تعليماً للأمة كلها، وتحذيراً شديداً من القتل في غير محله، بل هو في الوقت نفسه حرص شديد من النبي ﷺ على تفادي القتل عند أول فرصة تسنح بذلك، مما يؤكد لنا أن القتال في الإسلام إنما هو أمر لا يكون إلا عند الحاجة الماسة إليه... ومتى وجدت أية فرصة للخروج من القتال وحفظ الدماء؛ كان الأخذ بها هو منهج الإسلام ومنهج الرسول ﷺ.

وقد كان ما فعله خالد رضي الله عنه اجتهاداً شخصياً رآه وأخذ به، غير أن من معه من الصحابة رضي الله عنهم لم يوافقوه فيما رأى، بل أنكروا عليه، ولم يُنفذوا أمره في هذا الشأن... ولا شك أن الرسول ﷺ قد قبل عذر خالد لأنه لم يُقم عليه حداً، ولم يُغرمه دية، ولكن كان لابد من هذا التعليق الشديد كي لا يتكرر الفعل مرة أخرى.

قال ابن حجر: وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها؛ لأن قولهم: صبأنا أى: خرجنا من دين إلى دين، ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام<sup>(٣)</sup>. وقال الخطابي: يُحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العُدول عن لفظ الإسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة، ولم ينقادوا إلى

(١) بنو جذيمة هم: بنو عامر بن عبد مناة بن كنانة، وكانوا جنوب مكة على مسافة ليلة، بناحية يلملم.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٣٣٩) كتاب المغازى.

(٣) ابن حجر / فتح البارى شرح صحيح البخارى (٥٧/٨).

الدين؛ فقتلهم متأولاً<sup>(١)</sup>.

ومن أجلّ مواقف السيرة ما حدث مع أبي سفيان زعيم مكة يوم ذهب رسول الله ﷺ لفتحها بعد خيانة قريش وبنى بكر لصلح الحديبية.

وفي هذا الموقف قبل رسول الله ﷺ إسلام أبي سفيان مع أن الظروف المصاحبة لإعلان إسلامه قد تُشكك أي إنسان في مصداقية هذا الإعلان!<sup>(٢)</sup>.

✽ بل لقد كان النبي ﷺ بعد أن يعرض الإسلام أو الجزية على العدو فيأبى إلا القتال... فإذا بدأ القتال وظهرت بشائر النصر للمسلمين وأراد العدو الصلح كان النبي ﷺ يقبل الصلح على الرغم من أنه كان يستطيع أن يستأصل شأفة عدوه لكنه كان لا يفعل.

من ذلك ما حدث في غزوة خيبر؛ حيث يقول ابن كثير: «فلما أيقنوا بالهلكة<sup>(٣)</sup>، وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوماً نزل إليه ابن أبي الحقيق؛ فصالحه على حقن دمائهم، ويُسيرهم، ويُخلّون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البز، إلا ما كان على ظهر إنسان<sup>(٤)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: «وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتم شيئاً.. فصالحوه على ذلك»<sup>(٥)</sup>.

✽ بل لقد تميزت الحروب النبوية بأنها حروب غير دموية، بمعنى أنها لم يكن فيها ما يُعرف الآن بجرائم إبادة الشعوب، حيث نجد فيما يُسمى «بحضارات» العالم الحديث أن بعض الزعماء أخذوا قرارات نتج عنها إفناء

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) أخلاق الحروب (ص ١١٩ - ١٢٠).

(٣) أي اليهود.

(٤) يعني: لباسهم.

(٥) ابن كثير/ السيرة النبوية (٣/ ٣٧٦).





لكم هائل من البشر في مدينة أو دولة أو أحياناً قارة! .

✽ لكن حروب رسول الله ﷺ لم تكن على هذه الصورة... ذلك أنه - كما ذكرنا - كان حريصاً على تجنب القتال ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإذا اضطر إليه حاول أن ينهيه بسرعة... وأثناء القتال نفسه كان يحفظ دماء المدنيين، وكذلك يحفظ دماء المستكرهين على القتال، ثم بعد القتال كان يعفو إذا مَلَكَ، ويسامح ويرحم إذا غلب. فجاءت حروبه على مستوى من الرقى لا تعرفه - بل لا تفهمه - «الحضارات» الحديثة!

ولغة الأرقام لا تكذب!

لذلك فقد قمت بإحصاء عدد الذين ماتوا في كل الحروب النبوية، سواء من شهداء المسلمين، أو من قتلى الأعداء، ثم قمت بتحليل لهذه الأعداد، وربطها بما يحدث في عالمنا المعاصر، فوجدت عجباً!!

لقد بلغ عدد شهداء المسلمين في كل معاركهم أيام رسول الله ﷺ، وذلك على مدار عشر سنوات كاملة، ٢٦٢ شهيداً تقريباً، وبلغ عدد قتلى أعدائه ﷺ حوالي ١٠٢٢ قتيلاً، وقد حرصت في هذه الإحصائية على جمع كل مَنْ قُتل من الطرفين حتى ما تم في حوادث فردية، وليس في حروب مواجهة، كما أنني حرصت على الجمع من الروايات الموثقة بصرف النظر عن الأعداد المذكورة، وذلك كي أتجنب المبالغات التي يقع فيها بعض المحققين بإيراد الروايات الضعيفة التي تحمل أرقاماً أقل<sup>(١)</sup>، وذلك لتجميل نتائج الحروب النبوية!<sup>(٢)</sup>

(١) اعتمدت في حصر الأرقام على ما ورد أولاً في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، ثم على روايات كتب السيرة بعد توثيقها، كسيرة ابن هشام، وعيون الأثر، وزاد المعاد، والسيرة النبوية لابن كثير، والطبري، وغيرهم.

(٢) كما يذكر بعضهم أن شهداء حادثة بئر معونة هم سبعة وعشرون شهيداً، بينما الصواب سبعون شهيداً، أو كما يُسقط بعضهم قتلى بنى قريظة من الحساب، بحجة أنهم لاقوا ما يستحقون نتيجة خيانتهم، بينما

وبذلك بلغ العدد الإجمالي لقتلى الفريقين ١٢٨٤ قتيلاً فقط!!  
ولكى لا يتعلل أحدٌ بأن أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة؛ ولذا جاء عدد القتلى على هذا النحو، فإننى قمت بإحصاء عدد الجنود المشتركين في المعارك، ثم قمت بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد المقاتلين، فوجدت ما أذهلنى!! إن نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ ١٪ فقط، بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين بالنسبة إلى أعداد جيوشهم ٢٪، وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هي ١.٥٪ فقط!  
إن هذه النسب الضئيلة في معارك كثيرة بلغت ٢٥ أو ٢٧ غزوة<sup>(١)</sup>، و٣٨ سرية<sup>(٢)</sup>، أى أكثر من ٦٣ معركة، لمن أصدق الأدلة على عدم دموية الحروب في عهده ﷺ.

ولكى تتضح الصورة بشكل أكبر وأظهر فقد قمت بإحصاء عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية - كمثال لحروب «الحضارات» الحديثة، وخاصة أن الدول التي اشتركت فيها ما زالت تدعى أنها رائدة للحضارة ولحقوق الإنسان! - ثم قمت بحساب نسبة القتلى بالقياس إلى أعداد الجيوش المشاركة في القتال، فصدمتُ بمفاجأة مذهلة!!! إن نسبة القتلى في هذه الحرب الحضارية بلغت ٣٥١٪!!!

ومن جديد.. إن الأرقام لا تكذب!!!

لقد شارك في الحرب العالمية الثانية ١٥.٦٠٠.٠٠٠ جندي (خمسة عشر مليوناً وستمائة ألف)، ومع ذلك فعدد القتلى بلغ ٥٤.٨٠٠.٠٠٠ قتيل (أربعة

= الصواب أن نشبههم لأنها كانت معركة حقيقية، بصرف النظر عن أسبابها، وهكذا.

(١) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد (١/١٢٥) - ابن حزم: جوامع السيرة (١/١٦).

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية (٤/٤٣٢).

وخمسين مليوناً وثمانمائة ألف)!!! أى أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش المشاركة! وتفسير هذه الزيادة هو أن الجيوش المشاركة جميعاً - وبلا استثناء - كانت تقوم بحروب إبادة على المدنيين، وكانت تُسقط الآلاف من الأطنان من المتفجرات على المدن والقرى الآمنة، فتبيد البشر، وتُفنى النوع الإنساني، فضلاً عن تدمير البنى التحتية، وتخريب الاقتصاد، وتشريد الشعوب!!

لقد كانت كارثة إنسانية بكل المقاييس!

وليس خافياً على أحد أن المشاركين في هذه المجازر كانت الدول التي تُعرف آنذاك - والآن - بالدول المتحضرة الراقية! بريطانيا وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفيتي والصين وألمانيا وإيطاليا واليابان!

أى تحضّر هذا؟! وعن أى رُقَى يتكلمون؟! ثم أين أولئك الذين يصفون رسولنا ﷺ بالعنف والإرهاب؟!

قارن هذه النسب المفجعة بما كان على عهد رسول الرحمة ﷺ<sup>(١)</sup>.

✽ ولم يغدر النبي ﷺ بأحدٍ من أعدائه أبداً.. ولم يُؤثر عنه أنه غدر بعهدٍ قط.. بل كان الوفاء شعاره مع كل الناس مسلمين أو كافرين.. فالأخلاق عنده ﷺ لا تتجزأ ولا تتبدل أبداً.

وقد شهد بذلك الأعداء... فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب أخبره أنه عندما كان في بلاد الروم في كفره أثناء صلح الحديبية؛ أحضره هرقل بين يديه، وسأله عن الرسول ﷺ بعدما وصله (أى: هرقل) رسالة رسول الله ﷺ، وكان مما سأله عنه أن قال: فهل يغدر؟ فقال أبو سفيان: لا.

ثم علق هرقل في ختام حوارهِ مع أبي سفيان قائلاً: وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرُّسُل لا تغدر<sup>(٢)</sup>.

(١) بتصرف من كتاب (أخلاق الحروب).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧) كتاب بدء الوحي - ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

- وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه بعدم الغدر حتى مع العدو الذي يكيد لهم ليلاً ونهاراً.. فكان يودع السرايا وهو يوصيهم قائلاً: «... ولا تغدروا»<sup>(١)</sup>.  
حتى إنه ﷺ من شدة حرصه على عدم الغدر كان يتبرأ من الغادرين ولو كانوا مسلمين.

فقد قال النبي ﷺ: « مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا »<sup>(٢)</sup>.

✽ إن النبي ﷺ كان يفى بعهده مع الأعداء حتى في زمان الحرب.  
قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ<sup>(٣)</sup>، قَالَ: فَأَخَذْنَا كَفَارُ قَرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصُرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَاتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «أَنْصُرِفَا.. نَفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ»<sup>(٤)</sup>.

- وكان النبي ﷺ إذا تمكن من عدوه لا يكرهه على اعتناق الإسلام أبداً.  
يروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول: قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ خَصْفَةَ<sup>(٥)</sup> بِنَخْلٍ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللَّهُ»، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه البخارى فى التاريخ، والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٠٣).

(٣) حُسَيْلٌ - بالتصغير ويقال بالتكبير - ابن جابر بن ربيعة المعروف باليمان العبسى، والد حذيفة ابن

اليمان رضي الله عنه، استشهد فى حياة النبى ﷺ، وقد وقع ذكره فى صحيح مسلم فى هذا الموضوع.

انظر: الإصابة: الترجمة رقم (١٧١٦)، وأسد الغابة (١/٥٦٣)، والاستيعاب (١/٤٠٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٧) كتاب الجهاد والسير.

(٥) محارب خصفة بن قيس بن عيلان من بطون عدنان.



مِنِّي؟» قَالَ : كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ ، قَالَ : «أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي  
أَعَاهِدُكَ أَنْ لَا أَقَاتِلَكَ ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، قَالَ : فَذَهَبَ  
إِلَى أَصْحَابِهِ <sup>(١)</sup> ، قَالَ : قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ !!

فهذا رجل أمسك السيف، ووقف به على رأس رسول الله ﷺ يتهدده  
بالقتل، ثم نجى الله ﷻ رسول الله ﷺ، وانقلبت الآية، فأصبح السيف في يد رسول الله  
ﷺ، ومع ذلك فالحقد والغُل لا يعرفان طريقهما أبداً إلى قلبه ﷺ.. إنه يعرض  
عليه الإسلام، فيرفض الرجل، ولكن يعاهده على عدم قتاله، فيقبل منه رسول  
الله ﷺ ببساطة، ويعفو عنه، ويُطلقه آمناً إلى قومه!!

### أخلاق النبي ﷺ بعد انتهاء الحرب

لا شك أن الحروب في حد ذاتها تُعتبر من الصدمات الكبرى التي تتغير  
عندها النفوس، وتضطرب الأفئدة... فكل طرف حريص على النصر على  
عدوه، وتحقيق الفوز مهما تكلف من ضحايا وأموال.. ولا شك أن كثيراً من  
المعايير تتغير أثناء القتال عند كثير من المحاربين، ومن أول المعايير التي تتغير:  
المعايير الأخلاقية، فما كنت مقرراً له قبل القتال لعلك تخالفه أثناء الحرب، وما  
كنت ترفضه قبل القتال قد تقبله بعده، وما كان حسناً قد يصير قبيحاً، وما كان  
قبيحاً قد يصير حسناً، وهكذا.. هذا كله أثناء القتال.. فإذا انتهى القتال ازداد  
الأمر تعقيداً، فإن نشوة النصر، أو مرارة الهزيمة تغير كثيراً من طبيعة الإنسان،  
فيتكبر المتواضع، ويأس المتفائل، ويحقد الحليم، ويغدر الوفي، وغير ذلك من  
التقلبات العجيبة، التي من كثرتها أصبحنا نعتقد أنها الأصل، فكم تنكّر منتصرٌ  
لوعوده، وكم خرج مهزوم عن حدود الأخلاق التي اشتهر بها!!

(١) ذكر ابن حجر أن قومه أسلموا انظر: فتح الباري (٧/٤٢٨) - البخاري (٢٩١٠) كتاب الجهاد -  
ومسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين.

هذا يحدث مع كثير من الناس، بل يحدث مع أغلب الناس، وهو في القادة أظهر، لأن الجميع ينظر إليهم، والنصر في النهاية يُنسب إليهم، والهزيمة كذلك تُنسب إليهم، وهذه المسؤولية تُغير كثيراً من طباعهم وأخلاقهم. هذا ينطبق تماماً على معظم قادة العالم في القديم والحديث.. لكنه لا ينطبق بالمرة على رسول الله ﷺ!!

لقد كان رسول الله ﷺ آية مبهرة في الأخلاق والقيم، مهما تغيرت الظروف، أو تبدلت الأحوال، ذلك لأن مرجعيته واحدة، وأصوله ثوابت.. إنه لا يُجمل أخلاقه ليُثنى عليه فلان، أو يمدح فعالة فلان.. إنه يفعل ذلك لأن الله عزَّ وجلَّ أمره بذلك، والرقيب عليه هو الله... والمحاسب له هو أيضاً رب العزة سبحانه وتعالى.. فلماذا إذن تتغير أخلاقه، أو تتبدل طباعه؟!

إن هذا هو الفارق الرئيسي بين القائد المسلم الملتزم بتعاليم دينه، والمراقب لربه، والقائد الذي ليس له مرجعية إلا هواه ومصالحه. لقد أظهر لنا رسول الله ﷺ بعد انتهاء حروبه مجموعة من روائع الأخلاق، وبدائع القيم يجدر بكل قائد أو إنسان أن يقف أمامها ويتدبر... وإنما - والله - لمن دلائل نبوته ﷺ!!<sup>(١)</sup>.

### أخلاق النبي ﷺ بعد تحقيق النصر

تُنسى نشوة النصر كثيراً من القادة قواعد الأخلاق الأساسية، فنسمع عن استباحة للبلاد، وإراقة للدماء، وخراب للعمران، وخُلْفٍ للعهود والوعود.. لكن حال رسول الله ﷺ بعد النصر كان بعيداً كل البعد عن هذه الشرور والآثام. ❁ لقد كان النبي ﷺ بعد النصر يعفو ويصفح عمَّن حاربوه وآذوه وآذوا

(١) أخلاق الحرب (ص ١٦٤-١٦٥).



أصحابه مع أنه كان يستطيع أن يُبديهم في غمضة عين.. لقد كان هذا العفو من العلامات المميزة له ﷺ، حتى ذكرها رب العالمين في صفته في كتب الأولين، فقد قال زيد بن سعة<sup>(١)</sup> رضي الله عنه أنه قد جاء في التوراة أنه «يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا»<sup>(٢)</sup>.

✽ ولقد رأينا كيف أن النبي ﷺ لما دخل مكة فاتحًا منتصرًا عفا عن أهلها وقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» مع أنه لو علق لهم المشانق في تلك اللحظة فلن يلومه أحد لأن أهل مكة قد ارتكبوا الجرائم الكثيرة في حق النبي ﷺ وأصحابه.

✽ بل وكان النبي ﷺ لا يعفو عن المحاربين فحسب بل كان يعفو عن زعماء الكفر الذين قادوا الحروب ضده وفعلوا بأصحابه الأفاعيل.

✽ فها هو ﷺ يعفو عن عكرمة بن أبي جهل الذي عادى النبي ﷺ أكثر من عشرين سنة... وكان أبوه (أبو جهل) من أشد الناس عداً للنبي ﷺ.

✽ وها هو يعفو عن سهيل بن عمرو الذي كان له تاريخ طويل في الصد عن سبيل الله.

✽ وها هو يعفو عن فضالة بن عمير الذي كان من أشد أعداء النبي ﷺ ووصل حقه على الرسول ﷺ إلى الدرجة التي أراد معها أن يقتله في وقت الفتح!! وهذا أمر جدٌ خطير؛ فالرسول ﷺ في وسط جيش كبير يبلغ عشرة آلاف من الصحابة رضوان الله عليهم، وإذا قام فضالة ابن عمير بهذا التهور فلا شك أنه مقتول، وهذا يوضح مدى الحقد الذي ملأ قلبه، فقرر أن يضحي بنفسه ليقتل الرسول ﷺ!!..

(١) زيد بن سعة أحد أجبار يهود ومن أكثرهم مالا... أسلم وحسن إسلامه وشهد مع النبي ﷺ مشاهد كثيرة، وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً إلى المدينة - أسلم لما رأى من حسن أخلاق النبي ﷺ الإصابة (٢٨٩٩)، أسد الغابة (١٤٩/٢)، الاستيعاب (١٢٢/٢).

(٢) رواه ابن حبان والحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه.

حمل فضالة السيف تحت ملابسه، ومر بجوار الرسول ﷺ وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه قال الرسول ﷺ: «أفضالة؟» قال: نعم، فضالة يا رسول الله.. (وكان يدعى الإسلام في ذلك الوقت).

فقال ﷺ: «ماذا كنت تُحدثُ به نفسك؟» قال: لا شيء، كنتُ أذكر الله.. فضحك الرسول ﷺ، وقال: «استغفر الله يا فضالة».. ثم وضع ﷺ يده على صدر فضالة فسكن قلبه!!

فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحبُّ إليَّ منه ﷺ<sup>(١)</sup>.

وكان من غفور رسول الله ﷺ وكرمه أنه كان يُعيد زعماء القبائل الذين حاربوه وصدُّوا دعوته إلى مناصبهم عند انتصاره عليهم... فقد أعاد عُيينة بن حصن إلى زعامة بنى فزارة، مع العلم أنه كان من المحاصرين للمدينة المنورة يوم الأحزاب، وذلك تحت راية غطفان... وأعاد كذلك العباس ابن مرداس إلى زعامة بنى سليم، وأعاد الأقرع بن حابس إلى زعامة بنى تميم، وأعاد جيفراً وعباداً إلى زعامة عُمان، وأعاد باذان إلى زعامة اليمن، وأعاد المنذر بن ساوى إلى زعامة البحرين<sup>(٢)</sup> وغيرهم وغيرهم.

وحصر ذلك يصعب لشدة تكراره، وهذا دليل على سمو نفس النبي ﷺ، وحُسن خلقه وعفوه.

وهكذا كانت أخلاق النبي ﷺ في حروبه وبعده حروبه، فما أروعها من أخلاق تدلُّ دلالة واضحة على صلته بربه الذي أدبه فأحسن تأديبه ﷺ!<sup>(٣)</sup>

✽ وكان النبي ﷺ لا يتفاخر بنصره على الأعداء بل كان قمة في التواضع

(١) انظر: ابن كثير / البداية والنهاية (٤/٣٤٢).

(٢) الطبقات الكبرى / لابن سعد (١/٢٦٣).

(٣) أسوة للعالمين (ص ٣١٩).





وهو في قمة النصر على الأعداء.

يقول أنس رضي الله عنه: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على رجليه متخشعاً<sup>(١)</sup>.

## أخلاق الرسول ﷺ في التعامل مع الأسرى

لم يخرج رسول الله ﷺ عن طبيعته الأخلاقية أبداً في أي أمر من أمور حياته، لذا لم يكن مستغرباً أن يتعامل مع أسرى الدولة الإسلامية بنفس الأخلاق النبيلة، والآداب الرفيعة، ولم ينظر إليهم مطلقاً على أنهم كانوا حريصين منذ لحظات على قتله وقتل أصحابه، بل تعامل معهم بطريقة قد تفوق تعامل عموم الناس مع أقاربهم وذوي أرحامهم.

ولعل روعة الأخلاق النبوية تتضح بصورة أكبر إذا قارناها بتعامل الأمم الأخرى مع الأسرى بصفة عامة، وبأسرى المسلمين بصفة خاصة.

ولعل العالم قد تابع ما كشفه فيلم وثائقي جديد عرضته القناة الأولى بالتلفزيون الإسرائيلي بتاريخ ٢٥ فبراير ٢٠٠٧م عن فضيحة أخلاقية، تمثلت في قيام الجيش الإسرائيلي بقتل ٢٥٠ أسيراً مصرياً في شبه جزيرة سيناء عقب انتهاء القتال في حرب يونيو عام ١٩٦٧م... والمُخزى في تصرف القوات الإسرائيلية أن الجنود المصريين كانوا قد استسلموا بعد نفاذ ذخيرتهم، فما وجه الخطورة التي دفعت القوات الإسرائيلية لقتلهم!! وكان القتل للجنود المصريين بأوامر مباشرة من القائد بنيامين بن إيعازر (وزير البنى التحتية الإسرائيلية الحالي)، وكانت الأوامر تقتضى قتل الجنود المصريين حتى بعد استسلامهم<sup>(٢)</sup>!! وما رأيانه في

(١) الحاكم (٤٣٦٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم. ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) جريدة المصريون الإلكترونية بتاريخ ٢٧ فبراير ٢٠٠٧م، الرابط الإلكتروني:

تلفزيون اليهود هو نفسه الذى حدث فى أفغانستان على يد القوات الأمريكية، حيث قامت هذه القوات باقتياد ٨٠٠ مقاتل من طالبان بعد استسلامهم إلى معتقل قلعة جانجى فى أفغانستان، ثم أمرت الطيران الحربى بقصف المعتقل مما خلف مئات الجثث المتفحمة، كما قامت القوات الأمريكية أيضًا بشحن ٣٠٠٠ أسير أفغانى فى حاويات نقل مغلقة بحجة نقلهم إلى سجن شبرقان بأفغانستان، وتركهم فى العربات المغلقة فى الصحراء، وهم مقيدون ومعصوبوا الأعين لمدة أربعة أيام؛ طريقة جديدة مبتكرة للقتل البشع<sup>(١)</sup>!! وليس الذى حدث بعد ذلك فى معسكرات اعتقال الأسرى فى جوانتانامو وسجن أبى غريب<sup>(٢)</sup> بخافٍ على أحد، ويكفى أن نعرف أن منظمة العفو الدولية قد كشفت عن وجود أطفال محتجزين فى القاعدة البحرية للولايات المتحدة فى خليج جوانتانامو، والذين وصل عددهم إلى ٦٠٠ طفل معتقل أكبرهم لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، وأنه قد يمر على الطفل منهم عام كامل لا يعلم أحد عنه شيئًا ولا عن مكانهم سواء من أسرهم أو حتى من محاميهم<sup>(٣)</sup>!! فهل يدعى أحدٌ أن البشرية قد وصلت إلى الرقى المطلوب مع كل هذه المظاهر المؤسفة؟!

إن النقلة النوعية الحقيقية التى شهدتها البشرية كانت عند نزول الرسالة الإسلامية على رسول الله ﷺ، وكانت فى تطبيقه الرائع لكل البنود الأخلاقية التى جاءت فى حق الأسرى<sup>(٤)</sup>.

(١) د. محمد الحسينى إسماعيل / الإسلام والغرب (ص ١٦٢، ١٦٣) بتصرف.

(٢) د. راغب السرجانى / التعذيب فى سجون الحرية (٢٦، ٢٧).

(٣) جزء من رسالة موجهة للرئيس الأمريكى مبعوثة من منظمة العفو الدولية بتاريخ ٢٤ أبريل ٢٠٠٣،

ومنشورة على موقع المنظمة على شبكة الإنترنت، بعنوان: رسالة إلى الرئيس جورج بوش.

(٤) أخلاق الحروب (ص ٢٩٧-٢٩٨).



## النبي ﷺ والعضو عن الأسرى

لقد شاع الرّق والاستعباد في أيام الجاهلية وكذلك في الفترات التي عاصرت ظهور الدين الإسلامي... لكن النبي ﷺ جاء بفكرٍ جديد كله رحمة وتسامح.. فقد جاء بفكرٍ يدعو إلى تحرير العبيد وفك الأسرى.

❁ وما هو ﷺ يوصى أصحابه والأمة من بعدهم ويقول: «فُكُّوا الْعَانِيَّ<sup>(١)</sup>، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعَوِّدُوا الْمَرِيضَ»<sup>(٢)</sup> - العاني: الأسير -.

وسأله رجل يوماً فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَعْتَقِ النَّسَمَةَ، وَفُكِّ الرَّقَبَةَ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَيْسَتْ بَوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: «لَا، إِنْ عَتَقَ النَّسَمَةَ أَنْ تَنْفَرَدَ بِعِتْقِهَا، وَفُكِّ الرَّقَبَةَ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا..»<sup>(٣)</sup>. وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ»<sup>(٤)</sup>..

❁ وما هي بعض المواقف التي عفا فيها النبي ﷺ عن الأسرى:

### ❁ أسيرا سرية نخلة:

أسر المسلمون في هذه السرية - وكانت في رجب من السنة الثانية من الهجرة - اثنين من المشركين هما أول أسيرين في الإسلام: الحَكَم بن كيسان وعثمان بن عبد الله... فأما الأول - الحَكَم - فنظراً لما وجده من المعاملة الكريمة فإنه أسلم وحَسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله حتى استشهد يوم بئر معونة في السنة الرابعة للهجرة... وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً..<sup>(٥)</sup>

(١) العاني: هو كل من وقع في ذل واستكانة وخضوع، ويُقصد به الأسير.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٠٤٦) كتاب الجهاد والسير.

(٣) صحيح: رواه أحمد وابن حبان والطيالسي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٧٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٧١٥) كتاب كفارات الأيمان - ومسلم (١٥٠٩) كتاب العتق.

(٥) السيرة النبوية / لابن كثير (٣٦٦/٢) بتصرف.

## أسرى بدر:

ونحن نعلم أن غزوة بدر كانت أول لقاء بين المسلمين والمشركين وأن الله نصر المسلمين نصرًا مؤزرًا مع قلة عددهم وعدتهم فقتلوا سبعين وأسروا سبعين من المشركين واستشار الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم في شأن هؤلاء الأسرى، وماذا يفعل معهم؟ يحكى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول:

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَؤُلَاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ وَالْإِخْوَانِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ الْفِدْيَةَ فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَاهُ مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ، وَعَسَى أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ فَيَكُونُوا لَنَا عَضُدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قَالَ: قُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ - قَرِيبٍ لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ <sup>(١)</sup> فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ حَمْزَةَ مِنْ فُلَانٍ أَخِيهِ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنْ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةَ لِلْمُشْرِكِينَ هَؤُلَاءِ صَنَادِيدِهِمْ وَأَيْمَتَهُمْ وَقَادَتُهُمْ.

فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ - أَيِ عُمَرَ رضي الله عنه - وَأَخَذَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ <sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من نزول الآيات بعد هذا الموقف تعاتب النبي ﷺ أنه أخذ بالرفق واللين مع هؤلاء الأسرى في هذا الموقف ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ دَرَّ أَسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ <sup>(٣)</sup> لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ <sup>(٣٨)</sup> رغم ذلك؛ لم يكن هذا دافعًا لأن يسىء الرسول ﷺ معاملة هؤلاء

(١) عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أخو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان عقيل آنذاك مشركًا في جيش الكفار.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية (٢/ ٤٥٧).

(٣) سورة الأنفال: الآيتان: (٦٧-٦٨).

الأسرى، أو يُغير من تعامله معهم بعد أن أخذ قرارًا بإعفائهم من القتل، وقبول الفدية ممن يستطيع منهم... وقد تفاوت مقدار هذه الفدية ونوعها بحسب حالة كل أسير..

فقد أطلق الرسول ﷺ بعض الأسرى كعمرو بن أبي سفيان مقابل أن يطلق المشركون سراح سعد بن النعمان بن أكال (رضي الله عنه)، الذي أسره أبو سفيان وهو يعتمر<sup>(١)</sup>.

ومن الأسرى مَنْ كان يفدى نفسه بالمال، وكان رسول الله ﷺ يراعى الحالة المادية لكل أسير، فمنهم مَنْ دفع أربعة آلاف درهم كأبي وداعة، وأبي عزيز واسمه زرارة بن عمير - وهو أخ لمصعب بن عمير (رضي الله عنه) - دفعتها أمه، وكانت صاحبة مالٍ وفير... ومنهم مَنْ دفع مائة أوقية كالعباس بن عبد المطلب، ومنهم من دفع ثمانين أوقية كعقيل بن أبي طالب، وقد دفعها له العباس، ودفع بعض الأسرى أربعين أوقية فقط<sup>(٢)</sup>.

أما مَنْ لم يكن معه مال، وكان يعرف القراءة والكتابة فكان فداؤه أن يُعلم بعض المسلمين القراءة والكتابة؛... فقد روى ابن عباس قال: كان ناسٌ من الأسرى يوم بدرٍ لم يكن لهم فداءٌ فجعل رسولُ الله ﷺ فداءهم أن يُعلموا أولاد الأنصار<sup>(٣)</sup>.

ومن هؤلاء الأسرى مَنْ منَّ الرسولُ ﷺ عليه بغير فداء مثل: المطلب بن حنطب، وأبي عزة الشاعر، وصيفى بن أبي رفاعة<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن كثير / البداية والنهاية (٣/ ٣١١).

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى (٤/ ١٤).

(٣) أحمد عن ابن عباس، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن. وقال الهيثمي: رواه أحمد عن علي بن عاصم، وهو كثير الغلط والخطأ، وقد وثقه أحمد. مجمع الزوائد (٤/ ١٧٢).

(٤) ابن سيد الناس / عيون الأثر (١/ ٣٥٢).

وقد أحسن رسول الله ﷺ أيضاً إلى سهيل بن عمرو مع أنه كان من زعماء قريش المعترين، إلا أنه لم يشأ أن يهينه أو يُمثل به وإن كان قادراً على ذلك، وقد أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه نزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى لا يقوم خطيباً على الرسول ﷺ في موطن أبداً، فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثلُ به فيمثل اللهُ بي وإن كُنْتُ نبيًّا»<sup>(١)</sup>.

وكان في الأسرى أيضاً أبو العاص بن الربيع ختن<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ على ابنته زينب فبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها عليه حين بنى عليها.. فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقة شديدة، وقال: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا إِلَيْهَا مَتَاعَهَا فَعَلْتُمْ». قالوا: نعم يا رسول الله؛ فأطلقوه، وردُّوا عليها الذي لها<sup>(٣)</sup>. فكان هذا أيضاً ممن أُطلق بغير فداء.

وكان ﷺ على استعداد لإطلاق الجميع - كما مرَّ بنا في هذا البحث - من دون فداء لو شفع فيهم المطعم بن عدى الزعيم المشرك المعروف، غير أنه كان قد مات... وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ كما في البخارى عن جبير بن مطعم رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بِنُ عَدِيَّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَنِ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»<sup>(٤)</sup>؛ وذلك لأنه اشترك في نقض الصحيفة التي قاطعت بها قريش بنى هاشم، وكذلك أجاز النبي ﷺ في مكة عند عودته من الطائف.

ومن الواضح أنه تم إطلاق سراح جميع مَنْ بقى من أسرى بدر خلال أقل من عام من غزوة بدر، ومما يؤكد هذا الأمر أن المشركين في أحد لم يتفاوضوا على أى أسرى.

(١) الحاكم (٣/٣١٨) - ابن هشام: السيرة النبوية (٣/٢٠٠).

(٢) خَتْنُ الرَّجُلِ: الْمُتَزَوِّجُ بِابْنَتِهِ - لسان العرب (١٣/١٣٧).

(٣) ابن سيد الناس / عيون الأثر (١/٣٥١-٣٥٢).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣١٣٩) كتاب فرض الخمس.

## ✽ أسرى الحديبية:

وهذا من مواقف الرحمة العجيبة في السيرة!

قال عبد الله بن مفضل المزني رضي الله عنه: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَّةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي الْقُرْآنِ ، وَكَانَ يَقَعُ مِنْ أَغْصَانِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ رضي الله عنه: «اَكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». فَأَخَذَ سُهَيْلُ ابْنَ عَمْرٍو بِيَدِهِ ، فَقَالَ : مَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، اَكْتُبْ فِي قَضِيَّتِنَا مَا نَعْرِفُ ، قَالَ : اَكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ.. فَكَتَبَ : هَذَا مَا صَالِحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ مَكَّةَ . فَأَمَسَكَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو بِيَدِهِ ، وَقَالَ : لَقَدْ ظَلَمْنَاكَ إِنْ كُنْتَ رَسُولَهُ ، اَكْتُبْ فِي قَضِيَّتِنَا مَا نَعْرِفُ . فَقَالَ رضي الله عنه: «اَكْتُبْ هَذَا مَا صَالِحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ» ، فَكَتَبَ . فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا ثَلَاثُونَ شَابًا عَلَيْهِمُ السَّلَاحُ ، فَتَنَّاوَا فِي وُجُوهِنَا ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخَذَ اللَّهُ عز وجل بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَدِمْنَا إِلَيْهِمْ فَأَخَذْنَاهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «هَلْ جِئْتُمْ فِي عَهْدٍ أَحَدٍ ، أَوْ هَلْ جَعَلْ لَكُمْ أَحَدٌ أَمَانًا؟» فَقَالُوا : لَا ، فَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٤﴾﴾ (١)(٢).

فهذا عفو في موقف عجيب... فالمسلمون ممنوعون من دخول مكة، وقريش قد أعدت العدة لحربهم، ومع ذلك لا يأخذ الرسول ﷺ هؤلاء الأسرى رهينة، بل يمتن عليهم بغير فداء، ولا يجعلهم ورقة ضغط على المشركين حتى في هذا الموقف الصعب!

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٤).

(٢) رواه أحمد، والحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، والبيهقي في الكبرى، والنسائي في الكبرى، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

إنها الرحمة في أرقى صورها!

وليس هذا فقط ... بل - كما مر بنا - فعل رسول الله ﷺ نفس الموقف مرة ثانية بعد الصلح، مما يؤكد أنها كانت سياسة عامة، وليست مجرد مواقف نادرة! (١).

## حُسن معاملة الأسرى

يتعين على المسلمين في بعض الظروف أن يحتفظوا بالأسرى. وأقرب الظروف إلى الذهن أن يكون العدو قد أسر من المسلمين رجالاً يلزم أن نبادلهم بأمثالهم. ولكن لا شك أن طريقة رسول الله ﷺ في التعامل مع الأسرى كانت في قمة الرحمة والإحسان.

لقد كانت القاعدة العامة التي حث عليها الرسول ﷺ في أول غزوة غنم فيها المسلمون أسرى هي: «استوصوا بهم - أي بالأسرى - خيراً» (٢).

إن الفطرة السليمة تأبى التعذيب للنفوس البشرية، بل إنها لا ترضى بتعذيب الحيوان أو الطير، وقد ربى الرسول ﷺ صحابته الكرام ﷺ على الرحمة... فقد روى جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله قال: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» (٣)، فكان الصحابة رضوان الله عليهم نماذج عملية في الرحمة بينى البشر جميعاً مسلمين وغير مسلمين. هذا هو المنطلق الذي كان يتحرك منه رسول الله ﷺ، والمسلمون سواء في قضية الأسرى أو في غيرها من القضايا.

بل إن شريعة الإسلام تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث تمنع تعذيب

(١) أخلاق الحروب / د. راغب السرجاني (ص ٣٠١-٣٠٤) بتصرف.

(٢) راه الطبراني في الكبير (٩٧٧)، وفي الصغير، وقال الهيثمي: إسناده حسن من حديث أبي عزيز ابن عمير. مجمع الزوائد (٦/١١٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٩٧) كتاب الأدب - ومسلم (٢٣١٨) كتاب الفضائل.



الأسير للإدلاء بمعلومات عن العدو... وقد قيل للإمام مالك: أئعدبُ الأسيرُ إن رُجى أن يدل على عورة العدو؟ قال: ما سمعت بذلك<sup>(١)</sup>.

### راحة الأسير البدنية

إن الناظر لحرص المنهج الإسلامي على راحة الأسير البدنية والصحية يُدرك - بما لا يدع مجالاً للشك - أن هذا المنهج إلهي، وليس من صنْع البشر! إنه ليس من أحد أرحم بالعباد من الله ﷻ.. ومن رحمته أنه أوصى برعاية الأسير حتى لو كان هذا الأسير كافرًا به سبحانه! وقد أبدع رسول الله ﷺ في تطبيق هذا المنهج الإلهي الرحيم فخرجت لنا عدة مواقف نجزم أنها لا توجد في تاريخ أمة غير أمة الإسلام.

### ✽ إطعام الأسرى:

قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>. في هذه الآية الكريمة من الدستور الإسلامي - القرآن الكريم - يحثُ الله تعالى عباده المؤمنين على الإحسان إلى أسراهم وإطعامهم، ويعدُّهم بذلك النعيم في الآخرة... وليس هذا الإحسان في حال توافر المال فقط، بل إن الله يأمر أن يكون هذا الإطعام والإحسان في كل الأحوال، حتى في حال الفقر والاحتياج! وهذا الذي تحمله لنا كلمة ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾.. يقول ابن كثير: أي يُطعمون الطعام وهم يحبونه ويشتهونه<sup>(٣)</sup>. ثم إن الأروع من ذلك أن الله ﷻ يحثُ المسلمين على فعل ذلك لا لشيء إلا لله سبحانه وتعالى، فيقول: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾<sup>(٤)</sup>، فنحن لا نكرم

(١) محمد بن يوسف المواق / التاج والإكليل (٣/٣٥٣).

(٢) سورة الإنسان: الآية: (٨).

(٣) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم (٤/٥٨٤).

(٤) سورة الإنسان: الآية: (٩).

الأسرى أو نطعمهم لرغبتنا في ثناءٍ مُعين، أو طلباً للمعاملة بالمثل، أو خوفاً من رقابة محلية أو عالمية، أو لغير ذلك من مصالح الدنيا.. إنما نفع ذلك لأننا نتقرب بهذا الفعل إلى الله عز وجل، ونرجو منه سبحانه المكافأة والجزاء، وهذا يُعطى أماناً أكثر للأسير، لأن المسلم يُحسن معاملته وهو يعلم أن الله يراقبه، وما دام الله يراقبنا في كل أحوالنا فسوف نُحسن إلى الأسرى في كل تعاملاتنا!

قال ابن عباس: أمر رسول الله ﷺ أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء.

ولم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يُقدمون للأسرى ما بقى من طعامهم، بل كانوا ينتقون لهم أجود ما لديهم من طعام، ويجعلونهم يأكلونه عملاً بوصية رسول الله ﷺ بهم.. وها هو أبو عزيز - شقيق مصعب بن عمير رضي الله عنه - يحكى ما حدث فيقول: «كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز، وأكلوا التمر.. لو صية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها؛ فأستحى فأردها فيردها على ما يمسه!»

### ❁ كسوة الأسرى:

لم يقتصر المسلمون على إطعام أسراهم من المشركين فحسب؛ بل إنهم كانوا يقدمون لهم الملابس أيضاً.. وهذا ثابت في الصحيح، فقد جعل البخارى رضي الله عنه باباً في الصحيح سمّاه: باب الكسوة للأسارى، وذكر فيه أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أَتَى بِأَسَارَى، وَأَتَى بِالْعَبَّاسِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ»، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ قَمِيصًا، فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يُقَدَّرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِيَّاهُ... فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه»<sup>(١)</sup> الحديث.

قال ابن عيينة: كانت له عند النبي ﷺ يدٌ فأحب أن يكافئه.

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٠٠٨) كتاب الجهاد والسير.

وورد أيضاً أن رسول الله ﷺ أمر لأسرى هوازن بالكساء .. فقد أمر رجلاً أن يقدم مكة فيشتري للسبي - الأسرى - ثياب المعقد<sup>(١)</sup>، فلا يخرج الحر منهم إلا كاسياً<sup>(٢)</sup>.

### ❁ توفير المأوى لهم:

حتى يتم النظر في شأن الأسرى كان المسلمون يجعلونهم في أحد مكانين؛ إما المسجد وهو أشرف مكان عند المسلمين، وإما بيوت الصحابة رضي الله عنهم. وكان المستهدف من إبقاء الأسرى في المسجد أن يروا أخلاق المسلمين وعبادتهم لعلهم يتأثرون بها، فيدخل الإيمان في قلوبهم ... وقد حدث هذا بالفعل مع بعضهم كثمارة بن أثال رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

وأما إبقاء الأسرى في منازل الصحابة رضي الله عنهم فكان هذا إكراماً كبيراً من المسلمين لهؤلاء الأسرى؛ ... فعن الحسن البصري أن رسول الله ﷺ كان يُؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: «أحسن إليه» فيكون عنده اليومين والثلاثة، فيؤثره على نفسه<sup>(٤)</sup>.

### ❁ راحة الأسير النفسية:

لم يكن اهتمام رسول الله ﷺ بالأسرى عن طريق راحتهم البدنية فقط، إنما كان يحرص تمام الحرص على راحتهم النفسية كذلك .. وهذه مشاعر راقية لم يكن يعرفها أو يسمع عنها أهل زمانهم، بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنه حتى بعد هذا التطور الكبير في المجتمعات الإنسانية ما زالت البشرية تفتقد مثل هذه المشاعر الفياضة، والأحاسيس المرهفة!

(١) ثياب المعقد: المُعَقَّدُ: ضَرَبٌ من بُرودِ هَجَرَ - انظر: تاج العروسى (١/ ٢١٣٠).

(٢) البيهقي / دلائل النبوة (٥/ ٢٦٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٢) كتاب الصلاة - ومسلم (١٧٦٤) كتاب الجهاد والسير.

(٤) الألوسى / روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى (٢٩/ ١٥٥)، والحديث من مراسيل

## ✽ الرفق بالأسرى، واللين معهم:

من أخلاق الإسلام البارزة في التعامل مع الأسرى الرفق ولين الجانب، حتى يشعروا بالأمن والطمأنينة، وقد كان من أخلاق رسول الله ﷺ أنه كان يردُّ على استفسارات الأسرى، ولا يسأموهم أو يملُّ من أسئلتهم، مما يُوحى بسعة صدره، وعمق رحمته ﷺ التي شملت البشر جميعاً...

ففي صحيح مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءِ لَيْبَى عَقِيلٍ، فَأَسْرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَسْرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَجُلًا مِنْ بَنِي عَقِيلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ<sup>(١)</sup>، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوِثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمِ أَخَذْتَنِي، وَبِمِ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ<sup>(٢)</sup>؟ فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ»، ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفَلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»، ثُمَّ انصَرَفَ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمَانٌ فَأَسْقِنِي، قَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ»<sup>(٣)</sup>.

فهذا التردد على الرجل كلما نادى عليه ﷺ - وهو القائد الأول للدولة الإسلامية - ومُنَادَاتِهِ بِاسْمِهِ ﷺ مجرداً يدل على مدى الرحمة والإنسانية التي يحملها الرسول ﷺ في قلبه لكل البشر.

وأعطى رسول الله ﷺ لأبي الهيثم بن التيهان أسيراً، وأمره بالإحسان إليه، فأخذه أبو الهيثم إلى منزله، ثم قال: إن رسول الله ﷺ أوصاني بك خيراً، فأنت حُرٌّ لوجه الله... وُروى أنه قال له: «أنت حُرٌّ لوجه الله، ولك سهمٌ من مالي»<sup>(٤)</sup>.

(١) هي ناقة رسول الله ﷺ.

(٢) سابقة الحاج: أراد بها العضباء؛ فإنها كانت لا تُسبق أو لا تكاد تُسبق، معروفة بذلك.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٤١) كتاب النذر.

(٤) الإمام البيهقي / شعب الإيمان (٤٦/٤) (٤٦٠٦).

## ✽ احترام مشاعرهم الإنسانية:

فوجد النبي ﷺ يوجّه أصحابه الكرام توجيهات إنسانية راقية في شأن التعامل مع الأسرى من النساء والأطفال، فينهى عن التفريق بين الأم وطفلها؛...  
فعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله يقول: «من فرّق بين والدّة وولدها فرق الله بينه وبين أحبّته يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

ولعلّ القصة التالية تكون خاتمة جميلة لهذا المبحث، حيث تظهر فيها رحمة الرسول ﷺ في أبهى صورها، فقد أتى أبو أسيد الأنصاري رضي الله عنه بسبي من البحرين فصُفّوا، فقام رسول الله ﷺ، فنظر إليهم؛ فإذا امرأة تبكي؛ فقال: «ما يُبكيك؟» فقالت: بيع ابني في بني عبس؛ فقال رسول الله ﷺ لأبي أسيد: «لتركبَنّ فلتَحِيئنَ به»، فركب أبو أسيد فجاء به<sup>(٢)</sup>.

لقد رقّ قلب رسول الله ﷺ للمرأة الأسيرة فأرسل أحد جنوده إلى بلدٍ بعيد ليأتي لها بابنها، حتى يهدأ بالها، وتجف دموعها!

ولعلّ السؤال الأبرز الذي يخطر على بالنا الآن: هل هناك قائد عسكري في العالم ينتصر في معركة فيشغل نفسه وجنوده بإسعاد امرأة أسيرة بسيطة لا يعرفها أحد؟!!

إن الإجابة التي يعرفها الجميع هي أن ذلك لا يكون أبداً!!

إلا أن يكون هذا القائد هو محمد رسول الله ﷺ!!

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٢).

(٢) هو عبد الله بن ثابت الأنصاري، وكنيته أبو أسيد، وهو غير أبي أسيد الساعدي، كان يخدم النبي ﷺ، وروى عنه «كلوا الزيت وادهنوا به» أسد الغابة (١٣/٥)، الإصابة (٩٥٧٣).

(٣) رواه الحاكم، وقال: حديث صحيح الإسناد. ولم يُخرجاه، ورواه سعيد بن منصور في سننه (٢٦٥٤).

(٤) بتصرف من كتاب (أخلاق الحروب).

## أخلاق النبي ﷺ عند عدم تحقيق النصر

لا يوجد من ينتصر على الدوام!

والله عز وجل من رحمته جعل هناك بعض المواقف في حياة رسول الله ﷺ لا يستطيع فيها أن يحقق النصر! .. ووجه الرحمة في ذلك أن رسول الله ﷺ علمنا ماذا نفعل في مثل هذه المواقف .. ولو كانت حياته ﷺ كلها انتصارات ما وجدنا قدوة في حال هزيمتنا .. ولقد مرت به ﷺ مواقف عصبية في السيرة النبوية تعامل معها بأسلوبٍ فريد، ولعل أهم ما يميز هذا التعامل أنه لم يخرج أبداً عن الطابع الأخلاقي الراقى الذي كان يتصف به رسول الله ﷺ في كل أحواله.

### ❁ موقفه مع أهل الطائف:

❁ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت للنبي ﷺ هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أُحُدٍ، قال: «لقد لقيتُ من قومِكِ<sup>(١)</sup> ما لقيتُ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبة<sup>(٢)</sup>»، إذ عرَّضتُ نفسي على ابنِ عبدِ يالِيلِ بنِ عبدِ كُلالِ، فلم يُجِبنِي إلى ما أردتُ، فأنطَلقتُ وأنا مَهْمومٌ على وجهي<sup>(٣)</sup>، فلم أستفق إلا وأنا بقرنِ الثعالبِ<sup>(٤)</sup> فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إنَّ اللهَ قد سمعَ قولَ قومِكِ لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعثَ إليك ملكَ الجبالِ لتأمرهُ بما شئتَ فيهم، فناداني ملكُ الجبالِ فسلمَ عليَّ، ثم قال: يا مُحَمَّدُ، فقال، ذلك فيما شئتُ، إن شئتُ أن أطبقَ عليهم الأخشبينِ؟<sup>(٥)</sup> فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يُخرجَ

(١) لقيت من قومك: المراد من قومها قريش.

(٢) يوم العقبة: هو اليوم الذي وقف فيه النبي ﷺ عند العقبة بمنى، داعياً الناس إلى الإسلام، فما أجابوه وأذوه.

(٣) على وجهي: أي على الجهة المواجهة لوجهي.

(٤) فلم أستفق إلا بقرن الثعالب: لم أظن لنفسي وأنته لحالي - قرن الثعالب: قرن المنازل.

(٥) الأخشبين: الأخشب من الجبال: الخشن الغليظ، وهما جبلا مكة: أبو قبيس، والجبل الذي يقابله.

الله مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» (١).

### ❁ أخلاقه بعد غزوة أحد:

تعدُّ أزمة أحد من أشد الأزمات التي مرت برسول الله ﷺ في حياته، لدرجة أن الله سبحانه وتعالى سمّاها «مصيبة»! ... قال تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا﴾ (٢)؛ وعادة ما يخرج الإنسان عن شعوره عند المصائب الكبرى، ولكن رسول الله ﷺ كان مسيطراً تماماً على كل أحاسيسه ومشاعره، فخرج لنا سلوكه وردُّ فعله على الصورة الراقية التي اعتدنا، ولم نر منه ما يخالف منهجه الأخلاقي في الحياة.

يروى أبو بن كعب رضي الله عنه: أنه لما كان يوم أحدٍ أُصيب (أى استشهد) من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة فيهم حمزة، فمَثَلُوا بهم؛ فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنُربينَّ عليهم (٣)، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (٤). فقال رجل: «لَا قَرِيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ!».. فقال رسول الله ﷺ: «كُفُّوا عَنِ الْقَوْمِ إِلَّا أَرْبَعَةً» (٥).

فمع شدة مصاب يوم أحد، ومع شدة ألم رسول الله ﷺ إلا أنه يطبق شرع الله سبحانه وتعالى، فلا يسمح بتجاوز، ولا يقبل بتعدُّ، ولا يتمناه... أما ما روى عن سبب نزول الآية السابقة من أن الرسول ﷺ قال عندما رأى حمزة رضي الله عنه

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق - ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٦٥).

(٣) أى: لتزيدن في القتل عن هذا العدد.

(٤) سورة النحل: الآية: (١٢٦).

(٥) رواه الترمذى، وابن حبان، والحاكم، والبيهقى، والنسائى، وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، وقال الألبانى: حسن صحيح

الإسناد.

مُمَثَّلًا بِهِ يَوْمَ أَحَدٍ: «لَأَمْثَلَنَ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup> فَقَدْ ضَعَفَهُ ابْنُ حَجْرٍ فِي الْفَتْحِ<sup>(٢)</sup>،  
وَكَذَلِكَ ضَعَفَهُ غَيْرُهُ<sup>(٣)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) رواه الحاكم، وقال الذهبي في التلخيص: «صالح» واو، وهو من رواية الحديث. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار والطبراني، وفيه صالح بن بشير المرى وهو ضعيف. وقال الألباني: ضعيف السلسلة الضعيفة (٥٥٠).

(٢) ابن حجر / فتح الباري (٧ / ٣٧١).

(٣) أخلاق الحرب (ص ٢٠٠-٢٠١) بتصرف.





النبي ﷺ

وحقوق الإنسان





## النبي ﷺ وحقوق الإنسان

❁ لا بد أن نعلم أن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة راقية كلها تعظيم وتكريم.. فلقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) (١).

فالإسلام مخلوق كريم على الله، خلقه ربه في أحسن تقويم، وصوره فأحسن صورته.. خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وميَّزه بالعلم والإرادة، وجعله خليفته في الأرض، ومحور النشاط في الكون، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فكل ما في الكون له ولخدمته. أما هو فجعله تعالى لنفسه.

وإذا كانت هذه كرامة الإنسان في نظر الدين عامة، فله في الإسلام خاصة مكان أي مكان. تحدَّث القرآن عن الإنسان في عشرات بل مئات من آياته، وحسبنا أن أول فوج من آيات الوحي الإلهي نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ وكانت خمس آيات لم تُغفل شأن الإنسان وعلاقته بربه... علاقة الخلق والتكريم. وعلاقة الهداية والتعليم، واختارت الآيات لفظ «الرب» لما يشعر به من التربية والرعاية والترقية في مدارج الكمال... هذه الآيات الأولى في القرآن هي قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ (٢) (٣).

(١) سورة الإسراء: الآية: (٧٠).

(٢) سورة العلق: الآيات: (١-٥).

(٣) الإيمان والحياة / د. يوسف القرضاوي (ص ٦٠-٦١) بتصرف.

✽ يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كَرَّمَهُ وَفَضَّلَهُ وَشَرَّفَهُ، وَخَلَقَهُ لِنَفْسِهِ وَخَلَقَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَصَّهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَقُرْبِهِ وَإِكْرَامِهِ بِمَا لَمْ يُعْطِهِ غَيْرُهُ، وَسَخَّرَ لَهُ مَا فِي سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ وَمَا بَيْنَهُمَا، حَتَّى مَلَائِكَتِهِ اسْتَعْدَمَهُمْ لَهُ، وَجَعَلَ لَهُمْ حَفَظَةً لَهُ فِي مَنَامِهِ وَيَقْظَتِهِ، وَظَعَنَهُ وَإِقَامَتَهُ.. وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ كُتُبَهُ، وَأَرْسَلَهُ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، وَخَاطَبَهُ وَكَلَّمَهُ مِنْهُ وَإِلَيْهِ.. فَلِلْإِنْسَانِ شَأْنٌ لَيْسَ لِسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ»<sup>(١)</sup>.

✽ فالإنسان له قيمته ومكانته في الإسلام... ولذا جاء النبي ﷺ ليوضح ويؤكد على حق المساواة بين كل الناس.. فلا فرق بين عربى وعجمى ولا بين أبيض وأسود ولا بين حاكم ومحكوم ولا بين غنى وفقير إلا بالتقوى.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾<sup>(٢)</sup>.

ولذا قال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَيَبْلُغُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»<sup>(٣)</sup>.

✽ ومن أجل ذلك أنكر النبي ﷺ على هذا الصحابي الذي عير صحابياً آخر بأمه... عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُؤَيْدٍ، قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبْدَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَقِيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ سَبَّ الرَّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ

(١) مدارج السالكين (١/ ٢١٠).

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والبيهقي وأبو نعيم وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٠٠).

إِخْوَانِكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطَعُمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»<sup>(١)</sup>.

✽ ولذلك حرم النبى ﷺ ظلم الإنسان مسلماً كان أو كافراً لأن الإنسان له حرمة وكرامته.

قال ﷺ: « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ »<sup>(٢)</sup>.

✽ وفي المقابل فقد أمرنا الله ﷻ بِالْعَدْلِ مع كل الناس حتى مع الأعداء فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾<sup>(٣)</sup>.

✽ ولذلك كان النبى ﷺ ينهى عن مصادرة حق الإنسان في الدفاع عن نفسه فكان ﷺ يقول:- «... فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا...»<sup>(٤)</sup>. ويقول لمن يتولى الحُكْم والقضاء بين الناس: «... إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ الْخَصْمَانِ فَسَمِعْتَ مِنْ أَحَدِهِمَا، فَلَا تَقْضِ لِأَحَدِهِمَا حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ»<sup>(٥)</sup>.

✽ بل كان النبى ﷺ يُحذِّر من إهانة الناس أو تعذيبهم.

فعن هشام بن حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إِنْ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا »<sup>(٦)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠) كتاب الإيمان - ومسلم (١٦٦١) (٣٨) كتاب الأيمان.

(٢) حسن: رواه أحمد، وأبو يعلى، وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (١١٩).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٠٦) كتاب الوكالة - ومسلم (١٦٠١) كتاب المساقاة.

(٥) حسن: رواه أحمد، والحاكم، وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (٤٧٨).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦١٣) كتاب البر والصلة.

✽ ومن حرص الإسلام على مكانة الإنسان فقد حرّم الانتحار حتى يحمى حياة الإنسان من نفسه.

فقال ﷺ: « مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا »<sup>(١)</sup>.

✽ فالإسلام يحفظ للإنسان حياته ولذلك جعل النبي ﷺ قتل النفس من كبائر الذنوب... فقال ﷺ: عندما سُئِلَ عن الكبائر: «الإشراك بالله... وقتل النفس...»<sup>(٢)</sup>. فجاءت كلمة النفس عامة لتشمل أى نفس تُقتل دون وجه حق.

وفي حقّ فريد يختصّ بتشريعه ﷺ - ولم يتطرق إليه نظام وضعي ولا ميثاق من موثيق حقوق الإنسان - يأتي حقّ الكفاية، ومعناه أن يحصل كل فرد يعيش في كنف الدولة الإسلامية على كفايته من مقومات الحياة؛ بحيث يحيا حياة كريمة، ويتحقق له المستوى اللائق للمعيشة، وهو يختلف عن حد الكفاف الذي تحدثت عنه النظم الوضعية، والذي يعنى الحد الأدنى لمعيشة الإنسان<sup>(٣)</sup>.

ولقد قال ﷺ مؤكداً على هذا الحق: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ»<sup>(٤)</sup>. وقال مادحاً: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْعَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»<sup>(٥)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٧٨) كتاب الطب - ومسلم (١٠٩) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٥٣) كتاب الشهادات - ومسلم (٨٨) كتاب الإيمان.

(٣) انظر: خديجة النبراوى / موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام (ص ٥٠٥-٥٠٩).

(٤) صحيح: رواه البخارى في الأدب المفرد، والطبرانى في الكبير، والحاكم، والبيهقى، وصححه الألبانى.

في صحيح الجامع (٥٣٨٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٨٦) كتاب الشركة - ومسلم (٢٥٠٠) كتاب فضائل الصحابة.

✽ ومن أعظم الحقوق التي شرعها الإسلام وجاء بها الرسول ﷺ: حق حرية العقيدة... فقد قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولذلك لم يُكره النبي ﷺ أحداً لكي يدخل في هذا الدين العظيم.  
بل إنه لما دخل مكة فاتحاً منتصراً لم يُجبرهم على الدخول في الإسلام بل قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

✽ هكذا جاء النبي ﷺ ليُعرف الكون كله حقوق الإنسان... ولا عجب في ذلك فهو الذي قال الله (جل وعلا) في حقه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

## النبي ﷺ وحق الوالدين

لقد أعطى النبي ﷺ هذا الأمر اهتماماً خاصاً... وذلك لشدة حرص النبي ﷺ على أن يكون كل مسلم بارّاً بوالديه.. وذلك من باب قول الله (جل وعلا):  
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾<sup>(٤)</sup>.

✽ وها هو النبي ﷺ يوضح لنا ثمرات بر الوالدين من أجل أن نجتهد في هذا الباب العظيم من أبواب الطاعة.

### (١) بر الوالدين... يفرض الله به الكربات:

إن بر الوالدين جعله الله سبباً في تفريج الكرب... ولذا أورد الإمام البخارى في صحيحه حديثاً في ذلك وبوّب له عنواناً قال فيه: «باب إجابة دعاء

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٢) سورة يونس: الآية: (٩٩).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٤) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ».

قال ﷺ: « بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرَ يَتِمَّاشُونَ أَحَدَهُمُ الْمَطَرُ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأُطْبِقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً، فادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجَهَا. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صَبِيَّةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أُرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ نَاءَ بِي الشَّجَرُ، فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَحِثْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصَّبِيَّةِ قَبْلَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ. فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ... »<sup>(١)</sup>.

(٢) الفوز بدعوة الوالدين يجلب التوفيق في الدنيا والنجاة في الآخرة:

«رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ».

فقد قال ﷺ: «ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ...»<sup>(٢)</sup>.

فمن فاز بدعوة الوالدين فهو من الفائزين في الدنيا والآخرة؛ لأن النبي ﷺ قال: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ وَسَخْطُهُ فِي سَخْطِهِمَا»<sup>(٣)</sup>... وَمَنْ فَازَ بِرِضَا اللَّهِ فَهُوَ الْفَائِزُ وَمَنْ بَاءَ بِسَخْطِ اللَّهِ فَهُوَ الْخَاسِرُ.

(٣) بر الوالدين سبب لسعة الرزق وزيادة العمر:

قال ﷺ: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُعْظَمَ اللَّهُ رِزْقُهُ، وَأَنْ يُمَدَّ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ »<sup>(٤)</sup>

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢١٥) كتاب البيوع - ومسلم (٢٧٤٣) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) حسن: رواه الضياء، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٣٢).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمرو وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٠٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٦٧) كتاب البيوع - ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة.



وفي رواية للبيهقي: « فليبر والديه ، وليصل رحمه ».

#### (٤) بر الوالدين كفارة للكبائر:

قال مكحول: «بر الوالدين كفارة للكبائر، ولا يزال الرجل قادرًا على البر مادام في فصيلته من هو أكبر منه»<sup>(١)</sup>.

#### (٥) بر الوالدين يعدل الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله!

أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله، قال: «فهل من والدك أحد حى؟» قال: نعم، بل كلاهما، قال: «فتبغى الأجر من الله؟» قال: نعم، قال: «فارجع إلى والدك فأحسن صحبتهم»<sup>(٢)</sup>... قال الإمام النووي: في الحديث دليل لعظم فضيلة بر الوالدين وأنه أكد من الجهاد. اهـ.

#### (٦) بر الوالدين من أسباب حسن الخاتمة:

نعم يا إخواني فإن بر الوالدين طاعة لله عز وجل.. ولقد أجرى الله الكريم عاداته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه... فمن عاش على بر الوالدين يموت على تلك الطاعة لله (جل وعلا)... وها هو شاب عاش على بر الوالدين فلما حضرته سكرات الموت جاء الناس يلقنونه الشهادة فكان يقول لهم: قولوا لا إله إلا الله.

#### (٧) بر الوالدين سبب للفوز برحمة الله ومغفرته:

فإن كان الله قد غفر لامرأة من البغايا لأنها سقت كلبًا فكيف بمن يكون بارًا بوالديه يقدم لهما الطعام والشراب ويحسن معاملتهما ويرحمهما. فقد قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى.. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح السنة للبعغوى (١٣/١٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٤٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٣٥٢٢).

(٨) بر الوالدين سبب لقبول الأعمال والتجاوز عن السيئات :

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾<sup>(١)</sup>.

(٩) بر الوالدين سبب لدخول الجنة :

فقد قال النبي ﷺ: « الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ »<sup>(٢)</sup>.

### النبي ﷺ و حقوق الأبناء

إن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان نعمة الأولاد .. فهم منحة إلهية وهبة ربانية .. فهم زينة الحياة وزهرتها.

قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهم أمانة في نفس الوقت يجب أن نحافظ عليها فقد قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٥، ١٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٤٥).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٤٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٤).

(٥) سورة التحريم: الآية: (٦).

وقال ﷺ كما في الصحيحين: « كُلكُم راع وكُلكُم مسؤولٌ عن رعيته ». فالإحسان إلى الأولاد وتربيتهم أداء للأمانة.. وإهمالهم والتقصير في حقوقهم غشٌ وخيانة.

وها هي بعض حقوق الأبناء على الآباء:

### ❁ الحق الأول: اختيار الأم الصالحة:

ومن أهم الأسباب التي تعين على صلاح الأبناء: اختيار الزوجة الصالحة التي هي بمثابة التربة الخصبة التي تُخرج لنا نباتًا طيبًا... ولذا قال تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقال ﷺ كما في الصحيحين: « فَأظْفَرِ بَذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ »<sup>(٢)</sup>.

فإن هذه الزوجة ستكون أم الأولاد إن شاء الله، فإن كانت صالحة نشأوا على الصلاح، وإن كانت غير ذلك فسدوا، ولذلك فينبغي اختيار الزوجة على أساس من الخلق الكريم، والدين، وأن تكون من عائلة صالحة.

❁ جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأبّه على عقوقه لأبيه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين! أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى. قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟

قال عمر: أن ينتقى أمه ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب - أي القرآن -.

قال الولد: يا أمير المؤمنين! إن أبي لم يفعل شيئًا من ذلك... أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسى، وقد سمّاني جُعلاً - أي خنفساء - ولم يُعلمنى من الكتاب حرفاً واحداً.

فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إلىّ تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعُقك وأسأت إليه قبل أن يسىء إليك!!

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٢١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٩٠) كتاب النكاح - ومسلم (١٤٦٦) كتاب الرضاع.

## ❁ الحق الثاني: التسمية والاستعاذة بالله من الشيطان قبل الجماع:

وليحرص الزوج - كل الحرص - على أن يُحصن أولاده قبل مجيئهم وذلك بأن يقول هذا الدعاء عند الدخول بالزوجة ... وذلك بأن يأخذ بناصيتها ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

ثم يقول عند الجماع: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا».. ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبِنِي الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ، أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»<sup>(٢)</sup>.

## ❁ الحق الثالث: عدم التخلص منه بالإجهاض خشية الفقر:

❁ فالإجهاض مُحرم بالكتاب والسنة.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.  
وفي الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «الشرك بالله».

قيل: ثم أي؟

قال: «عقوق الوالدين».

قيل: ثم أي؟

قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»<sup>(٤)</sup>.

(١) حسن: رواه أبو داود، وابن ماجه، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤١) - وأصله في صحيح البخارى.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١) كتاب الوضوء - ومسلم (١٤٣٤) كتاب النكاح.

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٣١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٦١) كتاب التفسير - ومسلم (٨٦) كتاب الإيمان.

### ❁ الحق الرابع: الفرح بالمولود ذكراً كان أو أنثى:

فلأولاد هبة من الله تعالى فينبغي أن تفرح بتلك الهبة:

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿١٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾<sup>(١)</sup>.

فلا تسخط إن كان المولود أنثى، فإنك لا تدري أى ذلك خير .. فقد قال تعالى: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد كانت مريم - عليها السلام - أنثى ومع ذلك أنجبت نبياً كريماً وهو عيسى ﷺ ... وفاطمة - عليها السلام - أنجبت سيدها شباب أهل الجنة.

وفي المقابل فلقد كان ولد نوح ذكراً ومع ذلك مات كافراً.

ومع ذلك فإن كان الله قدر ورزقك بالأنثى فغيرك لم يرزقه الله بذكر ولا أنثى ... فاحمد الله على تلك النعمة.

### ❁ البنات سترٌ لك من نار جهنم:

ومع ذلك فلتعلم أن النبي ﷺ قد أخبر أنه من رزقه الله بالبنات فأحسن إليهن كن له سترًا من نار جهنم.

قال ﷺ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup> ..  
وفي رواية مسلم: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ»<sup>(٤)</sup> وَضَمَّ أَصَابِعَهُ.

(١) سورة الشورى: الآية: (٤٩، ٥٠).

(٢) سورة النساء: الآية: (١١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٤١٨) كتاب الزكاة - ومسلم (٢٦٢٩) كتاب البر والصلة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣١) كتاب البر والصلة والآداب.

### ❁ الحق الخامس: التأذين في أذنه اليمنى:

يُستحب التأذين في أذن المولود عند ولادته وذلك لعدة أمور:

لفعل النبي ﷺ... فقد قال أبو رافع رضي الله عنه: رأيت النبي ﷺ أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ رضي الله عنها بالصلاة <sup>(١)</sup>.

لكي يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات التوحيد وشعار الإسلام.

### ❁ الحق السادس: تسمية المولود باسم حسن:

وهذا من حق الولد على أبيه؛ فإن الاسم الحسن يتفاءل الناس به ويستبشرون.. والاسم القبيح يُعرّض صاحبه لإيذاء الناس وسخريتهم.

وفي ذلك قال رضي الله عنه: «خَيْرُ الْأَسْمَاءِ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ: هَمَّامٌ وَحَارِثٌ» <sup>(٢)</sup>.

### ❁ الحق السابع: العقيقة عن المولود:

وهي سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ... وهي أن تعق عن ولدك بعقيقة تُذبح عنه في يومه السابع... كما قال رضي الله عنه: «كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيْقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ وَيُسَمَّى» <sup>(٣)</sup> وهي شاتان عن الغلام وشاة عن الجارية.. ويُستحب طبخها دون إخراج لحمها نيئاً، وتُستحب يوم سابعه، وتُجزئ قبل ذلك أو بعده، ويجزئ فيها ما يُجزئ في الأضحية.

### ❁ الحق الثامن: الرضاعة من لبن الأم:

فعلى الأم المسلمة الصالحة ألا تحرم طفلها من حقه من أن يرضع من لبنها فهو في الحقيقة يرضع حبها وحنانها قبل لبنها.

(١) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الإرواء (١١٧٣).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وابن وهب في الجامع، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٤٠).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح

فإذا منعت الأم طفلها من الرضاع بغير عذر كانت آثمة .. والدليل على ذلك ما ثبت في الحديث عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ ، فَأَخَذَا بِضَبْعِي ، فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعَرًا ، فَقَالَا : اصْعَد ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أُطِيقُهُ ، فَقَالَا : إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ ، فَصَعِدْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ - وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِيهِ - ثُمَّ انْطَلَقَ بِي ، فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ تَنْهَشُ ثَدْيَهُنَّ الْحَيَّاتُ ، قُلْتُ : مَا بَالُ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ يَمْنَعُونَ أَوْلَادَهُنَّ الْبَانَهُنَّ » <sup>(١)</sup>.

هذا، ولقد أثبت الطب الحديث: أن إرضاع الأم لولدها يقى الثدي من السرطان، ويقوى جهاز المناعة عند الطفل .. ويقيه من كثير من الأمراض المعدية ... فسبحان الذى خلق فسوَّى، والذى قدَّر فهدى.

### ❁ الحق التاسع: التنشئة على العقيدة الصحيحة:

وهذا من أهم الواجبات فى التربية، فإنهم إذا لم ينشأوا على العقيدة الصحيحة فلا خير فيهم، فينبغى أن يولى الإنسان المربى أكثر اهتمامه لهذا الجانب، وقد اهتم به النبي ﷺ حيث قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكان غلامًا: « يَا غُلامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » <sup>(٢)</sup>.

### ❁ الحق العاشر: الأمر بالصلاة لسبع والضرب عليها لعشر:

فإنها - أى الصلاة - من أعظم حقوق الله على عباده، وقد قال النبي ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» <sup>(٣)</sup> فينبغى الحرص على ذلك لأن المسلم مأمور بأن

(١) صحيح: رواه ابن حبان، وابن خزيمة، والحاكم، وصححه الألباني في التعليق الرغيب (٢/ ٧٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٣) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، وحسنه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٨٦٨).

يقى نفسه وأولاده من النار، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾<sup>(١)</sup>.

### ✽ الحق الحادى عشر: التفريق بينهم فى المضاجع إذا بلغوا عشرًا:

وهذا أدب نبوى رفيع، وفيه من الخير ما فيه. وقد تهاون فيه كثير من الناس فجرّ عليهم ذلك التهاون ما شاء الله من أنواع المفساد.. فالواجب فصل البنين عن البنات فى الفراش، وكذلك عدم ترك الأولاد يشتركون فى غطاءٍ واحد، وقد سبق قوله ﷺ: « وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِى الْمَضَاجِعِ ».

### ✽ الحق الثانى عشر: تعليمه أركان الإيمان والإسلام:

وعلى الوالد أن يُعلِّم أولاده أركان الإيمان والإسلام وأن يغرس فى نفوسهم العقيدة الصحيحة فيُعلمهم أن الله فى السماء، وأنه سميع بصير وأنه ليس كمثله شىء.. إلى غير ذلك من أمور العقيدة.

### ✽ الحق الثالث عشر: تعليمه القرآن:

وهذا من أفضل ما تتقرب به إلى الله -أيها الوالد الكريم- فلاشتغال بحفظ كتاب الله اشتغال بأعلى المطالب.. وفى هذا العمل الطيب حماية لهم من الضياع والانحراف وروضة لهم ولآبائهم فى الدنيا والآخرة.

### ✽ الحق الرابع عشر: النفقة عليهم:

فإنه لا بد للإنسان من أن يبذل لأولاده وأهل بيته من النفقة، ومن الجهد، ومن الوقت.. وينبغى أن يُحسن نيته فى ذلك، وأن يحتسبه عند الله تعالى، حتى ينال فيه الأجر من الله تعالى... وقد قال النبى ﷺ: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥) كتاب الإيمان - ومسلم (١٠٠٢) كتاب الزكاة.



قال ﷺ كما في صحيح مسلم: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْسِبَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ»<sup>(١)</sup>.

### ✽ الحق الخامس عشر: العدل بين الأولاد:

وليحرص الوالدان على العدل بين أولادهما .. ولا بأس أن يحب الرجل بعض أولاده أكثر من بعض ما لم يُصاحب ذلك أى ظلم أو جور.

فلقد كان يعقوب يحب يوسف - عليهما السلام - أكثر من بقية إخوته وذلك لأن المحبة محلها القلب .. والقلب لا يملك زمامه إلا الله ﷻ فلا عجب أن يحب الوالد ولده الصالح الذى يحفظ القرآن ويصلى ويصوم ويطيع والديه أكثر من حبه لولده الذى يترك الصلاة ويشرب الدخان .. ولكن على الوالد أن لا يبالغ فى إظهار هذه المحبة ومتبوعاتها إلا لعله من العلل ... كأن يقول لأبنائه: فلان أحسن منكم لكونه يصلى ويصوم، فحيثئذ قد يحملهم هذا القول وهذا الشاء على الصلاة والصيام.

وكذلك ليحرص الوالد على ألا يحمله حبه لولدٍ من أولاده على أن يعطيه ويحرم إخوانه ... فهذا من الظلم الذى نهى الله عنه.

عَنْ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أُشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.

وفى رواية: «فَلَا تُشْهِدْنِي إِذَا .. فَإِنِّي لَا أُشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ»<sup>(٢)</sup>.

- وأخيراً: احذر أيها الوالد الكريم أن تُفرق فى المعاملة بين الذكر والأنثى

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٩٦) كتاب الزكاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٨٧) كتاب الهبة - ومسلم (١٦٢٣) كتاب الهبات.

فقد قال ﷺ كما في الصحيحين: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ».

❁ الحق السادس عشر: إلزام البنات بالحجاب:

الذى أمر الله به حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾<sup>(١)</sup> فهذا الحجاب الإسلامى الذى يستر جميع بدن الفتاة، فيه الحفاظ على دينها، وشرفها.

❁ الحق السابع عشر: غرس القيم الحميدة فى نفوس الأطفال:

وليحرص الوالد على أن يغرس فى نفس ولده القيم الحميدة مثل: البر والتقوى والصدق والأمانة والجلم والرحمة وصلة الأرحام والصبر والكرم والإيثار والتسامح والعفو عند المقدرة ومصاحبة الصالحين وبر الوالدين والإحسان إلى الجيران والرحمة بالفقير واليتيم وحسن الخلق.. حتى ينشأ الولد على حب معالى الأمور ومكارم الأخلاق.

❁ الحق الثامن عشر: تعويدهم على السلوك القويم وتصحيح أخطائهم:

فإن النبى ﷺ لما رأى عمر بن أبى سلمة - وكان غلامًا فى حجره - ويده تطيش فى صحيفة الطعام، فقال ﷺ له: «يا غلام سمّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك»<sup>(٢)</sup> فقد حرص النبى ﷺ على تقويم سلوك الصبى، وتعويده على التصرفات السليمة.

❁ الحق التاسع عشر: تحذير الأولاد من الأخلاق الرذيلة:

وليحرص الوالد على أن يُجَنَّب أولاده الأخلاق الرذيلة كالكذب والسرقة والحسد والحقد والخيانة والغيبة والنميمة وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام والبخل واحتقار الآخرين والأثرة وغيرها من الأخلاق المرذولة حتى ينشأ على

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٧٦) كتاب الأطعمة - ومسلم (٢٠٢٢) كتاب الأشربة.

بُغض تلك الأخلاق.

### ❁ الحق العشرون : ملاطفتهم ومداعبتهم وتقبيلمهم :

فإن النبي ﷺ كان يداعب الصبيان، ويلاطفهم، ويتقرب منهم، ويُقبلهم، وانظر إلى قوله ﷺ: «يا غلام» ففيه تودُّد وتحبُّب إلى الصغير، وإشعار له بذاته، وقد كان ﷺ يحمل الصغير، ويكنيه، ويسلم على الصبيان، ونحو ذلك. وكان يحمل بناته، وأولاد بناته فيقبلهم.

### ❁ الحق الحادي والعشرون : تعليمهم ما ينفعهم من علوم الدين والدنيا :

وهذا من أهم ما يجب على الوالدين .. أن يحرصا على تعليم أبنائهم ما ينفعهم من علوم الدين التي لا بد لهم منها.

### ❁ الحق الثاني والعشرون : تعليمهم الألعاب المباحة للترويح عنهم :

ويجوز للوالد أن يُعلم أولاده الألعاب المباحة التي ليس فيها شيء محرم ليستفيد جسده من الحركة.. وعقله من التفكير السليم. ولذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(١)</sup>: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل».

### ❁ الحق الثالث والعشرون : عدم الدعاء على الأولاد :

فقد يحدث أحيانا أن يتسبب الأولاد في بعض المشاكل لوالديهم، أو يسببوا لهما بعض الإزعاج، أو الأذى، وحينئذٍ يتعجل بعض الآباء أو الأمهات، فيدعوا على أولادهم، سواء بالموت، أو بالمرض، أو غير ذلك. وهذا لا يجوز؛ فإن النبي ﷺ قال: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم»<sup>(٢)</sup>.

(١) وإن كان الأثر في أسانيده مقال.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٠٠٩) كتاب الزهد والرقائق.

والأولى أن يدعو الوالدان للأولاد .. فيعتادان إذا غضبا أن يقولوا: هداك الله يا ولدى، غفر الله لك يا بُنى، ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

## النبي ﷺ وحق الرحم

وها هو النبي ﷺ يحض الأمة على صلة الرحم من أجل أن تتآلف القلوب ويتواصل الأقارب فيما بينهم.

❁ وها هو النبي ﷺ يخبرنا بثمرات صلة الأرحام:

(١) صلة الرحم شعار الإيمان بالله واليوم الآخر:

فقد قال ﷺ: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ »<sup>(٢)</sup>.

(٢) إِنْ اللَّهُ بِرَبِّكَ يَصِلُ الْوَاصِلُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فِيمَدَهُ بِالرَّحْمَةِ، وَييسر

له الأمور ويفرج عنه الكربات:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ وَمَنْ بَتَّهَا بَتَّته »<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

(٣) أنها تجلب للعبد رضا الله ومحبته:

وذلك لأن الله عز وجل يحب العبد الوفي الذي لا ينسى أبداً حق أقاربه

وأرحامه.

قال رسول الله ﷺ: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حُقَّتْ<sup>(٥)</sup> مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ »<sup>(٦)</sup>.

(١) موسوعة الآداب الإسلامية (١/١٩١، ١٩٢).

(٢) متفق عليه. رواه البخارى (٦١٣٨) كتاب الأدب - ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٣) بته: قطعتة.

(٤) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١٤).

(٥) حُقَّتْ: وجبت.

(٦) صحيح: رواه أحمد، والطبرانى فى الكبير، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٢١).

(٤) أنها أعجل الطاعة ثواباً :

عن أبي بكره رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «... وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلته سرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرةً، فنتمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا»<sup>(١)</sup>.

(٥) أنها من أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الإيمان به :

قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله ثم صلة الرحم»<sup>(٢)</sup>.

(٦) صلة الرحم يكفر الله بها سيئات العبد :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله! إنى أصبت ذنباً عظيماً فهل من توبة؟ قال: «هل لك من أم؟» قال: لا. قال: «هل لك من خالة؟» قال: نعم. قال: «فبرها»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «الخالة بمنزلة الأم»<sup>(٤)</sup>.

(٧) صلة الرحم تجعلك في أعلى المنازل :

قال ﷺ: «... إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةٍ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عَزْوَاقًا وَعِلْمًا وَلَمْ يَرِزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النَّبِيِّ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنَيْتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرِزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْطِئُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرِزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠٥).

(٢) حسن: رواه أبو يعلى، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٦).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٥٠٤).

(٤) صحيح: رواه الترمذي، وأبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٣٩) وأصله في

بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنَيْتِهِ فَوَزُرُهُمَا سَوَاءً»<sup>(١)</sup>.

(٨) أن الصدقة على ذي الرحم أعظم أجراً من الصدقة على المسكين:

عن سلمان بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وهى على ذى الرحم اثنتان: صدقة وصلّة»<sup>(٢)</sup>.

(٩) أنها من أسباب البركة فى الرزق والعمر:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب أن يُيسر له فى رزقه<sup>(٣)</sup>، ويُيسر له فى أثره<sup>(٤)</sup>، فليصل رحمه»<sup>(٥)</sup>.

(١٠) صلة الرحم تعمر الديار:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يُعمرن الديار ويزدن فى الأعمار»<sup>(٦)</sup>.

(١١) أنها من أعظم أسباب دخول الجنة:

وعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: دلنى على عمل عمل أعمله يدينى من الجنة، ويبيعدنى من النار، قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل ذاك رحمه»<sup>(٧)</sup>، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن تمسك بما أمر به دخل الجنة»<sup>(٨)</sup>.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، إنى إذا رأيتك طابت نفسى

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٥٨).

(٣) يُيسر له فى رزقه: يُوسع له فيه.

(٤) يُيسر له فى أثره: يؤخر له فى أجله وعمره.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٦٧) كتاب البيوع - ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٦٧).

(٧) أدبر: ولّى وذهب.

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٩٦) كتاب الزكاة - ومسلم (١٣) كتاب الإيمان.

وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَقَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ» قَالَ: قُلْتُ: أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: «أَفْسِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»<sup>(١)</sup>.

## النبي ﷺ وحقوق الأخوة

✽ نحن نعلم أن النبي ﷺ لما أراد أن يقيم للإسلام دولة في المدينة المنورة جعل هذا البنيان على ثلاثة أعمدة... كان من بينها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.. فقد كان النبي ﷺ حريصاً على إيجاد روح المحبة والمؤاخاة بين المسلمين.

✽ ومن أجل ذلك أوضح النبي ﷺ حق المسلم على أخيه المسلم فقال ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَاجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدْ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»<sup>(٢)</sup>.

✽ ثم أوضح فضائل الأخوة في الله لتكون حادياً للقيام بتلك الحقوق.

- وها هي بعض فضائل وثمرات الأخوة في الله.

(١) أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبِّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٨٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٤٠) كتاب الجنائز - ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٣) حسن: رواه أحمد، والحاكم، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٨٨).

لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

(٢) محبة الأخ لأخيه من أوثق عرى الإيمان :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْمَوَالَاةُ فِي اللَّهِ وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(٢)</sup>.

(٣) أن مجالسهم هي مجالس المغفرة والرحمة.... كما قال ﷺ: « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ، فَيَقُومُونَ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ: قُومُوا، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَبَدَلَتْ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ »<sup>(٣)</sup>.

(٤) أن من يجالس الصالحين تشمله بركة مجالسهم ويعمه الخير الحاصل لهم، وإن لم يكن عمله بالغاً مبلغهم.

كما دلَّ على ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة.... وفي آخره: «قال: فيقول الله: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: فيقول ملكٌ من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة» وفي لفظ: «فيهم فلان عبدٌ خطيءٌ إنما مرَّ فجلس معهم، فيقول: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم» وفي لفظ: «فيقول: وله غفرتُ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»<sup>(٤)</sup>.

(٥) أن الله أوجب محبته للمتحابين فيه :

﴿ قَالَ تَعَالَى: « حُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ... وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ... وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ... وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ... »

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٦)، (٢١) كتاب الإيمان - ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وأحمد، والحاكم، والطيالسى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٣٩).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦١٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات - ومسلم (٣٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.



المتحابون في علي منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصدّيقون والشهداء»<sup>(١)</sup>.

(٦) أن المحبة في الله من الإيمان، وإفشاء السلام سبب لحصولها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم »<sup>(٢)</sup>.

(٧) أن الحب في الله والبغض في الله دليل على كمال إيمان العبد.

قال رسول الله ﷺ: « من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان »<sup>(٣)</sup>.

(٨) ومن فوائد المحبة في الله أن الله يكرم من أحب عبداً لله.

وإكرام الله للمرء يشمل إكرامه له بالإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، وسائر صنوف النعم.

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أحبَّ عبدٌ عبداً لله إلا أكرمه الله »<sup>(٤)</sup>.

(٩) أن أعظم الأصحاب عند الله منزلة أشدهما حباً لصاحبه:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما تحابَّ اثنان في الله - تعالى - إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه »<sup>(٥)</sup>.

(١٠) أن المرء يحشر مع من أحب:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى

(١) صحيح: رواه أحمد، والطبراني، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣٢١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والضياء، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٩٦٥).

(٤) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٥١٦).

(٥) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد، وابن حبان، والحاكم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله

في صحيح الجامع (٥٥٩٤).

السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا». قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: «فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِيٍّ إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

(١١) المتحابون في الله يظلمهم الله في ظل عرشه يوم القيامة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - سبحانه وتعالى - يقول يوم القيامة: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، - وذكر منهم - وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١٢) أن المتحابين في الله لهم منابر من نور، يجلسون عليها يوم القيامة:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - تعالى -: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ»<sup>(٤)</sup> النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»<sup>(٥)</sup>.

(١٣) أنك بمحبتك للصالحين وزيارتك لهم تقترب من الجنة شيئاً فشيئاً...

قال ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالصَّدِيقُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِي نَاحِيَةِ الْمِصْرِ لَا يَزُورُهُ إِلَّا لِلَّهِ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٨) كتاب فضائل الصحابة - ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان - ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٤) الغبطة - بكسر الغين: تمنى مثل ما للمغبوط من نعمة دون تمنى زوالها عنه، وليست بحسد، والفعل غبط من باب ضرب.

(٥) صحيح: رواه الترمذى، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١٢).

(٦) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، والدارقطنى فى الأفراد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٠٤).

## النبي ﷺ وحقوق المرأة

❁ والله لا أعلم ديناً كَرَّمَ المرأةَ كما كَرَّمها الإسلام.

فلقد كانت المرأة لا وزن لها ولا قيمة عند سائر الأمم وفي ظل الديانات الأخرى المُحرَفة... فجاء الإسلام ليرفعها من هذا الحضيض إلى تلك المكانة السامية بعد أن كانت من سقط المتاع تُشترى وتُباع.. وبعد أن كانت تُقتل وهى حية مخافة الفقر والعار.

نعم.. جاء الإسلام ليجعلها صِنو الرجل، فقال ﷺ: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرَّجَالِ»<sup>(١)</sup>.

بل وخصَّ القرآن الكريم النساء بسورة كاملة وسَمَّاهَا باسمهن «النساء»، ويا لها والله من كرامة!!

بل ويُقر الآن المتجردون الذين لم يَمُتْ الإنصاف في قلوبهم ولم تضل عقولهم... يقرون الآن بما تعانيه المرأة في الشرق والغرب. التى يُتلهى ويُستمتع بها وهى شابة جميلة، ثم يُرمى بها بعد ذلك في آخر عمرها في إحدى دور العجائز والمُسنين..

❁ لقد كرم الإسلام المرأة تكريماً لم تجده المرأة بل ولن تجده في ظل أى ديانة أخرى.. فلقد قرر الإسلام أولاً أن المرأة والرجل خُلقا من أصلٍ ونفسٍ واحدة... ولهذا فالنساء والرجال في الإنسانية سواء.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾<sup>(٢)</sup>.

❁ ومن أجل هذا جاء التكريم للمرأة في ظل الإسلام كإنسانة أولاً فحرم وأد البنات الذى كان منتشرًا في الجاهلية... حيث قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٢٣٣٣).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۞<sup>(١)</sup>، بل وجعله النبي من أعظم الذنوب.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قلتُ: ثم أي؟ قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ». قلتُ: ثم أي؟ قال: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»<sup>(٢)</sup>.

ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإحسان إليها وهي بنت صغيرة تحتاج إلى الرعاية والحنان.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا»<sup>(٣)</sup>، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ»<sup>(٤)</sup> وَضَمَّ أَصَابِعَهُ

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطَعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِ - يَعْنِي مَالَهُ - كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، فَاتَّقَى اللَّهَ وَأَقَامَ عَلَيْهِنَّ، كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» .. وَأَوْمَأَ بِالسَّبَّاحَةِ وَالْوُسْطَى»<sup>(٦)</sup>.

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليمها فقال: «أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَوَلِيدَةٌ، فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة التكوير: الآيتان: (٨، ٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٠٠١) كتاب الأدب.

(٣) حتى تبلغ: أي حتى تتزوجا... قال القرطبي: (أي: إلى أن تستقلا بأنفسهما، وذلك أن يُدخل بهن، ولا يعني بلوغ المحيض، إذ قد تتزوج قبل ذلك، وقد تبلغ غير مستقلة بحال نفسها، ولو تُركت لضاعت، ولذا لا تسقط نفقتها عن الأب بالبلوغ، بل بالدخول بها. اهـ - انظر: شرح الأبى (٧/٦٦)، وفتح القدير لابن الهمام (٣/٣٢٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣١) كتاب البر والصلة.

(٥) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٨٨).

(٦) صحيح: رواه أحمد، وأبو يعلى، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٥).

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٨٣) كتاب النكاح - ومسلم (١٥٤) كتاب الإيمان.

وكان ﷺ يجعل للنساء يوماً ليعظهن، ويذكرهن، ويأمرهن بطاعة الله تعالى.   
 ❁ فإذا شَبَّتْ هذه البنت الصغيرة وبلغت سن الزواج فقد أعطاها النبي ﷺ الحق في اختيار زوجها وذلك من خلال حق الموافقة على الخاطب أو رفضه...   
 فليس لأحد أن يُجبرها على الزواج من رجل لا تريده.

وقد قال في ذلك ﷺ: «الْأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا» (١). وقال أيضاً ﷺ: «لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَسْكُتَ» (٢).

❁ فإذا تزوجت وصارت زوجة فقد أوصى النبي ﷺ زوجها بحسن معاملتها وعشرتها.

قال ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (٣).... وقال ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (٤).

❁ فإذا أنجبت وصارت أمًّا فقد أمر الله (جل و علا) أبناءها ببرها فقال تعالى:   
 ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾   
 وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ (٥).   
 وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ (٦).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٢١) كتاب النكاح.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٣٦) كتاب النكاح - ومسلم (١٤١٩) كتاب النكاح.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٣١) كتاب أحاديث الأنبياء - ومسلم (١٤٦٨) كتاب الرضاع.

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣١٤).

(٥) سورة الإسراء: الآيتان: (٢٣-٢٤).

(٦) سورة لقمان: الآية: (١٤).

وأوصى النبي ﷺ ببر الوالدين كثيراً.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»<sup>(١)</sup>.

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

✽ وقد وضع القرآن الكريم الرجل والمرأة على قدم المساواة في الالتزامات الأخلاقية، والتكاليف الدينية إلا في حالات مخصوصة خفف الله فيها عن المرأة رحمة بها، ومراعاة لفطرتها وتكوينها.

✽ وجعل الإسلام الرجل والمرأة متساويين في التكاليف الإيمانية والجزاء الأخرى.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥١﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٧١) كتاب الأدب - ومسلم (٢٥٤٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٧) كتاب مواقيت الصلاة - ومسلم (٨٥) كتاب الإيمان.

(٣) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٤) سورة غافر: الآية: (٤٠).

ذَلِكَ هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أى أبواب الجنة شئت»<sup>(٢)</sup>.  
فإذا احتمل الرجل نار الهجير، واصطلى جمرة الحرب، وتناثرت أوصاله تحت ظلال السيوف، فليس ذلك بزائده مثقال حبة عن المرأة إذا وفّت لبيتها، وأخلصت لزوجها، وأحسنت القيام على بنيتها.  
✽ بل حرم النبي ﷺ قتل النساء والأطفال والشيوخ في الجهاد إلا أن يقاتلوا فيدفعوا بالقتل.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشاً قال: «انطلقوا بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ.. لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَائِيًا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغْلُوا، وَضُمُوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَارِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ)<sup>(٤)</sup>.

## كرامة المرأة المسلمة

✽ لئن قرن الإسلام بين الرجل والمرأة في عامة المواطن، لقد عرف لها نصيبها من رقة القلب، ودقة الوجدان، وأنها مناط شرف الرجل، وموطن عرضه، فاخصها بنصيبٍ وافر من الحرمة والكرامة.  
إن كرامة المرأة في الإسلام تتناول شخصها وسيرتها، وتشمل مشهدها

(١) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠، ٦٦١).

(٣) ضعيف: رواه أبو داود، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (١٣٤٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠١٥) كتاب الجهاد والسير - وسلم (١٧٤٤) كتاب الجهاد والسير.

ومغيبها ... فمن حقها أن تكون هي في موطن الرعاية والعناية، وأن يكون اسمها بمنأى عن لغو القول، ومنال اللسان .. لقد كانت المرأة المسلمة تُجبر الخائف، وتفك العاني، وذلك كله مبعثه تقدير واحترام، بلغت منهما غايتها.

فقد أجات أم هانئ بنت أبي طالب رجلين من أحماها كُتب عليهما القتل، وذلك مجمل حديثها في سبيل ذلك ... قالت رضي الله عنها:

ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ»، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِيَّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: «مَرَحَبًا بِأُمِّ هَانِيٍّ»، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ غُسْلِهِ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي (عَلِيٌّ) أَنَّهُ قَاتِلُ رَجُلًا قَدْ أَجْرْتُهُ<sup>(١)</sup> - فُلَانُ ابْنُ هُبَيْرَةَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَجْرْنَا مَنْ أَجْرْتَ يَا أُمَّ هَانِيٍّ»<sup>(٢)</sup>.

✽ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأُوا دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ»<sup>(٣)</sup>، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ»<sup>(٤)</sup> الحديث.

✽ ولما أسر المسلمون أبا العاص بن الربيع، وغنموا ماله فيما أسروا وغنموا ... وكان زوج زينب بنت رسول الله ﷺ إلا أن الإسلام فرَّق بينهما، استجار أبو العاص بزينب رضي الله عنها فوعده خيرًا، وانتظرت حتى صلى رسول الله ﷺ الفجر بالمسلمين، ثم وقفت على بابها - في المسجد - فنادت بأعلى صوتها: إني قد أجات أبا العاص بن الربيع، فقال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ سَمِعْتُمْ

(١) أجات الرجل: منعت من يريده بسوء، وآمنته شره وأذاه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٧) كتاب الصلاة - ومسلم (٣٣٦) كتاب الحيض.

(٣) يجير عليهم أقصاهم: يعنى أن أبعد المسلمين دارًا يجير عليهم، ويمنعهم ممن يريدونه إذا كان قد أعطاه بذلك عهدًا، وقيل: هو إذا وجه الإمام سرية فأجازوا أحدًا أمضاه.

(٤) حسن: رواه أحمد، وابن ماجه، وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (٦٧١٢).



مَا سَمِعْتَ ؟ « قالوا: نعم، قال: « فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ حَتَّى سَمِعْتُ الَّذِي سَمِعْتُمْ .. الْمُؤْمِنُونَ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ وَقَدْ أَجْرْنَا مَنْ أَجَارَتْ »<sup>(١)</sup>، فلما انصرف النبى ﷺ إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبى العاص ما أخذ منه ففعل<sup>(٢)</sup>.

أما كرامة سيرتها، وصيانة اسمها، فذلك ما لا نحسب شريعة من الشرائع حاطتهما بمثل حياة الإسلام لهما ... وحسبك أن الله سبحانه وتعالى اشتد في كتابه الكريم على قاذف النساء في أعراضهن بأشد مما اشتد على القتلة وقطّاع الطريق ... فقد قال الله سبحانه في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فجعل سبحانه للقاذف عقوبة ثمانين جلدة، ثم دعم هذه العقوبة بأخرى أشد وأخزى وهى اتهامه أبد الدهر فى ذمته، واطّراح شهادته، فلا تقبل له شهادة أبداً، ثم وسمه بعد ذلك بسمة هى شر الثلاثة جميعاً، وهى سمة الفسق، ووصمة الفجور.

لم يكن كل ذلك عقاب أولئك الأئمة الجناة، فقد عاود الله أمرهم بعد ذلك بما هو أشد وأهول من تمزيق ألسنتهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾<sup>(٤)</sup> وإن فى حديث الإفك، وما أفاض الله فى شأنه لموعظة وذكرى لقوم يعقلون.

(١) السيرة لابن هشام (٦٥٣/١-٦٥٩) والحاكم (٢٣٦، ٢٣٧).

(٢) وقد عاد أبو العاص بعد ذلك إلى مكة، فأدى الحقوق إلى أهلها، ثم أبى إلى المدينة مسلماً، فردّ عليه رسول الله ﷺ وزوجه ﷺ - وانظر: سير أعلام النبلاء (٣٣٢/١-٣٣٤)، والإصابة (٢٤٨/٧).

(٣) سورة النور: الآية: (٤).

(٤) سورة النور: الآيات: (٢٣-٢٥).

## النبي ﷺ وحق اليتيم والأرملة والمسكين

❁ لقد اهتم الإسلام اهتمامًا بالغًا بهؤلاء الضعفاء من اليتامى والأرامل والمساكين.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى في حق المخلصين: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ أي: ويطعمون الطعام ابتغاء وجه الله مع شهوتهم له وحاجتهم إليه... ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ فكان الجزاء لمن أطعم اليتيم والمسكين والأسير ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>.... فيا له من أجر عظيم.

❁ بل لقد أخبر الحق (جل وعلا) بأن نبين كريمين قد أقاما جدارًا لغلامين يتيمين.

ففي تلك الرحلة المباركة التي صحب فيها نبي الله (موسى) (الخضر) عليهما السلام<sup>(٣)</sup>. فكان من بين الأحداث التي ذكرت أنهما قاما ببناء جدار لغلامين يتيمين في تلك المدينة... فلما سأله موسى ﷺ عن سبب ذلك قال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٢٠).

(٢) سورة الإنسان: الآيات: (٨-١٢).

(٣) مع الاعتراف بأن العلماء قد اختلفوا في ذلك: هل كان الخضر نبيًا أو كان عبدًا صالحًا... والراجع - والله أعلم - أنه كان نبيًا... بدليل قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.

أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾<sup>(١)</sup>.

✽ ولذا جاء الأمر من الله (جل وعلا): ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٨١﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وحرصًا من النبي ﷺ على مصلحة اليتيم فقد حض الأمة على الإحسان إلى الأرملة.. وذلك لأنها ليس عندها عائل يعولها وقد يكون عندها أطفال يتامى فقال ﷺ « السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَالْقَائِمِ الَّذِي لَا يُفْتَرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ »<sup>(٣)</sup>.

✽ بل لقد أخبر ﷺ أن الإحسان إلى اليتامى يُزيل قسوة القلب.

روى أن رجلاً شكاً إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له ﷺ: «أتحب أن يلين قلبك وتذكر حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتذكر حاجتك»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية قال: «أدن اليتيم منك، وألطفه، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك ويذكر حاجتك»<sup>(٥)</sup>.

✽ بل أخبرنا النبي ﷺ أن المسح على رأس اليتيم يجعلنا نفوز بألاف الحسنات.

✽ عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ »، وَقَرْنَ بَيْنَ أَصْبُعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٢) سورة الضحى: الآية: (٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٠٧) كتاب الأدب - ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد.

(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠).

(٥) حسن: رواه البيهقى والخراطى فى مكارم الأخلاق، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٠).

(٦) رواه أحمد وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٩٠): رواه أحمد ورجال الصحيح.

❁ بل أخبر النبي ﷺ أن كافل اليتيم سيفوز بصحبته ﷺ في الجنة. قال ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» - وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا - (١).

وفي رواية: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لغيرِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَالسَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٢).

❁ قال ابن بطال: حَقُّ عَلَى مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ - يَعْنِي قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ -: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ» - أَنْ يَعْمَلَ بِهِ لِيَكُونَ رَفِيقَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا مَنْزِلَةَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ (٣).

❁ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ تَأْتِي امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي فَأَقُولُ لَهَا: مَا لِكَ؟ وَمَا أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي» (٤).

❁ ومن أجل كل هذا الخير حَضَّنَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَنْ نَضُمَّ الْيَتَامَى إِلَيْنَا وَنُكْرِمَهُمْ فَقَالَ ﷺ: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبْوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنَى عَنْهُ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ» (٥).

كما قال ﷺ مُرْغَبًا فِي إِنْفَاقِ الْمَالِ عَلَى الْمَسْكِينِ وَالْيَتِيمِ، فَقَالَ ﷺ: «... وَإِنْ هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمَسْكِينِ وَالْيَتِيمِ وَابْنَ السَّبِيلِ....» (٦).

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٣٠٤) كتاب الطلاق.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٧٦) - وأصله فى صحيح مسلم بلفظ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لغيرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ».

(٣) فتح البارى (٤٥١/١٠).

(٤) رواه أبو يعلى وذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح (٤٣٦/١٠) بإسنادٍ لا بأس فيه.

(٥) حسن: رواه أحمد وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٨٨٢).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٥) كتاب الزكاة - ومسلم (١٠٥٢) (١٢٣) كتاب الزكاة.

❁ وفي المقابل فلقد حذرنا النبي ﷺ من ظلم اليتيم وأكل ماله.

قال ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّعَ الْمُؤَبَّقات - وذكر منها - وَأَكُلْ مَالِ الْيَتِيمِ» (١).

ومن قبل ذلك فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٢).

❁ هكذا كان النبي ﷺ حريصًا على اليتامى والأرامل والمساكين... ولا عجب في ذلك فلقد كان النبي ﷺ يتيماً وذاق مرارة اليتيم ولذلك كان يشعر بالآلام اليتامى وأحزانهم.

### ❁ قصة تملأ القلب نورا:

قال أحد السلف: كنت في بداية أمرى مُكبِّاً على المعاصى وشرب الخمر فظفرت يوماً بصبيٍّ يتيماً فقير فأخذته وأحسنيت إليه وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام وأزلت شعته وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر.. فبتُّ ليلة بعد ذلك فرأيت في النوم أن القيامة قد قامت ودُعيت إلى الحساب وأمر بى إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصى فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار وأنا بين أيديهم حقيراً ذليلاً يجروننى سحباً إلى النار وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق وقال: خَلُّوا عنه يا ملائكة ربى حتى أشفع له إلى ربى فإنه قد أحسن إلىَّ وأكرمنى ... فقالت الملائكة: إنا لم نُؤمَرْ بذلك ... وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه.

قال: فاستيقظت وتبَّت إلى الله ﷻ وبذلت جهدى في إيصال الرحمة إلى الأيتام .. فيا إخوانى هيا بنا نبذل جهدنا لإيصال الرحمة إلى الأيتام فلعلَّ الله أن ينفعنا بدعواتهم وشفاعتهم لنا يوم القيامة ... فلنُسرِعِ الخُطَا إلى هذا الخير

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٦) كتاب الرصايا - ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٢) سورة النساء: الآية: (١٠).

ولسان حال كل واحدٍ منا: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾<sup>(١)</sup>.

## النبي ﷺ وحق الجار

✽ للجار منزلة عظيمة، ومكانة عليّة، يدلُّ على ذلك كثرة النصوص الواردة في الحث على الإحسان إليه، والترغيب في ذلك، ولتقتطف من تلك النصوص ما يلي:

✽ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾<sup>(٢)</sup>.

✽ وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالاً: قال رسول الله ﷺ: « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ »<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عمرو رضي الله عنه أنه ذُبح له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ »<sup>(٤)</sup>.

✽ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ». وفي رواية لمسلم: « فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ »<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٢) الجار ذى القربى: الذى بينك وبينه قرابة.

(٣) الجار الجنب: الذى ليس بينك وبينه قرابة.

(٤) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٥) أى: ظننت أنه سيلغنى عن الله الأمر بتوريث الجار جاره. وفي هذا تأكيدٌ عظيمٌ على الحث على رعاية حقوقه.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٤) كتاب الأدب - ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى الإرواء (٨٩١)، وصحيح الترغيب (٢٥٧٤).

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب - ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

❁ وعنه أن النبي ﷺ قال: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ»<sup>(٢)</sup>.  
وفي رواية: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ»<sup>(٣)</sup>.

❁ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل: «يا رسول الله! إن فلانة تصلى الليل، وتصوم النهار، وفي لسانها شيء، تؤذى جيرانها.. سليطة». قال: «لا خير فيها، هي في النار». وقيل له: «إن فلانة تصلى المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق بالأثوار»<sup>(٤)</sup>، وليس بها شيء غير، ولا تؤذى أحدًا». قال: «هي في الجنة».

ولفظ الإمام أحمد: «ولا تؤذى بلسانها جيرانها»<sup>(٥)</sup>.

ولقد شرع الإسلام للجار حقوقًا عظيمة منها:

❁ الحق الأول: الإحسان إليه:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»<sup>(٦)</sup>.

❁ الحق الثاني: أن يجب لجاره ما يجب لنفسه من الخير:

أيها المؤمنون، إن من الإحسان إلى الجيران سلامة القلب عليهم، وحب  
الخير لهم... قال رسول الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ  
لِنَفْسِهِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) البوائق: الغوائل والشُرور، والمفرد: بائقة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

(٤) الأثوار: هو اللبن الجامد المستحجر.

(٥) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد، وأحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٠).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٩) كتاب الأدب - ومسلم (٤٨) كتاب الإيمان.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٤٥) كتاب الإيمان.

### ❁ الحق الثالث: أن يؤدي إليه كل حقوق المسلم على أخيه المسلم:

فإن الجار أولى وأحق بها... فيُحسن إليه من كل وجه: يعودُه إذا مرض، ويُشمتته إذا عطس، وينصحه بما يراه خيراً له، ويُلبي دعوته، ويتفقده أهله وأولاده في حال غيابه أو سفره، وبعد مماته، ويتبع جنازته إذا مات، ويدعو له، ويأخذ بيده إلى الخير... إلى غير ذلك من الحقوق.

### ❁ الحق الرابع: كف الأذى عنه:

ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ» ولهما عنه رَوَاهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ  
لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ  
بَوَاقِيَّةً»<sup>(١)</sup>. أى: لا يأمن شره وخطره.

### ❁ ولقد ضرب رسول الله أروع الأمثلة في كف الأذى عن الجار.

عن أبي هريرة رَوَاهُ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ، فَقَالَ لَهُ:  
«اذْهَبْ فَاصْبِر» فَاتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ»  
فَطْرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَ جَارِهِ، فَجَعَلَ  
النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَ اللَّهُ بِهِ، وَفَعَلَ، وَفَعَلَ، وَبَعْضُهُمْ يَدْعُو عَلَيْهِ.. فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ  
فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ»<sup>(٢)</sup>.

### ❁ الحق الخامس: احتمال الأذى:

وأما خامس الحقوق الكبرى فهو احتمال الأذى منهم والصبر على خطئهم  
والتغافل عن إساءاتهم،.... عن أبي ذر رَوَاهُ قال: قال رسول الله: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
يُحِبُّ ثَلَاثَةً، وَيُبْغِضُ ثَلَاثَةً»، وذكر في الثلاثة الذين يحبهم: «رَجُلٌ لَهُ جَارٌ سَوْءٌ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب - ومسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

(٢) حسن صحيح: رواه أبو داود، وقال الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٥٥٩): حسن صحيح.



يُؤْذِيهِ فَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُ حَتَّىٰ يَكْفِيَهُ اللَّهُ، إِمَّا بِحَيَاةٍ وَإِمَّا بِمَوْتٍ»<sup>(١)</sup>.

### ❁ الحق السادس: تعظيم حرمة الجار وصيانة عرضه وعدم خيانتة:

فمن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: « مَا تَقُولُونَ فِي الزَّانِ؟ ». قَالُوا: حَرَامٌ حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: « لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بَعَشْرَ نِسْوَةٍ أَيْسُرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةٍ جَارِهِ ». قَالَ: « مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟ ». قَالُوا: حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ. قَالَ: « لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ آيَاتٍ أَيْسُرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ »<sup>(٢)</sup>.

### ❁ الحق السابع: مواساته بالمال إذا احتاج أو افتقر:

فينبغي له أن يتفقد حال جاره إذا كان محتاجاً، فيعطيه من المال حتى من غير أن يطلب... فذلك من حق المسلم على أخيه، وحق الجار أعظم. وحسب المؤمن الذي يتعاون مع جاره الفقير، أن يكون أهلاً لما يشير إليه هذا الحديث الشريف: « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »<sup>(٣)</sup>.

### ❁ الحق الثامن: مواساته بالطعام ولا سيما إذا كان فقيراً:

فليس من حسن الجوار أن يشبع الإنسان وجاره جائع... والنبي ﷺ يقول: « لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَىٰ جَنْبِهِ »<sup>(٤)</sup>. وكثير من الناس لا يعبا

(١) صحيح: رواه أحمد، والطبراني، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٥٦٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والطبراني، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٠٤٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب - ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٣٨٢).

بجيرانه، فيأتي إلى بيته بالأطياب، ولا يفكر في جيرانه الفقراء. وهذا لا ينبغي. بل إذا صنع الإنسان طعامًا فينبغي له أن يعطى جاره منه، وذلك تودُّدًا إليه، وتطيبًا لنفسه، وتدعيمًا للمودة... وقد قال ﷺ: «إذا طبخ أحدكم قدرًا فليكثر مَرَقها، ثم ليناول جاره منها»<sup>(١)</sup>.

### ✽ الحق التاسع: مشاركته في أفراحه وأحزانه:

فإذا كان عند جاره مناسبة سارة فينبغي له أن يذهب إليه، وأن يشاركه ويقاسمه فرحه، ما لم يكن فيه معصية. وإذا ألمَّت به نازلة فينبغي له أن يحضره، وأن يشاركه ويقاسمه حزنه، ويواسيه بالكلمة الصالحة، ويشد من أزره. وكل هذا من حق المسلم أصلاً على أخيه المسلم.. والجار أولى بهذه الحقوق من غيره<sup>(٢)</sup>.

### ✽ الحق العاشر: النصيح له، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

فقد يرى الجار من جاره منكرًا، أو يراه تاركًا لعمل من أعمال البر، أو نحو ذلك، فيجب عليه أن ينصحه، وأن يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، فإن حقه من ذلك أوكد من حق غيره. وكثير من الناس يرى جاره على معصية ومنكر فلا ينهاه، ولا يأمره بالمعروف. وهذا خيانة للجار، وتفريط في حقه<sup>(٣)</sup>.

### ✽ الحق الحادي عشر: أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحول عنه:

فإذا أراد أن ينتقل من داره فليعرضها على جاره قبل غيره، فقد يرغب في شرائها.. وكذلك أي أرض أو عقار، وقد قال ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَأَرَادَ بَيْعَهَا فَلْيَعْرِضْهَا عَلَى جَارِهِ»<sup>(٤)</sup>، وهذا أطيّب لخاطره ولقلبه.

وإذا فرّط الناس في هذا الأمر فإنهم يفتحون بابًا للمشاحنات والمنازعات والعداوات.. فالله المستعان.

(١) صحيح: رواه الطبراني في الصغير (٤/ ٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٦).

(٢) موسوعة الآداب الإسلامية (ص: ٣٠٠).

(٣) موسوعة الآداب الإسلامية (ص: ٣٠٠).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥١٢).

## النبي ﷺ وحق الضيف

ولقد حض النبي ﷺ الأمة كلها على إكرام الضيف من أجل الفوز بثواب إكرام الضيف ومن أجل أن تتآلف قلوب المسلمين.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضَّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «..... وَإِنَّ لِرِزْوَرِكَ<sup>(٣)</sup> عَلَيْكَ حَقًّا»<sup>(٤)</sup>.

ويقر النبي ﷺ سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء: «وَإِنَّ لِيَصِيفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»<sup>(٥)</sup>.

❁ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَمَوْلَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوْجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ

(١) نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله فتح الباري (١٠ / ٥٤٩) عن الخطابي قوله: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يتحفه ويزيده في البر على ما بحضرته يوماً وليلة، وفي اليومين الأخيرين يقدم له ما يحضره فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٩) كتاب الأدب - ومسلم (٤٨) كتاب الإيمان.

(٣) الزور: هو الضيف... يُقال: هؤلاء زُور.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥) كتاب الصوم - ومسلم (١١٥٩) (١٨٢) كتاب الصيام.

(٥) أخرجه الترمذي بإسناد صحيح من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه وفيه أن سلمان قال لأبي الدرداء رضي الله عنه: إن لنفسك عليك حقًا، ولربك عليك حقًا، ولضيفك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه... فأثاب النبي ﷺ فذكر ذلك فقال له: «صدق سلمان»... وأصل الحديث عند البخاري (بدون ذكر الضيف) (حديث ١٩٦٨، ٦١٣٩).

وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانَ، فَلَمْ تُطْعِمَهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانَ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»<sup>(١)</sup>.

❁ وحتى الضيف الكافر له حق:

وذلك لأن أحاديث النبي ﷺ المذكورة من قبل كحديث: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»<sup>(٢)</sup>.... إلى غير ذلك من الأحاديث ليس فيها التقييد بكون الضيف مسلماً، بل فيها الإطلاق... وقال عليه الصلاة والسلام: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»<sup>(٣)</sup>. أما حديث: «لَا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»<sup>(٤)</sup> فهو محمول على طول الملازمة، فالمصاحبة تقتضي طول الملازمة، فلا ينبغي أن تكثر من مجالسة الفجار ولا الكفار والأشرار ولا ينبغي أن يكونوا من بطانتك ولا من خاصتك.

هذا وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ ضافه ضيف - وهو كافر - فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حلاب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ: بشاة فشرب حلابها، ثم أمر بأخرى فلم يستتمها، فقال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٨) كتاب الأدب - ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٦٣) كتاب المساقاة - ومسلم (٢٢٤٤) كتاب السلام.

(٤) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٠٦٣) كتاب الأشربة.



ولك أن تقبل دعوة الكافر إذا دعاك لطعام وذلك لأن النبي ﷺ دعته يهودية إلى طعام فقَبِلَ النبي ﷺ دعوتها (١)(٢).

## النبي ﷺ وحقوق الخدم والعمال

✽ أعز الإسلام الخدم والعمال ورعاهم وكرمهم، واعترف بحقوقهم لأول مرة في التاريخ قاصداً بذلك إقامة العدالة الاجتماعية وتوفير الحياة الكريمة لهم بعد أن كان العمل في بعض الشرائع القديمة معناه الرق والتبعية، وفي البعض الآخر معناه المذلة والهوان.

وكانت سيرة رسول الله ﷺ خير شاهد على عظمة النظرة الإسلامية للخدم والعمال، وكانت إقراراً منه ﷺ بحقوقهم.. فقد دعا ﷺ أصحاب الأعمال إلى معاملتهم معاملة إنسانية كريمة، وإلى الشفقة عليهم، والبر بهم، وعدم تكليفهم ما لا يطيقون من الأعمال، فقال ﷺ: «... إخوانكم خولكم<sup>(٣)</sup>، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»<sup>(٤)</sup>. فجاء تصريح رسول الله ﷺ: «إخوانكم خولكم». ليرتفع بدرجة العامل الخادم إلى درجة الأخ! ولتصبح هذه الضوابط العامة التي توفر الحياة الكريمة لبني الإنسان عموماً.

وألزم كذلك صاحب العمل أن يوفى للعامل والخدام أجره المكافئ لجُهده دون ظلم أو مماطلة، فقال ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»<sup>(٥)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦١٧) كتاب الهبة - ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

(٢) فقه الأخلاق (٢/ ٣٣٥: ٣٣٧).

(٣) خولكم: خدمكم - انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (١/ ١١٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠) كتاب الإيمان - ومسلم (١٦٦١) كتاب الإيمان والنذور.

(٥) حسن: رواه ابن ماجه، وأبو يعلى، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٥٥).

وحذر الرسول ﷺ من ظلمهم فقال ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِمِمينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ»<sup>(١)</sup>.

ومن حقهم - أيضًا - أن تحفظ حقوقهم المالية من الغبن، والظلم، والاستغلال؛ لذلك قال ﷺ في الحديث القدسي عن رب العزة سبحانه وتعالى: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: . - وذكر منهم - وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»<sup>(٢)</sup>. ليعلم كل من ظلم عاملاً أو خادماً أن الله رقيبٌ عليه وخصمٌ له يوم القيامة.

كما يجب على صاحب العمل عدم إرهاق العامل إرهاقاً يضر بصحته ويجعله عاجزاً عن العمل،.... ولقد قال رسول الله ﷺ في ذلك: «مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ مِنْ عَمَلِهِ كَانَ لَكَ أَجْرًا فِي مَوَازِينِكَ»<sup>(٣)</sup>.

ومن الحقوق التي تُعتبر علامة مضيئة في الشريعة الإسلامية حق الخادم في التواضع معه... وفي ذلك يُرغب الرسول ﷺ أمته قائلاً: «ما استكبر من أكل معه خادمه، وركب الحمار بالأسواق، واعتقل الشاة فحلبها»<sup>(٤)</sup>.

ولأن حياته ﷺ كانت تطبيقاً لكل أقواله، فإن السيدة عائشة رضي الله عنها تروى فتقول: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا...»<sup>(٥)</sup>. وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ يشهد شهادة حق وصدق فيقول: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ:

(١) صحيح: رواه مسلم (١٣٧) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٢٢٧) كتاب البيوع.

(٣) رواه ابن حبان عن عمرو بن حريث (٤٣١٤)، وأبو يعلى وقال حسين سليم أسد: رجاله ثقات.

(٤) حسن: رواه البخاري في الأدب المفرد، والبيهقي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٢٧).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل.

وَاللَّهُ لَا أَذْهَبُ .. وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَخَرَجْتُ، حَتَّى أَمَرَ عَلَى صَبِيَّانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي. قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذْهَبُ حَيْثُ أَمَرْتُكَ» قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ<sup>(١)</sup> ... وَقَالَ أُنَيْسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ سَبْعَ سِنِينَ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، مَا عَلِمْتُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا<sup>(٢)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ يهتم برعاية خدمه إلى الدرجة التي يحرص فيها على زواجهم... فعن ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا رَبِيعَةُ أَلَا تَتَزَوَّجُ؟» قَالَ: فَقُلْتُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ، وَمَا عِنْدِي مَا يُقِيمُ الْمَرْأَةَ، وَمَا أَحِبُّ أَنْ يَشْغَلَنِي عَنْكَ شَيْءٌ... فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ لِي بَعْدَ ذَلِكَ: «يَا رَبِيعَةُ، أَلَا تَتَزَوَّجُ؟»... فَقُلْتُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ، وَمَا عِنْدِي مَا يُقِيمُ الْمَرْأَةَ، وَمَا أَحِبُّ أَنْ يَشْغَلَنِي عَنْكَ شَيْءٌ... فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - قَالَ: وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَئِن قَالَ لِي الثَّالِثَةُ لِأَقُولَنَّ: نَعَمْ - قَالَ: فَقَالَ لِي الثَّالِثَةُ: «يَا رَبِيعَةُ أَلَا تَتَزَوَّجُ؟» قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِمَا شِئْتُ، أَوْ بِمَا أَحْبَبْتَ. قَالَ: «انْطَلِقْ إِلَى آلِ فُلَانٍ». إِلَى حَيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ...<sup>(٣)</sup>.

وقد امتدت رحمته ﷺ بخدمه لتشمل غير المؤمنين به أصلاً، وذلك كما فعل مع الغلام اليهودي الذي كان يعمل عنده خادماً... فقد مرض الغلام مرضاً شديداً، فظل النبي ﷺ يزوره ويتعهده، حتى إذا شارف على الموت عادة

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٠) (٥٤) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل.

(٣) رواه أحمد، والحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطيالسي (١١٧٣).

وجلس عند رأسه، ثم دعاه إلى الإسلام، فنظر الغلام إلى أبيه متسائلاً، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم. فأسلم، ثم فاضت رُوحه، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»<sup>(١)</sup>!

هذه بعض حقوق الخدم والعمال التي أصَّلها النبي ﷺ بالقول والعمل في زمن لم يكن يعرف غير الظلم والقهر والاستبداد.

### النبي ﷺ وحقوق المرضى وذوى الاحتياجات الخاصة

✽ نظرة الإسلام ورعايته للمرضى وذوى الاحتياجات نظرة خاصة، بداية من تخفيفه عليهم في بعض الالتزامات الشرعية، لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وانتهاءً بيث الأمل في نفوسهم ومراعاة حقوقهم الجسمانية والنفسية.

فها هو ذا النبي ﷺ كان إذا سمع بمريض أسرع لعيادته في بيته، مع كثرة همومه ومشاغله، ولم تكن زيارته هذه مُتكلفة أو اضطرارية، وإنما كان يشعر بواجبه ناحية هذا المريض.. كيف لا؟! وهو الذي جعل زيارة المريض حقاً من حقوقه؟! فقال ﷺ: «حقُّ المسلم على المسلم خمسٌ.. - وذكر منها - وعبادة المريض...»<sup>(٣)</sup>.

فكان رسول الله ﷺ يُهون على المريض أزمته ومرضه، ويُظهر له - دون تكلفٍ - مؤاساته له، وحرصه عليه، وحبّه له، فيُسعد ذلك المريض وأهله... وفي ذلك يروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول: اشتكى سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه، وسعد بن أبي

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٥٦) كتاب الجنائز.

(٢) سورة النور: الآية: (٦١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٤٠) كتاب الجنائز - ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.



وقاص ﷺ، وعبد الله بن مسعود ﷺ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله<sup>(١)</sup>، فقال: «قد قُضِيَ؟».

قالوا: لا يا رسول الله. فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: «أَلَا تَسْمَعُونَ؟! إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا<sup>(٢)</sup> - وأشار إلى لسانه - أو يرحم<sup>(٣)</sup>».

كما كان الرسول ﷺ يدعو للمريض ويُشير به بالأجر والمثوبة نتيجة المرض الذي لحق به؛ فيُهون بذلك عليه الأمر، ويُرضيه به.

تروى أمُّ العلاء ﷺ<sup>(٤)</sup> فتقول: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة، فقال: «أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ خَطَايَاهُ، كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ حَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»<sup>(٥)</sup>.

وكان ﷺ حريصاً على أن يخفف عن المريض وألا يشق عليه.

وقد روى في ذلك جابر بن عبد الله ﷺ فقال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجّه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء. فاغتسل فمات؛ فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك، فقال: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتِيمَ وَيَعَصِرَ أَوْ يَعِصَبَ عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) غاشية أهله: أي الذي يلوذون به ويتكروون عليه - انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (١/١٦٢).

(٢) يُعَذِّبُ بهذا: أي إن قال سوءاً. أو يرحم: أي إن قال خيراً - انظر المصدر السابق.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٠٤) كتاب الجنائز - ومسلم (٩٢٤) كتاب الجنائز.

(٤) أم العلاء: أسلمت وبايعت النبي ﷺ، وهي أم خارجة بنت زيد بن ثابت - انظر: ابن الأثير: أسد الغاية (٦/٣٨٢)، وابن حجر العسقلاني: الإصابة ترجمة رقم (١٢١٦٨).

(٥) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٥١).

(٦) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٦٢).

بل إنه ﷺ كان يلبي حاجة المريض ويسير معه حتى يقضى حاجته.

ولقد جاءت ذات مرة امرأة في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إن لى إليك حاجة. فقال: « يَا أُمَّ فُلَانٍ انظُرِي أَيَّ السَّكِّكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ ». فخلا معها<sup>(١)</sup> في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها<sup>(٢)</sup>.

كما جعل النبي ﷺ للمرضى وذوى الاحتياجات الخاصة الحق في التداوى؛ لأن سلامة البدن ظاهراً وباطناً مقصدٌ من مقاصد الإسلام؛ لذلك قال ﷺ للأعراب عندما سألوه عن التداوى: « تَدَاوُوا عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ: الْهَرَمُ... »<sup>(٣)</sup>. كذلك لم يكن يمانع أن تعالج المرأة المسلمة رجلاً من المسلمين؛ حيث جعل ﷺ رُفيدة - وهى امرأة من قبيلة أسلم - تُعالج سعد ابن معاذٍ رضي الله عنه حين أصابه سهمٌ بالخندق، وكانت رضي الله عنها تداوى الجرحى، وتحتسبُ بنفسها على خدمة من كانت به ضيعةٌ من المسلمين<sup>(٤)</sup>.

ثم ها هو ﷺ يتعامل مع عمرو بن الجموح رضي الله عنه تعاملًا راقياً؛ رغم كونه من ذوى الاحتياجات الخاصة، إلا أن ذلك لم يكن مانعاً له من وصوله إلى أعلى درجات التكريم؛ لهمة العالية، وبذله الواسع في سبيل الله... وكان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة - مثل الأسد - يشهدون المشاهد مع رسول الله ﷺ فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: إن بَنِيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه،

(١) أى وقف معها في طريق مسلك ليضى حاجتها ويفتها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية؛ فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها؛ لأن مسألتها مما لا يظهره - انظر: النووى: المنهاج (٨٣/١٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٦) كتاب الفضائل.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأصحاب السنن، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٢٩٣٠).

(٤) البخارى: الأدب المفرد (٣٨٥/١)، وابن هشام: السيرة النبوية (٢/٢٣٩)، وابن كثير: السيرة النبوية (٢٣٣/٣).

والخروج معك فيه، فوالله إنى لأرجو أن أظأ بعرجتى هذه فى الجنة. فقال رسول الله ﷺ مخاطبأ عمرأ رضي الله عنه: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك». وقال لبيه: «ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله يرزقه شهادة». فخرج مع النبي ﷺ فقتل يوم أأد، ثم قال رضي الله عنه: «والذى نفسى بيده! إن منكم من لو أقسم على الله لأبره، منهم: عمرو بن الجموح، ولقد رأيتهُ يطأ فى الجنة بعرجته»<sup>(١)</sup>.

فكان رضي الله عنه قدوة وأسوة للمسلمين فى تعامله مع المرضى وذوى الاحتياجات الخاصة... لذلك قال عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه: «إنا -والله- قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنازنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير»<sup>(٢)(٣)</sup>.

## النبي ﷺ وحق الطريق

✽ الطريق .. هو المكان العام الذى يتقابل فيه الناس .. فى شمل السوق .. وغيره ... وقد اهتم الإسلام الحنيف بالطريق ... حتى جعل إمطة الأذى عنه شعبة من شعب الإيمان .. فقال النبي الكريم رضي الله عنه: «الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق»<sup>(٤)</sup> بل إنه جعل إمطة الأذى عنه صدقة من الصدقات ..

قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُهَا عَلَيْهِ، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ،

(١) رواه ابن حبان، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد، وابن سيد الناس: عيون الأثر (١/٤٢٣)،

والصالحى الشامى: سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد (٤/٢١٤).

(٢) رواه أحمد، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٣) أسوة للعالمين / د. راغب السرجانى (ص ٨١-٨٦) بتصرف.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٩) كتاب الإيمان - ومسلم (٣٥) كتاب الإيمان.

وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» (١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنْ أَبِيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» .... وهذه الحقوق ليست من باب الحصر، وإنما هي بعضها، وقد بيّنت أحاديث أخر حقوقاً للطريق غير هذه، فعُلم أن المذكورات التي في الحديث ليست من باب الحصر.

### ❁ الحق الأول: غض البصر:

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ....﴾ (٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيئُهُ مِنَ الزَّانَا، فَهُوَ مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ: الْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا السَّمْعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاها الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زَنَاها الْخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يَكْذِبُهُ» (٤).

### ❁ الحق الثاني: كف الأذى:

ومن حقوق الطريق، كف الأذى وعدم إيذاء الناس في أبدانهم أو أعراضهم.. وفي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٨٩) كتاب الجهاد - ومسلم (١٠٠٩) كتاب الزكاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٢٩) كتاب الاستئذان - ومسلم (٢١٢١) كتاب اللباس.

(٣) سورة النور: الآيتان: (٣٠-٣١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦١٢) كتاب القدر - ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ...»<sup>(١)</sup>.

### ❁ الحق الثالث: رد السلام:

ومن حقوق الطريق: رد السلام، وهو واجب... لقوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «خَمْسٌ تَحِبُّ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَحْيِهِ: رَدُّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَازَةِ»<sup>(٢)</sup>.

### ❁ الحق الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

❁ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(٣)</sup>.

❁ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرَدَلٍ»<sup>(٤)</sup>.

### ❁ الحق الخامس: هداية السبيل

لحديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ صَدَقَةٌ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ: التَّكْبِيرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَعِزُّ الشُّوكَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَالْعِظَمَ وَالْحَجَرَ، وَتَهْدِي الْأَعْمَى، وَتُسْمِعُ الْأَصَمَّ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٠) كتاب الإيمان - ومسلم (٤٠) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٤٠) كتاب الجنائز - ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٩) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٥٠) كتاب الإيمان.

وَالْأَبْكَمَ حَتَّى يَفْقَهُ، وَتَدُلُّ الْمُسْتَدَلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَسْعَى بِشِدَّةٍ سَاقِيكَ إِلَى اللَّهْفَانِ الْمُسْتَعِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةٍ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ ... كل ذلك من أبواب الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَكَ فِي جَمَاعِكَ زَوْجَتَكَ أَجْرٌ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ وَلَدٌ فَأُذِرَكَ وَرَجَوْتَ أَجْرَهُ فَمَاتَ أَكُنْتَ تَحْتَسِبُ بِهِ؟ فَأَنْتَ خَلَقْتَهُ؟ فَأَنْتَ هَدَيْتَهُ؟ فَأَنْتَ كُنْتَ تَرْزُقُهُ؟ فَكَذَلِكَ فَضَعُهُ فِي حَلَالِهِ وَجَنَّبَهُ حَرَامَهُ، فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ أَحْيَاهُ وَإِنْ شَاءَ أَمَاتَهُ وَلَكَ أَجْرٌ»<sup>(١)</sup>.

### ❁ الحق السادس: إماطة الأذى عن الطريق:

فإن ذلك من شعب الإيمان، كما قال ﷺ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ - أو بضعٌ وستونَ - شعبةٌ، فأفضلها قولُ لا إلهَ إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق...»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد بيان عظيم الأجر لمن أطاق الأذى عن طريق المسلمين حتى لا يؤذيهم، فقد قال ﷺ: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْحِثَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»<sup>(٤)</sup>.

### ❁ الحق السابع: عدم قضاء الحاجة في طريق الناس:

فقضاء الحاجة في قارعة الطريق مما عمَّت به البلوى.

ولقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٣٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٩) كتاب الإيمان - ومسلم (٣٥) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٢) كتاب الأذان - ومسلم (١٩١٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩١٤) (١٢٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩) كتاب الطهارة.

قال الخطابي: المراد باللاعنين: الأمبران الجالبان للعن، الحاملان الناس عليه والداعيان إليه... وذلك أن مَنْ فعلهما لعن وشتم.... يعنى عادة الناس لعنه فلما صارا سبباً أسند اللعن إليهما.

وعن أبي سعيد الحميري عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله: « اتَّقُوا الْمَلَاعِينَ الثَّلَاثَ: الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ » <sup>(١)</sup>.

❁ الحق الثامن: المحافظة على نظافة الطريق:

وذلك يكون بعدم إلقاء النفايات، والأوساخ، والنجاسات في ممرات الناس ومجالسهم وتجنب البول والغائط في الطرقات، والأماكن العامة. وكذلك رفع الأطعمة وفُتات الخبز عن قارعة الطريق... وإبعاد الأوراق التي كُتب فيها أسماء كريمة، أو كلمات قرآنية عن ممرات الناس... ولا مانع من حرقها لصونها من العبث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) حسن: رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٢).







# عناية النبي ﷺ بالأمة





## عناية النبي ﷺ بالأمة (١)

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

فلقد وضع النبي ﷺ لأصحابه ولأمته من بعدهم منهجاً تربوياً لتربى عليه الأجيال كلها جيلاً بعد جيل.

❁ وها هي باقة عطرة من ملامح هذا المنهج التربوي الذي وضعه النبي ﷺ لتربية أصحابه وأمته من بعدهم:

### ( أ ) عنايته ﷺ بالتربية الإيمانية

والمقصود بالتربية الإيمانية تنمية ما زين الله تعالى به القلوب من حب الإيمان وتذوق حلاوته حتى يفيض ذلك على الجوارح نوراً وتوفيقاً، وهدايةً وتطبيقاً ... ومن هذه العناية ما يلي:

(١) كان ﷺ يعلم أصحابه الأدب مع الله:

والمسلم ما كان مسلماً ولا استحق هذا الاسم إلا بتأدبه مع الله سبحانه وتعالى ... لأن الأدب مع الله عز وجل يفيض على النفس خضوعاً وإذعاناً وانتظاماً، وتوقيراً لله وإجلالاً وإعظاماً.. وأعظم أدب مع الله سبحانه وتعالى إفراده بالتوحيد والعبادة ... بذلك أمرنا، وعلى ذلك أجزنا: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ (٣).

(١) بتصرف من كتاب (رسالة محمد ﷺ نوراً لأضاء على العالم) للشيخ جمال عبد الرحمن (حفظه الله).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٣) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٢) وَيَعْلَمُهُمُ ﷺ الْعِبُودِيَّةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ:

لأن هذا هو حق التوحيد،... وقد قال ﷺ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾<sup>(١)</sup>.  
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فكلّمه في بعض الأمر فقال: ما شاء الله وشئت، فقال النبي ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي مَعَ اللَّهِ عَدْلًا؟». وفي رواية: «نِدًّا؟ قل مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»<sup>(٢)</sup>.

(٣) وَيَعْلَمُهُمُ ﷺ اللجوء إلى الله سبحانه وقت الشدة:

فلما شكّا إليه عثمان بن أبي العاص تسلط الشيطان عليه في صلاته ووسوسته له فيها، فقال له: «تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ». ففعل فأذهب الله عنه.

(٤) وَيَعْرِفُهُمُ ﷺ أَنَّهُمْ سَيُرُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَكْلَمُونَهُ بِلَا تَرْجَمَانِ:

لأنه ليس شيء أحب وأمتع إلى أهل الجنة من رؤية ربهم وخالقهم... لأن كل مخلوق في الجنة عظيم وجليل، والله تعالى أعظم من ذلك وأجل، لأنه وحده خالق الجمال وصانع العظمة.

عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ نُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ». ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>(٣)</sup> «<sup>(٤)</sup>».

وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ، وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة النحل: الآية: (٢).

(٢) حسن: أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه، وأحمد، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٣٩).

(٣) سورة يونس: الآية: (٢٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨١) كتاب الإيمان.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٤٣) كتاب التوحيد - ومسلم (١٠١٦) (٦٧) كتاب الزكاة.

(٥) ويعرفهم ﷺ بما يحدث للأموات في البرزخ:

ويكفي في بيان فظاعة القبر ما قاله ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

وقال: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»<sup>(٢)</sup>.

(٦) ويوضح لهم ﷺ أن من الموحدين من سيدخل النار بذنوبه، ثم يُخرجه

إلى الجنة توحيداً:

وذلك ليبشر أهل التوحيد بالمصير إلى الجنة... فمن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة... وفي نفس الوقت لينذر الذين أهملوا؛ فتركوا طاعات وركبوا خطيئات، لكي يتداركوا ما فات، وليصدق قول الله تعالى في النبي ﷺ: ﴿شَهِدْنَا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(٧) ويعلمهم ﷺ حب الله ورسوله:

وذلك ليجدوا حلاوة الإيمان في قلوبهم، لأن الله سبحانه هو الذي تفضل عليهم فحبب إليهم الإيمان وزينه في القلوب.

قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

(٨) كما يعلمهم ﷺ أن يحبوا لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم:

فهذه علامة الإيمان وعلامة الحب في الله، والإيثار ونبذ الشح.

(١) حسن: رواه الترمذى، وابن ماجه، والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٢٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٤٢).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٤٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٦) كتاب الإيمان - ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

(٩) ويعرفهم بأن الإيمان أحب العمل إلى الله تعالى:

وهل يسع المرء ألا يفعل ما يحبه ربه؟ بل أحب الأعمال إليه؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل ثم ماذا؟ قال: «حجٌّ مبرور» (٢).

(١٠) وبين لهم أعمال الإيمان وحلاوته:

وذلك ليعملوا بها فينالوا القرب من ربهم ويشملهم الله برحمته ورضوانه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضعٌ وستون شعبةً، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان» (٣).

(١١) ويعلمهم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وأنه من شَعَب الإيمان، فلا حياة لأمة لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر، وما استحقت الأمة الخيرية إلا به. قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٤). وقال أبو سعيد رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» (٥).

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦) كتاب الإيمان - ومسلم (٨٣) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٩) كتاب الإيمان - ومسلم (٣٥) كتاب الإيمان.

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٤٩) كتاب الإيمان.

(١٢) وكذلك يبين لهم النبي ﷺ أن من الإيمان النصح لكل مسلم:

فالنصيحة علامة إيمان ودين وحب... والمؤمنون نصحوا، والمنافقون غشوا.  
عن جرير رضي الله عنه قال: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،  
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالنُّصْحِ  
لِكُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>.

(١٣) وَأَنْ مِنَ الْإِيمَانِ أَيْضًا حُبُّ الْأَنْصَارِ وَحُبُّ عَلِيٍّ رضي الله عنه:

عن عليٍّ رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأُمي رضي الله عنه  
إِلَيَّ: «أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»<sup>(٢)</sup>.  
وعن أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ  
الْمُؤْمِنِ حُبُّ الْأَنْصَارِ»<sup>(٣)</sup>.

(١٤) وَيَعْلَمُهُمُ رضي الله عنه الْأَمَانَةَ وَرَدَّ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا:

فردُّ الأمانات دليل عفة وشهامة وكرم ورجولة، والمؤمن لا يخون الله  
والرسول أبدًا، ولا يخون أماناته وهو يعلم.. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ  
أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «أَدُّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أَيْتَمَّنَكَ وَلَا  
تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»<sup>(٥)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما خطبنا نبي الله ﷺ إلا قال: «لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ  
وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٥٧) كتاب البيوع - ومسلم (٥٦) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٨) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٤) كتاب الإيمان.

(٤) سورة النساء: الآية: (٥٨).

(٥) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤٠).

(٦) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧١٧٩).

(١٥) **وبين لهم ﷺ أن المعاصي تنقص الإيمان وتدخل النار إن شاء الله:**

وذلك ليحافظ المرء على علاقته بربه ويتجنب أسباب سخطه عز وجل،  
وليظل مقام العبد عند ربه محموداً.

(١٦) **وينفى ﷺ الإيمان عن المتلبس بالمعصية حتى يدعها:**

فليحذر أهل المعاصي أن يفاجئهم الموت حال عصيانهم، فإنما الأعمال  
بالخواتيم... فاللهم سلم سلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ،  
وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ،  
وَلَا يَنْتَهَبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ »<sup>(١)</sup>.

(١٧) **كما ينفى ﷺ الانتساب إلى أهل الإيمان زجراً لمن عمل أنواعاً من**

**المعاصي:**

كحمل السلاح على المسلمين؛ وغشهم، وضرب الخدود وشق الجيوب  
ومن دعا بدعوى الجاهلية، فمن فعل ذلك كله فليس منا.

كقوله ﷺ: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ ». إلخ.

(١٨) **ويطلق ﷺ اسم الكفر على بعض الأعمال لتنفيرهم منها:**

ألا يردع المسلم ويزجره عن فعل هذه المعاصي أن سمّاها الله ورسوله  
كفرًا؟ ... كتكفيرهم بعضهم بعضاً، والادعاء لغير الأب مع العلم، ومنها  
الاعتتال فيما بينهم، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، ونسبة الأمطار  
والزلازل إلى الطبيعة.

عن عبد الله أن النبي ﷺ قال: « سَبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ »<sup>(٢)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم - ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨) كتاب الإيمان - ومسلم (٦٤) كتاب الإيمان.



(١٩) ويخوفهم ﷺ من إيمان المستهترين والمسوفين :

فالساعة تأتي بغتة، وإذا جاءت ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾<sup>(١)</sup>، وأقرب من الساعة أجل الإنسان فهو مُدركه ومُلاقيه، وعندها أيضًا لا تنفع التوبة لمن جاءه الموت فقال: ﴿إِنِّي تَبْتُ آلَتَنَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(٢٠) وينفرهم ﷺ عما يوجب إيمانهم وأعمالهم (وهو الشرك) :

فالشرك أضر على العمل من الخل في إفساد العسل ... فهو مُحبط العمل ومُفسده ومُفنيه، وعلى العاقل أن يحافظ على عمله وجهده وتعبه.

(٢١) ويبين لهم أن خلط الإيمان بالشرك يضيع الأمن في الدنيا والآخرة :

فإذا سُئلت عن الشرك فقل ينسف الأعمال نسفًا... قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(٢٢) ويحذرهم ﷺ من الموت على الشرك :

والأخطر من كل ما سبق أن يموت المرء على الشرك؛ لأنه بذلك سيخسر كل شيء ولا أمل في المغفرة أبدًا، ولأن الله تعالى يوم القيامة لا يغفر لمشركٍ أبدًا... قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال ﷺ: « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ »<sup>(٥)</sup>.

(٢٣) ويبين لهم ﷺ أن الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون :

فهذه مكافأة مُستحقة لأهل الإيمان؛ لأنه لا شيء أعظم من الإيمان بالله ورسوله... فاللهم ثبتنا على الإيمان، وارزقنا الجنة.

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥٨).

(٢) سورة النساء: الآية: (١٨).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (٨٢).

(٤) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٩٣) كتاب الإيمان.

(٢٤) وَيَعْلَمُهُمْ ﷺ أَنْ يَنْسَبُوا الْفَضْلَ فِي النِّعَمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى :

كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(٢٥) وَيَعْلَمُهُمْ ﷺ أَنْ يَكُونُوا فِي ذِمَّةِ اللَّهِ :

وذلك يتحقق بصلاة الصبح في جماعة... فاحذر أن تؤذى من كان في ذمة الله، فالله عز وجل يطلبك من ذمته.

(٢٦) وَيَحْذَرُهُمْ ﷺ مِنَ الْفِتَنِ وَمِمَّا يَخِيفُهُمْ وَيَتَهَدَّدُهُمْ :

وهذا أيضًا مما ندين لرسولنا ﷺ به حبًا وطاعة وتوقيرًا وهو يحذرنا من الفتن لأنها شرٌّ مستطير، إذا كثرت فلا تُبْقَى ولا تَذُر. كما يبين لهم تأثير الفتن على القلب وأنها تفسده.

(٢٧) وَيُبَشِّرُهُمْ ﷺ أَنْ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ مِنَ الذَّنُوبِ :

بمعنى زوال الذنوب ومحوها عن تاب وأتاب وأسلم وحسن إسلامه، وأن من آمن بالله ينفعه صالح عمله أيام جاهليته.

(٢٨) وَيَزِيلُ ﷺ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ فِي فَهْمِ الْإِيمَانِ :

مثل الخواطر الشيطانية التي يقذفها الشيطان في قلوبهم من الوسوسة، فبين لهم أن من حدث معه شيء من ذلك فليستعذ بالله وليتته عن الاسترسال في محادثة الشيطان.

(٢٩) وَيُبَشِّرُ الْغُرَبَاءَ حَالَ غُرْبَتِهِمْ وَغُرْبَةَ دِينِهِمْ :

وهي بشرى بالجنة والكرامة لمن صبر على الغربة وقبض على دينه، فقد «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غُرَبِيًّا، وَسَيَعُودُ غُرَبِيًّا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

(١) سورة النحل: الآية: (٥٣).

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٢).

(٣٠) ويخوفهم ﷺ من عذاب الله تعالى :

ويعرض عليهم صوراً من عذاب العصاة في النار، كما يخوفهم من طول يوم القيامة وأحواله مبيناً لهم منزلته ﷺ يومئذ.

(٣١) ويعلمهم ﷺ أن من لم يؤمن به بعد سماعه به كفر بالله كما لليهود والنصارى وغيرهم.

(٣٢) ويبشرهم ﷺ بحفظ الله تعالى طائفة أهل الإيمان.

حتى ينزل فيهم عيسى ابن مريم فيحكم في الناس بالإسلام سبع سنين ثم يموت ﷺ ويدفنه المسلمون.

(٣٣) ويحافظ ﷺ على جماعتهم :

فيحذرهم التنازع الذي يؤدي إلى الفشل وذهاب الريح.

(٣٤) ويرببهم ﷺ على الثبات على الإيمان.

وذلك بالصبر على البلاء. كما يربي الدعاة على معرفة عظم المهمة، ليتحملوا الأمانة والمسئولية دون تقصير.

(٣٥) ويعلم الدعاة استخراج حظ الشيطان وتعلم الحكمة والإيمان :

وذلك في حديثه عن شق صدره واستخراج حظ الشيطان منه.

(٣٦) ويدخل ﷺ السرور إلى نفوسهم بتشبيهم بالصالحين، ويتواضع جم

يحدثهم عن نفسه ليتألفهم ويتودد إليهم ﷺ.

(٣٧) ويعلمهم ﷺ أن أمر الله ورسوله على الفور لا خيرة فيه ولا تراخ عنه،

ويوجههم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة عند فساد الأمراء.

(٣٨) ويعلمهم ﷺ الاسترجاع عند المصائب.

لأن الموت مصيبة شديدة ولا بد للعبد أن يرضى بقضاء الله عز وجل ...

والاسترجاع هو أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٣٩) ويوصيهم ﷺ بما ينفعهم ويدعو لهم ويعلمهم أدب الدعاء.

## (ب) عنايته ﷺ بالجانب العبادي والتعليمي في التربية

والعبادة التي خلق الله لها الخلق، وأخذ عليهم بها الميثاق، وأرسل بها رسله وأنزل بها كتبه ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة... ولذلك:

١- كان ﷺ يُرغب أصحابه في القرآن الكريم؛ لأنه خير لهم من الدنيا وما فيها، «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(١)</sup>.

٢- ويرغبهم ﷺ في فعل الحسنات، ويعلمهم فعل الخيرات والاجتهاد في الدعاء. «أوصاني خليلي بثلاثٍ ما أنا بتاركهن حتى أموت»<sup>(٢)</sup>.

٣- ويحثهم ﷺ على قيام الليل ويقول: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْهَةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ»<sup>(٣)</sup>.

٤- ويدلهم على ما يُصلحهم في الدنيا والآخرة... كالتحاب في الله، وإسباغ الوضوء وكثرة الخطا إلى المساجد.

٥- ويرشدهم ﷺ إلى الفائدة العظيمة لذكر الله تعالى: كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ (الفضة)، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قالوا: بلى، قال: «ذَكَرَ اللَّهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٧٨) كتاب التهجد - ومسلم (٧٢١) كتاب صلاة المسافرين.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٤٠٧٩).

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٢٦٢٩).



قال معاذ بن جبل: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله.

٦- ويكون ﷺ لهم كالوالد معلماً. نعم ليس محمد ﷺ أبا أحدٍ من رجالنا، لكنه كالوالد في حنانه ومستوليته عن الأمة.

قال ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا وَلَا يَسْتَتِبُ بِيَمِينِهِ»<sup>(١)</sup>.

٧- ويحذره من الجهل وعواقبه، ولذلك فرض عليهم العلم الشرعي فقال: « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ »<sup>(٢)</sup>.

٨- ويفسر لهم ما أشكل عليهم فهمه وتفسيره، وهذا وارد كثيراً، فهو المرجع والمعلم والرسول ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup>.

٩- ويعلمهم ﷺ آداب الذبح: كما في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: خصلتان سمعتهما من رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِئِجْدَ أَحَدُكُمْ شَفَرْتَهُ، فَلْيُيْرِحْ ذَبِيحَتَهُ»<sup>(٤)</sup>.

١٠- ويصحح ﷺ لهم المفاهيم؛ كمن نذر أن يتصدق بما لا يملك أو نذر أن يقف في الشمس طول النهار... إلخ.

### (ج) العناية بالجانب العاطفي والنفسي

العاطفة الإنسانية جزء فعّال للتأثير في صاحبها، ومراعاة هذا الجانب للتأثير في الناس إلى جانب الخير مطلب شرعي. وكان رسولنا ﷺ قدوة في ذلك، ولديه

(١) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٦).

(٢) صحيح: رواه الطبراني، والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩١٣، ٣٩١٤).

(٣) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح.

- القدرة الكبيرة على التأثير لاستثمار الجانب العاطفي لدى أصحابه... فهذا هو ﷺ:
- ١- ينسبهم إليه إذا رأى جميل فعالهم. فيقول ﷺ: «فلان مني وأنا منه».
  - ٢- ويعفو عن العظائم لیسلم أصحابه.. فليس هدف النبي ﷺ عقوبة الناس ومُجازاتهم وإنما هدفه أن يُسلموا لله رب العالمين، فتعتق رقابهم من النار. فمن كان على الشرك وتاب منه، تاب الله عليه، ولذلك كان يقول في مثل هذه الحالات: «الحمد لله الذي نجَّاه بي من النار».
  - ٣- ويحرص ﷺ على سلامتهم وما ينفعهم... فكان إذا أفرعهم شيء كان أسبقهم لاستجلاء خبره... يفديهم بروحه وبنفسه ﷺ.
  - ٤- ويرحم ﷺ ضعيفهم ويُسبغ جائعهم.
  - ٥- ويقضى عنهم ديونهم. فهو الذي قال: «مَنْ تُوْفِيَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَعَلَى قَضَاؤُهُ وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ»<sup>(١)</sup>.
  - ٦- ويُقرب بين الأرحام وينشر المودة بينهم ويدعو لهم.
  - ٧- ويرفق ﷺ بالعبد المملوك، فيبين أن للمملوك طعامه وكسوته ولا يُكَلِّف إلا ما يطيق، فإذا كلفوهم فليعينوهم، ولا يعذبوهم.
  - ٨- ويجلس ﷺ معهم جلسة جماعية لتفقد السلوكيات، وذلك لتحفيزهم وغرس روح المنافسة في الصالحات.
  - ٩- وينهاهم ﷺ عن استحلال أموالهم بينهم، كبيع الثمر قبل بدو صلاحه، لأنه ربما منع الله الثمرة فكيف يستحل الرجل مال أخيه؟
  - ١٠- ويحثهم ﷺ على نفع الناس؛ وذلك بتبشيرهم بأن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس.
  - ١١- ويُعرفهم ﷺ بالخير والشر ليفعلوا فعل الأخير ويجتنبوا فعل الأشرار

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٩٨) كتاب الكفالة - ومسلم (١٦١٩) كتاب الفرائض.

وعملهم.

- ١٢- ويأمرهم ﷺ برحمة الوالدين مُبيناً لهم جزاء برّهم ... فالوالدان أوسط أبواب الجنة فمن شاء فليحفظ أو فليضيع.
- ١٣- ويبين لهم ﷺ منزلة الإصلاح بين الناس، فيخبر أن أجرها أعظم من درجة الصلاة والصيام والصدقة.
- ١٤- ولا يبيت عنده ﷺ المال حتى يقسمه عليهم ... فالمال زينة وشهوة، فكان يُؤثرهم بما تشتهيهِ أنفسهم.
- ١٥- ويتفقد ﷺ أحوالهم، ويسأل عنهم إذا غابوا، وكان يُرى ذلك أكثر شىء عند صلاة الجماعة لكثرة حرصهم عليها (رضوان الله عليهم). فكان يعرف غياب أحدهم ولو عن صلاة واحدة.
- ١٦- ويربيهم ﷺ على رحمة عباد الله؛ لأن من لا يرحم الناس لا يرحمه رب الناس.. ويعلمهم الرفق بالناس، لأن الرفق زينة الأشياء، والعنف شينها.
- ١٧- ويبين ﷺ لهم حقوق الأزواج؛ حتى تستقيم الحياة الزوجية التي لا يصلح لها أبداً شىء غير الهدى النبوى.
- ١٨- ويشفق ﷺ على المذنبين منهم.. ولذا فقد منع الناس أن يلعنوا العاصى حتى لا يعينوا الشيطان عليه فيكره إخوانه المسلمين، وربما تمادى في غيِّه وضلاله.
- ١٩- ويرشدهم ﷺ بالعبرة الرقيقة، خاصة عند تعليم الجاهل والمخطئ، فكان يبادرهم بالحكمة، وبالكلمة الطيبة الحانية ليرفع معنوياتهم، ويتجاوز عن عثراتهم.
- ٢٠- ويقلل ﷺ من عتابهم... وبعد عتابه إياهم يبشرهم بتوبة الله عليهم..
- فإقالة العثرة وغفران الزلة أمر مطلوب ليستعيد المسلم علاقته بربه عز وجل.

٢١- ويجبر على جوارهم ويرفع الحرج عنهم... كيف لا وهو القائل:  
«المُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ».

وقال ﷺ: «المُسْلِمُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ»<sup>(١)</sup>.

٢٢- ويعتذر ﷺ لمن دعى عليهم ويستر ضيهم... يظهر ذلك في قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ أَوْ شَتَمْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

٢٣- ويخاف عليهم ﷺ من الشرور، ويقضى بينهم عند التنازع.

٢٤- ويوصيهم ﷺ بما فيه الخير لهم؛ كالالتفات حول أمرائهم وإن قصروا، والسمع والطاعة في المعروف.

٢٥- ويشيرهم ﷺ بما عرفه من خير لهم مثل الجنة ومنازلهم عند الله سبحانه.

٢٦- وينبهم ﷺ على المنجيات والمهلكات، ويبكى حناناً عليهم.

٢٧- ويث فيهم الثقة والأمل بانتصار الإسلام، (عليه الصلاة والسلام).

### (د) عناية النبي ﷺ بالجانب الشخصي

#### (بناء الشخصية) عند أصحابه المؤمنين

١- كان ﷺ ينهاهم عن قول ما ليس لهم به علم، وعن التدخل فيما لا يعنيههم.

٢- ويعلمهم ﷺ طريقة التفكير والاجتهاد: مثلما استأذنه رجل أن يبيع الخمر بعدما حُرمت حيث أنه كان قد اشتراها بمال يتيم، فقال ﷺ: «قاتل الله

(١) حسن: رواه أبو داود، وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٧١٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠١) كتاب البر والصلة.



- اليهود، لما حرم الله عليهم الشُّحومَ جَمَلوها ثم باعوها فأكلوا أثمانها»<sup>(١)</sup>.
- ٣- ويحرك ﷺ أفكارهم بالأسئلة الهامة كما سألهم بعد عودتهم من الحبشة فقال: «أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟».
- ٤- ويحذرهم ﷺ من أتباع العصاة؛ لأن في اتباعهم الضلال والانحلال، وأن الهداية في اتباعه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٥- ويُعرفهم ﷺ بداء الأمم، وهو الحسد والبغضاء التي تحلِق الدين.
- ٦- ولا غضاضة أن يبث إليهم همومه ﷺ، فكثيراً ما كانوا يرونه يبكي فيسألونه فيخبرهم عما أبكاه وأحزنه وأهمه.
- ٧- ويعلمهم ﷺ الولاء لأهل الإسلام، وذلك بالحب في الله والبغض من أجل الله، والعطاء والمنع من أجله أيضاً.
- ٨- كما يعلمهم ﷺ كيف يكونون عند الفتن،.. فالفتن تعصف بالأمة، وتدع الحليم حيراناً، وتهز أمن الناس واستقرارهم.
- ٩- ويزهدهم في الدنيا بضرب الأمثال... مثلما ضرب للدنيا مثلاً بالجدى الميت الأسك، فكان هيناً عليهم، فأخبرهم أن الدنيا أهون على الله من هوان الجدى عليهم.
- ١٠- ويُرغبهم ﷺ في الصبر على البلاء؛ لأن الصبر من أعظم ما يوصل إلى الدرجات والمنازل العلى.
- ١١- ويبين لهم ﷺ منزلة الدفاع عن النفس، فمن قاتل فقتل دون ماله وعرضه فهو شهيد.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٣٦) كتاب البيوع - ومسلم (١٥٨١) كتاب البيوع.

(٢) سورة النساء: الآية: (٣١).

(٣) سورة النور: الآية: (٥٤).

- ١٢- ويدربهم ﷺ على الشجاعة والمغامرات، وقد حدث شيء من هذا يوم سحب الزبير معه حين وفد على الجن في ديارهم يدعوهم إلى الله ﷻ.
- ١٣- ويوفى إليهم ﷺ بما وعدهم به، ويفرح لما فيه صلاحهم.. فهو الذي علمنا ﷺ أن المرء لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.
- ١٤- ويصبر عليهم ﷺ ويطيب خواطرهم، ويرضيهم ويعدل بينهم، كما حدث مع الأنصار عند تقسيم غنائم حنين، وكما صبر على الليثيين وكان لهم قصاص... فكان كلما أَرْضاهم يعودون غير راضين، فما زال يُعطيهم ويُرضيهم حتى قالوا: رضينا.
- ١٥- ويستأذَنهم ﷺ فيما هو من حقوقهم... ومن أعظم ذلك أنه استأذن عائشة رضي الله عنها في ليلتها أن تتركه يقوم لربه تلك الليلة... وكما استأذن نساءه وهو مريض أن يُمرَّض في بيت عائشة فأذنَّ له.
- ١٦- ويجد المظلومون عنده السلوى والعزاء، حتى إنه لينصف المتضررة من زوجها، وينصفهم من نفسه ﷺ.
- ١٧- ويواسي أهل المصائب... كما واسى عثمان وقد كان حزينًا لوفاة زوجته رقية رضي الله عنها ابنة رسول الله ﷺ، فواساه بتزويجه من أختها أم كلثوم رضي الله عنها.
- ١٨- ويشجع ﷺ مواهبهم... فكان ﷺ يُثنى على مَنْ قال خيرًا، أو دعا إلى خير.
- ١٩- ويحذرهم ﷺ من العجز عن أمور مهمة منها:
- أ- طرد الشيطان عند إتيان الأهل؛ وذلك بذكر الله ﷻ ودعائه.
- ب- فعل السنن الرواتب.
- ج- كف الأذى والخروج من الفتن.
- د- العفة وتجنب سؤال الناس.
- هـ- ترك الضحك على الناس وإحراجهم.



## (هـ) عناية النبي ﷺ بالجانب الأخلاقي

✽ كان النبي ﷺ يعتنى بتربية أصحابه على الأخلاق الكريمة والشمائل العظيمة... كيف لا وهو صاحب الخلق الكريم، المُرَكَّبِي من لَدُن حَكِيمٍ عَلِيمٍ. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾<sup>(١)</sup>.

✽ ولذلك كان ﷺ حريصًا على أن:

١- يعلم أصحابه آداب الأخوة، ويبين حقوق المسلم على أخيه من تعظيم حرمة، وعدم تَبُّع عورته وعدم إيذائه باللسان أو اليد... كذلك عيادته إذا مرض واتباعه إذا مات، وتشميته إذا عطس فحمد الله، وإجابته إذا دعاه، ونُصحه إذا استنصحه.

٢- ويعلمهم ﷺ الإحسان إلى الناس من أجل أن يُسلموا.. لأن هذا من الخلق الحسن الذي به تتألف القلوب.

٣- كما يعلمهم حسن التقاضى، وذلك أن يكون بالمعروف وبدون رفع الصوت وإحراج الناس.

٤- ويكتفى بالتأنيب إذا أراد التأديب؛ لأنه لم يكن فظًا ولا غليظًا ﷺ.

٥- وينهى ﷺ الخلاف بعدلٍ وإنصاف.

٦- ويعلمهم ﷺ منزلة الخلق العظيم عند الله،.. فصاحبه أقرب الناس مجلسًا منه ﷺ يوم القيامة.

٧- ويحثهم ﷺ على إصلاح ذات البين، لقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۝٢﴾<sup>(٢)</sup>، فقال لهم ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة

(١) سورة القلم: الآية: (٤).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (١).

الصلاة والصيام والصدقة؟» قالوا: بلى، قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»<sup>(١)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٩٥).



# حقوق النبي ﷺ على أمته





## حقوق النبي ﷺ على أمته

إن للحبيب ﷺ حقوقاً على أمته لا تُعد ولا تُحصى ... ومن بينها:

### (١) الإيمان به ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١).

قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - : «والإيمان به ﷺ هو تصديق بنبوته ورسالة الله تعالى له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك. بشهادة اللسان بأنه رسول الله ﷺ. فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان. تم الإيمان به (عليه الصلاة والسلام) والتصديق له» (٢).

وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (٣).

وقوله ﷺ: « لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ »، أي ممن هو موجود في زمنى وبعدي إلى يوم القيامة فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته.. وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما؛ وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب لهم. أولى والله أعلم» (٤).

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى / للقاضي عياض (٢/٥٣٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٥٣) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٢٤٨).

## (٢) محبته ﷺ دون غلو:

إن محبة الحبيب المصطفى ﷺ أصلٌ عظيم من أصول الإيمان، وإذا استقرت شجرة المحبة الصادقة في القلب آتت أكلها كل حينٍ وأثمرت كل أنواع الاتباع والافتقار للمحجوب ﷺ.

وحقيقة المحبة «أن يميل قلب المسلم إلى رسول الله ﷺ ميلاً يتجلى فيه إيثاره ﷺ على كل محبوب من نفسٍ ووالدٍ وولدٍ والناس أجمعين. وذلك لما خصّه الله تعالى من كريم الخصال وعظيم الشمائل، وما أجراه الله على يديه من صنوف الخير والبركات لأمته.. وما امتن الله على العباد ببعثته ورسالته.. إلى غير ذلك من الأسباب الموجبة لمحبته عقلاً وشرعاً»<sup>(١)</sup>.

## الكون يتفاعل مع محبة النبي ﷺ

ولا عجب أن نجد الكون كله يتفاعل مع محبة النبي ﷺ فلقد جعل الله (عَزَّوَجَلَّ) للكون حسًّا وإدراكًا... فلقد قال للسموات والأرض: ﴿أَفْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع/ عبد الرؤوف محمد عثمان (ص: ٤١، ٤٢).

(٢) سورة فصلت: الآية: (١١).

(٣) سورة النور: الآية: (٤١).

(٤) سورة الحج: الآية: (١٨).





وقال تعالى: ﴿تَسْبِخُ لَهُ السَّمَوَاتُ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾<sup>(١)</sup>.

### جبل أحد يحب النبي ﷺ وأصحابه

❁ وما هو الحبيب ﷺ يمر يوماً هو وأصحابه أمام جبل أحد وإذا بالحبيب ﷺ يقول لأصحابه: «أُحَدُّ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»<sup>(٢)</sup>.

بل وتتحول هذه الكلمات إلى واقع عندما صعد النبي ﷺ جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وإذا بالجبل يتفاعل مع محبة النبي ﷺ وأصحابه فيهتز فرحاً بالنبي ﷺ وأصحابه وإذا بالحبيب المصطفى ﷺ يقول له: «اثْبُتْ أُحَدُّ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ»<sup>(٣)</sup>.

### الصديق رضي الله عنه ومحبته للنبي ﷺ

❁ وإن أعظم محبة كانت بين اثنين هي تلكم المحبة الغالية التي كانت بين النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه.. تلكم المحبة التي يعجز القلم عن وصفها فلقد بذل أبو بكر ماله ونفسه وكل ما يملك لخدمة دين الله (جل وعلا) ومحبة لرسول الله ﷺ.

لقد أحب أبو بكر رضي الله عنه النبي ﷺ حباً مَلَكَ عليه لُبُّه وفؤاده وجوارحه، حتى إنه كان يتمنى أن يفدى النبي ﷺ بنفسه وولده وماله والناس أجمعين.

### محبة تفوق الخيال

❁ عن محمد بن سيرين قال: «ذُكِرَ رجال على عهد عمر رضي الله عنه فكأنهم فضّلوا (عُمر) على (أبي بكر) رضي الله عنه قال: فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال: والله لليلة

(١) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٨٢) كتاب الزكاة - ومسلم (١٣٩٣) كتاب الحج.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٦٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر، خير من آل عمر .. لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر مالك تمشى ساعة بين يدي وساعة خلفي؟» فقال يا رسول الله أذكر الطلب<sup>(١)</sup>، فأمشى خلفك ثم أذكر الرصد<sup>(٢)</sup>، فأمشى بين يديك فقال: «يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني» قال نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من مُلّمة<sup>(٣)</sup>، إلا أن تكون بي دونك .. فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ<sup>(٤)</sup> لك الغار، فدخل واستبرأ حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الحجرة ... فدخل واستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله فنزل فقال عمر: والذي نفسى بيده لتلك الليلة خير من آل عمر».

### حَبِيبٌ حَبِيبِي .. حَبِيبِي

❁ ومن باب قول القائل: حبيب حبيبي .. حبيبي.

فلقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُفضل كل من كان يحبه النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه فضّل أسامة بن زيد على ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ لأن أسامة كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من ابن عمر.

فعن زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب فضّل المهاجرين الأولين وأعطى أبناءهم دون ذلك، وفضّل أسامة بن زيد على عبد الله بن عمر .. فقال عبد الله

(١) الطلب: المطاردين.

(٢) الرصد: الكمين.

(٣) ملّمة: المصيبة.

(٤) أستبرئ: أستكشف.



ابن عمر: فقال لى رجل: فضّل عليك أمير المؤمنين من ليس بأقدم منك سنّاً ولا أفضل منك هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم تشهد، قال عبد الله: وكلمته فقلت: يا أمير المؤمنين فضلت على من ليس هو بأقدم منى سنّاً ولا أفضل منى هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم أشهد.. قال: ومن هو؟ قلت: أسامة بن زيد قال: صدقت لعمر الله فعلت ذلك؛ لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عمر، وأسامة بن زيد كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عبد الله بن عمر فلذلك فعلت<sup>(١)</sup>.

### موقف لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه

✽ عن على رضي الله عنه أنه قال: لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد نظرت إلى القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فيهم، فقلت: والله ما كان ليفرو وما أراه في القتلى، ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ﷺ فما في خير من أن أقاتل حتى أقتل.. فكسرت جفن سيفى ثم حملته على القوم فأفرجوا لى فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم<sup>(٢)</sup>.

### حب الصحابة للنبي ﷺ ودفاعهم عنه

✽ لقد كان الواحد من أصحاب النبي ﷺ يتمنى أن يفديه بحياته وأن يبذل نفسه وماله وولده فداءً لرسول الله ﷺ.

✽ حتى إن الواحد منهم كان يُصدر كلامه مع رسول الله ﷺ بتلك الكلمات: بأبى أنت وأمى يا رسول الله.

(١) رواه ابن سعد وهو صحيح لغيره.

(٢) أخرجه أبو يعلى (١/٤١٥)، وابن أبى عاصم في الجهاد (٢/٦٤٣)، والضياء (٦٧٥)، وقال الهيثمى في المجمع (٦/١١٢): رواه أبو يعلى وفيه محمد بن مروان العقيلي وثقه أبو داود وابن حبان وضعفه أبو زرعة وغيره، وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

## على بن أبي طالب رضي الله عنه يفدى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة

✽ ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» اجتماع شياطين قريش في دار الندوة، واستقرار رأيهم على ما قاله أبو جهل بن هشام:

أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل - الدية - فعقلناه لهم.

فتفرق القوم على ذلك وهم مُجمعون عليه، فأتى جبرائيلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال له: لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.

قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَبَّحْ بِرُدى هَذَا الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرَ، فَنَمَ فِيهِ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في بُردِهِ ذلك إذ ينام.

حمى المغوار (علي) الدعوة في شخص نبيها صلى الله عليه وسلم ونام في فراشه في أصعب ليلة مرّت بها الدعوة... رجل ينام في الفراش وهو يعلم أن على الباب رجالاً، لا يريدون إلا رأس النائم على الفراش، فلما قلق به الفراش ليلة من أجل نبيه، أسعد الله فراشه بفاطمة بنت نبيه صلى الله عليه وسلم التي تجلبت في جلاب كمالها.

## ✽ الزبير بن العوام رضي الله عنه ودفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

وفي يوم من الأيام سَرَتْ إشاعة بين الناس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قُتِلَ فما كان من



الزبير إلا أن أخذ سيفه وخرج على الناس كالإعصار المدمر يريد أن يتثبت من الخبر فلقيه الحبيب ﷺ فقال: « مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ؟ ».

قال: أُخبرت أنك أخذت - قُتلت - فصلى عليه ودعا له ولسيفه.

وفي رواية: فقال النبي ﷺ: « مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ ». قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّكَ أُخِذْتَ. قَالَ: « فَكُنْتَ صَانِعًا مَآذَا؟ ». قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ بِهِ مَنْ أَخَذَكَ. فدعا له ولسيفه<sup>(١)</sup>.

### ✽ محمد بن مسلمة رضي الله عنه ودفاعه عن النبي ﷺ:

ولقد بلغ (محمد بن مسلمة) رضي الله عنه درجة عالية في الولاء والبراء، وذلك حينما ذهب إلى كعب بن الأشرف؛ ليقته إرضاءً لله تعالى ولرسوله ﷺ. على الرغم من أنه من قرابته.

عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ لَكَعِبِ ابْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ » فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله! أتحب أن أقتله؟ قال: « نعم ».. فذهب إليه ومعه مجموعة من الصحابة فقتلوا كعب بن الأشرف<sup>(٢)</sup>.

فيا له من موقف يظهر فيه الولاء والبراء جلياً واضحاً كالشمس في رابعة النهار.. فهو يقتل قريبه من أجل أنه آذى الله ورسوله ﷺ.

### ✽ الصحابة يبذلون حياتهم دفاعاً عن النبي ﷺ في يوم أحد:

وفي غزوة أحد لما عصى الرُّماة أمر رسول الله ﷺ ونزلوا من على الجبل فانكشف المسلمون واستطاع المشركون أن يقتلوا سبعين رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، ثم أرادوا بعد ذلك قتل النبي ﷺ فنادى النبي ﷺ على أصحابه، وثبت مع النبي ﷺ نفرٌ قليل منهم: سعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو دجانة،

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١١/٢٤١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/٥٩٤)، والحاكم في المستدرک (٣/٣٦٠، ٣٦١)، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥١٠) كتاب الرهن - ومسلم (١٨٠١) كتاب الجهاد والسير.

وأبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه.

ولما سمع المشركون صوت النبي ﷺ وهو ينادى على أصحابه «هَلُمَّ إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ» هاجموه وأرادوا أن يقتلوه .. فقام تسعة من أصحابه يدافعون عنه بكل حبٍّ وتفانٍ وبطولة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً<sup>(١)</sup>.

### ✽ سبعة من الأنصار يبذلون حياتهم دفاعاً عن النبي ﷺ :

عن أنس رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهَقُوهُ<sup>(٢)</sup>، قَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» - أَوْ «هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ» -، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهَقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» - أَوْ «هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ» -، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصَاحِبِيهِ: «مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا»<sup>(٣)</sup>.

وكان آخر هؤلاء السبعة هو: عمارة بن يزيد بن السكن ... قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط<sup>(٤)</sup> ... وبعد ما قُتل عمارة بن يزيد، لم يبقَ مع النبي ﷺ سوى طلحة وسعد رضي الله عنهما.

### ✽ أوجب طلحة رضي الله عنه يوم أحد :

وعن جابر قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَأَدْرَكَهُ الْمُشْرِكُونَ، فَالْتَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ لِلْقَوْمِ؟» فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) رواه أحمد (٣/٣٧٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن إسحاق فهو صدوق حسن الحديث.

(٢) رهقوه: غشوه وقربوا منه وأدركوه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٩) كتاب الجهاد والسير.

(٤) وبعد لحظة فاءت إلى الرسول ﷺ فئة من المسلمين، فأجهضوا الكفار عن عمارة، وأذنوه من رسول

الله ﷺ، فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ. ابن هشام (٢/٨١).

«كَمَا أَنْتَ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «أَنْتَ» فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ التَفَّتْ فَإِذَا بِالْمُشْرِكِينَ قَالَ: «مَنْ لِلْقَوْمِ؟» قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا. قَالَ: «كَمَا أَنْتَ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا. فَقَالَ: «أَنْتَ»، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَيَقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لِلْقَوْمِ؟» فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الْأَحَدِ عَشَرَ، حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ فَقَالَ: حَسٌّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعْنَاكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ حَتَّى تَلْجُ بِكَ فِي جَوْ السَّمَاءِ» ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ <sup>(١)</sup>.

وعند الطبراني: «لَوْ قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ، لَطَارَتْ بِكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ».

وعند النسائي والبيهقي في الدلائل: «حَتَّى تَلْجُ بِكَ فِي جَوْ السَّمَاءِ».

وعند أحمد: فقال له النبي ﷺ: «لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ لَرَأَيْتَ يُبْنَى لَكَ بِهَا بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ وَأَنْتَ حَيٌّ فِي الدُّنْيَا» <sup>(٢)</sup>.

وعن قيس بن حازم قال: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَاءً، وَقَى بِهَا النَّبِيَّ يَوْمَ أُحُدٍ <sup>(٣)</sup>.  
وَجُرِحَ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ تِسْعًا وَثَلَاثِينَ، أَوْ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ، وَشَلَّتْ أَصْبَعَهُ أَى: السَّبَابَةَ وَالتَّى تَلِيهَا.

وقال النبي ﷺ فيه يومئذٍ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ» <sup>(٤)</sup>.

وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر إذا ذُكِرَ يَوْمَ

(١) صحيح: رواه النسائي، والطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٧٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٢٩٤) وإسناده صحيح.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٠٦٣) كتاب المغازي.

(٤) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٢).

أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة<sup>(١)</sup>.

### ✽ أبو طلحة رضي الله عنه ودفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد كان أبو طلحة رضي الله عنه ممن شهدوا بدرًا وأبلى في تلك الغزوة بلاءً حسنًا. وفي يوم (أحد) كان من الأبطال الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ودافع عنه بكل ما يملك.

✽ عن أنس رضي الله عنه، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمٌ أُحِدِ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةَ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: «انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ» قَالَ: وَيُشْرِفُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ، لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ<sup>(٢)</sup>.

### ✽ كعب بن مالك رضي الله عنه يفتدى النبي صلى الله عليه وسلم بحياته:

✽ عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « لَمَّا كَانَ يَوْمٌ أُحِدِ وَصِرْنَا إِلَى الشُّعْبِ، كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ عَرَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.. فَقُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَشَارَ إِلَيَّ بِيَدِهِ أَنْ اسْكُتْ، ثُمَّ أَلْبَسَنِي لِأُمَّتِهِ<sup>(٣)</sup> وَلَبِسَ لِأُمَّتِي... فَلَقَدْ ضَرَبْتُ حَتَّى جُرِحْتُ عِشْرِينَ جِرَاحَةً - أَوْ قَالَ: بِضِعَّةٍ وَعِشْرِينَ جُرْحًا - كُلُّ مَنْ يَضْرِبُنِي يَحْسِبُنِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم »<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري (٧/ ٣٦١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨١١) كتاب مناقب الأنصار - ومسلم (١٨١١) كتاب الجهاد والسير.

(٣) لأُمَّتِهِ: درعه.

(٤) قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٢): رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط

ثقات، ورواه أبو نعيم في الدلائل (٢/ ٤٨٢) من طريق ابن إسحاق، وقد صرح عنده بالسماع وسنده

متصل، فالحديث صحيح.





✽ فتأمل معي إلى فطنة وذكاء النبي ﷺ في هذا الموقف الجليل.. وتأمل أيضاً تلك الصورة المشرقة من محبة هذا الصحابي الجليل للنبي ﷺ فهو يستعذب كل هذا الضرب من أجل أن يفدى النبي ﷺ.

### ✽ سعد بن الربيع رضي الله عنه ووصيته الغالية للأنصار:

قال زيد بن ثابت: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب (سعد بن الربيع) فقال لي: «إن رأيتَه فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟». قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بأخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرني كيف تجدك؟»، فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ مكروه وفيكم عينٌ تطرف. وفاضت نفسه من وقته<sup>(١)</sup>.

### ✽ الملائكة يدافعون عن النبي ﷺ:

لا تعجب فقد قال الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

✽ ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ، كَأَشَدِّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ»<sup>(٣)</sup>.

### ✽ أم عمارة رضي الله عنها تدافع عن النبي ﷺ:

حتى المرأة المسلمة دافعت عن النبي ﷺ وأرادت أن تفديه بحياتها.

(١) رواه ابن هشام (٢/٩٤، ٩٥)، والحاكم (٣/٢٠١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) سورة التحريم: الآية: (٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٥٤) كتاب المغازي - ومسلم (٢٣٠٦) كتاب الفضائل.

✽ خرجت الأسرة المؤمنة: أم عمارة وولداها عبد الله وحيب وزوجها واندفع زوجها وأولادها يجاهدون في سبيل الله، بينما ذهبت أم عمارة تسقى العطشى وتُضمد الجرحى، ولكن ظروف المعركة جعلتها تُقبل على محاربة المشركين، وتقف وقفة الأبطال تدافع عن رسول الله ﷺ غير هيّابة ولا وجلّة، وذلك عندما تفرق الناس من هول ما أصابهم في ذلك اليوم .. عندها أخذت سيفًا وترسًا ووقفت بجانب رسول الله ﷺ تقيه بنفسها (١).

✽ وقاتلت أم عمارة، فاعترضت لابن قمئة في أناسٍ من المسلمين، فضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحًا أجوف ... وضربت هي ابن قمئة عدة ضربات بسيفها، لكن كانت عليه درعان فنجا، وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحًا (٢).

## ✽ زيد بن حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يختار النبي ﷺ على أبيه وعمه :

إنه زيد الحب وأمه سُعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر، زارت قومها وزيدٌ معها، فأغارت عليهم خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على أبيات بنى معن فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يفعه، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم ابن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له، فحجَّ ناسٌ من كعب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه.

فانطلقوا فأعلموا أباه فخرج حارثة وكعب بن شراحيل بفدائه، فقدِمَا مكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل: هو في المسجد - وذلك قبل البعثة - فدخلا عليه فقالا: يا ابن هاشم، يا ابن سيد قوم، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابنا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فإننا سنرفع لك في الفداء قال: «ما هو؟» قالوا: زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ:

(١) نساء مبشرات بالجنة (ص ٦٥).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٣٨).



«فهلّا غير ذلك؟» قالوا: ما هو؟ قال: «ادعوه فخيره فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحداً». قالوا: قد زدتنا على النصف وأحسنت.

فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» قال: نعم، هذا أبى وهذا عمى قال: «فأنا من قد علمت، ورأيت محبتي لك فاخترني أو اخترهما» فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً.. أنت منى بمنزلة الأب والعم، فقالوا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجته إلى الحجر فقال: «يا من حضر اشهدوا أن زيذاً ابني يرثني وأرثه».. فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا.

فدعى زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام فزوجه رسول الله ﷺ زينب بنت جحش... فلما طلقها تزوجها النبي ﷺ فتكلم المنافقون في ذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه فنزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> الآية وقال: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> فدعى يومئذ زيد بن حارثة.

### ✽ أبو أيوب رضوان الله عليه... ومحبته للنبي ﷺ :

إن الأنصار وإن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة، إلا أن كل واحد منهم كان يتمنى أن ينزل الرسول ﷺ عليه، فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته: هلّم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان يقول لهم: «خلّوا سبيلها فإنها مأمورة» فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم فبركت ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً ثم التفتت

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥).

ورجعت فبركت في موضعها الأول فنزل عنها وذلك في ديار بنى النجار أخواله ﷺ وكان من توفيق الله لها فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم .. وبادر أبو أيوب الأنصاري إلى رحله فأدخله بيته فجعل رسول الله ﷺ يقول: «المرء مع رحله»، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته وكانت عنده<sup>(١)</sup>.

وفي رواية البخارى قال نبى الله ﷺ: «أَيُّ بَيْتٍ أَهْلِنَا أَقْرَبُ». فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: «فَانْطَلِقْ فَهَيْئَ لَنَا مَقِيلًا»، قَالَ: قَوْمًا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

### هكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ :

ولنترك المجال لأبى أيوب رضي الله عنه يحدثنا عن تلك الفرحة الشديدة التى ملأت عليه جوانحه وجوارحه لنزول النبى ﷺ عليه فى بيته.

عن أبى أيوب قال: لما نزل على رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى السُّفْلِ وأنا وأم أيوب فى العلو فقلت له: يا نبى الله، بأبى أنت وأمى إنى لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى فإظهر أنت فكن فى العلو ونزل نحن فنكون فى السُّفْلِ فقال: «يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سُّفْلِ البيت».

وفى رواية أخرى: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَسْفَلَ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ، فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: نَمَشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!!... فَتَحَوَّلَ فَبَاتُوا فِي جَانِبِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السُّفْلُ أَرْفَقُ بِي»، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ أَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي الْعُلُوِّ<sup>(٣)</sup>.

(١) البداية والنهاية (٣/ ٣٢٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٩١١) كتاب مناقب الأنصار.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٥٣) (١٧١) كتاب الأشربة - وأحمد (٢٣٥١٧).

وَعَنْ أَبِي رُهِمِ السَّمَاعِيِّ، أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ حَدَّثَهُ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ فِي بَيْتِنَا الْأَسْفَلَ، وَكُنْتُ فِي الْغُرْفَةِ، فَأَهْرِيْقَ مَاءً فِي الْغُرْفَةِ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا تَتَّبِعُ الْمَاءَ شَفَقَةً أَنْ يَخْلُصَ الْمَاءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَزَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مُشْفِقٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ فَوْقَكَ، انْتَقِلْ إِلَى الْغُرْفَةِ.. فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَتَاعِهِ فَنُقِلَ - وَمَتَاعُهُ قَلِيلٌ - فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنْتُ تُرْسِلُ إِلَيَّ بِالطَّعَامِ، فَأَنْظُرُ فَإِذَا رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِكَ وَضَعْتُ يَدِي فِيهِ.. يَلْتَمَسُ بَرَكَةَ الْحَبِيبِ ﷺ<sup>(١)</sup>.

### ❁ كل مصيبة بعدك جلي يا رسول الله ﷺ :

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء - يوم أحد - والثناء على الله والتضرع إليه، انصرف راجعاً إلى المدينة، وقد ظهرت له نوادر الحب والتفاني من المؤمنات الصادقات، كما ظهرت من المؤمنين في أثناء المعركة.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار وقد أُصيب زوجها وابنها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل!.... تريد صغيرة<sup>(٢)</sup>.

### ❁ المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ :

بل وتتجلى المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ في هذا الموقف الجليل... فلقد ضرب الصحابة الكرام أروع الأمثلة لأسمى مراتب الحب لرسول الله ﷺ. فها هو ذلك المشهد المهيب لهذا الصحابي الجليل الذي يعلمنا درساً في الحب الصادق الذي ليس له نظير.. ها هو خبيب بن عدي رضي الله عنه يصلبه

(١) رواه أحمد (٢٣٥٧٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) رواه البيهقي بسند حسن.

المشركون في مكة ويحتشدون حوله في شماتة ظاهرة ويشحذ الرماة رماحهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر في جنون ووحشية فالتفت إليهم خبيب رضي الله عنه قائلاً: دعوني أركع ركعتين .. فتركوه فصلاهما فلما سلم قال: والله لولا أن تقولوا أن ما بي جزع لزدت ثم قال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبقي منهم أحداً. ثم قال أنشودته الخالدة:

لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا  
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم  
وقد خيروني في الكفر والموت دونه  
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي  
ولست أبالي حين أقتل مسلماً  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ  
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع  
وقربت من جذع طويل مُمنع  
فقد ذرفت عيناى من غير مجزع  
وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى  
على أى جنب كان فى الله مصرعى  
يبارك على أوصال شلو مُمزع

فاقترب منه أبو سفيان قائلاً: أيسرك أن محمداً عندنا تضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال: لا والله ما يسرنى أنى في أهلى وأن محمداً صلى الله عليه وسلم فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه.

فيا ليت الواحد منا يكون شعاره: ما يسرنى أن أكون فى أهلى... وسنة النبى صلى الله عليه وسلم يصيبها أى شىء.

### ✽ عروة بن مسعود يرى العجب من محبة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم:

وهذا عروة بن مسعود، عندما ذهب يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر قريش فى صلح الحديبية جعل يرمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه. فلما رجع إلى أصحابه فقال: أى قوم، والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب

مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهُ إِنْ تَخَمَّ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ<sup>(١)</sup>.

### ❁ المشتاقون لصحبة النبي ﷺ في الجنة:

وها هي صور مضيئة لمن اشتاقت قلوبهم لصحبة النبي ﷺ في جنة الرحمن (جل و علا).

فقد جاء في الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ، فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيكَ، فأنظُرُ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتِكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعَتْ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَكَ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٦﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾<sup>(٢)(٣)</sup>.

❁ وفي الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه أنه قال: بَيْنَمَا أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَارِجِينَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلَقِينَا رَجُلًا عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟» قَالَ: فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتِ».

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣١) كتاب الشروط.

(٢) سورة النساء: الآيتان: (٦٩، ٧٠).

(٣) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (١/١٥٢)، وفي الصغير (١/٥٣)، وحسنه الألباني في السلسلة

قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا، بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرِحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ<sup>(١)</sup>.

ونحن نُشهدك يا ربنا أننا نحب رسول الله ﷺ ونحب الصحابة رضي الله عنهم ونحب الصالحين في كل زمانٍ ومكانٍ، ونرجو أن نُحشر معهم، وإن لم نعمل بمثل أعمالهم.

❁ وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول الله ﷺ ومن أهل الصُّفة رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَيُّتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»<sup>(٢)</sup>.

تأمل معي أيها الأخ الحبيب كيف كانت همة هذا الصحابي الجليل عالية خفاقة.. فهو لم يطلب أى شىء من حطام الدنيا الزائل بل طلب أغلى وأعلى مطلوب ألا هو صحبة الحبيب المحبوب رضي الله عنه في جنة علام الغيوب (جل وعلا).

❁ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ يُصَلِّي - فَافْتَتَحَ سُورَةَ النَّسَاءِ فَسَجَّلَهَا - يَقْرُؤُهَا قِرَاءَةً مَفْصَلَةً - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْ قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ.. ثُمَّ قَعَدَ، ثُمَّ سَأَلَ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَلْ تُعْطَهُ». فَقَالَ فِيمَا يَسْأَلُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّنَا ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ. فَاتَى عُمَرَ - عَبْدَ اللَّهِ - لِيُبَشِّرَهُ بِهَا، فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ خَارِجًا قَدْ سَبَقَهُ، فَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، مَا سَبَقْتُهُ إِلَّا خَيْرٍ قَطُّ، إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٦٧) كتاب الأدب - ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

(٣) حسن: رواه أحمد، وابن ماجه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣٠١).





أجل والله.. إنها القلوب التي صدقت في حبها للنبي ﷺ واشتاقت لصحبته في الجنة كما كانت في صحبته في الحياة الدنيا.

### بواعث محبة النبي ﷺ وأسبابها

لا شك أن كل محبوب فليحبه أسباب، وإذا كان رسولنا ﷺ نال درجات المحبة كلها واستحقها على سائر البشر، فما هو أسباب ذلك؟

✽ السبب الأول: أن هذا مراد الله تعالى؛ فإن الله تعالى يحبه ﷺ وملائكته يحبونه ويصلون عليه، وأمرنا بحبه ﷺ وطاعته واتباعه والافتداء به والصلاة والسلام عليه، ولا بد من أن نوافق في الحب ما يحبه الله تعالى فنحب حبيبه ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾. وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴿١﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ (٣).

✽ السبب الثاني: أن محبته من شروط إيمان العبد ولا يصلح إيمان ولا دين بغير ذلك... قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: ...» منها: «أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» (٤).

وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ رَ»

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (٣١، ٣٢).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٣) سورة التحريم: الآية: (٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٦) كتاب الإيمان - ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴿١﴾.

فجعل الله تعالى طاعته شرطاً للإيمان، ولا طاعة بغير حب، إلا أن تكون نفاقاً، و﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ ﴿٢﴾. ولذا قال النبي ﷺ: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ» ﴿٣﴾. قال شيخ الإسلام: «إن قيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله» ﴿٤﴾.

✽ السبب الثالث: إخباره ﷺ لنا بأنه أولى بكل مؤمن من نفسه.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ صَيَاغًا (عِيَالًا) فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ» ﴿٥﴾. قال النووي في شرحه لمسلم: (أولى..): أى أراف بهم وأعطف عليهم ولذلك أسعى في تخليص ذمتهم مما تعلق بها من حقوق وتبعات. وقوله ﷺ هذا موافق لقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ وَأُمَّهَاتُهُمْ﴾ ﴿٦﴾.

✽ السبب الرابع: شفقتة على أمته وبكاؤه خوفاً عليها.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْرَأْ عَلَيَّ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟! قَالَ: «نَعَمْ» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّىٰ أَتَيْتُ إِلَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا

(١) سورة الأنفال: الآية: (١).

(٢) سورة النساء: الآية: (١٤٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٧) كتاب الإيمان - ومسلم (٧٤) كتاب الإيمان.

(٤) الصارم المسلول (ص ٢١١).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨٦٧) كتاب الجمعة.

(٦) سورة الأحزاب: الآية: (٦).

﴿١﴾، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فَالْتَقْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ (٢).

فالنبي ﷺ كلما تذكر شهادته على أمته يوم القيامة؛ وكثير منهم صاحب معاصي وكبائر ييكي... قال ابن بطال: بكي رحمة لأمته؛ لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم،... وعملهم قد لا يكون مستقيماً، فقد يفضى إلى تعذيبهم. والله أعلم (٣).

ومن شفقتة ﷺ على الأمة ما نراه في قوله ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَّقَحْنَ فِيهَا - قَالَ: - فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي فَتَحْمُونَ فِيهَا» (٤).

فالذي يشفق علينا هذا الإشفاق ألا يستحق كل الحب والإجلال والتوقير؟!

✽ السبب الخامس: حرصه ﷺ على تعليمنا كالوالد لنا،... قال رب العزة جل وعلا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٥).

وقد قال هو ﷺ لأصحابه: «عَلَى رِسَالِكُمْ، أُعَلِّمُكُمْ» (٦).

وقال ﷺ أيضاً: «إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي» (٧).

وقال ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ...» (٨).

(١) سورة النساء: الآية: (٤١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٥٠) كتاب فضائل القرآن - ومسلم (٨٠٠) كتاب صلاة المسافرين.

(٣) فتح البارى (٩/٩٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٨٣) كتاب الرقاق - مسلم (٢٢٨٤) كتاب الفضائل.

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٦٤).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٦٤١) كتاب المساجد.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة.

(٨) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٣٤٦).

✽ السبب السادس: كمال نُصحِه لأُمَّته ودلالته للأُمَّة على ما يصلحها:

فتارة يقول لهم: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمْوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ » وتارة يقول: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ » وذلك ليعملوا بعملهم. وأخرى يقول لهم: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْنُحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ » ومرة يقول لهم: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَفْضَلِ الصَّدَقَةِ؟ » وذلك ليفعلوها فينالوا خيرها. وتارة يقول لهم: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ » وهكذا لا يترك ﷺ شيئاً فيه خير قط إلا ويدل أُمَّته عليه... فاللهم إنا نُشهدك على حبه، حباً يليق بمنزلته وقربه منك.

✽ السبب السابع: كمال رأفته ورحمته بأُمَّته وحرصه عليها حتى كادت نفسه أن تذهب أسفاً على قومه ألا يكونوا مؤمنين، فكيف حبه لمن آمن منهم؟ قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَلِخْغٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

✽ السبب الثامن: سعيه في الشفاعة لأُمَّته يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُّسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ »<sup>(٣)</sup>.

✽ السبب التاسع: ما خصّه الله تعالى وميّزه من كريم الخصال ورفيع الأخلاق.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

✽ السبب العاشر: خشيته ﷺ على أُمَّته من الشرور، مثل انفتاح الدنيا عليهم

(١) سورة الشعراء: الآية: (٣).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٤) كتاب الدعوات - ومسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٤) سورة القلم: الآية: (٤).

وخروج زهرتها، وخوفه عليهم المنافق عليم اللسان، وخوفه عليهم الرياء وأضرار اللسان، والأئمة المضلين. ولذلك كان يكثر ﷺ أن يقول لهم: «...ولكن أخشى عليكم...». و«أخوف ما أخافه عليكم...». ونحو ذلك <sup>(١)</sup>.

(٣) ومن حقوق النبي ﷺ على أمته: طاعته ﷺ في كل ما أمر:

قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ <sup>(٨٠)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ <sup>(٦٥)</sup>.

بل قد جعل الله ﷺ طاعة الرسول ﷺ واتباعه عنوان محبته ﷺ.

قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ <sup>(٣١)</sup> قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ <sup>(٣٢)</sup>.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

هذه الآية حاکمة على كل مَنْ ادَّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله. اهـ <sup>(٥)</sup>.

قال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبِي؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي» <sup>(٦)</sup>.

(١) رسالة محمد ﷺ (ص ١٨٥-١٨٨) بتصرف.

(٢) سورة النساء: الآية: (٨٠).

(٣) سورة النساء: الآية: (٦٥).

(٤) سورة آل عمران: الآيتان: (٣١، ٣٢).

(٥) تفسير ابن كثير (١/٣٣٨).

(٦) صحيح: رواه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

وقال ﷺ: « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ »<sup>(١)</sup>.

❁ وها هي أمثلة تُتَلَج الصدور من طاعتهم للرسول ﷺ:

تذكر كتب الحديث أن أبا بكر كان ينفق على رجل فقير يُسمى مسطح ابن أثاة - وكانت أمه ابنة خالة الصديق - وكان مسطح ممن تكلم في حادثة الإفك، فلما قال ما قال في عائشة رضي الله عنها، ونزلت الآيات ببراءتها قال أبو بكر: والله لا أعد أنفق على مسطح أبداً بعدما قال ما قال.

فنزول القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَأْتَلِ<sup>(٢)</sup> أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾<sup>(٣)</sup>.

فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر فتلاها عليه، فوالله ما هو إلا أن سمعها حتى قال: بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى، والله لأردن على مسطح ما كنت قطعتة منه<sup>(٤)</sup>.

❁ وفي سنن أبي داود عن جابر، قال: لَمَّا اسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قَالَ: «اجْلِسُوا»، فَسَمِعَ ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَجَلَسَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «تَعَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ»<sup>(٥)</sup>.

هكذا لم تسمح نفس ابن مسعود رضي الله عنه أن يتأخر لحظة واحدة عن تنفيذ أمر النبي ﷺ فجلس على باب المسجد لما سمع أمره ﷺ.

❁ وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٣٧) كتاب الأحكام - ومسلم (١٨٣٥) كتاب الإمارة.

(٢) لا يأتل: لا يحلفوا... والألية اليمين.

(٣) سورة النور: الآية: (٢٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٥٠) كتاب التفسير - ومسلم (٢٧٧٠) كتاب التوبة.

(٥) صحيح: رواه أبو داود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود (٩٦٦).

مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا، فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ، فَقَالَ: أَجْمَعُوا لِي حَطْبًا، فَجَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوا، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَسْمَعُوا لِي وَتُطِيعُوا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَادْخُلُوهَا، قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، وَطَفِئَتِ النَّارُ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»<sup>(١)</sup>.

✽ وجاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَحْلِ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرِ حَاءَ<sup>(٢)</sup>، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسُ: فَلَمَّا أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرِ حَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بَرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ». فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفَعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ<sup>(٤)</sup>.

✽ وهذا حنظلة - غسيل الملائكة - خرج مع رسول الله ﷺ، وكان عروسًا ليلة أحد، فلما أصبح صلى الفجر مع رسول الله ﷺ ثم عاد إلى عروسه فجامعها، وبينما هو مع زوجته نادى منادى الجهاد، فلم يصبر حنظلة حتى يغتسل، ورأى أنه

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٤٠) كتاب المغازى - ومسلم (١٨٤٠) (٤٠) كتاب الإمارة.

(٢) بيرحاء: قال النووي: هو حائط يُسمى بهذا الاسم، وليس اسم بئر.. والحديث يدل عليه والله أعلم.

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦١) كتاب الزكاة - ومسلم (٩٩٨) كتاب الزكاة.

من التخلف عن النداء أن يتأخر حتى يغتسل، فخرج وهو جنب، فقاتل حتى قُتل، فرأى رسول الله ﷺ الملائكة تُغسله بين السماء والأرض فقال لأصحابه: «اسألوا أهله ما شأنه؟» فسألوها فقالت: لقد كان جنبًا، فلما سمع النداء رأى أنه لو تأخر حتى يغتسل ربما تخلف، فخرج إلى الجهاد وهو جنب فقال رسول الله ﷺ: «من أجل ذلك غسلته الملائكة»<sup>(١)</sup>.

هكذا كان هؤلاء الأبرار... لم يقفوا عند امثال أو امره واجتناب نواهيته، بل كانوا يتابعون أفعاله، ويلاحظون تصرفاته بحبٍ وتقدير حرصًا على الاقتداء به، فإذا وجدوه يفعل شيئًا سارعوا إلى فعله وإذا رأوه ابتعد أو ترك شيئًا بادروا بالابتعاد عنه.

❁ وإيكم بعض الأمثلة الرائعة الدالة على ذلك..

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ، قَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَاءِ نِعَالِكُمْ»، قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيْلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَدْرًا - أَوْ قَالَ: أَدَى - وَقَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَدْرًا أَوْ أَدَى فَلْيَمْسَحْهُمَا وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا»<sup>(٢)</sup>.

❁ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ» فَنَبَذَهُ، وَقَالَ: «إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا»، فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ<sup>(٣)</sup>.

(١) حسن: رواه الحاكم، والبيهقي في السنن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٦١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٢٩٨) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.



✽ وأخرج البخارى من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ <sup>(١)</sup> فَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ قَدِ وُجِّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ <sup>(٢)</sup>.

(٤) الانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر:

✽ عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ» <sup>(٣)</sup>.

✽ وهذا موقف أصحاب النبي ﷺ من كعب بن مالك وصاحبيه الذين خلفوا في غزوة تبوك عندما نهى الرسول ﷺ عن كلامهم.

فلترك كعبًا يحدثنا كيف كان موقفهم... يقول كعب: وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ، وَقَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضِ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَيْسْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ.... ثم يقول: حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ - فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. فَقُلْتُ لَهُ:

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٢٥٢) كتاب أخبار الآحاد.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٢٨٨) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ومسلم (١٣٣٧) كتاب الحج.

يَا أَبَا قَتَادَةَ أُنْشِدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمٌ<sup>(١)</sup>، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ، حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ<sup>(٢)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانٌ شِفَاءٍ»، فَزَلَّتِ الَّتِي فِي الْبَقْرَةِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.  
فَدَعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانٌ شِفَاءٍ»، فَزَلَّتِ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾<sup>(٤)</sup>.  
فَدَعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانٌ شِفَاءٍ»، فَزَلَّتِ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، فَدَعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: «انْتَهَيْنَا أَنْتَهَيْنَا»<sup>(٦)</sup>.

نزلت ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ فكانت الإجابة الفورية: انتهينا .. انتهينا.

ولنستمع ما يقول أنس بن مالك رضي الله عنه يوم أن حُرمت الخمر: كُنْتُ سَاقِي الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، فَزَلَّ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَخْرُجْ فَانظُرْ مَا هَذَا الصَّوْتُ؟ قَالَ: فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: هَذَا مُنَادٍ يُنَادِي: «أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ»، فَقَالَ لِي: اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا، قَالَ: فَجَرَّتْ (أَيِ الْخَمْرِ) فِي

(١) قال القاضى: لعل أبا قتادة لم يقصد بهذا تكليمه؛ لأنه منهى عن كلامه، وإنما قال ذلك لنفسه، لما ناشده الله، فقال أبو قتادة: مظهرًا لاعتقاده، لا لسمعه، ولو حلف رجل لا يكلم رجلاً، فسأله عن شىء؟ فقال: الله أعلم، يريد إسماعه وجوابه: حنت.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤١٨) كتاب المغازى - ومسلم (٢٧٦٩) كتاب التوبة.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢١٩).

(٤) سورة النساء: الآية: (٤٣).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٩١).

(٦) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى.



سِكِّكَ الْمَدِينَةَ<sup>(١)</sup>.

### (٥) الاتباع للنبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ».. وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٣)</sup>.

✽ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا» وَخَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>(٤)(٥)</sup>.

✽ قال الإمام ابن القيم رحمته الله في مقدمة «طريق الهجرتين وباب السعادتين»:

قال الجنيد بن محمد: الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي ﷺ فإن الله عز وجل يقول: «وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك».

✽ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وليختلجن رجالٌ دوني فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سُحِقًا لمن بدل بعدي»<sup>(٦)</sup>.

وهذا هو فاروق الأمة عمر رضي الله عنه: يَأْتِي إِلَى الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ فَيَقْبَلُهُ ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجْرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقْبَلُكَ مَا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٦٤) كتاب المظالم - ومسلم (١٩٨٠) كتاب الأشربة.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٩٧) كتاب الصلح - ومسلم (١٧١٨) كتاب الأفضية.

(٤) حسن: رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٦٥).

(٥) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧٦) كتاب الرقاق - ومسلم (٢٢٩٧) كتاب الفضائل.

قبلتك»<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنَّاً فَلَيْسَتْ بِيَمَنِ قَدِمَاتُ فَإِنْ الْحَى لَا تُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، وَأَوْلَاكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أَبْرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا، قَدْ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم وَإِقَامَةِ دِينِهِ فَاعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ وَتَمَسَّكُوا بِهِدْيِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

### (٦) تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر:

وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر عن رب العزة.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾<sup>(٣)</sup>.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبره عن رب العزة صادق، صادق ... بل ستعجبون أن صدق النبي صلى الله عليه وسلم أقرَّ به الكافر قبل المسلم ... فلقد لقب المشركون في مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بالصادق الأمين.

ولقد شهد الله (جل وعلا) بصدق نبيه ويا لها من شهادة! ولقد بين الله أن نبيه لو زاد في الوحي أو نقص منه أو جاء بشيء من عند نفسه في دين الله لعجل الله له العقوبة في الدنيا.

اسمع ماذا قال ربنا عز وجل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۝١١ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝١٢ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝١٣ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝١٤﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٥٩٧) كتاب الحج - ومسلم (١٢٧٠) كتاب الحج.

(٢) أخرجه أبو عمر بن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٧)، والهروى ورقمه (٨٦) وفيه من طريق قتادة عنه فهو منقطع قاله الألبانى في تخريج مشكاة المصابيح (ص: ١٩٣).

(٣) سورة النجم: الآيات: (١-٥).

(٤) سورة الحاقة: الآيات: (٤٤-٤٧).



بل لقد اعترف أبو جهل بصدق المصطفى ﷺ فقال للحبيب: إِنَّا لَا نُكْذِبُكَ  
 بَلْ نَكْذِبُ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا  
 يُكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (١).

لقد وُضعت النبوة أمام اختبارات دقيقة حرجة وتبين في كل الاختبارات  
 صدق المصطفى ﷺ، وأنه لا ينطق عن الهوى.

تعلمون أن النبي ﷺ قد أخبر أن أبا لهب سَيَصْلَى نَارًا ذات لهب: ﴿تَبَّتْ  
 يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ  
 ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾ (٢). إخبار نبوى  
 عن الرب العلى (جل وعلا).

إذا قام أبو لهب يوماً وأعلن ولو بالكذب: أنه قد آمن بالله وبالمصطفى ﷺ  
 لو وضعت النبوة في مآزق حرج.

ولكن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، فكما قال ربنا وبلغ نبينا ﷺ مات أبو  
 لهب على الكفر، ولم يفكر لحظة من لحظات حياته في التوحيد والإيمان بالله؛  
 لنعلم أن الرسول ﷺ لا يتكلم في دين الله إلا بوحي معصوم من عند الله عز وجل.  
 والرسول ﷺ الذى بلغ عما مضى وقع بالكمال والتمام على الوجه الذى أخبر  
 به هو،... هو الذى أخبرنا عن الغيبات التى لم تقع بعد... والذى أخبر عما  
 مضى ووقع، هو الذى أخبر بما سيقع وهو الصادق الذى لا ينطق عن الهوى.  
 وسيقع كل ما أخبر به المصطفى ﷺ بمثل ما حدث به؛ لأنه هو الذى لا  
 ينطق عن الهوى.

ففى الصحيحين قال المصطفى ﷺ: « إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا

(١) سورة الأنعام: الآية: (٣٣).

(٢) سورة المسد.

هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ - أى: كذيل البقرة - يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ».

والصنف الثاني: «نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»<sup>(٢)</sup>، هل رأى النبي ﷺ الكاسيات العاريات؟

لا .. وها نحن نرى هذا الوصف النبوي الدقيق في أيامنا كما أخبر الصادق المصطفى ﷺ: «نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ» بمعنى أن المرأة كاسية ولكنها عارية؛ لأنها إما أن تلبس المرأة ثوبًا ضيقًا يُظهر مفاتن جسدها كأنها عارية بل تكون المرأة أشد فتنة من العارية.

وإما أن تلبس المرأة ثوبًا خفيفًا شفافًا يُظهر ثيابها الداخلية، فتظهر المرأة، وكأنها عارية.

### (٧) تعظيمه وتوقيره والأدب معه ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تعزروه: تعظموه... وتوقروه: من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٢٠) كتاب فرض الخمس - ومسلم (٢٩١٨) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٣) سورة الفتح: الآيتان: (٨، ٩).

تَشْعُرُونَ ﴿١﴾

وستعجبون أن صدر هذه الآيات قد نزل في الخيرين الجليلين الكريمين الحسين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.. نعم في أبي بكر وعمر.

ففي صحيح البخارى: «عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: «كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا خِلَافِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ .. فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية. قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: «فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ... وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ» (٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١).

يقول أنس: جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ ثَابِتٌ: أَنْزَلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (٣).

(١) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٨٤٥) كتاب التفسير.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٩) كتاب الإيمان.

## (٨) التحلى بأخلاق الرسول:

إذا كنت محبباً صادقاً للرسول ﷺ فتخلّق بأخلاقه:

- ١- اترك الفحش، وهو كل ما قبّح وساء من قولٍ أو فعل.
- ٢- اخفض صوتك، واغضض منه إذا نطقت وخاصة في المجمعات العامة، كالأسواق والمساجد والحفلات وغيرها، ما لم تكن خطيباً أو واعظاً.
- ٣- ادفع السيئة التي قد تصيبك من أحدٍ بالحسنة، بأن تعفو عن المسيء، فلا تؤاخذة، وتصفح عنه بأن لا تعاقبه ولا تهجره.
- ٤- ترك التأنيب والتعنيف لخدامك، أو زميلك أو ولدك، أو تلميذك أو زوجتك إذا قصر في خدمتك.
- ٥- لا تُقصر في واجبك، ولا تبخس حق غيرك، حتى لا تضطره إلى أن يقول لك: لِمَ فعلت كذا..؟ أو لِمَ لا تفعل كذا؟ لائماً عليك، أو عاتباً لك.
- ٦- اترك الضحك إلا قليلاً، وليكن جُل ضحكك التبسّم.
- ٧- لا تتأخر عن قضاء حاجة الضعيف والمسكين والمرأة والمشى معهم في غير تكبرٍ ولا استنكاف.
- ٨- مساعدة أهل البيت على شئون البيت، ولو كان حلب شاة أو طهي طعام أو غيره.
- ٩- البس أحسن الثياب التي عندك، لا سيما وقت الصلاة والأعياد والحفلات.
- ١٠- لا تتكبر عن الأكل على الأرض، وأكل ما وُجدَ من الطعام، والاكتفاء بقليل الطعام.
- ١١- العمل ومشاركة العاملين، ولو بحفر الأرض، ونقل التراب، والسرور بذلك إظهاراً لعدم التكبر.





- ١٢- عدم الرضا بالمدح الزائد، والإطراء المُبالغ فيه، والاكتفاء بما هو ثابت للعبد، وبما قام به من صفات الكمال والفضل والخير.
- ١٣- لا تنطق ببذاء ولا جفاء ولا كلام فاحش ولو مازحًا.
- ١٤- لا تُقل سوءًا ولا تفعله.
- ١٥- لا تواجه أحدًا من إخوانك بمكروه.
- ١٦- لازم سلامة النطق، وحلو الكلام.
- ١٧- لا تُكثر المزاح ولا تُقل إلا الصدق.
- ١٨- ارحم الإنسان والحيوان حتى يرحمك الله.
- ١٩- احذر البخل، فهو مكروه من الله ومن الناس.
- ٢٠- نم باكرًا، واستيقظ باكرًا للعبادة والاجتهاد والعمل.
- ٢١- لا تتأخر عن صلاة الجماعة في المسجد.
- ٢٢- احذر الغضب وما ينتج عنه ... وإذا غضبت فاستعد بالله من الشيطان

الرجيم.

- ٢٣- الزم الصمت، ولا تُكثر الكلام فهو مُسجل عليك.
- ٢٤- اقرأ القرآن بفهم وتدبّر واسمعه من غيرك.
- ٢٥- لا ترد الطيب -العطر- واستعمله دائمًا لا سيما عند الصلاة.
- ٢٦- استعمل السواك فهو مفيد جدًا، لا سيما عند الصلاة.
- ٢٧- كن شجاعًا وقل الحق ولو على نفسك.
- ٢٨- اقبل النصيحة من كل إنسان، واحذر ردّها.
- ٢٩- اعدل بين زوجاتك وأولادك وفي كل أعمالك.
- ٣٠- اصبر على أذى الناس وسامحهم؛ حتى يسامحك الله.

٣١- أَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ.

٣٢- أَكْثَرَ مِنَ السَّلَامِ عِنْدَ الدُّخُولِ وَالخُرُوجِ وَاللِّقَاءِ وَفِي الْأَسْوَاقِ.

٣٣- تَقْيِيدُ بَلْفِظِ السَّلَامِ الْوَارِدِ فِي السُّنَّةِ وَهُوَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ». وَلَا يُغْنَى عَنْهُ كَلِمَةٌ (صَبَاحُ الْخَيْرِ، وَمَسَاءُ الْخَيْرِ) أَوْ (أَهْلًا أَوْ مَرْحَبًا) وَيُمْكِنُ قَوْلُهَا بَعْدَ السَّلَامِ.

٣٤- كُنْ نَظِيفًا فِي مَظْهَرِكَ وَلِبَاسِكَ.

٣٥- غَيِّرْ شَيْبَكَ بِالْأَصْفَرِ أَوْ الْأَحْمَرَ وَاحْذَرِ السَّوَادَ امْتِثَالًا لِأَمْرِ الرَّسُولِ

ﷺ

٣٦- تَمَسَّكَ بِسُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى تَدْخُلَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِنَّ يَوْمٌ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرٍ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «بَلْ مِنْكُمْ»<sup>(١)</sup>.

اللهم ارزقنا العمل بكتابك، وسنة نبيك، وارزقنا حبه واتباعه وشفاعته<sup>(٢)</sup>.

(٩) تَبْلِيغُ دَعْوَتِهِ وَسُنَّتِهِ ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وأبو داود، والترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٤).

(٢) قطوف من الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية/ محمد بن جميل زينو (ص: ١٣١: ١٣٤) ط. دار الحرمين.

(٣) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

(٤) سورة فصلت: الآية: (٣٣).

وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس. وهكذا المبلغون عنه من أمته، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً... وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

ويكفي في هذا قول النبي ﷺ لعليٍّ ولمعاذ أيضاً: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»<sup>(١)</sup>. وقوله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى فَاتَّبَعَ عَلَيْهِ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْر مَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى عَمَلِهِ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم<sup>(٢)</sup>.  
وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ إِثْمِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَمِهِمْ شَيْئًا»<sup>(٤)</sup>.

### (١٠) الدِّفَاعُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ :

وذلك بأن تدافع عن النبي ﷺ وعن سنته - في حياته - وتدافع عن سنة النبي ﷺ بعد وفاته.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٩) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) جلاء الأفهام: (٢٤٩ - ٢٥٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٩٣) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

✽ صور من دفاع الله (عَزَّوَجَلَّ) عن نبيه ﷺ :

✽ وها هي صور مشرقة من دفاع الله ﷻ عن نبيه وحببه محمد ﷺ .

فهو سبحانه الذي قال في كتابه: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> .

✽ بل وفي صلح الحديبية لما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: يا رسول الله أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ: «بَلَى»، قال عمر: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ، قَالَ: «بَلَى»، قال عمر: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَغْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»<sup>(٢)</sup> .

- فالشاهد أن النبي ﷺ يعلم يقيناً أن الله ناصره .

✽ الله ﷻ يَنْتَقِمُ لِنَبِيِّهِ ﷺ مِنْ أَبِي جَهْلٍ :

✽ ففي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ - أَى يسجد - قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِن رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعْفِرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَّأَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِحْتَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوًّا وَأَجْنَحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»<sup>(٣)</sup> .

✽ ويقيض الله ﷻ لِقَتْلِ أَبِي جَهْلٍ: غلامين صغيرين دفعهما الحب

الشديد لرسول الله ﷺ إلى أن يقتلا أبا جهل لأنه يسب رسول الله ﷺ .

✽ ففي الصحيحين عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ

فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غَلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ

(١) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣١) كتاب الشروط.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفات المنافقين.

حَدِيثَهُ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعِ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمُّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أَخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتَهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْسَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرِيَانِ؟ هَذَا صَاحِبِكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَأَبْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: «أَيْكُمَا قَتَلَهُ؟» فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ»، وَقَضَى بِسَلْبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ، وَالرَّجُلَانِ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ<sup>(١)</sup>.

### ✽ أبو لهب وامراته حمالة الحطب:

✽ ولقد كان أبو لهب كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له، والازدراء به، والتقص له ولدينه.

وانظر إلى نموذج من نماذج كيد أبي لهب لدعوة الرسول ﷺ، التي عاها من اليوم الأول للدعوة.

روى الإمام أحمد، عن ربيعة بن عباد من بنى الدليل - وكان جاهلياً فأسلم - قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية، في سوق ذي المجاز، وهو يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا». والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب... يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب<sup>(٢)</sup>.

✽ وروى البخارى عن ابن عباس: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ، فَصَعِدَ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٩٨٨) كتاب المغازى - ومسلم (١٧٥٢) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى رحمه الله في صحيح السيرة النبوية (ص ١٤٣).

إِلَى الْجَبَلِ فَنَادَى: «يَا صَبَاحَاهُ» فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَكُتُّمُ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: «أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ (١) (٢).

### ❁ هلاك أبي لهب:

فانظر ماذا صنع الله بأبي لهب الذي عادى النبي ﷺ عداءً شديداً. قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: رماه الله بالعدسة فقتلته ... فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً، ما دفناه حتى أتتني، وكانت قريش تتقى هذه العدسة، كما تتقى الطاعون، حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما، ألا تستحيان أن أباكما قد أتتني في بيته لا تدفناه؟ فقالا: إنا نخشى عدوى هذه القرحة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رجموا عليه بالحجارة.

### ❁ هلاك أم جميل (زوجة أبي لهب):

قال ابن كثير عن أم جميل: كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم .. ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝١ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٢﴾ (٣)، يعني: تحمل الحطب فتلقى على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مهياة لذلك، مستعدة له (٤).

(١) سورة المسد: الآية: (١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٩٧٢) كتاب التفسير.

(٣) سورة المسد: الآيتان: (٤، ٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/٥٣٥).



﴿ فِي جِيدِهَا <sup>(١)</sup> حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾.

قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد، فأعقبها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار.  
وعن الثوري: هي قلادة من نار طولها سبعون ذراعاً. والجزاء من جنس العمل <sup>(٢)</sup>.

عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ <sup>(٣)</sup> جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحيت لا تؤذيك بشيء.

فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ سِيْحَالٌ بَيْنِي وَبَيْنَهَا»، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك.

فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية (الكعبة)، ما نطق بالشعر ولا يتفوه به.  
فقالت: إنك لمُصدِّق.

فلما ولت قال أبو بكر ﷺ للنبي ﷺ: ما رأتك؟ قال ﷺ: «لا، ما زال ملك يسترنى حتى ولت» <sup>(٤)</sup>.

﴿ فَتأمل معي كيف كان هلاكها. ﴾

قال مرة الهمداني: كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة <sup>(٥)</sup> من الحسك <sup>(٥)</sup> فتطرحه في طريق المسلمين، فبينما هي حاملة ذات يوم حزمة أعيت، فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها <sup>(٦)</sup>.. خنقها الله بحبلها.

(١) الجيد: العنق.

(٢) تفسير ابن كثير (٨ / ٥٣٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٨ / ٥٣٧).

(٤) الإبالة: الحزمة الكبيرة.

(٥) الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك تعلق بأصواف الغنم، وهو السعدان.

(٦) تفسير القرطبي (١٠ / ٧٣٣٠).

## ❁ هلاك ابن أبي لهب:

قال ابن كثير: روى ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب من طريق محمد ابن إسحاق عن هبار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فتجهزت معهما، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأؤذينه في ربه - سبحانه - فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، هو يكفر بالذي دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى.

فقال النبي ﷺ: «اللهم، ابعث إليه كلبًا من كلابك».

ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه، فقال: يا بُنى ما قلت له؟ فذكر ما قال له.  
قال: فما قال لك؟

قال: قال: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك».

قال: يا بنى والله ما آمن عليك دعاءه<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عروة بن الزبير: أن عتبة بن أبي لهب وكان تحته بنت رسول الله ﷺ - عقد عليها - أراد الخروج إلى الشام، فقال: لآتين محمدًا فلأؤذينه.

فأتاه فقال: يا محمد، هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم تفل في وجه رسول الله ﷺ وردَّ عليه ابنته وطلقها، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك».

وكان أبو طالب حاضرًا، فوجم لها وقال: ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة.. فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره<sup>(٢)</sup>. فسرنا حتى نزلنا الشراة<sup>(٣)</sup>، وهى مأسدة<sup>(٤)</sup>، فنزلنا إلى صومعة راهب، فقال: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد، فإنها تسرح

(١) ابن كثير (٨ / ٤٢١)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤ / ٣٩): حسن.

(٢) القرطبي (٩ / ٦٢٥٣).

(٣) الشراة: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ - وفي اللسان: موضع تُنسب إليه الأسد.

يُقال للشجعان: ما هم إلا أسود الشرى، والشرى طريق في سلمى كثير الأسد.

(٤) الأرض كثيرة الأسود.



الأسد فيها كما تسرح الغنم، فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سني وحقى، وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه، فأجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها... ففعلنا فجاء الأسد فشم وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد؛ تقبَّض، فوثب فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزيمة<sup>(١)</sup>، ففضح<sup>(٢)</sup> رأسه، فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد.

فانظر أخي يرحمك الله .. لما تفل في وجه رسول الله ﷺ أتى الأسد، فشم وجهه، وفضح رأسه، لم يأكله من يديه أو رجليه، وإنما وجهٌ بوجهٍ.

### ✽ عقبة بن أبي معيط :

هذا الشقى الذى آذى رسول الله ﷺ، وانفرد بما لم يفعله أحد، ووضع رجله على عنق أطهر الخلق رسول الله ﷺ، فقطعت عنقه جزاءً وفاقاً.

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يا محمد، من بين قريش؟ قال: «نعم، أتدرون ما صنع هذا بى؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عينيّ ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة، فألقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى»<sup>(٣)</sup>.

(١) أى ضربه ضربة.

(٢) أى: شدخه.

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٣/ ٣٠٥-٣٠٦)، وقال العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (٥/ ٤٠): قلت: وهذا مرسل. وجملة القول إنى لم أجد لهذه القصة إسناداً تقوم به الحجة على شهرتها فى كتب السيرة وما كل ما يذكر فيها ويساق مساق المسلمّات يكون على نهج أهل الحديث من الأمور الثابتات. نعم قد وجدت لقصة عقبة خاصة أصلاً فيما رواه عمرو بن مرة عن إبراهيم قال: أراد الضحّاك بن قيس أن يستعمل مسروقاً. فقال له عمارة بن عقبة: أتستعمل رجلاً من بقايا قتلة عثمان؟! فقال له مسروق: حدثنا عبد الله بن مسعود - وكان فى أنفسنا موثوق الحديث - أن النبي ﷺ لما أراد قتل أبىك قال: «مَنْ للصبيّة؟» قال: النار. فقد رضيت لك ما رضى لك رسول الله ﷺ. أخرجه أبو داود

وذهب عقبة إلى مزبلة التاريخ، وأطيح بعنقه جزاء كفره وعناده وحسده للإسلام ورسوله ﷺ.

### ✽ أَبِي بِنِ خَلْفٍ :

✽ قال ابن إسحاق: كان أبي بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة، فيقول: يا محمد، إن عندى العوذ، فرسًا أعلفه فى كل يوم فرقًا<sup>(١)</sup> من ذرة، أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»<sup>(٢)</sup>.

✽ قال ابن كثير: عن عروة بن الزبير قال: كان أبى بن خلف أخو بنى جمح، قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال: «بل أنا أقتله إن شاء الله». فلما كان يوم أحد أقبل أبى فى الحديد مُقَنَّعًا، وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب ابن عمير أخو بنى عبد الدار يقى رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبى بن خلف من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة، فطعنه فيها بالحربة فوقع إلى الأرض عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه، وهو يخور خوار الثور.

فقالوا له: ما أجزعك، إنما هو خدش؟

فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «أنا أقتل أبيًا».

ثم قال: والذى نفسى بيده، لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون.

✽ وفى رواية: أنه لما رجع إلى قومه، وقد خدشه الرسول ﷺ بالحربة

<sup>=</sup> (٢٦٨٦) والبيهقى (٩ / ٦٥) من طريق عبد الله بن جعفر الرقى، قال: أخبرنى عبد الله بن عمرو بن زيد بن أبى أنيسة عن عمرو بن مرة. قلت: وهذا إسناد جيد رجاله ثقات كلهم رجال الشيخين:

(١) بفتح الراء وإسكانها: مكيال يسع تسعة عشر منًا، وقيل: اثنا عشر منًا.

(٢) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة: أحد (١٦٢).



خدشًا غير كبير، قال: قتلني والله محمد.

قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله ما بك من بأس.

قال: إنه قد كان قال بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني، فكان هذا

الشقى هو الوحيد الذى قتله رسول الله ﷺ بيده الكريمة (١).

### ✽ عبد الله بن قمئة :

عن أبى سعيد الخدرى: أن عبد الله بن قمئة جرح الرسول ﷺ فى وجنته،

فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ﷺ

فماذا كان جزاء هذا الشقى؟!

قال عبد الرحمن بن زيد بن جابر: إنه الذى رمى رسول الله ﷺ بأحد،

فجرحه فى وجهه، قال: خذها منى وأنا ابن قمئة، فقال: «أقمأك الله»..

قال: فانصرف إلى أهله فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل، فدخل

فيها فشدَّ عليه تيسها فنطحه نطحه أرداه من شاهق الجبل فتقطع.

وفى الطبرانى من حديث أبى أمامة قال: رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ

يوم أحد، فشجَّ وجهه وكسر ربايعيته، فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله

ﷺ: وهو يمسح الدم عن وجهه: «ما لك، أقمأك الله». فسلط الله عليه تيس جبل،

فلم يزل ينطحه حتى قطعاه قطعةً قطعةً.

وكان جزاؤه من جنس عمله.

فانظر رحمك الله .. لم يرسل الله ﷻ إلى ابن قمئة ملكًا لينتقم لنبيه ﷺ،

وإنما سلط عليه تيسًا قطعاه، وألقاه من فوق الجبل، لهوانه على الله.

### ✽ الأرض تلفظ من أراد أن يخدع رسول الله ﷺ :

ففى الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ،

(١) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة: أحد (١٦٣).

وَقَرَأَ الْبَقْرَةَ وَالْأَمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ.. فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلٌ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلٌ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَعَلِمُوا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ (١).

### ✽ اللَّهُ يَرْسِلُ صَاعِقَةً عَلَى رَجُلٍ رَفَضَ الْإِسْتِجَابَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوهم إلى الله تبارك وتعالى؛ فقال: أيش ربك الذي تدعونني إليه؟! من حديد هو؟! من نحاس هو؟! من فضة هو؟! من ذهب هو؟! فأتى النبي ﷺ فأخبره.. فأعاده النبي ﷺ الثانية، فقال مثل ذلك فأتى النبي ﷺ فأخبره.. فأرسله الثالثة فقال مثل ذلك فأتى النبي ﷺ فأخبره فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقته فقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته»، فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (١٣) (٢) (٣).

### ✽ غَضَبُ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ ﷻ وَانْتِقَامُهَا لَهُ :

كان النصارى ينشرون دُعواتهم بين قبائل المغول من أجل تنصيرهم، وقد مكَّن لهم الطاغية (هولاكو) طريق الدعوة بسبب زوجته الصليبية (ظفر خاتون)، وذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفل مغولي كبير

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦١٧) كتاب المناقب - ومسلم (٢٧٨١) كتاب صفات المنافقين.

(٢) سورة الرعد: الآية: (١٣).

(٣) رواه البزار في كشف الأستار (٥٤/٣) بإسناد صحيح.



عُقد لسبب تنصّر أحد أمراء المغول، فجعل واحد منهم يتنقص النبي ﷺ ويسبهه.. وكان هناك كلب صيد مربوط، فلما أكثر الصليبي الخبيث من ذلك زمجر الكلب ووثب عليه فخمشه فخلصوه منه بعد جهد، فقال بعض من حضر: هذا بكلامك في حق محمد ﷺ، فقال: كلا، بل هذا الكلب عزيز النفس؛ رأني أشير بيدي فظن أنني أريد أن أضربه... ثم عاد إلى ما كان فيه من سب النبي ﷺ فأطال، فوثب الكلب مرة أخرى على عنق الصليبي وقلع زُوره فمات من حينه، فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفاً من المغول<sup>(١)</sup>.

(١١) ومن حقوق النبي ﷺ: الصلاة عليه ﷺ :

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «هذه الآية شرف الله بها رسوله ﷺ حياته وموته، وذكر منزلته منه، وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء، أو في أمر زوجاته ونحو ذلك. والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره».

❁ كيفية الصلاة عليه ﷺ :

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى تَمَنَيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ

(١) الدرر الكامنة/ لابن حجر (٣/٢٠٢).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ .. وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ... وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ»<sup>(١)</sup>.

### ❁ فضائل وثمرات الصلاة على النبي ﷺ :

الأولى: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله عليه ثناء وتشريف ورحمة كما تقدم.

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

الخامسة: أنه يُرفع له عشر درجات.

السادسة: أنه يُكتب له عشر حسنات.

السابعة: أنه يُمحي عنه عشر سيئات.

الثامنة: أنه يُرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تُصاعد الدعاء إلى رب

العالمين.

التاسعة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفرداها.

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب كما تقدم.

الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.

الثالثة عشرة: أنها تقوم مقام الصدقة لدى العُسرة.

الرابعة عشرة: أنها سبب لقضاء الحوائج.

الخامسة عشرة: أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه.

السادسة عشرة: أنها زكاة للمصلي وطهارة له.

السابعة عشرة: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.



الثامنة عشرة: أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

التاسعة عشرة: أنها سبب لردّ النبي ﷺ الصلاة والسلام على المُصلي والمُسلم عليه.

العشرون: أنها سبب لتذكُّر العبد ما نسيه كما تقدم.

الحادية والعشرون: أنه سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

الثانية والعشرون: أنها سبب لنفى الفقر كما تقدم.

الثالثة والعشرون: أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ.

الرابعة والعشرون: نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ.

الخامسة والعشرون: أنها تدل صاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها.

السادسة والعشرون: أنها تُنجي من نتن المجلس الذى لا يُذكر فيه الله ورسوله ﷺ ويُحمد ويُثنى عليه فيه، ويُصلى على رسوله ﷺ.

السابعة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذى ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ.

الثامنة والعشرون: أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط.

التاسعة والعشرون: أنه يُخرج بها العبد عن الجفاء.

الثلاثون: أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الشاء الحسن للمصلى عليه بين أهل السماء والأرض .. لأن المصلى طالب من الله أن يثنى على رسوله ويكرمه ويشرفه .. والجزاء من جنس العمل، فلا بد أن يحصل للمصلى نوع من ذلك.

الحادية والثلاثون: أنها سبب للبركة في ذات المصلى وعمله وعمره، وأسباب مصالحه، لأن المصلى داعٍ ربه أن يبارك عليه وعلى آله .. وهذا الدعاء مُستجاب .. والجزاء من جنسه.

الثانية والثلاثون: أنها سبب لنيل رحمة الله له، لأن الرحمة إما بمعنى الصلاة

كما قاله طائفة، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلا بد للمصلى عليه من رحمة تناله.

الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه.

فهذا قلب المؤمن: توحيد الله وذكر رسوله ﷺ مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محوٌ ولا إزالة.

قال معاذ بن جبل: «ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»..... وذكر رسوله ﷺ تبعٌ لذكره.

والمقصود: أن دوام الذكر سبب لدوام المحبة.. فالذكر للقلب كالماء للزرع، بل كالماء للسّمك لا حياة له إلا به.

الرابعة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبته للعبد، فإنها إذا كانت سبباً لزيادة محبة المصلى عليه له، كذلك هي سبب لمحبته هو للمصلى عليه. الخامسة والثلاثون: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه، حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره.

السادسة والثلاثون: أنها سبب لعرض اسم المصلى عليه ﷺ وذكره عنده كما تقدم قوله ﷺ: «إن صلاتكم معروضة عليّ»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «إنَّ لله تعالى ملائكة سيّاحين في الأرض يبلغونني عن أمتي السلام»<sup>(٢)</sup>.. وكفى بالعبد نبلاً أن يُذكر اسمه بين يدي رسول الله ﷺ.

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٧٤).





السابعة والثلاثون: أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط، والجواز عليه، لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي ﷺ: «ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً، فجاءته صلاته عليّ فأقامته على قدميه وأنقذته»<sup>(١)</sup>.

رواه أبو موسى المديني وبنى عليه كتابه في «الترغيب والترهيب» وقال هذا حديث حسن جداً.

الثامنة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه، وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يُحصى علماً ولا قدرة ولا إرادة... ولكن الله سبحانه لكرمه رضى من عباده باليسير من شكره وأداء حقه. التاسعة والثلاثون: أنها متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبده بإرساله.

الأربعون: أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء. ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان:

أحدهما: سؤاله حوائجه ومهمات، وما ينوبه في الليل والنهار. فهذا دعاء وسؤال وإيثار لمحجوب العبد ومطلوبه.

الثاني: سؤاله أن يثنى على خليله وحبيبه ويزيد في تشريفه وتكريمه وإثارة ذكره، ورفع... ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك، ورسوله يحبه، فالمصلى عليه ﷺ قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محاب الله ورسوله... فمن أثر الله على غيره، أثره الله على غيره.

وهاهنا نكتة حسنة لمن علّم أمته دينه وما جاءهم به، ودعاهم إليه وحضهم عليه، وصبر على ذلك، وهي أن النبي ﷺ له من الأجر الزائد على أجر عمله مثل أجور من اتبعه. فالداعى إلى سنته ودينه، والمعلم الخير للأمة إذا قصد

(١) ضعيف: رواه الحكيم، والطبراني، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٨٦).

توفير هذا الحظ على رسول الله ﷺ و صرفه إليه، وكان مقصوده بدعاء الخلق إلى الله التقرب إليه بإرشاد عباده، وتوفير أجور المطيعين له على رسول الله ﷺ مع توفيتهم أجورهم كاملة كان له من الأجر في دعوته وتعليمه بحسب هذه النية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم<sup>(١)</sup>.

### (١٢) الأدب معه ﷺ بعد موته :

لقد شدد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك الأمر تشديداً عظيماً وكان يعاقب من يرفع صوته في المسجد النبوي الشريف بعد موت رسول الله ﷺ.

فَعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي<sup>(٢)</sup> رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ: مَنْ أَنْتُمْ - أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ؟ - قَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: «لَوْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمْ، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٣)</sup>!!

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: حُرمة النبي ﷺ ميتاً كحرمته حياً.. وكلامه المأثور بعد موته كلامه المسموع في لفظه ﷺ.. فإذا قُرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يُعرض عنه كما كان يلزمه (أو يجب عليه ذلك) في مجلسه ﷺ.

انظر إلى أدب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمته الله.

عن ابن أبي أويس قال: كان مالك إذا أراد أن يحدث عن رسول الله ﷺ توضعاً وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في الجلوس بوقار، وهيبة، ثم حدث فقبل له في ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>.

(١) مختصر جلاء الأفهام (ص: ٦٩-٧٢) بتصرف.

(٢) حصيني: أي رمانى بالحصباء.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٧٠) كتاب الصلاة.

(٤) صفة الصفوة (٢/١٧٨) وحلية الأولياء (٦/٣٨٨).



وعن معن بن عيسى قال: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب، فإذا رفع أحدُ صوته في مجلسه زجره، وقال: قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

## كيف ننصر رسول الله ﷺ؟

إنني أريد أولاً أن نرجع إلى عهد النبي محمد ﷺ لنرى كيف بايعه الأنصار بيعة العقبة الثانية... فإنهم لما ذهبوا إليه، قالوا له: علام نبايعك يا رسول الله؟ فقال لهم ﷺ: تَبَايَعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذْكُمْ فِيهِ لَوْمَةٌ لَّائِمٌ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَرْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ<sup>(٢)</sup>.

✽ فهذه البيعة في عنق كل مسلم ومسلمة.

وأنت إذا نصرت الله ونصرت رسول الله ﷺ فاعلم أن الله سينصرك.

فقد قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

✽ ولكن لا بد أن تعلم أن النصر ليس هو النصر على العدو فحسب.. وإنما النصر الحقيقي أن تموت وأنت على الحق.. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) تهذيب الكمال (١١١/١١).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، والبيهقي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣).

(٣) سورة محمد: الآية: (٧).

(٤) سورة الحج: الآية: (٤٠).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

﴿ وأنا أذكر لك هذا المثال؛ لتعلم أن النصر الحقيقي ليس هو النصر على الأعداء فحسب بل هو أن تموت على الحق ... قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومع ذلك فلقد قُتل كثير من الأنبياء والمرسلين ... فهل خذل الله أنبياءه. بأن تركهم ليقتلوا؟

كلا .. بل إن الله أراد أن يجمع لهم مرتبة الشهادة مع مرتبة الرسالة. ﴿ إذا فعلينا أن نجدد بيعة العقبة في قلوبنا وأن ننصر رسول الله ﷺ، وأن ننصر سنته وشريعته وأن نتمسك بها حتى نموت على ذلك.

**ولذا فإنني أذكر لحضراتكم بعض الأشياء التي ننصر بها رسول الله ﷺ:**

**(١) مقاطعة أفكار الغرب ومعتقداته:**

فقبل أن نتكلم عن المقاطعة الاقتصادية فلا بد أن نقاطع أفكارهم، فإنه ليس من المعقول أن نقاطع منتجاتهم ونحن نقلدهم في عاداتهم وتقاليدهم وملابسهم وتسريحة شعرهم وطريقة كلامهم.

**(٢) المقاطعة الاقتصادية:**

لأن هؤلاء الناس يخافون على دنياهم كل الخوف .. ولذلك فأنا أوجه هذا النداء لرجال الأعمال المسلمين ولعامة المسلمين ليقاطعوا منتجات هؤلاء القوم.

فيا رجال الأعمال .. ويا تجارنا الكرام ..

(أبو بكر) نصر الإسلام في وقت الردة (والإمام أحمد) نصر الإسلام في وقت المحنة، وأنتم جاء دوركم، وحن الوقت لنصرة نبيكم ﷺ ... لا بد أن

(١) سورة المجادلة: الآية: (٢١).

(٢) سورة غافر: الآية: (٥١).



تكون لكم مواقف حازمة، ومآثر رائعة غيرة لنبیکم ﷺ.

يا رجال الأعمال .. أوقفوا كل التعاملات التجارية مع أى دولة تسيىء إلى رسولنا ﷺ حتى يتم الاعتذار علينا ورسمياً من تلك الصحف التى تسيىء إلى رسول الله ﷺ. وتذكروا أن المال زائل، لكن المآثر باقية مشكورة فى الدنيا والآخرة ... وأعظمها حب رسول الله ﷺ والانتصار له.

ولكم أسوة فى الصحابى الجليل عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول، فى موقفه الحازم من أبیه، عندما آذى رسول الله ﷺ وكيف أنه أجبر أباه على الاعتذار لرسول الله ﷺ، وإلا منعه من دخول المدينة ... فى الحادثة التى سجلها القرآن الكريم: ﴿يَقُولُونَ لِمَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وثبت أن المنافق عبد الله بن أبى ابن سلول تكلم على رسول الله ﷺ بكلام قبيح، حيث قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل، فعلم ولده عبد الله بذلك فقال لو والده: والله لا تفلت حتى تُقر أنك أنت الذليل، ورسول الله ﷺ العزيز!!

الله أكبر .. هكذا يغضب الرجال لرسول الله ﷺ، وهكذا ينتصر الأبطال لنبى الله ﷺ!!

لم يأذن لو والده بدخول المدينة؛ حتى يقر بأنه هو الذليل ورسول الله ﷺ هو العزيز .. وقد فعل ..

لم يجامل والده!! لم يداهن من أجل قرابته!!  
لم يتنازل عن الدفاع عن رسول الله ﷺ من أجل مصالحه ... فهو والده ومن ينفق عليه.

إنه الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، يصنع الأعاجيب!

(١) سورة المنافقون: الآية: (٨).

فهل يستجيب رجال الأعمال لهذا الواجب في الغيرة لنبیهم ﷺ؟  
 وهل يكفون عن التعامل التجاري مع أى دولة تُسيء لرسولنا ﷺ؛ حتى يتم  
 تقديم الاعتذار الرسمي، واشتراط عدم تكرار هذه الجريمة؟!  
 وأنتم أيها المسلمون .. أتعجزون عن مقاطعة منتجاتهم، غيرة لنبیكم ﷺ؟!  
 حتى يعلم أولئك الأوغاد أن لرسول الله ﷺ أنصاراً، لا يرضون أن يُدنس  
 جنابه، أو أن يُمسَّ عرضه بسوء ودون ذلك حُرُّ الرؤوس:  
**فإن أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء**

فيا أمة الإسلام .. مَنْ ينتصر لرسول الله؟ مَنْ ينتصر لرسول الله؟  
 مَنْ ينتصر لمحمد ﷺ الذى ضحى بكل ما يملك من أجل أن يصلنا هذا  
 الدين؟!  
 فكم أذى من أجلنا؟! كم طُرد من أرضه من أجلنا؟! أنعجز بعد هذا  
 الجهد، وذاك النَّصَب، أن نقاطع منتجات هؤلاء الكفار؟! أو نكتب إلى سفارتهم  
 خطاباً نعبّر فيه عن غضبنا عما حصل من تلك الصحيفة!!  
 نعم أيها المسلمون .. آن لنا والله أن نقف وقفةً جادة، ونُفجر غضبنا  
 بالأفعال التى لا يمكن تجاهلها ..

تعالوا لنطعنهم فى شريانهم الرئيسى، وفى سر قوتهم .. تعالوا نطعنهم فى  
 اقتصادهم، دون أن نخسر شيئاً .. ونكون بذلك قد حططنا جزءاً من كبريائهم، ولا  
 يُقَلُّ قائل: كم سيكون حجم مقاطعتى، فإن المطلوب منك أن تبرئ ذمتك أمام  
 الله تعالى .. يقول النبى ﷺ: « **جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ** »<sup>(١)</sup>.  
**(٣) أن نتعلم سيرة الرسول ﷺ:**

من خلال اقتناء كتاب فى السيرة؛ لنقرأه على أولادنا وأزواجنا وآبائنا  
 وأمهاتنا؛ لنعرف كيف تعب النبى ﷺ وضحى من أجل أن نكون مسلمين فنزداد

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٩٠).



له حباً ﷺ.

- وأقترح على إخواني وأخواتي هذا الكتاب الذي كتبه عن سيرة الرسول ﷺ .. واسم الكتاب: «سيرة الرسول ﷺ» وهو كتاب محقق وفي نفس الوقت سهل وبسيط ويجمع لكم السيرة كاملة بعيداً عن الروايات الضعيفة .. وهو كتاب أثنى عليه - بفضل الله وحده - كل من قرأه من علماء مصر والمملكة العربية السعودية... ومعه كتاب «غزوات الرسول ﷺ».

- وليس هذا من باب الترويج لسلعة تجارية؛ فالكتابان يتم توزيعهما في أكثر دول العالم - والله الحمد - ولكن هذا من باب الدلالة على الخير.

#### (٤) العودة إلى هدى رسول الله ﷺ وسنته :

إن سنة النبي ﷺ هي بمثابة طوق النجاة من هذه الفتنة التي تملأ الكون ولذا قال ﷺ: « تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ »<sup>(١)</sup>.

✽ فلا بد أن نتعلم سنة النبي ﷺ ونُعلمها لكل من حولنا لنسعد جميعاً في الدنيا والآخرة .. وليسعد بنا النبي ﷺ عندما نلقاه على الحوض، فنشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً.

#### (٥) أن ندعو الكون كله إلى دين الله بخلق رسول الله ﷺ :

الكون كله الآن يسمع عن رسول الله ﷺ .. فهيا لنطرق على الحديد وهو ساخن فدعو الكون كله إلى دين الله .. ولكن بخلق رسول الله ﷺ.

- ندعو الناس برحمة وحنان حتى لا نكون فتنة لمن حولنا ... فلقد قال الله تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح: رواه الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

(٢) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

✽ ولنحذر جميعاً أن نقع فيما وقع فيه الغرب... فإذا سَبُّوا فلا نَسُبْ وإذا اعتدوا فلا نعتدى؛ لأننا نريد أن نُريهم أخلاق النبي ﷺ؛ ليعلموا أن الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله سواه.. وأن النبي ﷺ هو سيد ولد آدم الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

✽ فلتتحرك من الآن لنصرة رسول الله ﷺ.. ولنجتهد قدر استطاعتنا في أن نستخدم كل الوسائل التي تحت أيدينا في دعوة الكون كله إلى دين الله. وذلك من خلال استخدام كل المواقع الإسلامية على الإنترنت، ومن خلال توزيع الكتب والأشرطة التي تتكلم عن رسول الله ﷺ، وعن أخلاقه فعسى الله أن يجعلنا سبباً في هداية هؤلاء الناس..

وقد قال ﷺ - كما في الصحيحين - : «ولأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النَّعَم»<sup>(١)</sup>.

✽ إننا نريد أن نرفع شعار سعد بن معاذ رضي الله عنه الذي رفعه في يوم بدر. فقال للنبي ﷺ: كأنك تريدنا نحن يا رسول الله ﷺ.

- نعم... النبي ﷺ يريدك أنت أيها الأخ الحبيب، ويريدك أنت أيها الأخت الفاضلة.. يريدنا أن ننصره وأن ندعو الكون كله إلى هديه وسنته وأن نُعرِّف الكون كله مَنْ هو رسول الله ﷺ.

✽ ولا ننسى أبداً أن النبي ﷺ أخبر أن الإسلام سيصل إلى مشارق الأرض ومغاربها ولن يترك الله بيت مدر ولا بيت وبر إلا أدخله الله هذا الدين.

✽ فنسأل الله عز وجل أن يشرح صدور الناس للإسلام، وأتباع سيد الأنام محمد بن عبد الله ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٩) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.





# شبهات وردود





## شبهات وردود

✽ وعلى الرغم من مكانة الأنبياء والمرسلين (صلوات ربي وسلامه عليهم) إلا أن بعض الذين طمس الله على قلوبهم ما زالوا حتى هذه اللحظة يُثيرون الشُّبهات حول النبي ﷺ بسبب جهلهم وحقدهم.

فما كان منهم إلا أن أطلقوا العنان لألستهم بالتُّهم الكاذبة فقلبوا الحقائق أباطيل .. وتناولوا سيرته العطرة بالتجريح .. واتهموا أصحابه ﷺ بالكذب والتدليس.

✽ ونحن لن نرد عليهم من معين أخلاقهم بل سنرد عليهم من معين أخلاقنا التي تعلمناها من سيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ الذي قال الله عنه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾<sup>(١)</sup>.

✽ ولن نستطيع الرد على كل الشبهات التي أوردوها ولكن سنرد على الشبهات المشهورة فقط... على أن يكون هناك بحث متكامل - إن شاء الله - لنرد فيه على كل الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام.



(١) سورة القلم: الآية: (٤).

## دفع الشبهات عن الحبيب المصطفى ﷺ (١)

❁ وإذا كان البعض يتناول على السُّنة النبوية، فإن الأمر لم يقف عند ذلك، وإنما تعدّاه للتناول على صاحب السُّنة ﷺ، وظهرت الوسائل الحديثة لنشر المعلومات «الإنترنت» فاستغلها هؤلاء للنيل من السُّنة، وصاحبها والإسلام عموماً.

وبين يدي صفحات من الإنترنت منها ما هو لقسّ يُدعى (جيري فالويل) وقبل الرد أوضح النقاط الآتية:

١- إن المسلمين لا يستطيعون مقابلة خطأ المسيحي أو اليهودي أو غيرهم في رسول الإسلام بالخطأ في عيسى أو موسى أو أي نبي أو أي دين ... ذلك أن المسلمين يؤمنون بكل رسل الله، والإسلام لا يسمح لأي مسلم بالتجنّي على الأنبياء، أو محاولة تشويه الأديان، وإنما يُوجب عليهم الإيمان بكل رسل الله، ... قال الله تعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ (٢).

٢- إن اعتراض أفراد على رسول الله محمد ﷺ اعتراض غير مقبول، ذلك أن رسول الله ﷺ اصطفاه الله وأرسله رحمة للعالمين، ومدحه ربنا في القرآن الكريم، وفي التوراة، والإنجيل، واعترف بذلك المنصفون من اليهود والنصارى (٣)، ومدحه عارفوه من أهل زمانه، وأسلموا، وتفانوا في نُصرتِه، وأثنى

(١) بتصرف من كتاب (دفع الشبهات عن السُّنة والرسول) / أ. د: عبد المهدي عبد القادر (حفظه الله).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٥).

(٣) راجع الاجتماع رقم (١٤٩) بتاريخ ١٤/١٠/١٩٦٥ بمدينة الفاتيكان. الفقرة الخاصة باحترام

الكنيسة للمسلمين. وراجع: محمد رسول الله هكذا بشرت الأناجيل، تأليف / بشري زخاري ميخائيل ص ١٢٠ ط عالم الكتب. وراجع كتاب «المسيح أمام المسلمين» د/ ميشال الحائك، أستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس.



عليه المنصفون ممن درسوا سيرته بصدق، سواء من أمته أو من غير أمته<sup>(١)</sup>.

٣- من المُسلِّمات عالمياً أن كلام الإنسان لا يُقبل في عدوه، وعليه فأعداء الإسلام، وأعداء رسول الله ﷺ كلامهم غير مقبول في دائرة الإسلام عند عقلاء العالم.. وإذا قبله المعادون فلا عبرة بكل ذلك.

٤- إنَّ تناول البعض على رسول الله ﷺ ليس جديداً وليس غريباً، فكم تناول الأشرار على الأنبياء وعذبوهم وقتلوهم،.. وشر هؤلاء موجود إلى الآن يتناولون على الأخيار، ويؤذون الصادقين... فتناولهم على رسول الله ﷺ ظاهرة صحيحة، تدل على حيوية دينه، وعظمة رسالته ﷺ.

٥- إن هؤلاء المتناولين على رسول الله ﷺ يزجون بأممهم إن كانت قوية في الظلم والإفساد، وإن كانت ضعيفة إلى المزيد من الضعف والاستعباد،.. وواجب العقلاء إزاء ذلك إسكات هؤلاء ونصرة الحق.

٦- إن هؤلاء القُساة يصورون أنفسهم وكأنهم المُسالمون المُنصفون وواقعهم وكتاباتهم تثبت عكس ذلك... فأناس يغالطون ويفترون إنما هم ليسوا على حق.

٧- إن هؤلاء المتناولين على رسول الله محمد ﷺ.. الحق أمامهم أبلج، لكنهم يحدون عنه... والرد عليهم نوع من بيان الحق لهم وللجميع، والحق أحق أن يُشهر ويُنصر.

من هنا كتبت هذا الرد، نصيحة للجميع، وإظهاراً للحق لطلابيه.

والله الهادي إلى الصراط المستقيم.

✽ وسأضع بين أيديكم ما أورده القس (جيري فالويل) من الشبهات ورد الدكتور (عبد المهدي عبد القادر) عليه.. جزاه الله خيراً.

(١) راجع كتاب «محمد عند علماء الغرب» للشيخ خليل ياسين.

## الرد على القس (جيري فالويل) ومن على شاكلته

❖ أولاً : ادعاهُ أن محمداً ﷺ يقتل :

يدعى القس جيري فالويل : بأنه - ومن خلال كلام شيخ الأزهر - يظهر أن محمداً رسول الإسلام إرهابي !!

وراح القس يقول: إن شيخ الأزهر قد عرّف الإرهابي بأنه الذي يعتدى على أنفس الناس .. ورسول الإسلام قد اعتدى على الكثير من أنفس الناس، وذكر من ذلك:

❖ أولاً: أخرج البخارى عن أبى قلابة عن أنس قال: قدم أناسٌ من عُكل أو عُرينة فاجتوا المدينة، فأمرهم النبى ﷺ بلقاح، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا، فلما صحُّوا قتلوا راعى النبى ﷺ، واستاقوا النعم، فجاء الخبر فى أول النهار، فبعث فى آثارهم، فلما ارتفع النهار جىء بهم، فأمر فقطع أيديهم وأرجلهم، وسُمرت أعينهم وألقوا فى الحرّة يستسقون فلا يُسقون.

قال أبو قلابة: فهؤلاء سرقوا، وقتلوا، وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله. [فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٢ / ٣٣٥ رقم ٢٣٣، وفيه ذكر أرقام بقية رواياته فى صحيح البخارى].

يقول القس: المشكلة هى أن رسول الله الذى ينهى عن المثلة يقوم هو بنفسه فيمثل بهؤلاء القوم فيقطع أيديهم وأرجلهم ويُسمّر أعينهم لأنهم قتلوا راعيه، ولو قال الراوى بأن هؤلاء القوم مثّلوا بالراعى لكان للنبي عذر فى المعاقبة بالمثل، ولكن ذلك غير وارد.

❖ وأقول لهذا القس وأشكاله:

إن ادعاءك أن رسول الله ﷺ مثلّ بهم ادعاء كاذب، فرسول الله ﷺ لم يمثّل بهم، وإنما اقتص منهم.



وقولك: ولو قال الراوى بأن هؤلاء القوم مثلوا بالراعى لكان للنبي عذر فى المعاينة بالمثل ولكن ذلك غير وارد.. انتهى كلامك.

أقول: كلامك هذا عارٍ عن الصحة، خالٍ عن منهجية البحث العلمى.

وكان اللائق وأنت تريد أن تتكلم فى حق نبيٍّ مُرسل أن تتحلى بروح البحث العلمى، من الدقة والنزاهة.. وكلامك عارٍ عن الأمرين: ففى رواية هذا الحديث عند مسلم ٣/ ١٢٩٨ رقم ١٤ يقول أنس: إنما سَمَّلَ النبي أعين أولئك لأنهم سَمَّلُوا أعين الرعاء. اه... والسمل والسمر بمعنى واحد هو فوق العين.

وقول أنس راوى الحديث هذا القول يُظهر خطأك.

إن رسول الله محمدًا ﷺ لم يمثل بالقتلة، وإنما امتثل فيهم قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمِثِلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

إن هؤلاء الذين قَدِمُوا على رسول الله ﷺ فأسلموا، وأقاموا فى المدينة يكرمهم ويعتنى بشئونهم، هؤلاء حينما صَحُّوا وتفردوا بالرِّعَاة قتلوهم، ومثلوا بهم، وسرقوا الإبل!!!.

وليست جريمتهم ذلك فقط، وإنما جريمتهم الأساسية أنهم خرجوا على الدولة، وتمردوا على نظام الأمة، هذا الذى يسمى فى زماننا «الخيانة العظمى» ولذلك يقول أبو قلابة - راوى الحديث عن أنس - فهؤلاء سرقوا وقتلوا، وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله.

إن عقوبة هؤلاء كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة البقرة: الآية: (١٩٤).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٣٣).

وواضح من الروايات أن الجريمة كانت من الجميع، فكلهم خان، وكلهم قتل، وكلهم أخذ الإبل وهرب، بدليل أن القافلة التي أرسلها رسول الله ﷺ تبحث عنهم وجدتهم جميعاً، وأحضرتهم أجمعين.

ومما خفى على القس أو أخفاه على القارئ أن أحد الرعاء نجا، وهذا حمل الخبر بكامله إلى رسول الله ﷺ.. وأيضاً فإن هؤلاء العُرنيين لم يقتلوا واحداً وإنما قتلوا راعي إبل رسول الله ﷺ وقتلوا رعاء إبل الصدقة، ولذا جاء في رواية هذا الحديث عند مسلم: «ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم، وارتدوا عن الإسلام، وساقوا ذود رسول الله ﷺ».

### ❖ ثانياً: قوله: أن النبي ﷺ هم بإحراق قوم في منازلهم:

ويستطرد القس في ضلالاته، ويقول: إن رسول الله محمداً ﷺ كان من إرهابه أنه همَّ بإحراق قوم في منازلهم، وساق حديث همَّ رسول الله ﷺ بتحريق المتخلفين عن صلاة الجماعة، لكنه ساقه من كتاب ليس مصدرًا للسنة، فأسوقه أنا من صحيح البخارى... فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِحَطَبٍ، فَيُحْطَبَ، ثُمَّ أَمَرَ بِالصَّلَاةِ، فَيُؤَدَّنَ لَهَا، ثُمَّ أَمَرَ رَجُلًا فَيُؤَمِّمَ النَّاسَ، ثُمَّ أَخَالَفَ إِلَى رِجَالٍ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ، أَنَّهُ يَحْدُ عِرْقًا سَمِينًا، أَوْ مَرْمَاتَيْنِ حَسَّتَيْنِ، لَشَهِدَ الْعِشَاءَ»<sup>(١)</sup>.

وأقول: أى إرهاب فى هذا؟ إنه ﷺ لم يحرق أحداً، ولم يُعنف أحداً، ولم يذكر أحداً باسمه، وإنما نفر من ترك الصلاة فى الجماعة... ويُعبر ﷺ عن هذا التنفير بأنه همَّ أن يحرقهم... إن هذا الأسلوب يفيد أنه ﷺ يحذر من ترك الجماعة كل التحذير، ويُنفر منه كل التنفير، وذلك لعظم مكانة الصلاة، وعظيم فضل الجماعة.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٤) كتاب الأذان - ومسلم (٦٥١) كتاب المساجد.





لقد قال ﷺ إنه هَمَّ ... والهَمُّ أقل من العزم، أى أنه لا يرضى ترك الجماعة، ويُغضبه ذلك، حتى أنه جال بخاطره أن يحرقهم، لكنه - وهو الرسول المطاع - لم يعزم، ولم يحرق، فأين الإرهاب؟

لقد ترك لنا النبي ﷺ هذا الحديث، والذي فيه هذا الهم ليحثنا كثيرًا على عبادة الله على خير وجه، فأردت أن تجعل هذا الحديث سببًا لاتهام الرسول العظيم بالإرهاب، ونسيت أنه هَمَّ ولم يفعل ... أما أنتم فتقتلون البشر بمئات الملايين بأقوى المتفجرات.

وأخرى أيها القسيس فإن رسول الله ﷺ لم يقل: «وأحرقهم» وإنما قال: «أحرق عليهم بيوتهم» والفرق بين التعبيرين عظيم، فالأول: يفيد إحراق الناس، وهو لم يقله ﷺ.

والثاني: يفيد تحريق البيوت على من فيها، مما يجعلهم يخرجون منها، وليس بلازم أن يُحرقوا هم. وقد جاء في إحدى روايات هذا الحديث وهو حديث أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَنْتَهِيَنَّ رِجَالٌ عَنِ تَرْكِ الْجَمَاعَةِ، أَوْ لِأَحْرَقَنَّ بَيْوتَهُمْ».

### ❖ ثالثًا: اعتراضه على قتل (هبار بن الأسود):

❖ وقبل أن أرد عليك سأورد الحديث... عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ سرية أنا فيها، فقال لنا: «إن ظفرتم بهبار بن الأسود، أو الرجل الذي سبق معه إلى زينب» - قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحاق الرجل، وقال: هو نافع ابن عبد قيس - «فحرقوهما بالنار». قال: فلما كان الغد بعث إلينا، فقال: «إني كنت أمرتكم أن تُحرقوا فلانًا وفلانًا، وإن النار لا يُعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٠١٦) كتاب الجهاد والسير.

إن هبّار بن الأسود تعرّض لزینب بنت رسول الله ﷺ، وهى مهاجرة، فروّعها حتى سقطت من هودجها على صخرة، فأسقطت ما فى بطنها، وظلت تنزف حتى ماتت .. فهل يرى القس [جیری فالویل] أن الأمر بقتله إرهاب!! إن رسول الله ﷺ لم يأمر بقتل هبار وهو معتدل مستقيم، وإنما أمر بقتله لما اقترفه من إجرام... وكل دول العالم لها قوانين للعقوبات فيها النص على قتل من قتل، وكم من حاكم قتل جانبياً، ولا يُقال إن الحاكم إرهابى ولا مجرم، وإنما الإرهابى والمجرم هو الجانى.... ومع كل هذا فإن رسول الله ﷺ لم يمس هبّار ابن الأسود بأى أذى... فلم يقطع يديه ولا رجليه، ولا قتله!! فكيف تتهمه بالإرهاب!!

إننى أتساءل مع هذا القس: إنك تدعى أن رسول الإسلام إرهابى لأنه قطع أيدى وأرجل أناس، وقتل أناساً، وأنت لا تستطيع أن تذكر واحداً من هؤلاء، فمن قطع رسول الله يديه؟ ومن قطع رسول الله رجليه، ومن قتله رسول الله؟ إنه ﷺ لم يقتل ولم يمثل - لقد عفا ﷺ عن هبّار بن الأسود، الذى قتل زينب بنته، وقتل الجنين الذى كان فى بطنها!! كما عفا عن وحشى قاتل حمزة عمه ﷺ!! وعن مشركى مكة الذين أخرجوه، وحاولوا قتله لولا عناية الله... وقتلوا بعض أصحابه، فلما فتح الله عليه مكة عفا عنهم، ولم يثار منهم.

#### ❁ رابعاً: شبهة قتل الأسود العنسى الذى ادعى النبوة:

والقس غضبان أن الصحابة قتلوا الأسود العنسى، ويدعى أنهم حملوا رأسه إلى رسول الله ﷺ فى المدينة، ويسوق خبراً عن عبد الله بن الديلمى عن أبيه فيروز الديلمى قال: أتينا رسول الله ﷺ برأس الأسود العنسى الكذاب.

وأقول له: هذا الخبر شاذ، لا يُقبل فى مدرسة الإسلام، ونحن معشر المسلمين نتعامل مع النصوص وفق أصول علمية، فأخبار الثقات تُقبل، وأخبار



الفاسقين لا تُقبل، وليس هذا عند أمة أخرى... فعلم نقد الأخبار سندًا ومُتًا من خصوصيات أمة الإسلام.... ومن المعلوم أن الأسود العنسي قُتل على عهد أبي بكر رضي الله عنه فكيف جاءوا برأسه إلى رسول الله ﷺ... إن الأسود العنسي أسلم، ثم ارتد، وهو من أول المرتدين، وخرج على دولة الإسلام، وراح يستولى على الحكم في بلاد اليمن عنوة وقسرًا، فاضطهد الكثيرين، ونهب الأموال. واستباح الدماء، وانتَهك الأعراس .. وممن قتلهم شهر بن باذان حاكم بلاد اليمن لرسول الله ﷺ.. قتله الأسود وأخذ زوجته زاذ رغم أنها.

لقد كان الأسود رجلاً قاسياً غاية في الإجرام، وصَفته (زاذ) هذه فقالت: ما يقوم لله على حق، ولا ينتهي له عن حرمة [كذا في البداية ٦ / ٣٤٨].  
لقد اضطهد الناس في دينهم، وادَّعى النبوة، وأرغم الكثيرين على اتباعه، وكانوا جميعاً يعلمون كذبه!!

ومن هنا عمل كل الناس على قتله، وانبرى لذلك فيروز الديلمي الرجل المسلم، وعاونته (زاذ) هذه السيدة التي كانت زوجة «شهر بن باذان» حاكم اليمن المسلم، وأبوه باذان كان أيضاً حاكم اليمن للفرس ثم أسلم.. وزاذ ابنة عم فيروز الديلمي، وفيروز ابن أخت النجاشي ملك الحبشة، فهما أسرة جمعت بين الدين والمُلْك، ولقد تعاون معهم آخرون، وقتلوا الأسود لما ارتكبه من ظلمٍ فاق كل تصوُّر... فأى إرهاب في هذا!!

لقد صادر الأسود حريات الناس، وقتل واغتصب، وأهلك عبادًا وبلادًا، فأى إرهاب في قتله!!؟

### ❖ خامساً: ادعائه أن رسول الله ﷺ يعشق الانتقام:

ويدَّعى القس: أن رسول الله ﷺ يعشق الانتقام!! ويستدل على ذلك بأنه حينما مثل المشركون بحمزة عمه ﷺ قال: «والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك».

وأقول له: بداية... فهذا الحديث ضعّفه الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ١٧٣).. وكذلك أقول له: لقد ظلمت نفسك أيها القس.

ومما يزيد من بشاعة ظلمك أنك ظلمت رسول الله ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧).

يا أيها القس، إن رسول الله ﷺ لم يُمثل بأحد، وإنما عفا وصبر. وتفصيل القول: إنه في غزوة أحد، قتل المشركون من المسلمين سبعين رجلاً... ومبالغة في القسوة مثلوا بهؤلاء القتلى، فقطعوا أنوفهم، وآذانهم، وشقوا بطونهم، وشقوا بطن حمزة - عم رسول الله ﷺ - واستخرجوا كبده، ومضغتها هند بنت عتبة!!

ولما رأى رسول الله ﷺ والمسلمون ما فعله المشركون - من التمثيل بالقتلى - حزنوا كثيراً، وتوعدوا أن يمثّلوا بقتلى المشركين في أقرب معركة. وأتساءل مع القس وأشياعه: لقد مثل المشركون بقتلى المسلمين، فهل إذا مثل رسول الله ﷺ والمسلمون بقتلى المشركين يكون إرهاباً؟

إن إخبار رسول الله ﷺ والمسلمين بأنهم سيقْتَصون من المشركين، هو طبيعة البشر، إلا أن هؤلاء يفوقون البشر في أن لهم ديناً ينهاهم عن الإرهاب، «الإجرام»، ويأخذ بأيديهم إلى مكارم الأخلاق.

فعن أبي بن كعب أنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة فيهم حمزة، فمثّلوا بقتلاهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لنُرِين - لنزيدن - عليهم، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل لا يُعرف: لا قريش بعد اليوم، (مرتين)، فأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ



﴿١٦٦﴾ (١)؛ فقال النبي ﷺ «كُفُّوا عَنِ الْقَوْمِ». [دلائل النبوة لليهقي ٢٨٩/٣] وفي رواية أنه ﷺ قال: «نصبر يا رب نصبر»، ونهى عن المثلة.

وهكذا توعد رسول الله ﷺ الطغاة، وجاءت الآية توضح جواز القصاص، وأن العفو أفضل، فأخذ النبي ﷺ والمسلمون بالعفو.

إنه ﷺ لم ينتقم، ولم يُمثل بأحد، على الرغم من فعلة المشركين الشنغاء، وإنما عفا وصبر... وكم عفا وكم صبر، وكم عفا وكم صبر.

### ❁ سادساً: ادعأؤه أن النبي ﷺ يسب ويلعن:

ويضيف القس قائلًا:

محمد يجلد ويسب ويلعن: ويستدل على ذلك بحديث أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ، يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَإِنَّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ، أَوْ سَبَّيْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً، وَقُرْبَةً، تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

وأقول لهذا القس: إن هذا الحديث ليس فيه أنه ﷺ جلد أحدًا أو سبَّ أحدًا أو لعن أحدًا!!!

وإنما يُثبت الحديث قمة الورع له ﷺ فإنه سأل ربه سبحانه وتعالى أنه لو حدث هذا فليكرم سبحانه هذا المسلم، ويجعل ما وقع من رسول الله كفارة وقربة وزكاة وطهورًا له... بمعنى أن ما وقع من رسول الله ﷺ لمسلم يجعله الله سببًا لمغفرة سيئات هذا المسلم، أو زيادة في حسناته.

إنه ﷺ يخشى على أمته، فهو مُستجاب الدعوة، ويخشى على نفسه فهو

(١) سورة النحل: الآية: (١٢٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٦١) كتاب الدعوات - ومسلم (٢٦٠١) (٩١) كتاب البر والصلة.

يخاف الزلة مهما دقت، حتى إنه يستغفر إذا غفل عن ذكر الله طرفة عين، ومن هنا فقبل أن يحدث شيء من ذلك دعا الله أن لا يستجيب دعوته على مسلم، وأن يجعل كل ما يصدر منه خيرًا وبركة على هذا المسلم، وبذا يكون هذا المسلم رابحًا، ويكون رسول الله ﷺ أيضًا رابحًا... وربنا هو الغفور الرحيم، الحليم الكريم.

إن رسول الله محمدًا إنسان لا يُخرجه الغضب عن الحق وهو ﷺ لا ينتقم لنفسه، وإنما ينتقم إذا انتهكت حُرُمات الله عزَّ وجلَّ... قالت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما انتقم ﷺ لنفسه قط إلا أن تُتَّهك حرمة من حرَمات الله. وعليه فإيذاؤه ﷺ أحد المسلمين إنما مبعثه الغضب لله، حياءً من الله أن تُرتكب معاصيه، وشفقة على المسلم الذي عصى أن تحل به عقوبة... وكل هذا خيرٌ وبرٌّ، وطاعة لله، وشفقة على عباد الله.

ومن هنا قال العلماء في شرح هذا الحديث: وفي الحديث كمال شفقتك ﷺ على أمتك، وجميل خلقه وكرم ذاته، حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم.

### ❁ سابعًا: يقول أن النبي ﷺ اغتصب صفيه رضي الله عنها:

ويضع القس عنوانًا «الرسول يغتصب صفيه».

وأقول: ما اغتصبها ﷺ، وإنما أكرمها غاية الإكرام... إن صفية بنت حُيى بن أخطب: زعيمٌ يهودى أساء إلى رسول الله ﷺ كثيرًا، وهو الذى تسبب في اجتماع المشركين واليهود على رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب... وحُيى من بنى النضير، وعندما أجلاهم رسول الله ﷺ سنة أربع، انتقل حُيى إلى خيبر، وكانت صفية متزوجة في بنى خيبر، فلما وقعت في السبى، أعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها، وكانت صفية سيدة عاقلة حكيمة، ولقد عاملها رسول الله ﷺ أكرم معاملة.

حدث أن اشتكت له ما قالته عائشة وحفصة، من أنهما أكرم على رسول الله منها: «نحن أزواجه وبنات عمه»، فقال ﷺ لها: «ألا قلت: وكيف تكونان خيرًا منى وزوجى محمد، وأبى هارون، وعمى موسى!».  
حَسَنَ إِسْلَامِ صَفِيَّةَ، وَأَخْلَصْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرًا، واحترمها رسول الله ﷺ كثيرًا.

فأين الاغتصاب معشر النصارى؟

وأين الاغتصاب معشر المعترضين؟

❖ **ثامنًا: زعمه أن الغزوات كانت من أجل السلب والنهب:**

وها هو يتكلم عن الغزوات الإسلامية.

ويدعى أنها كانت للسلب والنهب ... كانت بسبب الطمع في الشراء السريع

وسفك دماء الأمتين!! انتهى.

ومن له أدنى اطلاع على السيرة النبوية يظهر له بطلان كلام هذا القس، وأنه

محض افتراء وتزوير .. فلقد طغى المشركون وتجبروا، وأذوا المسلمين

كثيرًا، .. عذبوهم وأخذوا أموالهم، وطردهم من بلادهم، وخططوا للقضاء

على رسول الله ﷺ، كما قال الله سبحانه: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا

بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

إن كل ناظر في التاريخ يتساءل: لماذا ترك رسول الله ﷺ والمسلمون مكة؟

إنه بسبب إيذاء المشركين، والعجيب أنه لم يحدث من المسلمين أى إيذاء

للمشركين؟

يقول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ

يُخْرِجُوكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الممتحنة: الآية: (١).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٣٠).

لقد خططوا لقتله ﷺ، وتكرر ذلك عدة مرات، وكانت عناية الله سبحانه سبب نجاته ﷺ في كل مرة.

ولما دعا ﷺ أهل المدينة إلى الإسلام، آمنوا به وبايعوه على الهجرة إليهم فهاجر، وتعامل مع اليهود أسمى معاملة، وعقد معهم معاهدة في غاية السمو والرحمة.

ونصوص هذه المعاهدة مدونة في كثير من كتب الإسلام.

لقد سالم ﷺ لأبعد حدٍّ، فأصروا على قتاله!! فقاتلهم فنصره الله عليهم، وأخذ بعض الغنائم كتيبة طبيعية للمعركة.. فالمتصر يغنم، ولا علاقة بين الغنيمة والظلم، فليس كل من يغنم ظالمًا، وإنما الظالم من يُشعل الحروب. إن محمدًا ﷺ لم يبدأ حربًا قط، وإنما يبدأ أعداؤه فيقابل الاعتداء باعتداءٍ مثله، فإذا انتصر لم يظلم، ولم يُمثل، وإنما كان يحترم آدمية أعدائه.

وماذا بعد قول الله تعالى له ولأمته: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>(١)</sup>.

أى لا يحملنكم بغض قوم بسبب صدهم إياكم عن المسجد الحرام. لا يحملنكم ذلك على أن تعتدوا، وإنما كونوا متعاونين على الطاعة والإنصاف، لا على المعصية والظلم.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أى ولا يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا... بل إنه يجب عليكم العدل

(١) سورة المائدة: الآية: (٢).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٨).





لأنه من تقوى الله.

لقد سار ﷺ بالسوية بين الناس إلا أن الآخرين لم يبادلوه سلماً بسلم، وإنما أعلنوا عليه الحرب، فجاء المشركون إلى مدينته للقضاء عليه وعلى أمته!! ونقض اليهود المعاهدة، وأعلنوا أنهم أهل الدراية بالمعارك، وراحوا فجمعوا له الجموع من العرب واليهود في أقوى تظاهرة عسكرية عرفتها جزيرة العرب!! فقابلهم ﷺ بجيش قليل في عدده.

وكان ﷺ في حربه في غاية الإنصاف... وماذا بعد قول الله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١)، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢).

أمرنا ربنا سبحانه أن نقاتل من قاتلنا... أى أن أمة الإسلام لا تبدأ القتال، وينهانا سبحانه أن نعتدى على أحد، فإذا أعلن آخرون الحرب علينا قابلناهم بحرب، فإن مالوا للسلام فلناخذ نحن بمبدأ السلام.

ويوصى ﷺ جيش الإسلام فيقول: «اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله. اغزوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً» (٣).

إنه يوصى أن يكون الغزو في طاعة الله، لا ظلم ولا بغى، «ولا تغدروا» أى ولا تنقضوا عهداً، «ولا تغلوا» أى لا تأخذوا مالاً بغير حق. أو تأخذوا شيئاً من الغنائم قبل تقسيمها.

هكذا يوجه النبي ﷺ جيش الإسلام، ويوصيهم أن يكونوا عادلين منصفين.

(١) سورة البقرة: الآية: (١٩٠).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٦١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

إنه الرسول الذي أرسله الله رحمة للعالمين، أى رحمة لكل المخلوقات. تمر عليه جنازة فيقوم لها، فيقول أصحابه له: إنها جنازة يهودى، فيقول: «أليست نفساً؟».

ولقد سارت الأمة على هديه ﷺ...، فها هو أبو بكر الصديق يوصى قائد جيش المسلمين، فيقول له: لا تقطع شجراً مثمراً، ولا تخرب عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تعقرن نخلاً ولا تحرقه.

ويمر عمر بن الخطاب على قوم من النصارى قد أصيبوا بالجذام فيأمر لهم بعبء «معاش» من بيت مال المسلمين.

### ❁ تاسعاً: أن النبي ﷺ اعتدى على الحريات حينما غزا مكة:

ويدعى القس (جبرى فالويل) أن رسول الله محمداً ﷺ اعتدى على الحريات حينما غزا مكة.

وأقول: إن أهل مكة هم الذين آذوا رسول الله ﷺ، وخططوا مراراً لقتل رسول الله ﷺ... قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾﴾<sup>(١)</sup>، وآذوا المسلمين وأخرجوا رسول الله والمسلمين من مكة، دون ذنب إلا أنهم قالوا: «لا إله إلا الله».. قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن كل أهل مكة قساة ولا أشراراً، وإنما كان فيهم قلة من القساة قادوا الآخرين للحرب على الإسلام، فلما قوى الإسلام جاء إلى مكة فاتحاً، ليحرر الضعفاء من اضطهاد القساة، وليوفر الحرية الدينية للناس، وليحقق قول الله

(١) سورة الأنفال: الآية: (٣٠).

(٢) سورة الممتحنة: الآية: (١).



تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(١)</sup>. وعليه فلم يكن رسول الله ﷺ معتدياً على الحريات وإنما كان يوفر الحريات.

لقد فتح الله مكة للرسول وللمسلمين، فما أعملوا سيفاً، ولا حرص رسول الله على قتل أحدٍ، وإنما قال مقولته المشهورة: «أذهبوا فأنتم الطلقاء» وقال: «مَنْ أَغْلَقَ بَابَ بَيْتِهِ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ».

إن الإسلام لا يعرف الإكراه في الدين، وأهل مكة يعرفون أن الإسلام حق وأن محمداً صادق، وما منعهم من الإسلام إلا العصبية فجاء الإسلام ليعالج هذه العصبية في نفوس المستكبرين، وكان قبل ذلك قد أصغى بعض هؤلاء للحق فأسلموا.. من أمثال عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وغير هؤلاء كثير.

### ❖ عاشرًا: أنه ﷺ قام بغزوة حنين من أجل القتل والغنائم:

ثم يقول القس: قام محمد بغزوة حنين، وغنم غنائم ولم يكتفِ بذلك فشهوة القتل وسفك الدماء كانت متأصلة فيه، وحبه للمال والغنائم لم يكن له حدود.

وأقول: إنه ﷺ قام بغزوة حنين ليوفر للناس الحرية الدينية، وكان في غاية الصفح والعفو.. وتطاورك على هذا النبي المعصوم إنما هو الكذب والبغى والظلم، تتستر فيه بالظلم الشائع في هذه الفترة من التاريخ... والله يقول: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنه ﷺ لم تكن فيه شهوة قتل، وإنما ما طلب منه العفو إلا عفا.

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٢) سورة الشعراء: الآية: (٢٢٧).

وفي أقسى المواقف يعفو.. قتل وحشى عم رسول الله حمزة وحرصته هند بنت عتبة على ذلك، وقدر عليها فما قتل وإنما صبر... فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين.

لقد رفع أحد المشركين السيف عليه ﷺ يريد قتله، فذكر الله فوق السيف من يد المشرك فأخذه ﷺ لكنه لم يقتله وعفا عنه.

أما ادعاؤك الظالم: أنه ﷺ كان حب المال والغنائم عنده ليس له حدود. فأقول: لا وألف لا. إنه ما أراد المال ولا أراد الغنائم، والدليل على ذلك ما يلي:

✽ عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إلى بغير من المغنم، فلما صلى أخذ وبرة من جنب البعير، ثم قال: «لا يحل لى من غنائمكم مثل هذا، إلا الخُمُسُ... والخُمُسُ مَرْدُودٌ فِيكُمْ»<sup>(١)</sup>.

✽ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «عَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ<sup>(٣)</sup>، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا<sup>(٤)</sup>.. وَلَا أَحَدٌ بَنَى يُبُوتًا لَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا.. وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خِلْفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلَادَهَا، فَعَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ<sup>(٥)</sup> اللَّهُمَّ احْسِنْهَا عَلَيْنَا، فَحَسِبْتُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيَّ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ -يَعْنِي النَّارَ- لِنَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمَهَا<sup>(٦)</sup> فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعُنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَلْيُبَايِعُنِي قَبِيلَتِكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ

(١) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٦١).

(٢) هو يوشع بن نون، غزا أريحا وهو بيت المقدس.

(٣) عقد عقد الزواج على امرأة.

(٤) تزف إليه ويدخل بها.

(٥) إنك مأمورة بالغروب، وأنا مأمور بفتح القرية قبل الغروب.

(٦) أى لم تذوقها، وذلك لأن بعضهم كان قد سرق من الغنيمة، والسارقة من الغنيمة تسمى: غُلُول.



رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقْرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعَهَا، فَجَاءَتِ النَّارُ، فَأَكَلَتْهَا، فَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ لَمَا رَأَى ضَعْفَنَا، وَعَجَزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا»<sup>(١)</sup>؛

إنه ﷺ يتحدث عن أحد الأنبياء السابقين، يبين شيئاً من فطنته وما منَّ الله به على هذا النبي حتى إن الشمس تُحبس ليكمل ما أمر به.

و حينما يتكلم نبينا محمد ﷺ عن حِلِّ الْغَنَائِمِ لَنَا، يتكلم بكل تواضع، وبكل خلقٍ حسن، ويبين أن حِلَّ الْغَنَائِمِ لَنَا إنما هو بسبب ضعفنا وعجزنا. إنه لا يتعالى، لا يتمايز، لا يتكبر، وهذا لكرم خلقه ﷺ وهو يبين أن الله سبحانه أحلَّ الْغَنَائِمَ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ دون غيرها من الأمم، وأن الْغَنَائِمَ! إنما هي للمجاهدين ولضعفة الأمة، وعليه فلا يصح أن يتناول متناول عليه ﷺ فيدعى أن حب المال والْغَنَائِمِ عنده ليس له حدود.

ثم إنى أتساءل مع هؤلاء الجُراء على خاتم رسل الله ﷺ ماذا تقولون في قوله ﷺ « لَا تُورَثُ، مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً »<sup>(٢)</sup> إنه لم يُرد المال، ولم يطمع في الْغَنَائِمِ، كيف وهو ﷺ القائل: « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ »<sup>(٣)</sup>. ونام ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وِطَاءً<sup>(٤)</sup>، فقال: « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا »<sup>(٥)</sup>.

إننى لو شئت لذكرت لهؤلاء الهمَّازين الكثير من النصوص التي تبين زهده ﷺ في الدنيا.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٢٤) كتاب فرض الخمس - ومسلم (١٧٤٧) كتاب الجهاد.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٩٣) كتاب فرض الخمس - ومسلم (١٧٥٩) كتاب الجهاد والسير.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٦١٣) كتاب الهبة.

(٤) فرأشاً لينا.

(٥) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

❁ **الحادى عشر: أن النبى ﷺ أجبر الروم فى غزوة تبوك على دفع الإتاوة:**

ويقول القس: إن رسول الله ﷺ قام بغزوة تبوك، وأجبر أهلها على دفع الجزية - الإتاوة بلغة العامة.

وأقول: إن رسول الله ﷺ ما بدأ بالشر، وإنما هم الذين بدأوه بالشر، فهم الذين قتلوا رسوله إليهم (الحارث بن عمير الأزدي) وكان ﷺ بعثه بكتاب إلى عظيم بصرى<sup>(١)</sup>.

وهم - أى الروم - الذين جمعوا جموعهم لغزوه ﷺ<sup>(٢)</sup>، فعلم بذلك فقابلهم، ولما علموا بقدومه ﷺ وجيشه تفرقوا وعجزوا عن المقابلة، فعقد صلحًا مع كثير من القبائل، وأخذ منهم الجزية مقابل تأمينهم والدفاع عنهم، ومقابل الأعباء التى يتحملها عنهم، وهى نظير الزكاة المفروضة على المسلم. وينخلع القس من أخلاق الكلمة فيقول: وكان - أى رسول الله ﷺ - قد أعد جيشًا ضخماً لغزو سوريا - الشام - ووضع فيه كبار صحابته السفاحين.

وأقول: طاوعك قلمك أن تتهم الصحابة الكرام بالسفاحين، فبِمَ نَصِفَ مَنْ قاموا بالحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، والحريين العالميتين، وماذا نقول فيمن يرتكبون المجازر فى حق الإنسانية، ويدمرون البيئة، ويشردون الأمنين؟ إن صحابة رسول الله ﷺ أثنى عليهم ربنا،.. فلا قيمة لكلام مخلوق فيهم. وأثنى عليهم نبينا ﷺ، فلن نقبل جرحًا فيهم... وأنتم بالأساس مجروحون، وكلامكم غير مقبول.

إن الله تبارك وتعالى قال فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ

(١) الطبقات الكبرى (٢/١٢٨).

(٢) الطبقات الكبرى (٢/١٦٥).



جَنَّتِ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣١﴾<sup>(١)</sup>.  
وقال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»<sup>(٣)</sup>.  
وقال ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا  
أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَةً»<sup>(٤)</sup>.

إننا معشر المسلمين نعرف قدر نبينا ﷺ وأصحابه.

### ✽ الثاني عشر: أن الصحابة أجبروا المصريين على الإسلام:

ثم يضع القس عنوانًا طائشًا نصّه: هكذا أجبروا المصريين على الإسلام.  
وأقول له: ليتك تراجع كلام العلامة الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه  
«حضارة العرب»<sup>(٥)</sup> إذ يقول: وقد ذكرنا ما كان عليه عمرو بن العاص من  
الحذق والمهارة نحو سكان مصر، فهو لم يتعرض إلى ديانتهم ولا إلى نُظْمهم  
ولا عاداتهم، ولم يطالبهم بغير جزية سنوية قدرها خمسة عشر فرنكًا عن كل  
رأس مقابل حمايتهم... فرضى المصريون بذلك شاكرين.

✽ وهناك شبهات أخرى أحبيت أن أوردتها وأورد الرد عليها... وإليكم  
بعضها:

### ✽ شبهة انتشار الإسلام بحد السيف:

ومن الشبهات التي يرددها أعداء الإسلام ومُنكرو السنة: أنهم يدَّعون أن

(١) سورة التوبة: الآية: (١٠٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٥٢) كتاب الشهادات - ومسلم (٢٥٣٣)(٢١٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٧٣) كتاب فضائل الصحابة - ومسلم (٢٥٤٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) ص (٢١٣).

الرسول ﷺ كان رجلاً عنيفاً يحبُّ إراقة الدماء، وأن الإسلام انتشر بالسيف، وأن معتقى الإسلام لم يدخلوا فيه طواعية ولا اختياراً، وإنما دخلوا فيه بالقهر والإكراه.

والحقيقة أن جوهر الإسلام وخبر التاريخ يُكذبان هذه الفرية، ويستأصلونها من جذورها... وقد شهد أبو سفيان زعيم قريش - وهو رجل حارب رسول الله ﷺ سنوات عديدة، ولم يؤمن إلا بعد أكثر من عشرين سنة من الإعراض والصد - شهد لرسول الله ﷺ بقوله: «لقد حاربتك فَنِعِمَّ الْمُحَارِبُ كُنْتُ، ثُمَّ سَأَلْتِكَ فَنِعِمَّ الْمُسَالِمُ أَنْتَ»<sup>(١)</sup>.

وفي قاعدة أساسية صريحة بالنسبة للحرية الدينية يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup>، فلم يأمر الرسول ﷺ - والمسلمون من بعده - أحداً باعتناق الإسلام قسراً، كما لم يُلجئوا الناس للتظاهر به هرباً من الموت أو العذاب؛ إذ كيف يصنعون ذلك وهم يعلمون أن إسلام المُكره لا قيمة له في أحكام الآخرة، وهي التي يسعى إليها كل مسلم؟!!

وقد جاء في سبب نزول الآية السابقة: أنه كان لرجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ابنان مُتنصران قبل مبعث النبي ﷺ، ثم قَدِمَا المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت، فلزمهما أبوهما، وقال: «لا أدعكما حتى تُسلما». فأبيا أن يُسلما؛ فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أيدخل بعضى النار وأنا أنظر؟! فأنزل الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الآية... فخلى سبيلهما<sup>(٣)</sup>.

وقد جعل الإسلام قضية الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة بمشيئة الإنسان نفسه واقتناعه الداخلي فقال سبحانه: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ

(١) الصفدى/ الوافى بالوفيات (١/ ٢٢٤٠).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٣) انظر: الواحدى: أسباب نزول القرآن (ص ٥٢، ٥٣)، والسيوطى: لباب النزول (ص ٣٧).



فَلْيَكْفُرْ<sup>(١)</sup>، ولفت القرآن نظر النبي ﷺ إلى هذه الحقيقة، وبين له أن عليه تبليغ الدعوة فقط، وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام، فقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۗ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۗ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغَ ۗ﴾<sup>(٤)</sup> ومن ذلك يتضح أن دستور المسلمين يرفض رفضاً قاطعاً إكراه أحد على اعتناق الإسلام<sup>(٥)</sup>.

وتطبيقاً لهذه الحقيقة فقد ثبت أن المسلمين أسروا في سرية من السرايا سيد بنى حنيفة: ثمامة بن أثال الحنفي، وهم لا يعرفونه، فأتوا به إلى رسول الله ﷺ فأبقاه عنده ثلاثة أيام، وكان في كل يوم يعرض عليه الإسلام عرضاً كريماً، فيأبى ويقول: إن تسأل ما لا تُعطه، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكر. فما كان من النبي ﷺ إلا أن أطلق سراحه، فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد؛ فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله... يا محمد: والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟! فقال: لا، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا -

(١) سورة الكهف: الآية: (٢٩).

(٢) سورة يونس: الآية: (٩٩).

(٣) سورة الغاشية: الآية: (٢٢).

(٤) سورة الشورى: الآية: (٤٨).

(٥) انظر: محمود حمدي زقزوق / حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك (ص ٣٣).

والله - لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

فقد أسلم ثمامة دون ضغط أو إكراه، بل إن إسلامه وُلد قوياً إلى الدرجة التي دفعته إلى مقاطعة قريش من أجل أنها تحارب رسول الله ﷺ مُضحياً بذلك بثروة هائلة كانت تأتيه من تجارته معها، ومُضحياً كذلك بعلاقات اجتماعية مهمة مع أشرف قريش.

وعقلاً فإن مَنْ أكره على شيء لا يلبث أن يتحلل منه إذا وجد الفرصة سانحة لذلك، بل ويصبح حربياً على هذا الذي أكره عليه.. إلا أن التاريخ لم يُثبت مثل هذا؛ وإنما ثبت أن مَنْ كان يُسلم لم يتوان للحظة واحدة في الدفاع عن هذا الدين الذي أسرُّه بكل ما يملك... وأقرب منه أن الإحصائيات الرسمية لتدُلُّ على أن عدد المسلمين في ازدياد، على الرغم من كل ما ينالهم من اضطهاد وما يتعرضون له من عوامل الإغراء!

ولو قمنا بإحصاء عدد الذين ماتوا في كل الحروب النبوية - سواء من شهداء المسلمين، أو من قتلى الأعداء - ثم قمنا بتحليل لهذه الأعداد، وربطها بما يحدث في عالمنا المعاصر، لوجدنا عجباً!... لقد بلغ عدد شهداء المسلمين في كل معاركهم أيام رسول الله ﷺ - وذلك على مدار عشر سنوات كاملة - ٢٦٢ شهيداً تقريباً، وبلغ عدد قتلى أعدائه ﷺ حوالي ١٠٢٢ قتيلاً<sup>(٢)</sup>، وبذلك بلغ العدد الإجمالي لقتلى الفريقين ١٢٨٤ قتيلاً فقط!

وحتى لا يتعلل أحدٌ بأن أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة؛ ولذا جاء عدد القتلى على هذا النحو، فإنني قمتُ بإحصاء عدد الجنود المشتركين في المعارك،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٧٢) كتاب المغازي - ومسلم (١٧٦٤) كتاب الجهاد والسير.

(٢) اعتمدتُ في حصر الأرقام على ما ورد أولاً في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، ثم على روايات كتب السيرة بعد توثيقها، كسيرة ابن هشام، وعيون الأثر، وزاد المعاد، والسيرة النبوية لابن كثير، وتاريخ الطبري، وغيرهم.



ثم قمتُ بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد المقاتلين، فوجدتُ ما أذهلني! أن نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ ١٪ فقط، بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين بالنسبة إلى أعداد جيوشهم ٢٪! وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هي ١.٥٪ فقط!

إن هذه النسب الضئيلة في معارك كثيرة - بلغت خمسًا وعشرين أو سبعمائة وعشرين غزوة، وثمانٍ وثلاثين سرية<sup>(١)</sup>، أي أكثر من ثلاث وستين معركة - لمن أصدق الأدلة على عدم دموية الحرب في عهده ﷺ.

ولكى تتضح الصورة بشكل أكبر وأظهر فقد قمتُ بإحصاء عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية - كمثال لحروب (الحضارات) الحديثة - فوجدتُ أن نسبة القتلى في هذه الحرب الحضارية بلغت ٣٥١٪!!! فالأرقام لا تكذب؛ فقد شارك في الحرب العالمية الثانية ١٥.٦٠٠.٠٠٠ جندي (خمس عشرة مليونًا وستمائة ألف)، ومع ذلك فعدد القتلى بلغ ٥٤.٨٠٠.٠٠٠ قتيل (أربعة وخمسين مليونًا وثمانمائة ألف)!! أي أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش المشاركة! وتفسير هذه الزيادة هو أن الجيوش المشاركة جميعًا - وبلا استثناء - كانت تقوم بحروب إبادة للمدنيين، وكانت تُسقطُ الألاف من الأطنان من المتفجرات على المدن والقرى الآمنة؛ فتييد البشر، وتُفنى النوع الإنساني، فضلًا عن تدمير البنى التحتية، وتخريب الاقتصاد، وتشريد الشعوب! .. لقد كانت كارثة إنسانية بكل المقاييس!

وأيسر من أن نستقصى الحروب وأسبابها في صدر الإسلام لنعي تلك الحقيقة، أن نُلقي نظرة عامة على خريطة العالم في الوقت الحاضر لنعلم أن السيف لم يعمل في انتشار هذا الدين... فإن البلاد التي قَلَّت فيها حروب الإسلام

(١) ابن كثير: السيرة النبوية (٤/٤٣٢)، ابن قيم الجوزية: زاد المعاد (١/١٢٥)، وابن حزم: جوامع السيرة (١/١٦).

هى البلاد التى يُقيم فيها اليوم أكثر مسلمى العالم، وهى بلاد إندونيسيا والهند والصين، وسواحل القارة الإفريقية، وما يليها من سهول الصحارى الواسعة؛ فإن عدد المسلمين فيها قريب من ثلاثمائة مليون، ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأبناء تلك البلاد إلا القليل الذى لا يُجدى فى تحويل الآلاف عن دينهم بالملايين، ونقارن بين هذه البلاد والبلاد التى اتجهت إليها غزوات المسلمين لأول مرة فى صدر الدعوة الإسلامية، وهى بلاد العراق والشام، فإن عدد المسلمين فيها اليوم قلما يزيد على عشرة ملايين... يعيش بينهم مَن اختاروا البقاء على دينهم من المسيحيين واليهود والوثنيين وأشباه الوثنيين<sup>(١)</sup>.

يقول المؤرخ الفرنسى جوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام فى عهده ﷺ وفى عصور الفتوحات من بعده: «قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تُفرض بالقوة.. ولم ينتشر الإسلام - إذن - بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التى قهرت العرب مؤخرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار فى الهند - التى لم يكن العرب فيها غير عابرى سبيل - ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها<sup>(٢)</sup>، ولم يكن الإسلام أقل انتشارًا فى الصين التى لم يفتح العرب أى جزءٍ منها قطُّ...»<sup>(٣)</sup>.

فالإسلام إذن إنما غزا القلوب وأسر النفوس.. وإن كان بإمكان السيف أن يفتح أرضًا.. فليس بإمكانه أن يفتح قلبًا!<sup>(٤)</sup>.

(١) عباس محمود العقاد/ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه (ص ١٦٩، ١٧٠).

(٢) كان هذا فى وقت كتابة جوستاف لوبون كتابه - أما فى عام ٢٠٠٨م فبلغ المسلمون فى الهند ٢٣٨ مليون نسمة.

(٣) جوستاف لوبون/ حضارة العرب (ص ١٢٨، ١٢٩).

(٤) أسوة للعالمين (ص ٣٣٥-٣٣٩).

❁ وهناك وقفة أخرى مع حديث: « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ »:

يَدْعَى مُنْكَرُ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنْ حَدِيثُ: « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ »<sup>(١)</sup> يَدْعُونَ أَنْ هَذَا الْحَدِيثُ يَتَعَارَضُ مَعَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَفِيدُ حُرِيَّةَ الْإِنْسَانِ الدِّينِيَّةِ، وَالَّتِي مِنْهَا:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾<sup>(٣)</sup> .

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ،  
وغير ذلك من الآيات التي في هذا الموضوع.

وهم - منكرو السنة - إذ يدعون أن هذا الحديث يتعارض مع هذه الآيات فإنهم يرتبون على ذلك أنه حديث موضوع!! على الرغم من أنه في البخارى ومسلم. ويزيدون بأن القول به إنما هو تطرف وإرهاب.

وأقول لهم: إن هذا الحديث لا يتعارض مطلقاً مع أى آية من القرآن الكريم، وإنما يتفق مع الآيات القرآنية في أن القتال إنما شرع لتوفير الحرية الدينية للناس، ولإزاحة العقبات التي تعرقل وصول الحق إلى كل الناس، ولإشاعة الحق بين أفراد البشرية،... إن الحق له أعداء جاء هذا الحديث ليردعهم، وليوفر مناخ الحرية الدينية لكل الناس.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥) كتاب الإيمان - ومسلم (٢٢) كتاب الإيمان.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٢٩).

(٤) سورة يونس: الآية: (٩٩).

وأجيب تفصيلاً:

✽ فأقدم مقدمتين، أولاً:

١- قوله ﷺ: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ » هذا من القتال لا من القتل، والفرق كبير، فالقتال بذل الطاقة في صرف العدو عن إيذائي، أما القتل فهو القضاء على العدو... والأول هو الذى هنا.

٢- قوله ﷺ: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ » ليس المراد كل الناس، وهذا أمر بديهى، فهو ﷺ والمسلمون معه من الناس، وعليه فهذا اللفظ ليس على إطلاقه... وقد جاء فى رواية لهذا الحديث: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ... الحديث »<sup>(١)</sup>.

✽ ثم أفصل ثانياً فأقول:

إن رسول الله ﷺ يقول: (ما معناه) أمرنى ربي أن أقاتل المشركين الذين يحرمون الناس حريتهم الدينية.. أمرنى ربي أن أقاتلهم حتى يصبح الدين الإسلامى شائعاً ذائعاً، لا يمنع أحداً أحداً عنه، وبعد ذلك فليعتنق الإنسان ما شاء من الدين.

إنه حديث يتفق مع آيات القتال كلها كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وِبئس الْمَصِيرُ ①﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ②﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله سبحانه: ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ④﴾<sup>(٤)</sup>، أى قاتلوهم حتى لا يكره أحدٌ على دين لا يرتضيه، وحتى يكون دين الله هو

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود (٢٣٠١).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٧٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٣).

(٤) سورة الأنفال: الآية: (٣٩).

الظاهر العالى المعلوم.

والآيات والأحاديث التى فى هذا الموضوع كلها تبين أن القتال فى الإسلام إنما هو لِنصرة الحق، كما فى حديث الذى سأل رسول الله ﷺ قائلاً: الرجل يُقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر<sup>(١)</sup>، والرجل يقاتل ليرى مكانه<sup>(٢)</sup>، فمن فى سبيل الله؟ فقال ﷺ: « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »<sup>(٣)</sup>.

ومعنى «كلمة الله»: دعوة الله إلى الإسلام<sup>(٤)</sup>، ومعنى «فى سبيل الله»: فى طاعة الله تعالى. فمن قاتل لإظهار الإسلام، فهذا الذى قتاله طاعة لله سبحانه.

إن غير المسلمين يؤذون المسلمين فى دينهم، وهذا ثابت فى كل الأعصار، فجاءت آيات القتال وأحاديثه لتحرض المؤمنين على الوقوف فى وجه الظلم، كى تنكسر شوكة الطغاة، ويتخلص ظلم القساة، ويشيع الإسلام بين الناس كما أوحاه الله، وبعد ذلك فليعتنق الإنسان ما شاء من الدين.

إن مُنكرو السنّة يصورون الحديث، وكأن رسول الله ﷺ يقول: أمرت أن أقاتل الناس حتى يُسلم الجميع.. يُسلمون طوعاً أو كرهاً. وهذا التصور خطأ وضلال، فالإسلام ليس قائماً على الإكراه، وإنما القتال غايته أن يعلم الناس حقيقة الإسلام من الشهادتين، وأن يعلموا أصوله من صلاة وصيام، ثم لهم الحرية الكاملة.. فمن شاء أسلم لا يستطيع أحد أن يمنعه، ومن شاء لم يُسلم وليس لأحد أن يُرغمه.

وهكذا يوفر هذا الحديث وما فى موضوعه كامل الحرية الدينية لكل إنسان، إنه يزيح الموانع عن الحق، والواقفين فى وجه الصدق، يدعوهم للإنصاف فإن

(١) أى ليذكر بين الناس بالشجاعة.

(٢) أى رياءً.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨١٠) كتاب الجهاد والسير - ومسلم (١٩٠٤) كتاب الإمارة.

(٤) فتح البارى شرح حديث رقم (٢٨٠) (٦/٢٨).

استجابوا فلا عليهم، وإن لم يستجيبوا قاتلهم، ليوفر الحرية لأتباعهم من المقهورين.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكتب التاريخ.. كل ذلك يشهد أن الإسلام لا يُكرهُ أحدًا على الدخول فيه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ويشهد أن الكفر ماضٍ في قتال المسلمين من أجل صدهم عن دينهم.. وتوصى الآيات المسلمين بالتصدي للكفرة حتى يتمكن المسلمون من مزاولة دينهم بكل كمال، ويتمكن من أراد الإسلام أن يسلم.. يقول ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظَعُوا﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ويقول سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، هكذا تبين الآيات أن الكافرين سيبدلون كل ما في وسعهم في منع الناس من الإسلام، وإخراج المسلمين من الإسلام، وتوجب الآيات على المسلمين أن يردوا لكن بالإنصاف والعدل.. عليهم أن يدافعوا عن دينهم لكن ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

والتاريخ على طوله يشهد بذلك، فلم يسجل التاريخ أن رسول الله ﷺ قاتل جماعة ليحملهم على الإسلام، وإنما حاربه الكثيرون فحاربهم، وعندما انتصر

(١) سورة الأنفال: الآية: (٣٦).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢١٧).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٣٢).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٩٠).





عليهم لم يُكره أحدًا على الإسلام، وإنما أقام الحق والعدل.  
جاوره اليهود في المدينة، فما أكره أحدًا منهم على الإسلام!!  
وكم أثاروا على الإسلام من افتراءات!!  
وكم آذوا الرسول والمسلمين!!  
تجرءوا على إنكار ما جاء في كتبهم!!  
وتجرءوا فأخطأوا في حق الله سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup>.

وكان على أطراف الجزيرة كثير من النصارى.. وفدوا إليه ﷺ وتناقشوا معه، وهو ممثّل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَفَدَّ إِلَيْهِ ﷺ وَفَدَّ نَجْرَانُ فَأَحْسَنَ اسْتِقْبَالَهُمْ، وكانوا يتحدثون فيما بينهم بأنهم رسول الله، وأنه كما جاء وصفه في كتبهم،.. استقبلهم ﷺ في مسجده، وأرادوا الصلاة فسمح لهم فصلوا في مسجده، وما أرادوا بذلك إلا اختبار احترامه لبقية الأديان، وتحدثوا معه كثيرًا، وعادوا إلى بلادهم وهم على دينهم ما أكرههم على الإسلام، ولا عاب شيئًا فيهم، على الرغم من تناولهم على الإسلام<sup>(٣)</sup>!  
وهكذا يتضح أن الحديث لا إرهاب فيه ولا تطرف، وإنما يمنع تطرف القُساة وإرهابهم الناس أن يسلموا. إنه حديث يمنع القُساة أن يحرّموا الناس من الدخول في الإسلام. إنه يوفر الحرية الدينية لكل الناس.

وهذا الحديث يعالج التطرف من زاوية أخرى، فهو ينهى المسلم عن العدوان على مَنْ نطق بالشهادتين.. إنه ينهى عن تكفير الآخرين بأمور باطنة،

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام المجلد الأول (ص ٥٤٣ إلى ص ٥٧٢).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٤٦).

(٣) راجع السيرة النبوية لابن هشام المجلد الأول (ص ٥٧٣) فما بعدها.

ويعترف بالإسلام بناء على الأمور الظاهرة.

ولذلك ذكر العلماء هذا الحديث مع حديث أسامة بن زيد قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ<sup>(١)</sup> مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَذْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَطَعَنَتْهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتْلَتْهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟» فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَقَالَ سَعْدُ: وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ - يَعْنِي أُسَامَةَ - قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كَلِمَةً لِلَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>؟ فَقَالَ سَعْدُ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ<sup>(٣)</sup>.

إن حديث: «أمرت أن أقاتل الناس» وحديث: «أفلا شققت عن قلبه» ذكرهما أبو داود وابن ماجه في باب واحد، مما يدل على أن من أظهر الإسلام ولو بالشهادتين فقط يُعامل معاملة المسلم، ولا يصح أن يُنكر لهذا القدر الذي أظهره... لا يصح أن نبحت عن السرائر فهي موكولة إلى الله سبحانه، وإنما الأحكام على الظاهر.

### ❁ شبهة أن النبي ﷺ يقر العبودية:

يُثير البعض شبهة أن النبي ﷺ يُرَغَّبُ فِي مَلِكِ الْيَمِينِ، وَقَدْ أَقْرَهُ ﷺ عِنْدَمَا سَمَحَ لَجُنُودِهِ بِاسْتِرْقَاقٍ مِنْ يَوْسَرَ فِي الْحَرْبِ.

والحقيقة التي لا جدال فيها أن النبي ﷺ يُعْتَبَرُ الْمَحْرَرِ الْأَوَّلِ لِلْعَبِيدِ؛ وَقَبْلَ الْحَدِيثِ عَنْ جِهْدِهِ ﷺ فِي تَحْرِيرِ الْعَبِيدِ لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَ مَدَى تَرَشُّخِ هَذَا الْأَمْرِ فِي

(١) الحُرَقَات: قبائل من جهينة.

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٣٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨٧٢) كتاب الديات - ومسلم (٩٦) (١٥٨) كتاب الإيمان.

الجزيرة العربية وفي العالم قبل مبعثه ﷺ، لنعلم أنه لم يكن من الممكن أبداً أن يُصدر رسول الله ﷺ قانوناً مفاجئاً يمنع به شيئاً انتشر لهذه الدرجة ولعدة قرون. ففي الجزيرة العربية: ما فتئت الحرب تشتعل بين حين وآخر بين القبائل العربية بدافع العصبية والقبلية... ومما لا شك فيه أنه كان لهذه الحروب المستمرة نتائج وبيلة على الفريق المنهزم؛ وذلك لما يترتب على الهزيمة من سبى النساء والذرية والرجال إن قُدر عليهم، وقد يتم قتلهم، أو استرقاقهم وبيعهم عبيداً، ولم يكن هناك ما يُسمى بالمنّ عليهم أو إطلاق سراحهم دون مقابل... وكانت الحروب تُمثل أحد الروافد الأساسية لتجارة العبيد التي كانت إحدى دعائم الاقتصاد في الجزيرة العربية.

أما الدولة الرومانية فلم يكن العبيد فيها بأفضل حال.. لدرجة أن الفيلسوف أفلاطون نفسه صاحب فكرة المدينة الفاضلة كان يرى أنه يجب ألا يُعطى العبيد حق المواطنة... أما الدولة الفارسية فكان المجتمع مُقسماً إلى سبع طبقات أدناهم عامة الشعب، وهم أكثر من ٩٠٪ من مجموع سكان فارس، ومنهم العمال والفلاحين والجنود والعبيد، وهؤلاء ليس لهم حقوق بالمرة، لدرجة أنهم كانوا يُربطون في المعارك بالسلاسل؛ كما فعلوا في موقعة الأبلّة<sup>(١)</sup> أولى المواقع الإسلامية في فارس بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه.

هكذا كانت مشكلة العبودية قبل الإسلام، وعندما جاء الرسول ﷺ برسالته الخاتمة وضع مبدئين مهمين لإلغاء العبودية والرق، هما: تضيق الروافد التي كانت تمدّه وتغذيه وتضمن له البقاء، وتوسيع المنافذ التي تؤدي إلى العتق والتحرُّر. وكانت سيرته ﷺ خير تطبيق لهذين المبدئين؛ حيث بدأ ﷺ حث المجتمع

(١) الأبلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة، وقد سار إليها خالد بن الوليد، والتقى بالفرس في موقعة تُسمى (ذات السلاسل) وانتصر المسلمون وكان عددهم ١٨ ألف مجاهد على ستين ألف فارسى. انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان (١/٤٣).

الإسلامى الناشئ على تحرير العبيد واعدًا إياهم بالجزاء العظيم فى الآخرة..  
فمن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرْجِهِ » <sup>(١)</sup>.

كما حثَّ النبى صلى الله عليه وسلم على عتق العبيد تكفيرًا عن أى ذنب يأتیه الإنسان؛ وذلك للعمل على تحرير أكبر عدد ممكن منهم .. فالذنوب لا تنقطع، وكل بنى آدم خطأ، فيقول صلى الله عليه وسلم: « أَيَّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ، أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، كَانَ فَكَاهُهُ مِنَ النَّارِ، يُجْزِي كُلُّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ، وَأَيَّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ، أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ، كَانَتَا فَكَاهَهُ مِنَ النَّارِ، يُجْزِي كُلُّ عَضْوٍ مِنْهُمَا عَضْوًا مِنْهُ، وَأَيَّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ، أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً، كَانَتْ فَكَاهَهَا مِنَ النَّارِ، يُجْزِي كُلُّ عَضْوٍ مِنْهَا عَضْوًا مِنْهَا » <sup>(٢)</sup>.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة فى ذلك؛ حين أعتق من عنده من العبيد.

بل وكانت وصاياه الإنسانية بالعبيد مفتاحًا من مفاتيح تأهيل المجتمع لتقبل تحريرهم وعتقهم،.. فحُضَّ أولاً صلى الله عليه وسلم على المعاملة الحسنة لهم، حتى لو كان ذلك فى الألفاظ والتعبيرات، فتراه يقول صلى الله عليه وسلم: « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمْتِي فَكُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ، وَكُلُّ نَسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي » <sup>(٣)</sup>. بل وأوجب صلى الله عليه وسلم إطعامهم وإلباسهم من نفس طعام ولباس أهل البيت وألا يكلفوا ما لا يطيقون... فيروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه فيقول: كان النبى صلى الله عليه وسلم يوصى بالمملوكين خيرًا، ويقول: «... هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَاطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَالْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ... » <sup>(٤)</sup>. وغير ذلك من الحقوق التى جعلت من العبد

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٧١٥) كتاب كفارات الأيمان - ومسلم (١٥٠٩) كتاب العتق.

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٦١١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٥٢) كتاب العتق - ومسلم (٢٢٤٩) كتاب الألفاظ من الأدب.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٦٦١) كتاب الأيمان - والبخارى: الأدب المفرد (٧٦/١).

كائنًا إنسانيًا له كرامة لا يجوز الاعتداء عليها.

ثم ترتقى وصاياه لتنقل المجتمع إلى مرحلة التحرر الواقعي، فجعل ﷺ عقوبة تعذيبهم وضربهم العتق والتحرر،.. فيروى أن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما كان قد ضرب غلامًا له، فدعاه فرأى بظهره أثرًا، فقال له: أوجعتك؟ قال: لا. قال: فأنت عتيق. قال: ثم أخذ شيئًا من الأرض، فقال: ما لي فيه من الأجر ما يزن هذا، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ»<sup>(١)</sup>.

وجعل ﷺ أيضًا التلطف بالعتق من العبارات التي لا تحتمل إلا التنفيذ الفوري، فقال ﷺ: «ثَلَاثُ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: الطَّلَاقُ وَالنِّكَاحُ وَالْعَتَاقُ»<sup>(٢)</sup>. كما جعله الشرع وسيلة من وسائل التكفير عن الخطايا والآثام، مثل وجوب العتق بسبب القتل الخطأ، وكذلك الحنث في اليمين، والظهار، والإفطار في رمضان عمدًا، وغير ذلك... ثم جاءت سيرته خير تطبيق لهدى الشرع،... فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: هلكت يا رسول الله. قال: «وما أهلكك؟». قال: وقعت على امرأتي في رمضان. قال: «هل تجد ما تُعتق رقبة؟». قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟». قال: لا. قال: «فهل تجد ما تطعم ستين مسكينًا؟». قال: لا. قال: ثم جلس، فأتى النبي ﷺ بعرق<sup>(٣)</sup> فيه تمر. فقال: «أَذْهَبْ بِهَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ»، قَالَ: عَلَى أَحْوَجَ مِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا بَيْنَ لَابَتِيهَا<sup>(٤)</sup> أَهْلُ بَيْتِ أَحْوَجَ إِلَيْهِ مِنَّا.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٥٧) (٣٠) كتاب الأيمان.

(٢) حسن: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٧).

(٣) العرق: المکتل والجراب والوعاء المنسوج من الخوص - انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة عرق (٢٤/١٠).

(٤) لابتيتها: أى المدينة، ويعنى حرثتها من جانبيها وهى الأرض التى قد ألبستها حجارة سود، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة لوب (١/٧٤٥).

فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابهُ، ثم قال: «اذهب فأطعمهُ أهلك»<sup>(١)</sup>.

بل وأكثر من ذلك؛ حيث جعل عتقهم من مصارف الزكاة؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ﴾<sup>(٢)</sup>، ولننظر ماذا فعل ﷺ مع سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لنذكر عظمة تطبيقه لهذا المبدأ الإسلامي ... فهذا هو ذا سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُعلنُ إسلامه أمام النبي ﷺ، فيقول له ﷺ: «.. اذهب فاشترِ نفسك».

فيقول سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فانطلقتُ إلى سيدي، فقلت: بعني نفسي؟ قال: نعم، على أن تُنبت لي مائة نخلةٍ، فإذا أنبتت جئني بوزن نواةٍ من ذهبٍ. فأتيتُ رسول الله ﷺ، فأخبرتهُ، فقال لي رسول الله ﷺ: «اشترِ نفسك بالذي سألك، وائتني بدلٍ من ماء البئر الذي كُنت تسقي منه ذلك النخل».

قال: فدعا لي رسول الله ﷺ فيها، ثم سقيتها، فوالله لقد غرستُ مائة نخلةٍ، فما غادرت منها نخلةٌ إلا نبتت، فأتيتُ رسول الله ﷺ، فأخبرتهُ أن النخل قد نبت، فأعطاني قطعةً من ذهبٍ، فانطلقتُ بها فوضعتها في كفة الميزان، ووضع في الجانب الآخر نواةً، فوالله ما استقلت قطعةً الذهب من الأرض، قال: وجئت رسول الله ﷺ فأعتقني<sup>(٣)</sup>.

ومكّن الإسلامُ العبيد من استعادة حُرّيتهم بالمكاتبَة، وهي أن يُمنح العبدُ حُرّيته مقابل مبلغ من المال يتفق عليه مع سيده، وأوجب أيضًا إعانته؛ لأن الأصل

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٠٠) كتاب الهبة - ومسلم (١١١١) كتاب الصيام.

(٢) سورة التوبة: الآية: (٦٠).

(٣) الحاكم (٦٥٤٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد والمعاني قريبة من الإسناد الأول. والطبراني المعجم الكبير (٦٠٧٣) واللفظ له، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عبد الله بن عبد القدوس التميمي ضعفه أحمد والجمهور ووثقه ابن حبان وقال: ربما أغرب، وبقيه رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣١٦/٩).



هو الحرية، أما العبودية فظارئة، فكان الرسول ﷺ القدوة في ذلك؛ حيث أدّى عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ما كُتبت عليه وتزوجها، فلما سمع المسلمون بزواجه منها أعتقوا ما بأيديهم من السبي، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ. فأعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق <sup>(١)</sup>.

✽ ورغب النبي ﷺ في عتق الأمة وتزوجها،... فيروى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ...» <sup>(٢)</sup>. لذلك نجده ﷺ يعتق السيدة صفية بنت حُبي بن أخطب رضي الله عنها، ويجعل عتقها صداقها <sup>(٣)</sup>.

✽ أما الاسترقاق عن طريق الحرب التي يثيرها أعداء الإسلام فقد ضيق النبي ﷺ مدخل الاسترقاق عن طريق الحرب فوضع نظامًا للأسرى لم يُعرف من قبل إلا في الإسلام... فاشتراط لاعتبار الأسرى أرقاءً أن يضرب الإمام عليهم الرق، وقبل أن يضرب الإمام عليهم الرق يمكن أن تتم نحوهم التصرفات التالية: تبادل الأسرى؛ وذلك بردّ عددٍ من الأسرى مقابل عدد من أسرى المسلمين، أو قبُول الفداء؛ وذلك بإطلاقهم نظير مقابل مادي أو أدبي كما فعل ﷺ في أسرى (بدر)؛ فأطلق بعضهم مقابل مال، وجعل إطلاق بعضهم نظير تعليمهم لبعض المسلمين القراءة والكتابة.

رغم أن الاسترقاق في الحرب كان عُرْفًا عامًّا في كل الحروب، فكان الأعداء يسترقون المسلمين إذا وقعوا في أسرهم....، لقد حدث ذلك مثلاً مع زيد بن الدثنة وكذلك مع خبيب بن عدى رضي الله عنه <sup>(٤)</sup>، ولو لم يقابل الإسلام أعداءه بمثل ما يفعلوه

(١) الصالحى الشامى / سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢١٠)، والسهيلى: الروض الأنف (٤/ ١٨)، وابن كثير: السيرة النبوية (٣/ ٣٠٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٨٣) كتاب النكاح - ومسلم (١٥٤) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٧١) كتاب الصلاة.

(٤) ابن حجر العسقلانى / الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٦٣).

لا جتروا عليه... ومع ذلك فالإسلام يقبل أن تتفق كل الأطراف المتصارعة على عدم الاسترقاق، فلا تفعله في نظير ألا يفعلوهم كذلك.

وهكذا كان الإسلام في قضية تحرير العبيد حكيماً ومتوازناً في تشريعه، فبقدر ما ضيق منافذ الاسترقاق بقدر ما وسع منافذ التحرير بأسلوبٍ متدرج يناسب الواقع الذي ظهر فيه الإسلام<sup>(١)</sup>.

### ✽ شبهة أن النبي ﷺ أخذ القرآن عن اليهود والنصارى:

ومن الشبهات التي أثارها بعض أعداء هذا الدين: أن النبي ﷺ لم يُوحَ إليه بشيء وإنما أخذ هذا القرآن عن بعض اليهود والنصارى الذين كانوا ينتشرون في بعض مناطق الجزيرة العربية.

والواقع أن هذه الشبهة مليئة بالثغرات التي نرى أنه لا يجوز لصاحب العقل أن يقبلها؛ لكثير من الأسباب منها:

✽ أولاً: أن سيرة النبي ﷺ وتاريخ حياته معروف أكثر من أي شخصية أخرى في الزمن القديم، وأن أخباره تعرضت لتدقيق وتوثيق كبيرين؛ جعل من الميسور على أي أحدٍ أن يعرف مدى صحة أو ضعف الاحتمال القائل بوقوع الرواية.

✽ ثانياً: الصحيح الثابت من سيرته ﷺ أنه لم يكن يقرأ ولا يكتب منذ وُلد وحتى توفي، وهي من ضرورات التعلُّم والأخذ.. لا سيما إذا كان هذا في تعاليم دينية.. ومن ضرورات التعلُّم والأخذ - أيضاً - أن يتردد الطالب على المعلم، ولا نرى في سيرة النبي ﷺ أخباراً صحيحة ولا حتى ضعيفة تُفيد بأنه كان يتردد على أي مكان، ولا على أي شخص على وجه العادة، خاصة وأنه لم ينفرد في رحلته التجارية الأولى عن عمه، ولم ينفرد كذلك عن ميسرة غلام خديجة ﷺ الذي ذهب معه إلى بُصرى (الشام).

(١) أسوة للعالمين (ص ٣٤٠-٣٤٤).





✽ ثالثاً: الرحلة التي قام بها ﷺ حين كان غلاماً مع عمه، فقابل فيها الراهب النسطوري، لم يكن عمره يتجاوز اثني عشر عاماً، فكيف لغلام في هذه السن، ومع اختلاف اللغة - فإنه ﷺ لم يتكلم بغير العربية وقد كان الراهب نسطورياً سريانياً - وفي هذا اللقاء الوحيد أن يأخذ عنه شيئاً؟! ثم ما تفسير بقائه كل هذه السنين لم يتغير له حال حتى يجهر بها بعد ثمانية وعشرين عاماً - أكثر من ربع قرن - ويتحمل في سبيلها كل ذلك العذاب.

✽ رابعاً: ثم ما تفسير أن يكون الكلام المنطوق بهذا القدر من البلاغة والفصاحة التي يتحدى بها العرب وهم المبرزون فيها؟ هذا والراهب لا يعرف العربية أصلاً؟ ومع ذلك فقد شهد لبلاغة القرآن حتى من لا يتقن العربية ولا يحب الإسلام.

ومن هنا جاءت الآية التي تردُّ على أمثال القائلين بهذه الشبهة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٣﴾﴾<sup>(١)</sup>.

✽ خامساً: لم يطرح أحد من المشركين في سياق مواجهة النبي ﷺ مثل هذه الأمور... وهى لو كانت ذات قيمة وقدر، أو لو كان ثمة شبهة في التقائه بأحد أهل العلم بالكتاب، أو أمثالها من تصرفات قد تُثير الشبهة لذكرها وهاجموه بها... والواقع أنهم لم يفعلوا، إلا مرة يتيمة - وهم في مرحلة التخبُّط - ومحاولة إيجاد أى تهمة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾<sup>(٣)</sup>، بل إنهم لجئوا إلى أهل

(١) سورة النحل: الآية: (١٠٣).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٤).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٥).

الكتاب؛ لكي يُقِيمُوا لهم هذا الذي أتى به محمد ﷺ .

❁ سادساً: لم يزعم أحد أن النبي ﷺ قد أخذ منه شيئاً.. لا بحيرا ولا غيره من أهل الكتاب المنتشرين في الجزيرة العربية.. بل لقد عمل أهل الكتاب على إخراجهم ونصرة قومه المشركين عليه؛ فيستغلون ما عُرف عنهم من العلم بالكتاب ثم يقولون: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَوَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ (٥١) (١)، وأحيانا كان يلجأ إليهم المشركون فيعطونهم أسئلة لا يعرفها إلا نبيُّ، مثلما ذهب النضر بن حارث وعقبة بن أبي معيط إلى يهود المدينة، فقصا عليهم نبأ محمد ﷺ، فقال لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث؛ فإن أخبركم بهن فهو نبيُّ مُرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُتقول: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول - أي: أهل الكهف - ما كان من أمرهم؛ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طَوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها - أي: ذى القرنين - ما كان نبؤه.. وسلوه عن الرُّوح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك - أي: بحقيقة الأولين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله - فاتبعوه فإنه نبي (٢) .

❁ سابعاً: أليس يبدو زعمًا سخيفًا وساذجًا وجود رجل عالم متبحرٍ قادر على ابتكار مثل هذه التعاليم الرائعة والسابقة لعصرها، ثم يكون على هذا القدر من الخفاء والزهد في الدنيا مع الحرص على توصيل ما عنده للناس، ولو عبر رجل عربي .

ثم أليس الأغرب أن يُوجد رجل يتمتع بكل هذه القدرات والمواهب الإدارية والقيادية، وهو في الذروة من شرف النسب والحب والتقدير، ثم يدعى النبوة فتُحصى عليه حركاته وسكناته ويُتربص به، ثم يستطيع أن يُواصل الأخذ

(١) سورة النساء: الآية: (٥١).

(٢) السيرة الحلبية (١/٤٩٩)، وابن هشام: السيرة النبوية (٢/١٣٩)، وابن كثير: السيرة النبوية

(١/٤٨٣، ٤٨٤).



والتلقى؟ ثم بعدئذ لا يعترف بالفضل فلا يرجع الأمر إلى أهله؟

✽ ثامناً: لقد كان القرآن ينزل مُفْرَقاً مُنْجَمًا بحسب الحوادث الجارية، وقد استمر نزوله عبر ثلاثة وعشرين عاماً، ثم جُمع بعد وفاة النبي ﷺ في كتابٍ واحدٍ.. أى: إن القرآن لم يكن كتاباً خرج بعد فترة من التأليف، بل كان واقِعاً حياً، وآياتٍ تزداد في كل يوم، وهذا في حد ذاته ينفي مسألة التلقى من أحد.

✽ تاسعاً: ما ثبت عنه بطرق عديدة صحيحة أنه ﷺ أخبر أن الوحي كان أحياناً يأتيه ﷺ «مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ». حتى إن السيدة عائشة رضي الله عنها تروى أنها كانت تراه في اليوم شديد البرد وجبينه يتفصد عرقاً<sup>(١)</sup>، وهذه حالات لا يمكن اصطناعها أو تمثيلها.

✽ عاشراً: لقد أدان القرآن الكريم بوضوح ما فعله أهل الكتاب من قسوة قلوبهم، وتحريفهم لكتبهم، وعدم اتباعهم للنبي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ونفى عقائد محورية فيما انتهت إليه الديانتان اليهودية والنصرانية... مثل القول ببنوة عُزَيْرِ والمسيح لله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - ومثل عقيدة الصلب عند النصارى، ومثل عقيدة التفوق على البشر عند اليهود، وكثير من الاختلافات الأساسية الأخرى... فهنا افتراق واضح ودليل على تجاوز ما انتهت إليه الديانات من قناعات وعقائد وأفكار.

ثم إن القرآن الكريم نفسه يدعو للاقتراب من أهل الكتاب واعتبارهم أقرب إلى المؤمنين من المشركين والكفار، وأحلَّ الزواج منهم وأكل ذبائحهم، واعترف ببنوة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان واليسع وموسى وعيسى، وتحدث عنهم بكل إجلال، كما تحدث عن معجزة المسيح وعن براءة أمه العذراء البتول، فهنا التقاء كبير ودعوة للتقارب؛ إن هذا ليس سلوك ناقل أو

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢) كتاب بدء الوحي - ومسلم (٢٣٣٣) كتاب الفضائل.

متبع لشيء كان موجوداً أو تم تلقيه له، ولكنها مواقف واعية وواضحة وصلبة، ومتجاوزة للزمان والمكان.. وفي هذا السياق نذكر قول المفكر الإنجليزي لايتنر<sup>(١)</sup>: «بقدر ما أعرف من ديني اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد ﷺ ليس اقتباساً؛ بل قد أوحى إليه به»<sup>(٢)</sup>.

✽ الحادى عشر: ما أثبتته الدكتور موريس بوكاى - وهو الفرنسى غير العربى الذى لم يكن مسلماً ولم يحاول أن يكون - حين درس معارف العلم الحديث فى ضوء المعطيات التى تُقدمها الكتب المقدسة الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن، ففوجئ بأن الرواية القرآنية هى الوحيدة التى لا تذكر أى شىء يتعارض مع المعارف العلمية الحديثة، بعد ألف وأربعمائة عام من نزوله، بشكل لا يمكن أن يكون من عمل البشر... فحتى إذا كان محمد ﷺ قد اطلع على هذه الكتب السابقة، فإنه لا مجال للقول بأنه قادر فى هذا الزمن على إجراء هذه العملية الانتقائية للمعلومات، وإبقاء الصحيح منها ورفض المغلوطة<sup>(٣)(٤)</sup>.

### ✽ شبهة تكذيبهم لعجرات النبى ﷺ:

إن جوابنا عن كل سؤال يثيره المشغَّبون حول المعجزات التى أيد الله بها رسوله ﷺ يتمثل فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>.  
وفى قوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) لايتنر: باحث إنجليزي، حصل على أكثر من شهادة دكتوراه فى الشريعة والفلسفة واللاهوت، وزار الأستانة عام (١٨٥٤م)، كما طَوَّف بعددٍ من البلاد الإسلامية، والتقى برجالها وعلمائها.  
(٢) لايتنر/ دين الإسلام، ص (٤، ٥).  
(٣) انظر: كتاب الدكتور موريس بوكاى/ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة فى ضوء المعارف الحديثة.  
(٤) بتصرف من كتاب (أسوة للعالمين).  
(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٠).  
(٦) سورة هود: الآية: (١٠٧).



وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١٨) (١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢).

فالله - سبحانه وتعالى - يُكرم أنبياءه بما يشاء، ويؤيدهم بما يُريد من المعجزات.

- أيد الله ﷺ نوحًا بإرسال الطوفان على قومه الذين ظلموه وكذبوه وعاندوه، فأهلكهم وسلّمه!!.

- ألقى إبراهيم ﷺ في النار، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا!!.

- فدى إسماعيل ﷺ بذبح عظيم!!.

- وموسى الكليم ﷺ أيد بالعصا التي تتحول إلى حية تسعى!! والتي ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فريق كالطود العظيم. والتي ضرب بها الحجر فانجست منه اثنتا عشرة عينًا، والتي ضرب بها الحجر الذي فرّ بثوبه فأثرت في الحجر!!.

- أيد موسى ﷺ بمعجزة أخرى وهي خروج يده من جيبه بعد إدخالها فيه بيضاء من غير سوء، وتلك آية أخرى.

- أيد عيسى (ﷺ) بطائفة من الآيات والمعجزات.. فعيسى ﷺ كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى - بإذن الله -.

- ويخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرًا - بإذن الله -.

- ولقد أنطقه الله في المهد، وكلم الناس.

- وداود ﷺ ألان الله له الحديد، وسبّحت معه الجبال وكذا الطير.

- وهذا سليمان ﷺ سُخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب،

(١) سورة الحج: الآية: (١٨).

(٢) سورة يس: الآية: (٨٢).

والشياطين كل بناءٍ وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد.

- وصالح عليه السلام خرجت له ناقة عظيمة - بإذن الله - من بطن صخرة.

- وأيوب عليه السلام ضرب برجله الأرض، فخرج ماء مغتسل بارد وشراب، فاغتسل وشرب، فشفاه الله وعاد أجمل ما كان وأحسن ما كان.

إلى غير ذلك من المعجزات والآيات.

والله على كل شيء قدير.

✽ فإذا قال قائل: كيف نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم؟

فجوابنا: إن الله على كل شيء قدير!!

وكذا فهو نفس الجواب إذا سألنا سائل: كيف يحن الجذع لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟

وكيف يُسلم عليه الحجر؟ ويُقبل إليه الشجر؟ وينشق في زمنه القمر؟

جوابنا: إن الله يفعل ما يشاء، والله على كل شيء قدير.

وليس بعزيز على الله أن يؤيد نبيه صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك، بل وبأعظم من ذلك.

وكذا فهو نفس الجواب عن سؤال السائل: كيف يُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في بعض ليلة؟ وكيف يُعرج به إلى

السموات؟!!!

وكذا فهو نفس الجواب عن سؤال قد يُطرح: كيف يُشق صدره؟ وكيف

يُبارك له في الطعام القليل والماء القليل حتى يكفي طعام الاثنين مائة شخص؟!!!

وكيف يمسح على رجل شخص كسيرة فيعافيه في الحال؟!!!

فدومًا... الله على كل شيء قدير!!

والله يفعل ما يشاء.

إن بعض الكتاب الموسومين بالإسلاميين يستحي بعضهم أن يتحدث عن

معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: كيف أواجه الغرب الكافر بمثل هذا؟



يقول: كيف أواجه الغرب الكافر بأن الماء قد نبع من بين أصابع النبي

محمد ﷺ؟

يقول: كيف أواجه الغرب الكافر بأن النبي ﷺ نادى على نخلة فأتت تشق

طريقها حتى وقفت بين يديه - صلوات الله وسلامه عليه -؟

يقول: كيف أواجه الغرب بأن جذعاً قد حَنَّ للنبي ﷺ؟ ذلكم الجذع الذي

كان النبي ﷺ يقف عليه ويخطب، فلما صُنع له المنبر نزل من على الجذع وصعد المنبر، فأَنَّ الجذع أُنِيناً وَحَنَّ حَنِيناً إلى أن نزل النبي ﷺ فاحتضنه وأسكته كما يُسكَّت الصبي الصغير أمام الناس كلهم.

فيقول المُناظر: كيف أواجه الغرب الكافر بذلك؟

أما جوابنا الأصيل فهو: إن الله على كل شيء قدير.

فالذي يجعل الجذع ينطق هو الله، والذي يجعله يسكن هو الله، والذي

يجعل الماء ينبع من بين الأصابع هو الله، والذي قال لأيوب - عليه السلام -:

﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾<sup>(١)</sup> أى اضرب الأرض برجلك، فتفجرت الأرض ينابيع،

والضرب بالرجل ماذا عساه أن يُجدي؟ إنه لا يجدي بشيء ولا ينفع بشيء،

لكن جعل الله الماء يتفجر، وجعله الله مغتسلاً بارداً وشراباً.

وهو الذي جعل الرُّطْبَ الجَنَى يتساقط على مريم - عليها السلام -، وقد

أُمرت أن تهز إليها بجذع النخلة .. وماذا عساه أن ينفع هزُّها بيديها لجذع

النخلة؟ لكنه سبب أُمرت به.. والذي جعل الرطب الجنى يتساقط هو الله.

وماذا عساها أن تنفع عصا موسى لما ضرب بها البحر، فانفلق فكان كل

فِرْقٍ كالطود العظيم، ولما ضرب بها الحجر فانجست منه اثنتا عشر عيناً،

وعندما ضرب بها الحجر الذي هرب بثوب موسى فتوقف الحجر بسبب

(١) سورة ص: الآية: (٢٤).

الضرب، وظهرت به آثار العصا... ما الذى مكن له ذلك وأيده بذلك؟  
إنه الله وحده!!! وماذا عسى أن تصنع يد داود - عليه السلام - مع الحديد الذى  
ألانه الله له!!؟

وكذلك ماذا صنع سليمان حتى أسال الله له عين القطر - أى تفجرت له  
عين النحاس - .

كل ذلك حدث بقدره الله .

فجواب المسلم منا عن مثل هذه المعجزات وغيرها: «إن الله على كل شىء  
قدير» .

قد يأتى كافر ساخر مجرم أثيم يسخر من هذه المعجزات، ولكن جواب  
الطفل من المسلمين الذى لُقن الإيمان وعلمه: إن الله على كل شىء قدير .

فالذى رزق مريم عليها السلام بفاكهة الشتاء صيفاً، وفاكهة الصيف شتاءً، والذى أحيا  
الأموات على يد المسيح عيسى عليه السلام قادر على ما ذكر، وقادر على أعظم مما ذكر .  
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ <sup>(١)</sup> .

فلذا فلا نستحى أبداً، ونحن نتحدث عن معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعمّا  
أيده الله به من انشقاق القمر وإذعان الأشجار إليه، وتسليم الأحجار عليه،  
وشفاء المرض العاجل على يديه... لا نستحى أبداً ونحن نذكر ذلك، قربنا عز وجل  
على كل شىء قدير .

نقول ذلك ونُعَلِّمُهَا لِلنَّاسِ: اشهدوا بأننا مسلمون، لا نتوارى بديننا، ولا نختفى  
بديننا بل نُظهِرُ شَرِيعَتَنَا كَمَا أَمَرْنَا رَبَّنَا، وكما أمرنا نبينا - عليه الصلاة والسلام - .

ففى رسالته صلى الله عليه وسلم إلى هرقل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا



مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ أَشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ (١).

اعلنوها أيها المسلمون، وقولوا: ﴿عَامِنًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ  
وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٦٥﴾ (٢).

وكما قال ربكم سبحانه: ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَنُفْسِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ (٣) (٤).

### شبهة: تعدد زوجات النبي ﷺ:

أقول: إن النبي ﷺ لم يكن هو أول من أحدث تعدد الزوجات .. بل كان أمر  
التعدد مشتهراً بين الأنبياء من قبله.

✽ فيها هو إبراهيم (عليه السلام) كان متزوجاً من سارة وهاجر.

✽ وها هو أيوب (عليه السلام) كان متزوجاً بأربع نسوة.

✽ وها هو داود (عليه السلام) كان متزوجاً بسبع نسوة.

✽ بل ها هو سليمان (عليه السلام) قد تزوج بألف امرأة... سبعمائة منهن حرائر  
من بنات السلاطين وثلاثمائة جواري.

ولقد أخبر النبي ﷺ بقول سليمان عليه السلام حين قال: «لأطوفن الليلة  
على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله» (٥).

✽ بل هيا لننظر سوياً إلى تاريخ الأمم السابقة مع التعدد.

يقول المستشرق الفرنسي المسلم ناصر الدين دينيه في كتابه «محمد رسول

(١) سورة آل عمران: الآية: (٦٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٨٤).

(٣) سورة الأنعام: الآيات: (١٦٢-١٦٣).

(٤) شبهات حول الإسلام / (١٣٨: ١٤٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٢٤) كتاب أحاديث الأنبياء - ومسلم (١٦٥٤) كتاب الأيمان.

الله ﷺ) (الواقع يشهد بأن تعدد الزوجات شيء ذائع في سائر أرجاء العالم، وسوف يظل موجوداً مهما تشددت القوانين في تحريمه)<sup>(١)</sup>.

عُرف التعدد في شريعة حمورابي ووجد منقوشاً في أحد الأحجار الأثرية في مدينة «صور». قانونه في تنظيم الأسرة وكان من أهم ما فيه مادة تجيز التعدد. وكذا عُرف التعدد في اليونان وعند الرومان والآشوريين والهنود البرهميين والمصريين والإيرانيين... وعُرف عن الصقالبة والسلافيين التي تنتمي إليها روسيا وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا.

كما أنه تفشّى في أوروبا عند «الفلولو» في زمن «سيزار»، وأباحه بعض الباباوات لبعض الملوك بعد الإسلام «كشرلمان» ملك فرنسا الذي كان معاصراً للخليفيتين المهدي والرشد العباسيين<sup>(٢)</sup>.

### ✽ العرب في الجاهلية :

كان التعدد معروفاً عندهم ولم تكن له ضوابط معينة ولا حدود معروفة فجاء الإسلام وهذبته وحدّده وبيّن أسسه وشروطه.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه... فأمره النبي ﷺ «أن يتخير أربعة منهن»<sup>(٣)</sup>.

✽ بل أنا أدعو الكون كله لتأمل سوياً كيف كانت تلك المراحل الخمس

التي عاشها النبي ﷺ.

١- ظل النبي ﷺ حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره بلا زوجة.

٢- تزوج النبي ﷺ أمنا خديجة رضي الله عنها وهي أسنّ منه بخمسة عشر عاماً.. بل

وتزوجت قبله مرتين.

(١) المرأة بين الفقه والقانون / لمصطفى السباعي.

(٢) محاسن تعدد الزوجات / لهاشم بن حامل الرفاعي.

(٣) قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وظل معها النبي ﷺ خمسًا وعشرين عامًا ولم يتزوج عليها أبدًا مع أن هذه الفترة كانت هي فترة الشباب والقوة والشهوة.

٣- لما ماتت خديجة رضي الله عنها ظل النبي ﷺ بعدها ثلاث سنوات بلا زواج.

٤- بعدما بلغ النبي ﷺ الثالثة والخمسين من عمره تزوج من سودة بنت زمعة رضي الله عنها وهي امرأة كبيرة في السن يقارب سنّها سن خديجة رضي الله عنها.

٥- لم يبدأ في التعدد إلا بعدما بلغ من العمر خمسًا وخمسين سنة... أي بعدما بلغ سن الشيخوخة.. وكانت جميع زوجاته أرامل ما عدا عائشة رضي الله عنها. فلو كان يريد الشهوة لتزوج وهو في ريعان الشباب.

وقد ذكرت لكم في معجزاته (بالأدلة الصحيحة) أن قوة النبي ﷺ كانت تساوي قوة أربعة آلاف رجل.

فهل هناك عاقل يتهم النبي ﷺ بعد ذلك بأنه كان شهوانيًا وأنه تزوج من أجل الشهوة.

### الحكمة من تعدد زوجات النبي ﷺ

✽ ومع كل هذا قد يقول قائل: ما زال السؤال باقياً: ما الحكمة من تعدد زوجات النبي ﷺ؟

- وسيأتي الجواب بكل بساطة وسهولة:

إن الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ كثيرة ومتشعبة، ويمكننا أن نُجملها فيما يلي: <sup>(١)</sup>

✽ أولاً: الحكمة التعليمية. ✽ ثانياً: الحكمة التشريعية.

✽ ثالثاً: الحكمة الاجتماعية. ✽ رابعاً: الحكمة السياسية.

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول / للشيخ الصابوني - نقلًا عن تنزيه سيد الأنبياء عن مطاعن السفهاء / د. ياسر عبد القوي.

## ❁ أولاً: الحكمة التعليمية:

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هي تخريج بضع معلمات للنساء، يعلمنهن الأحكام الشرعية. فالنساء نصف المجتمع، وقد فُرض عليهن من التكاليف ما فُرض على الرجال... وقد كان الكثيرات منهن يستحين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية، وخاصة المتعلقة بهن، كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية، وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم عن بعض هذه المسائل كما كان من خلق الرسول ﷺ الحياء الكامل، وكان - كما تروى كتب السنة أشد حياء من العذراء في خدرها... فما كان (عليه الصلاة والسلام) يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يُعَرَض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة، بل كان يُكِنِّي في بعض الأحيان، ولربما لم تفهم المرأة عن طريق «الكناية» مراده ﷺ.

تروى السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار، سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فعلمها ﷺ كيف تغتسل، ثم قال لها: «خذى فرصة مُمسكة» أى قطعة من القطن بها أثر الطيب «فتطهري بها».... قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: «تطهري بها»، قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ قال: «سبحان الله تطهري بها».

قالت عائشة رضي الله عنها: فاجتذبتها من يدها، فقلت لها: ضعيتها في مكان كذا وكذا، وتتبعى بها أثر الدم<sup>(١)</sup>، وصرحت لها بالمكان الذى تضعها فيه.

فكان (صلوات الله وسلامه عليه) يستحى من مثل هذا التصريح... وهكذا كان القليل أوصاً من النساء مَنْ تستطيع أن تتغلب على نفسها وعلى حياءها، فتجاهر النبي ﷺ بالسؤال عما يقع لها.

فأخذ مثلاً لذلك حديث (أم سلمة) المروى في الصحيحين وفيه تقول:

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٤) كتاب الحيض - ومسلم (٣٣٢) كتاب الحيض.



«جاءت أم سليم (زوج أبي طلحة) إلى رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق... فهل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال لها النبي ﷺ «نعم إذا رأت الماء». فقالت أم سلمة: لقد فضحت النساء، ويحك أو تحتلم المرأة؟ فأجابها النبي الكريم بقوله: «إِذَا فِيمَ يَشْبِهُهَا الْوَلَدُ؟»<sup>(١)</sup>

وهكذا مثل هذا الأسئلة المحرجة، كان يتولى الجواب عنها فيما بعد زوجاته الطاهرات... ولهذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «رحم الله نساء الأنصار، ما منعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»<sup>(٢)</sup>. وكانت المرأة منهن تأتي إلى السيدة عائشة في الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين، وعن أحكام الحيض والنفاس والجنابة وغيرها من الأحكام، فكان نساء الرسول خير معلمات موجّهات لهن، وعن طريقهن تفقه النساء في دين الله.

ثم إنه من المعلوم أن السنة المطهرة ليست قاصرة على قول النبي ﷺ فحسب، بل هي تشمل قوله، وفعله، وتقريره... وكل هذا من التشريع الذي يجب على الأمة اتباعه... فمن ينقل لنا أخباره وأفعاله عليه السلام في المنزل غير هؤلاء النسوة اللواتي أكرمهن الله فكن أمهات المؤمنين وزوجات لرسوله الكريم في الدنيا والآخرة؟

لا شك أن لزوجاته الطاهرات (رضوان الله عليهن) أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأطواره، وأفعاله المنزلية عليه أفضل الصلاة والتسليم. ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات مُعلمات ومُحدثات نقلن هديه عليه السلام، واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء. ومن أوضح الأمثلة عائشة رضي الله عنها.

### ❁ ثانياً: الحكمة التشريعية:

وهذه الحكمة ظاهرة تُدرّك بكل بساطة، وهي أنها كانت من أجل إبطال

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٠) كتاب العلم - ومسلم (٣١٣) كتاب الحيض.

(٢) التمهيد لابن عبد البر.

بعض العادات الجاهلية المستنكرة، ونضرب لذلك مثلاً (بدعة التبنّي) التي كان يفعلها العرب قبل الإسلام... فقد كانت ديناً متوارثاً عندهم. يتبنى أحدهم ولدًا ليس من صُلبه، ويجعله في حكم الولد الصلبي، ويتخذه ابنًا حقيقيًا له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال، في الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح، وإلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه وكان دينًا تقليديًا مُتبعًا في الجاهلية.

وما كان الإسلام ليقهرهم على باطل، ولا ليركهم يتخبطون في ظلمات الجهالة، فمهدّ لذلك بأن ألهم رسوله ﷺ أن يتبنى أحد الأبناء وهو زيد ابن حارثة ﷺ وذلك قبل البعثة النبوية. وبعد ذلك زوجته (عليها السلام) بابنة عمته (زينب بنت جحش الأسدية ﷺ) وقد عاشت معه مدة من الزمن، ولكنها لم تطل فقد ساءت العلاقة بينهما فكانت تغلظ له القول وترى أنها أشرف منه لأنه كان عبدًا مملوكًا قبل أن يتبناه الرسول ﷺ وهي ذات حسب ونسب.. ولحكمة يريد بها الله طلق زيد زينب وأمر الله رسوله ﷺ أن يتزوجها ليُطِل (بدعة التبنّي) ويقيم أسس الإسلام ويأتى على الجاهلية من قواعدها.

### ❁ ثالثًا: الحكمة الاجتماعية:

وهذه تظهر بوضوح في تزوّج النبي ﷺ بابنة الصديق الأكبر (أبي بكر) ﷺ ووزيره الأول... ثم بابنة وزيره الثاني الفاروق (عمر) رضي الله عنه وأرضاه... ثم باتصاله ﷺ بقريش اتصال مصاهرة ونسب، وتزوّجه العديد منهن، مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباطٍ وثيق، وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقى حول دعوته في إيمان، وإكبار، وإجلال.

لقد تزوج النبي ﷺ بالسيدة (عائشة) بنت أحب الناس إليه وأعظمهم قدرًا لديه، الذي كان أسبق الناس إلى الإسلام، وقدم نفسه وروحه وماله، في سبيل



نُصرة دين الله، والدُّود عن رسوله، وتحمل ضروب الأذى في سبيل الإسلام - حتى قال ﷺ مُشيداً بفضل أبي بكر: «ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله تعالى بها يوم القيامة... وما نفعنى مال أحدٍ قط ما نفعنى مال أبي بكر. وما عرضت الإسلام على أحدٍ إلا كانت له كبوة إلا أبا بكر فإنه لم يتلعثم، ولو كنت مُتخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن صاحبكم خليل الله»<sup>(١)(٢)</sup>.

فلم يجد رسول الله ﷺ مكافأة لأبي بكر في الدنيا، أعظم من أن يُقر عينه بهذا الزواج بابنته، ويصبح بينهما (مصاهرة) وقرابة تزيد في صداقتهما وترابطهما الوثيق.

كما تزوج (صلوات الله وسلامه عليه) بالسيدة (حفصة بنت عمر) رضي الله عنها فكان ذلك قرّة عين لأبيها عمر على إسلامه وصدقه وإخلاصه وتفانيه في سبيل هذا الدين.. وعمر هو بطل الإسلام الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين ورفع به منار الدين، فكان اتصاله عليه السلام به عن طريق المصاهرة، خير مكافأة له على ما قدم في سبيل الإسلام، وقد ساوى عليه السلام بينه وبين وزيره الأول أبي بكر في تشريفه بهذه المصاهرة، فكان زواجه بابنتيهما أعظم شرف لهما، بل أعظم مكافأة ومنة، ولم يكن بالإمكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرفٍ أعلى من هذا الشرف، فما أجل سياسته وما أعظم وفاءه للأوفياء المخلصين.

كما يقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلى رضي الله عنهما بتزويجهما بناته.... وهؤلاء الأربعة هم أعظم أصحابه، وخلفاؤه من بعده في نشر ملته، وإقامة دعوته، فما أجلها من حكمة، وما أكرمها من نظرة.

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٥٦٦١) - وأصله في صحيح مسلم.

(٢) له طرق بمعناه في مسلم وابن ماجه وأحمد وابن حبان.

## رابعاً: الحكمة السياسية:

لقد تزوج النبي ﷺ ببعض النسوة، من أجل تأليف القلوب عليه، وجمع القبائل حوله.... فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة، أو عشيرة، يصبح بينه وبينهم قرابة و(مصاهرة) وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نصرتة وحمایتة... ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك لتتضح لنا الحكمة، التي هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج.

١- تزوج النبي ﷺ بالسيدة (جويرية بنت الحارث) ابنة سيد بنى المصطلق وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر، أرادت أن تفتدى نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال فعرض عليها أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك فتزوجها فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا؟ (أى أنهم في الأسر)، فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبيل والسمو، وهذه الشهامة والمروءة أسلموا جميعاً، ودخلوا في دين الله، وأصبحوا من المؤمنين.. فكان زواجه ﷺ بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها، لأنه كان سبباً لإسلامهم وإسلام أبيها وعتقهم، وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.

٢- زواجه ﷺ «بصفية بنت حُيى بن أخطب» رضي الله عنها - وكانت صفية رضي الله عنها قد أسرت في غزوة خيبر بعد قتل زوجها ووقعت (كما في صحيح البخارى) في سهم أحد أصحاب النبي ﷺ وهو دحية الكلبى رضي الله عنه فجاء رجل إلى النبي ﷺ فذكر له شأنها وقال: أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير، إنها لا تصلح إلا لك، فقال: «ادعو بها»، فلما نظر إليها قال لدحية: «خذ جارية من السبى غيرها»، ففعل وخيرها النبي ﷺ بين أمرين:

(أ) إما أن يعتقها ويتزوجها رضي الله عنه.





(ب) وإما أن يُطلق سراحها فتلحق بأهلها.

فاختارت ﷺ أن يعتقها وتكون زوجة له، وذلك لما رأته من جلالته قدره وعظمته، وحسن معاملته، وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس. وهذا الزواج الاختياري أصبحت صفية بنت حُيى بن أخطب (سيد يهود بني النضير وألد أعداء النبي ﷺ) إحدى أمهات المؤمنين، تتساوى في جميع الحقوق مع عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وكل زوجات النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

### ❖ تفنيد تهمة خبيثة<sup>(٢)</sup> :

هذا الزواج جعل بعض مرضى النفوس (وخاصة أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم) يتهمون الرسول ﷺ بأنه ما استرجع صفية وتزوجها إلا بدافع رغبة جسدية.. بينما الحقيقة التي يؤكدتها السياق أن الدافع لجعل النبي ﷺ صفية زوجة له أسمى وأشرف من ذلك، وهو أن صفية بنت ملك وزوجة ملك، ومثلها لا يُوهَب كما توهَب السبايا الأخريات. ولهذا استرجعها النبي ﷺ من دحية ﷺ، مما يدل على الباعث الإنساني النبيل الذي فيه تكريم لهذه السيدة العظيمة في قومها، وذلك حسب القاعدة الإسلامية الشريفة «أكرموا عزيز قوم ذلّ».... وليس أكرم لها وأجبر لخاطرها من أن تكون زوجة النبي ﷺ بدلاً من أن تكون مملوكة عند رجل من عامة الناس.

وباعث آخر «للرد على مرضى النفوس» ألا وهو مواساة هذه السيدة العظيمة في قومها وإعزازها وتكريمها.

روى الواقدي عن أبي بن أبي سبرة عن أبي حرملة عن أخته أم عبد الله عن

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ / للصابوني.

(٢) موسوعة الغزوات الكبرى / لمحمد أحمد باشميل.

ابنة القين المزنى قالت: كنت آلف صفية من بين أزواج النبي ﷺ وكانت تحدثني عن قومها وما كانت تسمع منهم ثم ذكرت حديثاً طويلاً إلى أن قالت، فقالت صفية: فسُبيت في حصن النزار قبل أن ينتهي رسول الله ﷺ إلى الكتيبة (أحد الأودية في الشطر الثاني لخبير) فأرسل بي إلى رحله ثم جاءنا حين أمسى فدعاني، فجئت وأنا مُتَّعة حية فجلست بين يديه فقال: «إن أقمِ على دينك لم أكرهك وإن اخترتِ الله ورسوله فهو خير لك»، فقلت: أختار الله ورسوله والإسلام... فأعتقني الرسول ﷺ وتزوجني<sup>(١)</sup>.

وعن صفية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما أحدٌ أكره إليّ منه، قتل أبي وزوجي وقومي، فقال: «يا صفية أما إنى أعتذر إليك مما صنعت بقومك... إن قومك صنعوا كذا وكذا»، (وأخذ يعدد الأسباب التي حملته على أن يفعل بهم ما فعل)، قالت صفية: وما زال يعتذر إليّ حتى ذهب ذلك من نفسي، فما قمت من مقعدى ومن الناس أحدٌ أحب إليّ منه ﷺ ثم قالت: «ما رأيت أحدًا قط أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

فلو لم يكن باعث استرجاع صفية من دحية الكلبي هو باعث إنساني شريف ما خيرها النبي ﷺ - بعد أن حررها من الأسر - بين أن تعود إلى أهلها حرة مُعززة مكرمة وبين أن يتزوجها لتكون إحدى أمهات المؤمنين.

ولو أراد ﷺ أخذها لنفسه جارية سرية لفعل، ولا يمكن أن يجد طاعن أى مجال للطعن في تصرفه ﷺ لأن قوانين الحرب المتفق عليها بين جميع الشعوب والأمم والتي عمل بها الإسلام وطبَّقها (كعمل حربي مقابل) في ذلك العصر تُبيح للنبي ﷺ أن يعامل صفية كنوع من الرقيق فيتخذها لنفسه جارية دونما أخذ موافقتها لأنها أسيرة حرب تُعتبر مملوكة بموجب قانون الحرب

(١) مغازى الواقدي.

(٢) السيرة الحلبية.



الدولى المعمول به فى ذلك العصر<sup>(١)</sup>.

ولكن النبى ﷺ تكريماً لهذه السيدة العظيمة فى قومها أبى إلا أن يخصها من بين جميع السبايا بإعطائها مطلق الحرية فى أن تختار أى السبيلين تريد بمحض إرادتها: العودة إلى عشيرتها مع البقاء على دينها أو الدخول فى الإسلام لتكون زوجة الرسول ﷺ لا فرق بينها وبين ابنة أبى بكر فى الحقوق والواجبات فاختارت الزواج بمحض اختيارها.

وكان النبى ﷺ يبالغ فى إكرام هذه السيدة ﷺ ويراعى شعورها لعلمه بما هى عليه من حساسية وشعور مُرَهَف، كامرأة عزيزة فى قومها فقدت الوالد والزوج (كلاهما مَلِكٌ على قومه).

فقد كانت صفة نفسها تتحدث عن هذه المعاملة النبيلة والمواساة النابعة من أشرف قلب، فقد قالت: كنت ألقى من أزواج النبى ﷺ.

يفخرن علىّ، يَقْلن: يا ابنة اليهودى ... وكنت أرى رسول الله ﷺ يلفظ بى ويكرمنى، فدخل علىّ يوماً وأنا أبكى فقال: «مالك؟»، فقلت: أزواجك يفخرن علىّ ويقلن: يا ابنة اليهودى قالت: فرأيت رسول الله ﷺ قد غضب ثم قال: «إذا تعالوا عليك أو فاخروك فقولى: أبى هارون وعمى موسى»<sup>(٢)</sup>. وفى رواية: «وزوجى محمد ﷺ».

٣- وكذلك تزوج ﷺ بالسيدة أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) وأبو سفيان كان فى ذلك الحين حامل لواء الشرك، وألّد الأعداء لرسول الله ﷺ وقد أسلمت ابنته فى مكة، ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فراراً بدينها، وهناك مات زوجها فبقيت وحيدة فريدة، لا مُعين لها ولا أنيس، فلما علم الرسول الكريم

(١) موسوعة الغزوات الكبرى / لمحمد أحمد باشمىل.

(٢) مغازى الواقدى.

بأمرها أرسل إلى (النجاشي) ملك الحبشة ليُزوجه إياها .. فأبلغها النجاشي ذلك فسُرت سرورًا لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه وتعالى، لأنها لو رجعت إلى أبيها وأهلها لأجبروها على الكفر والردة، أو عذبوها عذابًا شديدًا، وقد أصدقها عنه النجاشي أربعمئة دينار مع هدايا نفيسة، ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجها النبي المصطفى (عليه الصلاة والسلام).

ولما بلغ (أبا سفيان) الخبر أقر ذلك الزواج وقال: «هو الفحل لا يُقدح أنفه» فافتخر بالرسول ولم ينكر كفاءته له، إلى أن هداه الله تعالى للإسلام<sup>(١)</sup>.

ومن هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة من تزوجه ﷺ بابنة أبي سفيان.. فقد كان هذا الزواج سببًا لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين، سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة. مع أن أبا سفيان كان وقت ذلك من ألدّ بنى أمية خصومة لرسول الله ﷺ، ومن أشدهم عداً له وللمسلمين، فكان تزوجه بابنته سببًا لتأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته... كما أنه ﷺ اختارها لنفسه تكريمًا لها على إيمانها لأنها خرجت من ديارها فارةً بدينها،... فما أكرمها من سياسة وما أجّلها من حكمة!!<sup>(٢)</sup>.

✽ ومع كل هذا كان لا بد أن نعلم أن النبي ﷺ كان لا يفعل شيئًا إلا بوحي من الله (جل وعلا).. فإن كان قد تزوج أكثر من واحدة فكل ذلك كان بوحي وبأمر من الله (جل وعلا) وما كان للنبي ﷺ أن يعصى ربه أبدًا سواءً ظهرت له الحكمة من وراء هذا الفعل أم لم تظهر.. فهو أعبد الناس وأخشى الناس وأتقى الناس لله (جل وعلا).

✽ وفوق ذلك فقد أباح الله لسائر المؤمنين بأن يتزوج الواحد منهم امرأة أو اثنتين أو ثلاثة أو أربعة.

(١) موسوعة الغزوات الكبرى / لمحمد أحمد باشميل.

(٢) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ / للصابوني.

وقد يحدث أن يتزوج رجل أربعة من النساء ثم يطلقهن ويتزوج بأربعة من النساء... أما النبي ﷺ فقد نهاه الله (جل وعلا) عن الزواج بعد نسائه الأول، فقال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝﴾<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: نُهي رسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئاً<sup>(٢)</sup>.

فلم يكن التعدد ميزة شخصية للنبي ﷺ وإنما كان ذلك لخدمة الإسلام وتبليغ شرع الله وسنة رسول الله ﷺ للأمة.

### ❁ شبهة: زواجه ﷺ من أمنا عائشة رضي الله عنها وهي صغيرة السن:

وأما عن الشبهة التي أثاروها عن النبي ﷺ... وهي أنه تزوج من أمنا عائشة رضي الله عنها وهي في التاسعة من عمرها فسوف نرد عليهم في النقاط الآتية:

(١) أن النبي ﷺ لا يفعل أى شىء من تلقاء نفسه وإنما يفعل ما يأمره الله به فقد قال عنه الحق (جل وعلا): ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾<sup>(٣)</sup>.. فقد جاءه الأمر من الله بزواجها.. بل وأرسل إليه جبريل عليه السلام بقطعة من حرير وفيها صورة عائشة رضي الله عنها وأخبره أنها ستكون زوجته في الدنيا والآخرة.

عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أریتك في المنام ثلاث ليالٍ، جاء بك المَلَكُ في سَرَقَةٍ (من) حرير<sup>(٤)</sup>، فيقول: هذه امرأتك. فأكشف عن وجهك فإذا أنتِ فيه. فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمضه»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٢).

(٢) الطبرى / جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠/٢٩٧).

(٣) سورة النجم: الآية: (٣).

(٤) السرقة بفتح السين والراء والقاف: هي القطعة، وفي مطبوعة دمشق «خرقة» وهي عند ابن حبان كما في «الفتح» (٩/١٥٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٩٥) كتاب مناقب الأنصار - ومسلم (٢٤٣٨) كتاب فضائل الصحابة.

وعن ابن أبي مليكة عن عائشة: أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: «هذه زوجتك في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

(٢) أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما خطبها الرسول ﷺ لم يكن هو أول المتقدمين لخطبتها، بل سبقه لخطبتها جبير بن مطعم بن عدي، وعلى هذا فالسيدة عائشة رضي الله عنها كانت في عمر الزواج وكانت تطيقه، ولا غرو إذن أن يخطبها النبي ﷺ.

(٣) أن الزواج المبكر كان منتشرًا في عهد النبي ﷺ.. بدليل أن حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها كانت قد تزوجت قبل النبي ﷺ وهي في الثانية عشرة من عمرها... وكذلك تزوجت صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها وهي في الحادية عشرة من عمرها.

بل حتى في زماننا هذا كانت الفتاة في مصر في أوائل القرن العشرين تتزوج وهي تبلغ من العمر الرابعة عشر أو الخامسة عشر من عمرها.

(٤) إن هذا الزواج كان أصلاً باقتراح من السيدة خولة بنت حكيم رضي الله عنها على الرسول ﷺ؛ وذلك لتوكيد الصلة مع أحب الناس إليه، وهو أبوها أبو بكر الصديق رضي الله عنه... وهو دليل ثانٍ على أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت في سن الزواج.

(٥) إن قريشًا - التي كانت تتربص بالرسول ﷺ الدوائر لتأليب الناس عليه، والتي لم تترك مجالاً للطعن فيه إلا سلكوه، ولو كان زورًا وافتراءً - لم تُدهش حين أعلن نبا المصاهرة بين أعز أصحابين وأوفى صديقين، بل استقبلته كما تستقبل أي أمرٍ طبعي.

(٦) أثبت التاريخ بعد ذلك أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت ناضجة تمام النضج؛ حيث استوعبت سيرة الرسول ﷺ بذكاء، وكانت سريعة التعلم جدًا، بل

(١) رواه أحمد والترمذي (٣٨٨٠) كتاب المناقب، وقال الأرنؤوط: ورجاله ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩٨٧) - وأصله في الصحيحين.



صارت من أكثر المسلمين والمسلمات علمًا، وكانت ردودها على رسول الله ﷺ واستفساراتها تدلُّ على كمال عقلها، وسعة اطلاعها، وقوة ذكائها، ولا يكون ذلك لطفلة ليس لها في أمور الزواج.

على أنه يجب الانتباه إلى فروق العصر وظروف الإقليم، وكيف أن نضوج الفتاة في المناطق الحارة يكون مبكرًا جدًّا عنه في المناطق الباردة (١).

(٧) أن النبي ﷺ أراد أن يرتبط بأبي بكر ردًّا لجميل أبي بكر رضي الله عنه.

(٨) أن تنوع السن كان مطلوبًا في زيجات النبي ﷺ حتى نعرف كيف تعامل النبي ﷺ مع الصغيرة والكبيرة ففعل مثله لأنه أسوتنا وقدوتنا.

(٩) أن النبي ﷺ تزوجها في السنة الثانية للهجرة... وكان ذلك في بداية التشريع.. فكان لا بد من وجود فتاة صغيرة داخل بيت النبي ﷺ.  
تسأل كثيرًا وتعرف كثيرًا لتنقل ذلك كله إلى الأمة.

ولذلك.. فمن حكمة الحق (جل وعلا) أن أمنا عائشة لم تُنجب حتى لا تشغل بأطفالها.. فتصبح متفرغة لطلب العلم وتعليم الأمة.. ولذا فقد تزوجها النبي ﷺ وهي في التاسعة من عمرها وتوفي وهي في الثامنة عشرة من عمرها.. وعاشت بعد وفاة النبي ﷺ سبعمائة وأربعين سنة تُعلم الأمة.

(١٠) أن هذه الشبهة لم تظهر إلا منذ خمسين سنة تقريبًا... فلو كانت شبهة لظهرت منذ عهد النبي ﷺ.

❁ شبهة: أن بيوت المسلمين خربت لما أباح لهم النبي ﷺ الطلاق!!!

ونقول لهؤلاء الذين أثاروا هذه الشبهة:

ما العمل إذا تزوج رجل امرأة يظنها صالحة فوجدها غير ذلك؟ يظنها أمينة

فوجدها خائنة؟

(١) أسوة للعالمين (ص ٣٣٤-٣٣٥) بتصرف.

ماذا يصنع المسكين؟!

وماذا تصنع المسكينة التي ابتليت بزوج تظنه صالحًا، فوجدته فاسقًا؟، تظنه رحيماً رفيقاً فوجدته ظالماً غشوماً؟  
هل يعيش الصالح وتعيش الصالحة أبد الدهر في نكحٍ وتعاسٍ؟! أم ماذا تصنع؟!

إن الأوربيين.. منهم مَنْ منع الطلاق، فتفشيت فيهم الفواحش والرذائل، واختلطت عندهم الأنساب.

أما في شرعنا؛ فلقد قال ربنا: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾<sup>(١)</sup>.  
ثم إن هذا الطلاق لا يُصار إليه في كل الأحوال، ولا يُرشد إليه في كل الأوقات؛ وذلك لأنه لغير الحاجة مكروه كراهية شديدة.

فرسولنا ﷺ قال: «إن إبليس يضعُ عرشهُ على الماء، ثم يبعثُ سراياه، فأدناهُم منه منزلةً أعظْمُهُم فتنةً، يجرىءُ أحدهم فيقول: فعلتُ كذا، وكذا، فيقول: ما صنعتُ شيئاً!! قال: ثم يجرىءُ أحدهم فيقول: ما تركتهُ حتى فرقتُ بينهُ وبين امرأته، قال: فيؤدبه منه ويقول: نعم أنت»<sup>(٢)</sup>.

فاللجوء إلى الطلاق يكون لاختيار أخف المفسدتين واتقاء أعظم الضررين،... إلى غير ذلك من الأسباب، وإلا فهو مكروه.

وقد أوصى الخليل إبراهيم - ﷺ - ولده إسماعيل أن يُغير عتبة بابه -  
أى: أن يطلق زوجته -.

وقد يقول قائل: لماذا مَنْ طلق امرأته ثلاثاً، لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره؟

(١) سورة النساء: الآية: (١٣٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٣) (٦٧) كتاب صفات المنافقين.





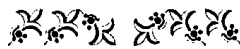
فأقول ملتئمًا توفيق الله: إن الذي طلق امرأته ثلاثًا قد دُلِّلَ بطلاقه هذا على سوء المعاشرة بينهما، إما منه، وإما منها، وذلك لتكرار هذا الطلاق!!  
 فإذا تزوجت - بعد هذه التطليقات الثلاث - رجلاً آخر فقد تناسب خصالها مع خصاله، وطباعها مع طباعه... فالأرواح جنود مجندة، ولعلها تجد فيه ما لم تجده في الزوج الأول، فتقر عينها به، وتستقيم له بعد أن كانت ناشزًا مع الأول.

وكذا الزوج إذا تزوج غيرها، لعله يجد في زوجته الثانية ما لم يجده في الزوجة الأولى من الخصال وغيرها، فيستقيم معها وتستقيم معه!! نعم قد يكون هذا.

وقد لا يكون. بأن تكون المرأة التي طُلقَت ثلاثًا كانت تظن في الرجال أمرًا مُعِينًا لم تجده في الأول... فلما لم تجده في الثاني وطُلقَت منه اعتذرت وندمت على ما صدر منها مع زوجها الأول، فترجع مستقيمة طائعة - إذا شاء الله ذلك -!!  
 والزوج كذلك، قد يظن أن النسوة تجتمع فيهن خصال الخير، ويرى أن خصلة من خصال الخير قد تخلفت عن الزوجة الأولى.. ثم لما تزوج الثانية وجد عددًا من خصال الخير قد تخلفت فيها، فيعلم حينئذ أن النساء لا تخلو من بعض العيوب شأنها في ذلك شأن الرجال... فيعيد نظره في المسائل بعد ذلك!!  
 «ولا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً، ولا يبغضها حقها».

إلى غير ذلك من الالتماسات التي قد تُلتمس.

لكن، وكما قلت آنفًا: إن الجواب الأصيل: أن الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا فأتمرنا، وقلنا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير!!<sup>(١)</sup>



(١) شبهات حول الإسلام (ص ١١١ - ١١٥) بتصرف.

## روحي فداك يا رسول الله

✽ وبعد هذا البحث القصير الذي لا يليق بقدر ومكانة رسولنا وحبينا وأسوتنا وقدوتنا ﷺ أقول له:

يا رسول الله: والله لو جلست أكتب عنك وعن شمائلك وفضائلك من الآن وحتى آخر لحظة من حياتي ما استطعت أن أوفيك حقك..... لكنه جهد المُقَلِّ.

فلقد أحببت من خلال هذه الرسالة الصغيرة أن يعرف العالم كله مَنْ هو رسول الله ﷺ .. فوالله لو عرفوك لأحبوك واتبعوك.

ولا أملك في نهاية رسالتي إلا أن أقول: عُدْرًا يا رسول الله إن قَصَّرت ولم أستطع أن أوفيك حقك فإنه لا يعرف قدرك ومكانتك إلا الخالق (جل وعلا).

✽ يا رسول الله: هذه رسالتي التي أرجو الله (جل وعلا) أن ألقاك بها على حوضك فأقدمها لك فتسقينى من يدك الشريفة شربة هنيئة مريئة لا أظمأ بعدها أبدًا.

✽ صلوات الله وسلامه عليك وعلى آل بيتك يا رسول الله .

ﷺ ﷺ

## دعوة مستجابة

❁ أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتاب المتواضع سائلاً ربى عَزَّوَجَلَّ أن ينفع به المسلمين في كل زمان ومكان، وأن يجعله في ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان في هذا الكتاب من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأٍ أو نسيانٍ فمنى ومن الشيطان.. والله ورسوله ﷺ منه براء... وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدةً من هذا الكتاب فلا يبخل علىَّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعاً في جنته إخواناً على سُررٍ متقابلين.

❁ روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِهِ» <sup>(١)</sup>.

❁ جزى الله خيراً كل مَنْ قرأ هذا الكتاب وتعلّم منه شيئاً وعلمه لمن حوله.

❁ كما أنصح إخوانى وأخواتى بقراءة هذا الكتاب على المسلمين في المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أخرجت للناس.

❁ سبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك....

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمد بن عبد الله  
عقار

## فهرس الموضوعات

- ٥ ..... مقدمة الناشر ❁
- ٧ ..... إهداء واعتراف لأصحاب الفضل ❁
- ٧ ..... إلى أمى الحبيبة (رحمة الله عليها): ❁
- ٧ ..... إلى أبى الحبيب (رحمة الله عليه): ❁
- ٨ ..... بين يدى الكتاب ❁
- ١١ ..... وقفة لطيفة: ❁

### قدر ومكانة النبى ﷺ عند ربه (ﷺ)

- ١٦ ..... (١) عموم اعتناء الله (ﷺ) به ﷺ: .....
- ١٧ ..... (٢) رعاية الله تعالى له ﷺ من الصغر: .....
- ٢٠ ..... (٣) تطهير قلب النبى ﷺ من حظ الشيطان: .....
- ٢٣ ..... (٤) ملء قلب النبى ﷺ إيماناً وحكمة: .....
- ٢٣ ..... (٥) اختياره واصطفائه للرسالة والنبوة: .....
- ٢٤ ..... (٦) رفع الله تعالى قدره وتثقيل وزنه بأتمته: .....
- ٢٤ ..... (٧) تشريفه ﷺ بإنزال القرآن عليه: .....
- ٢٥ ..... (٨) أخذ الميثاق على الأنبياء بأن يؤمنوا بالنبى ﷺ وينصروه: .....
- ٢٥ ..... (٩) أن الله ﷺ أقسم بحياة النبى ﷺ: .....
- ٢٦ ..... (١٠) أن أمته لا تجتمع على ضلالة: .....
- ٢٧ ..... (١١) أن الله ﷺ أثنى عليه باسمين من أسمائه: .....
- ٢٨ ..... (١٢) عصمة الرسول ﷺ من الشيطان: .....
- ٢٨ ..... (١٣) عصمة الرسول ﷺ من القتل: .....
- ٢٩ ..... (١٤) رؤية الله ﷺ له ﷺ (رؤية خاصة): .....

- ٣٠ ..... (١٥) ولاية الله (عَزَّوَجَلَّ) له ﷺ :
- ٣١ ..... (١٦) معية الله (عَزَّوَجَلَّ) له ﷺ :
- ٣٢ ..... (١٧) جعله ﷺ خاتم النبيين :
- ٣٣ ..... (١٨) إمامته لأنبياء الله ورسله بأمر الله سبحانه ليلة الإسراء بالمسجد الأقصى :
- ٣٤ ..... (١٩) تفضيله على الأنبياء بست فضائل أو سبع أو أكثر :
- ٣٤ ..... (٢٠) أمر الأمة بتوقيره وعدم رفع الصوت فوقه ﷺ :
- ٣٥ ..... (٢١) حفظ عرضه ﷺ من السب واللعن :
- ٣٥ ..... (٢٢) الصلاة عليه ﷺ :
- ٣٦ ..... (٢٣) ذم الله سبحانه مَنْ سمع اسم النبي ﷺ ولم يُصلِّ عليه :
- ٣٦ ..... (٢٤) تزكية الله (جل وعلا) لنيبه ﷺ :
- ٣٦ ..... ١- تزكية فطرته ﷺ :
- ٣٧ ..... ٢- تزكية قلبه ﷺ :
- ٣٧ ..... ٣- تزكية لسانه ﷺ :
- ٣٨ ..... ٤- تزكية بصره ﷺ :
- ٤٠ ..... ٥- تزكية خلقه ﷺ :
- ٤١ ..... ٦- تزكية صدقه ﷺ في التبليغ عن ربه ﷻ :
- ٤١ ..... ٧- تزكية مَنْ علمه ﷺ :
- ٤٢ ..... ٨- تزكية ما أوحى إليه ﷺ من كل وجه :
- ٤٢ ..... ٩- تزكية همته ﷺ في الدعوة (على لسان مشركى مكة) :
- ٤٣ ..... ١٠- تزكية دعوته ﷺ ووصفه بالسراج المنير :
- ٤٤ ..... ١١- تزكية دعوته ﷺ على لسان الكافرين :
- ٤٤ ..... ١٢- تزكية كل أحواله ﷺ :
- ٤٥ ..... ١٣- قيامه ﷺ بالدعوة على أكمل وجه :

- ٤٦ (٢٥) تسلية الله ﷺ لرسوله ﷺ: .....
- ٤٦ ١- وعده بالنصر على عدوه: .....
- ٤٦ ٢- إخباره بتعذيب أعدائه في الدنيا والآخرة: .....
- ٤٧ ٣- تسليته بذكر استهزاء الكفار لمن قبله من الرسل: .....
- ٤٧ ٤- تسليته بذكر أسباب تولّى الكفار وتكذيبهم: .....
- ٤٧ (٢٦) رفع ذكره ﷺ: .....
- ٤٩ (٢٧) أن الله ﷻ أرسله إلى الإنس والجن: .....
- ٤٩ (٢٨) سماع الله لتلاوته ﷺ: .....
- ٥٠ (٢٩) أن الله ﷻ وقره في ندائه: .....
- ٥١ (٣٠) أقسم بالضحى والليل أنه ما أهمل نبيه ﷺ: .....
- ٥١ (٣١) النبي ﷺ خليل الله ﷻ: .....
- ٥٢ (٣٢) أن أمته هي السابقة يوم القيامة: .....
- ٥٣ (٣٣) الوعد بنصره ﷺ في الدنيا والآخرة: .....
- ٥٣ (٣٤) أن الله أحلّ له ﷺ ولأمته الغنائم: .....
- ٥٣ (٣٥) كفاية الله له ﷺ: .....
- ٥٤ ١- كفايته شرعاً: .....
- ٥٥ ٢- كفايته قدرًا: .....
- ٥٦ ٣- كفايته شرعاً وقدرًا: .....
- ٥٧ (٣٦) إرضاءه ﷺ: .....
- ٥٧ أولاً: إرضاءه ﷺ في الدنيا: .....
- ٥٨ ثانيًا: إرضاءه ﷺ في الآخرة: .....
- ٥٨ (٣٧) زوجه ربّه من فوق سبع سماوات: .....
- ٦٠ (٣٨) بيت ﷺ يطعمه ربّه ويسقيه: .....
- ٦٠ (٣٩) الأمر بالصدقة بين يدي نجواه ﷺ: .....



- (٤٠) تعظيم المكان بإقامته ﷺ فيه: ..... ٦١
- (٤١) جعل صلاته واستغفاره ﷺ رحمة للمؤمنين: ..... ٦١
- (٤٢) مَنْ استهزأ به ﷺ كفر: ..... ٦٣
- (٤٣) كماله وعصمته ﷺ: ..... ٦٤
- (٤٤) أن الله عز وجل غفر له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ..... ٦٤
- (٤٥) إسلام قرينه ﷺ: ..... ٦٥
- (٤٦) أمر المؤمنين بتقديمه ﷺ على أنفسهم: ..... ٦٦
- (٤٧) تشريف الله تعالى له بإعطائه الكثير من أسمائه الحسنی: ..... ٦٦
- (٤٨) تخصيص ملائكة سیاحة فی الأرض تُبلغه سلام أمته: ..... ٦٨
- (٤٩) النبی ﷺ کلیم الله: ..... ٦٩
- (٥٠) تأیید الله تعالى له ﷺ بالمعجزات وتثبته بالآیات: ..... ٦٩
- (٥١) أن معجزته ﷺ باقية: ..... ٦٩
- (٥٢) تتابع الوحي عليه قبل موته ﷺ: ..... ٧٠
- (٥٣) نعيه وتوديعه ﷺ فی القرآن: ..... ٧١
- (٥٤) أن النبی ﷺ اختبأ دعوته شفاعة لأمته: ..... ٧١
- (٥٥) أن الله تعهد بحفظ كتابه: ..... ٧٢
- (٥٦) تثقیل موازينه ﷺ يوم القيامة: ..... ٧٣
- (٥٧) أنه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة: ..... ٧٣
- (٥٨) أن أمته ﷺ أمة شاهدة يوم القيامة: ..... ٧٤
- (٥٩) أنه ﷺ يوم القيامة أول شافع وأول مُشفع: ..... ٧٤
- (٦٠) أن الله عز وجل سيدخل من أمته سبعین ألفاً بغير حساب ولا عذاب: ..... ٧٥
- (٦١) أن أمته تُثنى أهل الجنة.. وأعمالهم فی ميزانه ﷺ: ..... ٧٧
- (٦٢) أن الله عز وجل أعطاه نهر الكوثر: ..... ٧٨
- (٦٣) أنه ﷺ صاحب أعلى درجة فی الجنة (الوسيلة): ..... ٧٨

## من أخلاق الرسول ﷺ

- ١٣ ..... النبي ﷺ كان خلقه القرآن
- ١٧ ..... الله (جل وعلا) يأمر عباده بحسن الخلق
- ١٨ ..... النبي ﷺ يحض الأمة على حسن الخلق
- ٩٠ ..... فقه الأخلاق
- ٩٢ ..... فوائد وثمرات حسن الخلق:
- ٩٢ ..... حسن الخلق من أفضل ما يقرب العبد إلى الله ﷻ:
- ٩٢ ..... أنه طاعة لرسول الله ﷺ:
- ٩٢ ..... أنه سبب لمحو السيئات:
- ٩٢ ..... أنه سبب لعفو الله وجمال لغفرانه:
- ٩٣ ..... أنه سبب للفوز بمحبة الله ﷻ:
- ٩٣ ..... أنه سبب للفوز بمحبة رسول الله ﷺ:
- ٩٣ ..... أنه من خير أعمال العباد:
- ٩٣ ..... أن صاحبه يُوصف بالخيرية:
- ٩٣ ..... أن حسن الخلق سبب لتعمير الديار وزيادة الأعمار:
- ٩٤ ..... صاحب الخلق الحسن يألف الناس ويألفه الناس:
- ٩٤ ..... حسن الخلق يصلح ما بين الإنسان وبين الناس:
- ٩٤ ..... بالخلق الحسن يكثر الأجاب ويقل الأعداء:
- ٩٤ ..... حسن الخلق يُحول العدو إلى صديق:
- ٩٤ ..... أنه دليل على كمال إيمان العبد:
- ٩٥ ..... أنه سبب لتأييد الله ونصره لعباده:
- ٩٦ ..... سبب لتحريم جسد العبد على النار:
- ٩٦ ..... حسن الخلق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة:





- ٩٦ ..... من أسباب دخول الجنة: ❁
- ٩٦ ..... من أسباب الارتقاء في درجات الجنة: ❁
- ٩٦ ..... النبي ﷺ يضمن له بيتاً في أعلى الجنة: ❁
- ٩٧ ..... أن صاحبه يكون قريباً من النبي ﷺ في الجنة: ❁
- ٩٧ ..... صدقه ﷺ ..... ❁
- ٩٩ ..... مظاهر الصدق في حياة النبي ﷺ ..... ❁
- ١٠٤ ..... الرحمة في حياة النبي ﷺ ..... ❁
- ١٠٥ ..... صور من رحمته ﷺ ..... ❁
- ١٠٩ ..... رحمته ﷺ بالأطفال ..... ❁
- ١١١ ..... رحمته ﷺ بالمذنبين والمخطئين ..... ❁
- ١١٤ ..... رحمة النبي ﷺ بالمشركين ..... ❁
- ١١٥ ..... رحمته ﷺ بالحيوان ..... ❁
- ١١٦ ..... ومن رحمة النبي ﷺ بالحيوان ..... ❁
- ١٢٠ ..... العدل في حياة المصطفى ﷺ ..... ❁
- ١٢٠ ..... وهذه صورة لعدل النبي ﷺ بين أصحابه ..... ❁
- ١٢٢ ..... وهذه صورة مشرقة لعدله بين أزواجه ﷺ ..... ❁
- ١٢٣ ..... بل هذا عدله ﷺ مع المشركين ..... ❁
- ١٢٤ ..... النبي ﷺ يدعو الكون كله للعدل ..... ❁
- ١٢٦ ..... كرمه ﷺ ..... ❁
- ١٣٢ ..... النبي ﷺ يحمل البشري لكل من حوله ..... ❁
- ١٣٤ ..... بكاء النبي ﷺ ..... ❁
- ١٣٤ ..... كان بكاء النبي ﷺ في ثلاثة أحوال ..... ❁
- ١٣٤ ..... أولاً: بكاءه عند فراق الأحباب ..... ❁
- ١٣٥ ..... وفاته أمه (عليه الصلاة والسلام) ..... ❁

- ١٣٦..... وفاة جده عبد المطلب ﷺ
- ١٣٦..... عام الحزن
- ١٣٧..... وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ
- ١٣٧..... وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ
- ١٣٨..... وفاة حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ
- ١٣٨..... حزن النبي ﷺ على قواده الثلاثة في سرية مؤتة
- ١٣٩..... حزن النبي ﷺ على جعفر ﷺ
- ١٣٩..... حزن النبي ﷺ على زيد بن حارثة ﷺ
- ١٤٠..... ثانيًا: بكاء النبي ﷺ عند هجر الأوطان
- ١٤١..... خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة
- ١٤١..... ثالثًا: بكاء النبي ﷺ من خشية الله (جل وعلا)
- ١٤٣..... رفق النبي ﷺ
- ١٤٦..... خوف النبي ﷺ من المظالم
- ١٤٧..... صور من مزاح النبي ﷺ
- ١٥٠..... النبي ﷺ ونعمة الرضا
- ١٥٢..... النبي ﷺ يُعلم الأمة الرضا بقضاء الله (جل وعلا)
- ١٥٢..... صور من تواضع النبي ﷺ
- ١٥٧..... النبي ﷺ ونعمة الوفاء
- ١٥٨..... صور مضيئة من وفائه ﷺ
- ١٥٩..... وفاء النبي ﷺ لأصحابه ﷺ
- ١٦٠..... وفاء النبي ﷺ لأبي بكر ﷺ
- ١٦١..... وفاء النبي ﷺ لأُمَّته
- ١٦٢..... وفاء النبي ﷺ لعمه أبي طالب
- ١٦٢..... وفاء النبي ﷺ لخديجة ﷺ

- ١٦٣..... \* يقين النبي ﷺ وتوكله
- ١٦٥..... \* النبي ﷺ وخشيته من الله (جل وعلا)
- ١٦٧..... \* عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تحكى كيف كانت خشية النبي ﷺ
- ١٦٩..... \* حياء النبي ﷺ
- ١٦٩..... \* النبي ﷺ يحض الأمة على التحلى بِخُلُقِ الحياء
- ١٧٠..... \* زهد النبي ﷺ
- ١٧٢..... \* وهذا حاله ﷺ عند الموت
- ١٧٤..... \* قوة النبي ﷺ وشجاعته
- ١٧٩..... \* اصبر كما صبر النبي ﷺ
- ١٨٠..... \* لا تستسلم للخوف
- ١٨٠..... \* صور مشرقة من عفو النبي ﷺ

### ذكر النبي ﷺ فى الكتب السابقة

- ١٨٨..... \* بشارات النبي ﷺ فى كتب الأولين
- ١٨٩..... \* بشارة النبي ﷺ فى الكتب السابقة
- ١٩٣..... \* بشارات النبي ﷺ فى الإنجيل

### شهادات على صدق نبوة النبي ﷺ

- ٢٠٥..... (١) شهادة الله (جل وعلا):
- ٢٠٩..... (٢) الآيات التى يُجرىها الله عَزَّوَجَلَّ على يديه ﷺ:
- ٢١٠..... (٣) شهادة زوجاته (رضى الله عنهن):
- ٢١٢..... (٤) شهادة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:
- ٢١٤..... (٥) عشارية هرقل:
- ٢١٨..... (٦) الداخلون فى الإسلام:

- ٢١٩..... شهادة المُنصفين من الغربيين: (٧)
- ٢٢٢..... عدم استغلاله الفرص للتعالي: (٨)
- ٢٢٣..... انتفاء الغرض الشخصي: (٩)
- ٢٢٥..... الإعجاز العلمي: (١٠)
- ٢٢٧..... تأليف قلوب العرب: (١١)
- ٢٢٨..... أُمِّي يُعلم العالم: (١٢)
- ٢٢٩..... إخباره بالغيب: (١٣)

### قطوف وشذرات من حياة النبي ﷺ

- ٢٣٣..... \* النسب الشريف للنبي ﷺ:
- ٢٣٤..... \* مكانة النبي ﷺ بين قومه
- ٢٣٦..... \* خاتم النبيين ﷺ
- ٢٣٦..... \* أسماء النبي ﷺ وكُناه
- ٢٤٠..... \* أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين رضى الله عنهن)
- ٢٤٣..... \* أولاد النبي ﷺ
- ٢٤٤..... \* أعمامه وعماته ﷺ
- ٢٤٤..... \* سراريه ﷺ
- ٢٤٤..... \* موالى الحبيب ﷺ
- ٢٤٧..... \* إمام رسول الله ﷺ
- ٢٤٨..... \* كتابه ﷺ
- ٢٥٠..... \* فصل في مؤذنيه ﷺ
- ٢٥٠..... \* حرسه ﷺ
- ٢٥١..... \* فصل: فيمن كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ
- ٢٥١..... \* فصل: فيمن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه



- ٢٥١..... فصل: في شعرائه وخطبائه ﷺ
- ٢٥١..... فصل: في حُداته الذين كانوا يحدون بين يديه ﷺ في السفر
- ٢٥٢..... أسماء خيله ﷺ
- ٢٥٣..... أسماء بغال الحبيب ﷺ
- ٢٥٣..... أسماء إبله ولقاحه ومناحه ﷺ
- ٢٥٣..... أسماء سلاح الحبيب ﷺ

### الصفات الخلقية للحبيب ﷺ

- ٢٥٨..... وصف أم معبد الخزاعية للنبي ﷺ
- ٢٦٠..... كان وجهه ﷺ أجمل من القمر
- ٢٦١..... لون النبي ﷺ
- ٢٦٢..... صفة فم النبي ﷺ وعينه وعقبه
- ٢٦٢..... صفة شعر رسول الله ﷺ
- ٢٦٣..... شيب النبي ﷺ وما جاء في خضابه
- ٢٦٣..... صفة لحيته ﷺ
- ٢٦٤..... صفة كفيه ﷺ وقدميه وذراعيه وساقيه وصدرة
- ٢٦٤..... طيب رائحة النبي ﷺ... ولين كفه ﷺ
- ٢٦٥..... كانوا يعطرون العطر بعرق النبي ﷺ
- ٢٦٥..... صفة خاتم النبوة
- ٢٦٥..... النبي ﷺ يشتاق إليكم

### مختصر سيرة الرسول ﷺ

- ٢٦٩..... صفة النبي ﷺ في التوراة وتبشير اليهود به
- ٢٧٠..... إخبار الكُهَّان عن بعثة النبي ﷺ

- ٢٧١..... حالة المجتمع الجاهلي قبل بعثة الحبيب ﷺ
- ٢٧٤..... العادات السيئة في المجتمع الجاهلي
- ٢٧٦..... النكاح في الجاهلية
- ٢٧٧..... العادات الحسنة في المجتمع الجاهلي
- ٢٧٩..... قصة حفر زمزم
- ٢٨١..... قصة نذر عبد المطلب بأن يذبح أحد أبنائه
- ٢٨٤..... حادثة الفيل إرهابية لبعثة النبي ﷺ
- ٢٨٥..... زواج عبد الله بن عبد المطلب من أمينة بنت وهب ورؤيا أمينة أم النبي ﷺ
- ٢٨٥..... ميلاد المصطفى ﷺ ونشأته
- ٢٨٧..... زواجه ﷺ من خديجة رضى الله عنها
- ٢٨٨..... بناء الكعبة وقضية التحكيم
- ٢٨٨..... شمس النبوة تشرق على دنيا الناس
- ٢٨٩..... مرحلة الإسرار بالدعوة المباركة
- ٢٩٠..... مرحلة الجهر بالدعوة المباركة
- ٢٩١..... إسلام حمزة بن عبد المطلب
- ٢٩١..... الهجرة الأولى إلى الحبشة
- ٢٩٢..... إسلام عمر بن الخطاب
- ٢٩٢..... هجرة الحبشة الثانية
- ٢٩٣..... المقاطعة العامة وميثاق الظلم والعدوان
- ٢٩٤..... عام الحزن
- ٢٩٤..... خروج النبي ﷺ لدعوة أهل الطائف
- ٢٩٥..... الإسراء والمعراج
- ٢٩٦..... بيعة العقبة الأولى
- ٢٩٦..... بيعة العقبة الثانية



- ٢٩٧..... هجرة النبي ﷺ
- ٣٠٢..... إشارة لطيفة في تحويل القبلة
- ٣٠٢..... غزوة بدر الكبرى
- ٣٠٤..... غزوة أحد
- ٣٠٧..... خروج النبي ﷺ إلى حمراء الأسد
- ٣٠٨..... غزوة الأحزاب (الخندق)
- ٣١٠..... غزوة بني قريظة
- ٣١١..... صلح الحديبية
- ٣١٢..... غزوة خيبر
- ٣١٣..... غزوة مؤتة
- ٣١٥..... فتح مكة
- ٣١٧..... غزوة حُنين
- ٣١٨..... غزوة تبوك
- ٣١٩..... عام الوفود
- ٣١٩..... حجة الوداع
- ٣٢٠..... وفاة الرسول ﷺ
- ٣٢٣..... اللحظات الأخيرة من حياة النبي ﷺ
- ٣٢٤..... موقف الصديق ﷺ
- ٣٢٥..... تجهيز جسد النبي ﷺ

### من معجزات النبي ﷺ

- ٣٢٩..... (١) المعجزة:
- ٣٣٠..... (٢) الإرهاص:
- ٣٣٠..... (٣) الكرامة:

- ٣٣١..... (٤) المعونة:
- ٣٣١..... (٥) الإهانة:
- ٣٣١..... (٦) الاستدراج:
- ٣٣٢..... \* بعض الإرهاصات قبل بعثة النبي ﷺ
- ٣٣٣..... \* حادثة شق الصدر
- ٣٣٥..... \* قصة السحابة التي أظلمت ﷺ
- ٣٣٧..... \* الحجر يُسلم على النبي ﷺ
- ٣٣٧..... \* معجزة القرآن الكريم أعظم المعجزات
- ٣٣٩..... \* إعجاز القرآن في أربعة أشياء
- ٣٤١..... \* الإعجاز العلمي الذي احتوى عليه القرآن:
- ٣٤٢..... \* حفظه من التغيير والتبديل:
- ٣٤٢..... \* علومه الواسعة:
- ٣٤٣..... \* إخباره بالغيب الماضي والحاضر والمستقبل:
- ٣٤٥..... \* تحدى الكافرين أن يأتوا بمثله:
- ٣٤٦..... \* انشقاق القمر
- ٣٤٦..... \* حراسة النبي ﷺ بالملائكة
- ٣٤٧..... \* معجزة الإسراء والمعراج
- ٣٤٩..... \* قريش تكذب النبي ﷺ
- ٣٥٠..... \* الله يُعمى أبصار المشركين عن رؤية النبي ﷺ ليلة الهجرة
- ٣٥١..... \* تأييد الله لرسوله ﷺ أثناء هجرته
- ٣٥١..... \* قصته ﷺ مع سُرّاقة وفرسه
- ٣٥٢..... \* قصته ﷺ مع شاة أم معبد
- ٣٥٣..... \* معجزات في غزوة بدر
- ٣٥٣..... [ أ ] إنزال المطر عليهم:





- ٣٥٣..... [ب] تقليل عدد كل فريق في نظر الفريق الآخر:
- ٣٥٣..... [ج] إنزال الملائكة للقتال مع المؤمنين:
- ٣٥٤..... [د] إلقاء النعاس على المؤمنين:
- ٣٥٤..... ✽ قتال الملائكة مع النبي ﷺ في معركة أحد:
- ٣٥٤..... ✽ نصره الله لرسوله ﷺ بالريح والملائكة في غزوة الأحزاب:
- ٣٥٥..... ✽ جبريل وميكائيل (عليهما السلام) يقاتلان دفاعاً عن النبي ﷺ:
- ٣٥٥..... ✽ معجزة الرسول ﷺ في حفر الخندق:
- ٣٥٦..... ✽ تكثير الطعام في بيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه :
- ٣٥٧..... ✽ البرد يذهب عن حذيفة بدعاء النبي ﷺ:
- ٣٥٨..... ✽ معجزات النبي ﷺ في الحديدية
- ٣٥٨..... ✽ ذراع الشاة تخبر النبي ﷺ بأنها مسمومة:
- ٣٥٩..... ✽ النبي ﷺ يخبر بموت القادة الثلاثة في سرية مؤتة
- ٣٥٩..... ✽ تكثير الطعام في تبوك
- ٣٦٠..... ✽ خوارق ازدياد الطعام:
- ٣٦٠..... ✽ بركة النبي ﷺ كانت سبباً في عتق سلمان الفارسي
- ٣٦١..... ✽ الجمل يسجد للحبيب ﷺ
- ٣٦٢..... ✽ الوحش يُوقر النبي ﷺ ويحترمه
- ٣٦٣..... ✽ كان النبي ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه
- ٣٦٣..... ✽ الطعام والحصى يُسبح في يد النبي ﷺ
- ٣٦٤..... ✽ شهادة الشجر برسالة النبي ﷺ وطاعته لأمره
- ٣٦٤..... ✽ شجرة تخبر النبي ﷺ باستماع الجن إليه:
- ٣٦٤..... ✽ شجرة تشهد للنبي ﷺ بالرسالة:
- ٣٦٥..... ✽ النبي ﷺ يأمر غصناً فيطيع أمره:
- ٣٦٥..... ✽ حنين الجذع شوقاً للنبي ﷺ:

- ٣٦٥..... النبي ﷺ له قوة أربعين رجلاً من أهل الجنة
- ٣٦٦..... الأرض تلفظ من أراد أن يخدع النبي ﷺ
- ٣٦٦..... استجابة الله عز وجل لدعائه ﷺ
- ٣٦٧..... استجابة دعائه ﷺ فيما دعا فيه:
- ٣٦٩..... استجابة دعائه على من دعا عليهم:
- ٣٧٠..... استجابة دعائه في الاستسقاء
- ٣٧١..... إخباره ﷺ ببعض الأمور المستقبلية التي أطلع الله عليها
- ٣٧٢..... معجزات شفاء المرضى وخوارقها
- ٣٧٢..... (١) شفاء عليّ رضي الله عنه من رمده في غزوة خيبر:
- ٣٧٣..... (٢) شفاء ساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:
- ٣٧٣..... (٣) شفاء ساق عبد الله بن عتيك رضي الله عنه:
- ٣٧٣..... (٤) ظهور أثر بركته في مسحه رأس حنظلة بن حذيم رضي الله عنه:
- ٣٧٤..... (٥) شفاء عين أبي قتادة رضي الله عنه:
- ٣٧٤..... خاتم النبوة

### تعظيم أمر سنة الحبيب ﷺ

- ٣٧٧..... (١) السنة والقرآن بمنزلة واحدة:
- ٣٧٧..... (٢) السنة محفوظة إلى يوم القيامة:
- ٣٧٨..... (٣) السنة تبيان للقرآن:
- ٣٧٨..... (٤) نفى الهوى عن كل ما جاء بالسنة:
- ٣٧٩..... (٥) تسمية السنة حكمة:
- ٣٨٠..... (٦) السنة شرط في قبول العمل:
- ٣٨٠..... (٧) الوعيد الشديد لمن كذب على صاحبها ﷺ:
- ٣٨١..... (٨) سوء عاقبة من كذب على النبي ﷺ:



## بعض مظاهر العناية الإلهية بأزواج النبي ﷺ

- ٣٨٥.....: أولاً: تربيتهن على أحسن الأقوال والأفعال والأخلاق:
- (١) وجوب الزهد في الدنيا:..... ٣٨٥
- (٢) حثهن على اختيار الله ورسوله والدار الآخرة:..... ٣٨٥
- (٣) تضعيف العذاب لمن ارتكبت شيئاً (حاشا لله):..... ٣٨٦
- (٤) مضاعفة الأجر للقانتات منهن (وهن جميعاً كذلك):..... ٣٨٧
- (٥) عدم تسويتهن ببقية النساء:..... ٣٨٧
- (٦) أمرهن بأحسن الأفعال والأقوال والأخلاق:..... ٣٨٧
- (٧) إرادة الله كمال طهرهن وعفتهن:..... ٣٨٨
- (٨) تذكيرهن بشرف بيوتهن:..... ٣٨٨
- (٩) إعلامهن بلطف الله بهن:..... ٣٨٨
- ٣٨٩.....: ثانياً: جعلهن قدوة لغيرهن:
- ٣٩٠.....: ثالثاً: إلزام الأمة توقيرهن:
- ٣٩٠.....: رابعاً: تحريم النظر إليهن بالكلية:
- ٣٩١.....: خامساً: تحريم الزواج منهن:
- ٣٩٢.....: سادساً: تبرئة أعراضهن:

## مظاهر حُب وإجلال الصحابة للنبي ﷺ

- (١) التصديق المطلق:..... ٣٩٥
- (٢) طاعتهم المطلقة له ﷺ:..... ٣٩٦
- (٣) كمال المتابعة:..... ٣٩٧
- (٤) كراهة مخالفته ﷺ ولو في الهيئة:..... ٣٩٩
- (٥) غضبهم الشديد ﷺ من معارضة سنة النبي ﷺ:..... ٤٠٠

- ٤٠١..... (٦) حب الصحابة له ﷺ أكثر من حبهم لأنفسهم:.....
- ٤٠٢..... (٧) إيثارهم له ﷺ:.....
- ٤٠٢..... (٨) تعظيم الصحابة ﷺ لما يحبه ﷺ:.....
- ٤٠٢..... (٩) حبهم ﷺ لما يحبه ﷺ من أمور الدنيا:.....
- ٤٠٣..... (١٠) حب مرافقته والقرب منه ﷺ:.....
- ٤٠٤..... (١١) كراهيتهم ترك شيء فارقوا النبي ﷺ عليه:.....
- ٤٠٦..... (١٢) عظيم أديهم معه ﷺ:.....
- ٤٠٧..... (١٣) تعظيمه ﷺ في نفوسهم:.....
- ٤٠٩..... (١٤) تعظيم دعائه ﷺ:.....
- ٤١٠..... (١٥) تبركهم به ﷺ:.....
- ٤١٠..... \* أولاً: تبركهم بفضل وضوئه ﷺ:.....
- ٤١١..... \* ثانياً: تبركهم بفضلة الماء الذي شرب منه ﷺ:.....
- ٤١٢..... \* ثالثاً: تبركهم بشعره ﷺ:.....
- ٤١٣..... \* رابعاً: تبركهم بمكان صلاته ﷺ:.....
- ٤١٤..... \* خامساً: تبركهم بيديه ﷺ:.....
- ٤١٦..... \* سادساً: تبركهم بعرقه ﷺ:.....
- ٤١٧..... \* سابعاً: التبرك بأثر قدحه الذي شرب فيه ﷺ:.....

### ثمرات رؤية النبي ﷺ

- ٤٢٣..... \* الفائدة الأولى: في فضائل النبي ﷺ:.....
- ٤٢٤..... \* الفائدة الثانية: كيف يعلم المسلم أن الذي رآه في المنام هو النبي ﷺ؟.....
- ٤٢٤..... \* الفائدة الثالثة: ما هي فوائد رؤية النبي ﷺ في المنام؟.....



- ✽ الفائدة الرابعة: في الحديث دليل على أن الشيطان له قدرة على أن يتمثل في أى صورة أراد، ولكن الله - سبحانه وتعالى - لم يمكنه من التصور في صورة النبي ﷺ: ..... ٤٢٤
- ✽ **يتمنى المؤمن رؤية النبي ﷺ ولو بأهله وماله**: ..... ٤٢٥
- ✽ الفائدة الأولى: في شمائل النبي ﷺ: ..... ٤٢٥
- ✽ الفائدة الثانية: في الحديث لفت أنظار الصحابة رضي الله عنهم لما هم فيه من نعمة، وحثهم على كثرة مصاحبته ﷺ ونصرتة وملازمته: ..... ٤٢٧
- ✽ الفائدة الثالثة: إثبات أنه ليس المقصودُ اتباع سنة النبي ﷺ الظاهرة والباطنة فقط: ..... ٤٢٧
- ✽ الفائدة الرابعة: وهي متفرقات: ..... ٤٢٨

### توقير النبي ﷺ لإخوانه من الأنبياء والمرسلين

- ✽ وفاء النبي ﷺ لإخوانه من الأنبياء ..... ٤٣٤
- ✽ وفاءه لأخيه سليمان (عليه السلام): ..... ٤٣٦
- ✽ وفاءه لأخيه داود (عليه السلام): ..... ٤٣٧

### معاملات النبي ﷺ مع كل من حوله

- ✽ النبي ﷺ أعظم زوج في العالم ..... ٤٤١
- ✽ رحمة النبي ﷺ بالنساء: ..... ٤٤١
- ✽ النساء يشهدن برحمته ﷺ: ..... ٤٤٢
- ✽ كان النبي ﷺ يغضب إذا سمع بامرأة يضربها زوجها: ..... ٤٤٣
- ✽ **قبس من الهدى النبوى فى حسن المعاشرة**: ..... ٤٤٣
- ✽ (١) **تعامل النبي ﷺ مع زوجاته فى الجانب الإنسانى**: ..... ٤٤٥
- ✽ أولاً: دخوله عليهن ومؤانسته لهن: ..... ٤٤٥

- ٤٤٦..... ١- القسم العادل في المبيت: .....
- ٤٤٦..... ٢- القرعة بينهن إذا أراد سفرًا: .....
- ٤٤٦..... \* ثانيًا: تصرّحه بحب أهله: .....
- ٤٤٧..... \* ثالثًا: وفاؤه بحقوق المعاشرة الزوجية الخاصة: .....
- ٤٤٨..... (٢) حرص النبي ﷺ على كل ما يدخل السعادة على زوجه: .....
- ٤٤٩..... (٣) مزاحه ﷺ مع أزواجه: .....
- ٤٤٩..... (٤) تواضعه ﷺ مع أزواجه: .....
- ٤٥٠..... \* رقة النبي ﷺ في معاملة زوجه وهي حائض: .....
- ٤٥٠..... (٥) تعاون النبي ﷺ مع أزواجه: .....
- ٤٥٠..... \* أولاً: كان النبي ﷺ في مهنة أهل بيته: .....
- ٤٥١..... \* ثانيًا: التعاون على الخير: .....
- ٤٥٢..... \* ثالثًا: التشاور بين الزوجين: .....
- ٤٥٣..... (٦) تعامل النبي ﷺ مع زوجاته في الجانب الاقتصادي: .....
- ٤٥٣..... \* أولاً: من حيث السكن: .....
- ٤٥٣..... \* ثانيًا: من حيث الإحسان في النفقة: .....
- ٤٥٣..... (٧) تعامل النبي ﷺ مع زوجاته في الجانب الجمالي: .....
- ٤٥٤..... \* أولاً: تنظفه ﷺ: .....
- ٤٥٥..... \* ثانيًا: اهتمامه ﷺ بمظهره الخارجي: .....
- ٤٥٥..... (٨) تعامل النبي ﷺ مع زوجاته في الجانب الترفيهي: .....
- ٤٥٥..... \* أولاً: إقراره النظر إلى اللهو المباح: .....
- ٤٥٦..... \* ثانيًا: ومن الأمثلة على الجانب الترفيهي: إقراره ﷺ أهله على سماع الغناء المباح من الجارية يوم العيد: .....
- ٤٥٧..... \* ثالثًا: ممارسة الرياضة البدنية: .....
- ٤٥٧..... \* رابعًا: وكان يصحبهن في سفره ويتبادلون أطراف الحديث: .....



- ٤٥٨..... \* خامسًا: سماعه ﷺ الطُرف والأخبار الاجتماعية منهن: ٤٥٨..... \* معاملات النبي ﷺ مع أولاده وأحفاده ٤٦١..... \* هدى النبي ﷺ مع الصغار ٤٦١..... (١) كان النبي ﷺ يُقبل الصغار: ٤٦٢..... (٢) كان النبي ﷺ يُمازح الصغار: ٤٦٢..... (٣) كان ﷺ قمة في الرحمة مع الأطفال: ٤٦٣..... (٤) كان ﷺ يُسلم على الصبيان: ٤٦٣..... (٥) كان ﷺ يستأذن الصغار عند أخذ شيء من حقوقهم: ٤٦٣..... (٦) كان ﷺ يعود الصبيان عند مرضهم: ٤٦٣..... (٧) كان ﷺ يمسح رؤوس الصغار: ٤٦٤..... (٨) كان ﷺ يحرص على تعليمهم وتأديبهم: ٤٦٤..... (٩) وكان ﷺ يُحسن استقبالهم: ٤٦٤..... (١٠) وكان ﷺ يُخفف من معاباتهم: ٤٦٥..... \* حب النبي ﷺ لأصحابه ﷺ ٤٦٨..... \* حسن معاملة النبي ﷺ لجنوده

### تعاملات النبي ﷺ مع غير المسلمين

- ٤٧٠..... \* كان حريصًا على هدايتهم ٤٧٩..... \* وكان إذا حاورهم فإنما كان يحاورهم بكل أدب ورحمة ٤٨٠..... \* كان لا يُكره أحدًا على الدخول في الإسلام ٤٨١..... \* واشترى من اليهود.. ورهن درعه عند يهودى ٤٨١..... \* وأهداهم ﷺ وقبيل هداياهم ٤٨٢..... \* وعاهدهم ﷺ وحرّم خيانة عهدهم:



## أخلاق الرسول ﷺ في الحروب

- ٤٨٧..... ❁ أخلاق النبي ﷺ قبل بدء الحرب
- ٤٨٧..... ❁ إنما جاء الإسلام بالسلام
- ٤٩٠..... ❁ لماذا قاتل رسول الله ﷺ؟!
- ٤٩٣..... ❁ حروبه ﷺ مع المشركين
- ٤٩٩..... ❁ حروبه ﷺ مع اليهود
- ٥٠٢..... ❁ حروبه ﷺ مع النصارى
- ٥٠٥..... ❁ أخلاق الرسول ﷺ أثناء الحرب
- ٥١٥..... ❁ أخلاق الرسول ﷺ بعد انتهاء الحرب
- ٥١٦..... ❁ أخلاق الرسول ﷺ بعد تحقيق النصر
- ٥١٩..... ❁ أخلاق الرسول ﷺ في التعامل مع الأسرى
- ٥٢١..... ❁ النبي ﷺ والعفو عن الأسرى
- ٥٢١..... ❁ أسير أسرية نخلة:
- ٥٢٢..... ❁ أسرى بدر:
- ٥٢٥..... ❁ أسرى الحديدية:
- ٥٢٦..... ❁ حسن معاملة الأسرى
- ٥٢٧..... ❁ راحة الأسير البدنية
- ٥٢٧..... ❁ إطعام الأسرى:
- ٥٢٨..... ❁ كسوة الأسرى:
- ٥٢٩..... ❁ توفير المأوى لهم:
- ٥٢٩..... ❁ راحة الأسير النفسية:
- ٥٣٠..... ❁ الرفق بالأسرى، واللين معهم:
- ٥٣١..... ❁ احترام مشاعرهم الإنسانية:



- ٥٣٢..... ❁ أخلاق النبى ﷺ عند عدم تحقيق النصر
- ٥٣٢..... ❁ موقفه مع أهل الطائف:
- ٥٣٣..... ❁ أخلاقه بعد غزوة أحد:

### النبى ﷺ وحقوق الإنسان

- ٥٤١..... ❁ النبى ﷺ وحق الوالدين
- ٥٤١..... (١) بر الوالدين... يفرج الله به الكربات:
- ٥٤٢..... (٢) الفوز بدعوة الوالدين يجلب التوفيق فى الدنيا والنجاة فى الآخرة:
- ٥٤٢..... (٣) بر الوالدين سبب لسعة الرزق وزيادة العمر:
- ٥٤٣..... (٤) بر الوالدين كفارة للكبائر:
- ٥٤٣..... (٥) بر الوالدين يعدل الحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله!!
- ٥٤٣..... (٦) بر الوالدين من أسباب حسن الخاتمة:
- ٥٤٣..... (٧) بر الوالدين سبب للفوز برحمة الله ومغفرته:
- ٥٤٤..... (٨) بر الوالدين سبب لقبول الأعمال والتجاوز عن السيئات:
- ٥٤٤..... (٩) بر الوالدين سببٌ لدخول الجنة:
- ٥٤٤..... ❁ النبى ﷺ وحقوق الأبناء
- ٥٤٥..... ❁ الحق الأول: اختيار الأم الصالحة:
- ٥٤٦..... ❁ الحق الثانى: التسمية والاستعاذة بالله من الشيطان قبل الجماع:
- ٥٤٦..... ❁ الحق الثالث: عدم التخلص منه بالإجهاض خشية الفقر:
- ٥٤٧..... ❁ الحق الرابع: الفرح بالمولود ذكرًا كان أو أنثى:
- ٥٤٧..... ❁ البنات سترٌ لك من نار جهنم:
- ٥٤٨..... ❁ الحق الخامس: التأذين فى أذنه اليمنى:
- ٥٤٨..... ❁ الحق السادس: تسمية المولود باسم حسن:
- ٥٤٨..... ❁ الحق السابع: العقيقة عن المولود:

- ٥٤٨..... الحق الثامن: الرضاعة من لبن الأم: ٥٤٨.....
- ٥٤٩..... الحق التاسع: التنشئة على العقيدة الصحيحة: ٥٤٩.....
- ٥٤٩..... الحق العاشر: الأمر بالصلاة لسبع والضرب عليها لعشر: ٥٤٩.....
- ٥٥٠..... الحق الحادى عشر: التفريق بينهم فى المضاجع إذا بلغوا عشرًا: ٥٥٠.....
- ٥٥٠..... الحق الثانى عشر: تعليمه أركان الإيمان والإسلام: ٥٥٠.....
- ٥٥٠..... الحق الثالث عشر: تعليمه القرآن: ٥٥٠.....
- ٥٥٠..... الحق الرابع عشر: النفقة عليهم: ٥٥٠.....
- ٥٥١..... الحق الخامس عشر: العدل بين الأولاد: ٥٥١.....
- ٥٥٢..... الحق السادس عشر: إلزام البنات بالحجاب: ٥٥٢.....
- ٥٥٢..... الحق السابع عشر: غرس القيم الحميدة فى نفوس الأطفال: ٥٥٢.....
- ٥٥٢..... الحق الثامن عشر: تعويدهم على السلوك القويم وتصحيح أخطائهم: ٥٥٢.....
- ٥٥٢..... الحق التاسع عشر: تحذير الأولاد من الأخلاق الرذيلة: ٥٥٢.....
- ٥٥٣..... الحق العشرون: ملاطفتهم ومداعبتهم وتقبيلهم: ٥٥٣.....
- ٥٥٣..... الحق الحادى والعشرون: تعليمهم ما ينفعهم من علوم الدين والدنيا: ٥٥٣.....
- ٥٥٣..... الحق الثانى والعشرون: تعليمهم الألعاب المباحة للترويح عنهم: ٥٥٣.....
- ٥٥٣..... الحق الثالث والعشرون: عدم الدعاء على الأولاد: ٥٥٣.....
- ٥٥٤..... **النبي ﷺ وحق الرحم** ٥٥٤.....
- ٥٥٤..... (١) صلة الرحم شعار الإيمان بالله واليوم الآخر: ٥٥٤.....
- ٥٥٤..... (٢) أن الله عَزَّوَجَلَّ يصل الواصل فى الدنيا والآخرة، فيمده بالرحمة، ويسر له الأمور ويفرج عنه الكربات: ٥٥٤.....
- ٥٥٤..... (٣) أنها تجلب للعبد رضا الله ومحبته: ٥٥٤.....
- ٥٥٥..... (٤) أنها أعجل الطاعة ثوابًا: ٥٥٥.....
- ٥٥٥..... (٥) أنها من أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الإيمان به: ٥٥٥.....
- ٥٥٥..... (٦) صلة الرحم يكفر الله بها سيئات العبد: ٥٥٥.....



- (٧) صلة الرحم تجعلك في أعلى المنازل: ..... ٥٥٥
- (٨) أن الصدقة على ذى الرحم أعظم أجراً من الصدقة على المسكين: ..... ٥٥٦
- (٩) أنها من أسباب البركة في الرزق والعمر: ..... ٥٥٦
- (١٠) صلة الرحم تُعمر الديار: ..... ٥٥٦
- (١١) أنها من أعظم أسباب دخول الجنة: ..... ٥٥٦
- ❁ **النبي ﷺ وحقوق الأخوة** ..... ٥٥٧
- (١) أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان: ..... ٥٥٧
- (٢) محبة الأخ لأخيه من أوثق عرى الإيمان: ..... ٥٥٨
- (٣) أن مجالسهم هي مجالس المغفرة والرحمة ..... ٥٥٨
- (٤) أن مَنْ يُجالس الصالحين تشمله بركة مجالسهم ..... ٥٥٨
- (٥) أن الله أوجب محبته للمتحابين فيه: ..... ٥٥٨
- (٦) أن المحبة في الله من الإيمان، وإفشاء السلام سبب لحصولها: ..... ٥٥٩
- (٧) أن الحب في الله والبغض في الله دليل على كمال إيمان العبد ..... ٥٥٩
- (٨) ومن فوائد المحبة في الله أن الله يكرم مَنْ أحب عبداً لله ..... ٥٥٩
- (٩) أن أعظم الأصحاب عند الله منزلة أشدهما حباً لصاحبه: ..... ٥٥٩
- (١٠) أن المرء يُحشر مع مَنْ أحب: ..... ٥٥٩
- (١١) المتحابون في الله يُظلمهم الله في ظل عرشه يوم القيامة: ..... ٥٦٠
- (١٢) أن المتحابين في الله لهم منابر من نور، يجلسون عليها يوم القيامة: ..... ٥٦٠
- (١٣) أنك بمحبتك للصالحين وزيارتك لهم تقترب من الجنة ..... ٥٦٠
- ❁ **النبي ﷺ وحقوق المرأة** ..... ٥٦١
- ❁ **كرامة المرأة المسلمة** ..... ٥٦٥
- ❁ **النبي ﷺ وحق اليتيم والأرملة والمسكين** ..... ٥٦٨
- ❁ **قصة تملأ القلب نوراً:** ..... ٥٧١
- ❁ **النبي ﷺ وحق الجار** ..... ٥٧٢



- ٥٧٣..... الحق الأول: الإحسان إليه: .....
- ٥٧٣..... الحق الثاني: أن يحب لجاره ما يحب لنفسه من الخير: .....
- ٥٧٤..... الحق الثالث: أن يؤدي إليه كل حقوق المسلم على أخيه المسلم: .....
- ٥٧٤..... الحق الرابع: كف الأذى عنه: .....
- ٥٧٤..... الحق الخامس: احتمال الأذى: .....
- ٥٧٥..... الحق السادس: تعظيم حُرمة الجار وصيانة عرضه وعدم خيانتة: .....
- ٥٧٥..... الحق السابع: مواساته بالمال إذا احتاج أو افتقر: .....
- ٥٧٥..... الحق الثامن: مواساته بالطعام ولا سيما إذا كان فقيرًا: .....
- ٥٧٦..... الحق التاسع: مشاركته في أفراحه وأحزانه: .....
- ٥٧٦..... الحق العاشر: النصح له، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر: .....
- ٥٧٦..... الحق الحادى عشر: أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحول عنه: .....
- ٥٧٧..... **النبي ﷺ وحق الضيف** .....
- ٥٧٩..... **النبي ﷺ وحقوق الخدم والعمال** .....
- ٥٨٢..... **النبي ﷺ وحقوق المرضى وذوى الاحتياجات الخاصة** .....
- ٥٨٥..... **النبي ﷺ وحق الطريق** .....
- ٥٨٦..... الحق الأول: غض البصر: .....
- ٥٨٦..... الحق الثاني: كف الأذى: .....
- ٥٨٧..... الحق الثالث: رد السلام: .....
- ٥٨٧..... الحق الرابع: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: .....
- ٥٨٧..... الحق الخامس: هداية السبيل .....
- ٥٨٨..... الحق السادس: إمطة الأذى عن الطريق: .....
- ٥٨٨..... الحق السابع: عدم قضاء الحاجة فى طريق الناس: .....
- ٥٨٩..... الحق الثامن: المحافظة على نظافة الطريق: .....



## عناية النبي ﷺ بالأمة

- (أ) عنايته ﷺ بالتربية الإيمانية ..... ٥٩٣
- (١) كان ﷺ يُعلم أصحابه الأدب مع الله: ..... ٥٩٣
- (٢) ويعلمهم ﷺ العبودية لله وحده: ..... ٥٩٤
- (٣) ويعلمهم ﷺ اللجوء إلى الله سبحانه وقت الشدة: ..... ٥٩٤
- (٤) ويعرفهم ﷺ أنهم سيرون ربهم يوم القيامة ويكلمونه بلا ترجمان: ..... ٥٩٤
- (٥) ويعرفهم ﷺ بما يحدث للأموات في البرزخ: ..... ٥٩٥
- (٦) ويوضح لهم ﷺ أن من الموحدن من سيدخل النار بذنوبه، ثم يُخرجه إلى الجنة توحيداً: ..... ٥٩٥
- (٧) ويُعلمهم ﷺ حب الله ورسوله: ..... ٥٩٥
- (٨) كما يعلمهم ﷺ أن يحبوا لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم: ..... ٥٩٥
- (٩) ويُعرفهم ﷺ بأن الإيمان أحب العمل إلى الله تعالى: ..... ٥٩٦
- (١٠) ويبين لهم ﷺ أعمال الإيمان وحلاوته: ..... ٥٩٦
- (١١) ويعلمهم ﷺ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ..... ٥٩٦
- (١٢) وكذلك يبين لهم النبي ﷺ أن من الإيمان النصح لكل مسلم: ..... ٥٩٧
- (١٣) وأن من الإيمان أيضاً حب الأنصار وحب عليّ رضي الله عنه: ..... ٥٩٧
- (١٤) ويعلمهم ﷺ الأمانة ورد الأمانات إلى أهلها: ..... ٥٩٧
- (١٥) ويبين لهم ﷺ أن المعاصي تُنقص الإيمان وتُدخل النار إن شاء الله: ..... ٥٩٨
- (١٦) وينفى ﷺ الإيمان عن المتلبس بالمعصية حتى يدعها: ..... ٥٩٨
- (١٧) كما ينفى ﷺ الانتساب إلى أهل الإيمان زجراً لمن عمل أنواعاً من المعاصي: ..... ٥٩٨
- (١٨) ويطلق ﷺ اسم الكُفر على بعض الأعمال لتغييرهم منها: ..... ٥٩٨
- (١٩) ويخوفهم ﷺ من إيمان المستهترين والمُسوفين: ..... ٥٩٩

- (٢٠) وَيُنْفِرُهُمْ ﷺ عَمَّا يَحْبِطُ إِيمَانَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ (وهو الشرك): ٥٩٩.....
- (٢١) وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَنْ خَلَطَ الْإِيمَانَ بِالشَّرْكِ يَضِيعُ الْأَمْنُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ٥٩٩.....
- (٢٢) وَيَحْذَرُهُمْ ﷺ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى الشَّرْكِ: ٥٩٩.....
- (٢٣) وَيُبَيِّنُ لَهُمْ ﷺ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ: ٥٩٩.....
- (٢٤) وَيُعَلِّمُهُمْ ﷺ أَنْ يَنْسُبُوا الْفَضْلَ فِي النِّعَمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: ٦٠٠.....
- (٢٥) وَيُعَلِّمُهُمْ ﷺ أَنْ يَكُونُوا فِي ذِمَّةِ اللَّهِ: ٦٠٠.....
- (٢٦) وَيَحْذَرُهُمْ ﷺ مِنَ الْفِتَنِ وَمِمَّا يَخِيفُهُمْ وَيَتَهَدَّدُهُمْ ٦٠٠.....
- (٢٧) وَيُبَشِّرُهُمْ ﷺ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ: ٦٠٠.....
- (٢٨) وَيُزِيلُ ﷺ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ فِي فَهْمِ الْإِيمَانِ: ٦٠٠.....
- (٢٩) وَيُبَشِّرُ الْغُرَبَاءَ حَالَ غُرْبَتِهِمْ وَغُرْبَةَ دِينِهِمْ: ٦٠٠.....
- (٣٠) وَيَخُوفُهُمْ ﷺ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ٦٠١.....
- (٣١) وَيُعَلِّمُهُمْ ﷺ أَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ بَعْدَ سَمَاعِهِ بِهِ كَفَرَ بِاللَّهِ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ. ٦٠١.....
- (٣٢) وَيُبَشِّرُهُمْ ﷺ بِحِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى طَائِفَةَ أَهْلِ الْإِيمَانِ. ٦٠١.....
- (٣٣) وَيَحَافِظُ ﷺ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ: ٦٠١.....
- (٣٤) وَيُرِيهِمْ ﷺ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ. ٦٠١.....
- (٣٥) وَيُعَلِّمُ الدُّعَاةَ اسْتِخْرَاجَ حِظِّ الشَّيْطَانِ وَتَعَلُّمَ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ: ٦٠١.....
- (٣٦) وَيُدْخِلُ ﷺ السَّرُورَ إِلَى نَفْسِهِمْ بِتَشْبِيهِهِمْ بِالصَّالِحِينَ، وَبِتَوَاضُعِ جَمِّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ نَفْسِهِ لِيَتَأَلَّفَهُمْ وَيَتَوَدَّدَ إِلَيْهِمْ ﷺ. ٦٠١.....
- (٣٧) وَيُعَلِّمُهُمْ ﷺ أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى الْفُورِ. ٦٠١.....
- (٣٨) وَيُعَلِّمُهُمْ ﷺ الْاسْتِرْجَاعَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ. ٦٠١.....
- (٣٩) وَيُوصِيهِمْ ﷺ بِمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَدْعُو لَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمْ أَدَبَ الدُّعَاءِ. ٦٠١.....
- (ب) عِنَايَتُهُ ﷺ بِالْجَانِبِ الْعِبَادِيِّ وَالتَّعْلِيمِي فِي التَّرْبِيَةِ ٦٠٢.....
- (ج) الْعِنَايَةُ بِالْجَانِبِ الْعَاطِفِيِّ وَالنَّفْسِيِّ ٦٠٣.....



- (د) عناية النبي ﷺ بالجانب الشخصي (بناء الشخصية) عند أصحابه المؤمنين ٦٠٦  
 (هـ) عناية النبي ﷺ بالجانب الأخلاقي ..... ٦٠٩

### حقوق النبي ﷺ على أمته

- (١) الإيمان به ﷺ: ..... ٦١٣  
 (٢) محبته ﷺ دون غلو: ..... ٦١٤  
 \* الكون يتفاعل مع محبة النبي ﷺ ..... ٦١٤  
 \* جبل أحد يحب النبي ﷺ وأصحابه ..... ٦١٥  
 \* الصديق ﷺ ومحبته للنبي ﷺ ..... ٦١٥  
 \* محبة تفوق الخيال ..... ٦١٥  
 \* حبيب حبيبي .. حبيبي ..... ٦١٦  
 \* موقف لعلى بن أبي طالب ﷺ ..... ٦١٧  
 \* حب الصحابة للنبي ﷺ ودفاعهم عنه ..... ٦١٧  
 \* على بن أبي طالب ﷺ يفدى النبي ﷺ ليلة الهجرة ..... ٦١٨  
 \* الزبير بن العوام ﷺ ودفاعه عن النبي ﷺ: ..... ٦١٨  
 \* محمد بن مسلمة ﷺ ودفاعه عن النبي ﷺ: ..... ٦١٩  
 \* الصحابة يبذلون حياتهم دفاعاً عن النبي ﷺ في يوم أحد: ..... ٦١٩  
 \* سبعة من الأنصار يبذلون حياتهم دفاعاً عن النبي ﷺ: ..... ٦٢٠  
 \* أو جب طلحة ﷺ يوم أحد: ..... ٦٢٠  
 \* أبو طلحة ﷺ ودفاعه عن النبي ﷺ: ..... ٦٢٢  
 \* كعب بن مالك ﷺ يفدى النبي ﷺ بحياته: ..... ٦٢٢  
 \* سعد بن الربيع ﷺ ووصيته الغالية للأنصار: ..... ٦٢٣  
 \* الملائكة يُدافعون عن النبي ﷺ: ..... ٦٢٣  
 \* أم عمارة ﷺ تدافع عن النبي ﷺ: ..... ٦٢٣

- ٦٢٤..... \* زيد بن حارثة رضي الله عنه يختار النبي ﷺ على أبيه وعمه: .....
- ٦٢٥..... \* أبو أيوب رضي الله عنه ... ومحبته للنبي ﷺ: .....
- ٦٢٦..... \* هكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ: .....
- ٦٢٧..... \* كل مصيبة بعدك جل يا رسول الله ﷺ: .....
- ٦٢٧..... \* المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ: .....
- ٦٢٨..... \* عروة بن مسعود يرى العجب من محبة الصحابة للنبي ﷺ: .....
- ٦٢٩..... \* المشتاقون لصحبة النبي ﷺ في الجنة: .....
- ٦٣١..... \* بواعث محبة النبي ﷺ وأسبابها .....
- ٦٣٥..... (٣) ومن حقوق النبي ﷺ على أمته: طاعته ﷺ في كل ما أمر: .....
- ٦٣٩..... (٤) الانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر: .....
- ٦٤١..... (٥) الاتباع للنبي ﷺ: .....
- ٦٤٢..... (٦) تصديقه ﷺ في كل ما أخبر: .....
- ٦٤٤..... (٧) تعظيمه وتوقيره والأدب معه ﷺ: .....
- ٦٤٦..... (٨) التحلي بأخلاق الرسول ﷺ: .....
- ٦٤٨..... (٩) تبليغ دعوته وسنته ﷺ: .....
- ٦٤٩..... (١٠) الدفاع عن النبي ﷺ: .....
- ٦٥٠..... \* صور من دفاع الله ﷻ عن نبيه ﷺ: .....
- ٦٥٠..... \* الله ﷻ يتقم لنبيه ﷺ من أبي جهل: .....
- ٦٥١..... \* أبو لهب وامراته حمالة الحطب: .....
- ٦٥٢..... \* هلاك أبي لهب: .....
- ٦٥٢..... \* هلاك أم جميل (زوجة أبي لهب): .....
- ٦٥٤..... \* هلاك ابن أبي لهب: .....
- ٦٥٥..... \* عقبة بن أبي معيط: .....
- ٦٥٦..... \* أبي بن خلف: .....





- ٦٥٧..... عبد الله بن قمنة: ❁
- ٦٥٧..... الأرض تلفظ من أراد أن يخدع رسول الله ﷺ: ❁
- ٦٥٨..... الله يرسل صاعقة على رجل رفض الاستجابة لرسول الله ﷺ: ❁
- ٦٥٨..... غضب الحيوانات من أجله ﷺ وانتقامها له: ❁
- ٦٥٩..... (١١) ومن حقوق النبي ﷺ: الصلاة عليه ﷺ: ❁
- ٦٥٩..... كيفية الصلاة عليه ﷺ: ❁
- ٦٦٠..... فضائل وثمرات الصلاة على النبي ﷺ: ❁
- ٦٦٤..... (١٢) الأدب معه ﷺ بعد موته: ❁
- ٦٦٥..... كيف ننصر رسول الله ﷺ؟ ❁
- ٦٦٦..... (١) مقاطعة أفكار الغرب ومعتقداته: ❁
- ٦٦٦..... (٢) المقاطعة الاقتصادية: ❁
- ٦٦٨..... (٣) أن نتعلم سيرة الرسول ﷺ: ❁
- ٦٦٩..... (٤) العودة إلى هدى رسول الله ﷺ وسنته: ❁
- ٦٦٩..... (٥) أن ندعو الكون كله إلى دين الله بخلق رسول الله ﷺ: ❁

### شبهات وردود

- ٦٧٤..... دفع الشبهات عن الحبيب المصطفى ﷺ: ❁
- ٦٧٦..... الرد على القس (جيري فالويل) ومن على شاكلته: ❁
- ٦٧٦..... أولاً: ادعاؤه أن محمداً ﷺ يقتل: ❁
- ٦٧٨..... ثانياً: قوله: أن النبي ﷺ هم يا حراق قوم في منازلهم: ❁
- ٦٧٩..... ثالثاً: اعتراضه على قتل (هبار بن الأسود): ❁
- ٦٨٠..... رابعاً: شبهة قتل الأسود العنسي الذي ادعى النبوة: ❁
- ٦٨١..... خامساً: ادعاؤه أن رسول الله ﷺ يعشق الانتقام: ❁
- ٦٨٣..... سادساً: ادعاؤه أن النبي ﷺ يسب ويلعن: ❁

- ٦٨٤..... \* سابعًا: يقول أن النبي ﷺ اغتصب صفيه رؤسهما : .....
- ٦٨٥..... \* ثامنًا: زعمه أن الغزوات كانت من أجل السلب والنهب: .....
- ٦٨٨..... \* تاسعًا: أن النبي ﷺ اعتدى على الحريات حينما غزا مكة: .....
- ٦٨٩..... \* عاشرًا: أنه ﷺ قام بغزوة حنين من أجل القتل والغنائم: .....
- ٦٩٢..... \* الحادى عشر: أن النبي ﷺ أجبر الروم فى غزوة تبوك على دفع الإتاوة: .....
- ٦٩٣..... \* الثانى عشر: أن الصحابة أجبروا المصريين على الإسلام: .....
- ٦٩٣..... \* شبهة انتشار الإسلام بحد السيف: .....
- ٧٠٤..... \* شبهة أن النبي ﷺ يُقر العبودية: .....
- ٧١٠..... \* شبهة أن النبي ﷺ أخذ القرآن عن اليهود والنصارى: .....
- ٧١٤..... \* شبهة تكذيبهم لمعجزات النبي ﷺ: .....
- ٧١٩..... \* شبهة: تعدد زوجات النبي ﷺ: .....
- ٧٢١..... \* الحكمة من تعدد زوجات النبي ﷺ .....
- ٧٢٢..... \* أولاً: الحكمة التعليمية: .....
- ٧٢٣..... \* ثانيًا: الحكمة التشريعية: .....
- ٧٢٤..... \* ثالثًا: الحكمة الاجتماعية: .....
- ٧٢٦..... \* رابعًا: الحكمة السياسية: .....
- ٧٢٧..... \* تنفيذ تهمة خيثة: .....
- ٧٣١..... \* شبهة: زواجه ﷺ من أمنا عائشة رؤسها وهى صغيرة السن: .....
- ٧٣٣..... \* شبهة: أن بيوت المسلمين خربت لما أباح لهم النبي ﷺ الطلاق!!! .....
- ٧٣٧..... \* دعوة مستجابة.....
- ٧٣٧..... \* فهرس الموضوعات .....

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

